

# أَجُودُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء السادس

تأليف

آية الله الأستاذ الشيخ هادي النجفي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ العلامة المحقق الأديب الأستاذ  
الحجة السيد عبدالستار الحسيني دام ظلّه

تاريخُ نشر الجزء السادس من التفسير الموسوم بـ «أجود البيان في  
تفسير القرآن» لسماحة الفقيه المحقق النحرير آية الله الأستاذ الشيخ الهادي  
من آل أبي المجد النجفي دام ظلّه:


لِلآيَةِ الْهَادِي مَوَاهِبُ جَمَّةٌ	مِنْ لُطْفِ رَبِّ بِالْعِبَادِ خَيْرٌ
وَبَحْسِهِ أَنْ جَدَّ فِي تَنْوِيعِ مَا	خَطَّتْ أُنَامِلُهُ مِنَ التَّخْرِيرِ
مِنْ كُلِّ فَنٍّ خَاصَّ جُتَّتُهُ وَمَا	شَيَنْتَ عَوَاقِبُ مَحْرِهِ بِقُصُورِ
وَسَمَا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ مُذْ جَدَّ فِي	نَشْرِ الْعُلُومِ بِهِمَّةِ النَّحْرِيرِ
وَلِذَاكَ فَازَ بِنَيْلِ كُلِّ مَزِيَّةٍ	لَا، لَنْ يُحِيطَ بِوَصْفِهَا تَعْيِيرِي
وَالْيَوْمَ أَتَخَفْنَا بِجُزْءٍ سَادِسٍ	مِنْ شَرْحِهِ لِكِتَابِ نُورِ النُّورِ

أَعْنِي كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ	ذِي الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ بِالتَّيْسِيرِ
وَحَبَاهُ مِنْ آلَائِهِ فِي مَدِّهِ	مِنْ مَنْهُ بِدَقَائِقِ الْمَأْثُورِ
وَكَفَاهُ (أَجُودُهُ) بِحُسْنِ (بَيَانِهِ)	وَنَظَامِهِ الْمُتَأَلَّقِ الْمَسْطُورِ
وَبَعْدَ أَصْحَابِ الْكِسَا قَدْ تَمَّ فِي	تَارِيخِهِ: إِهْدَاءُ ذَا التَّفْسِيرِ
(٥)	(١٢) (٧٠١) (٧٢١)

سنة ١٤٣٩ هـ

الأقل عَبْدُ السَّتَّارِ عَفَا عَنْهُ الْمَلِكُ الْغَفَّارُ  
النجف الأشرف - المدرسة المهدية العلمية الدينية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ 

«حكم تربوي لإصلاح النفوس، وتطهيرها من الضعائن والأحقاد، وقد حذّرهم ﷺ بأنّه يعلم كلّ ما في نفوسهم، ولا تخفى عليه خافية، فلا بدّ من إصلاحها بالعفو حتّى يشملهم عفوّه ورحمته»<sup>١</sup>.  
﴿لَا﴾ نافية.

﴿تُحِبُّ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله، «محبة الله تعالى هي رضاه وإنعامه بالثواب وتفضّله على عبّاده وعدم محبّته هو سخطه وعقابه»<sup>٢</sup>. والمراد بها هنا الكراهة التشريعية وهي الحرمة.  
﴿الْجَهْرَ﴾ مفعول به، «مادة «جهر» تدلّ على الظهور والبروز»<sup>٣</sup> بوضوح، وقد

---

١. مواهب الرحمن ٩٧/١٠.

٢. مواهب الرحمن ٩٨/١٠.

٣. راجع «مقاييس اللغة» للعلامة اللغوي الشهير أبي عليّ الفارسيّ المطبوع بتحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون المصري (ت ١٩٨٨م).

وردت هذه المادّة في القرآن الكريم في ما يقرب من ستة عشر موضعاً، استعملت جميعها في هذا العالم وليس لها حظّ في الآخرة، ومتعلّقها إمّا حاسة البصر، كما في قوله تعالى حاكياً عن اليهود لموسى عليه السلام ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾<sup>١</sup>، وقوله تعالى حاكياً عن أهل الكتاب: ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾<sup>٢</sup>.

أو حاسة السمع كما في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾<sup>٣</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾<sup>٤</sup>.

ولعلّ أشدها ما ورد في قصّة نوح عليه السلام؛ قال تعالى حاكياً عنه ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا \* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾<sup>٥</sup>.

ويستفاد منه أنّ الإعلان خلاف الإسرار، فيكون الإجهار خلاف الإخفات، وقد يستعمل خلاف الإسرار أيضاً، ومنه الحديث: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»، وهم الذين أظهروا المعاصي وكشفوا ما ستر الله عليهم منها<sup>٦</sup>.

﴿بِالسُّوءِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿الْجَهْرِ﴾. و﴿السُّوءِ﴾: «هو كلّ ما يغمّ الإنسان، سواء كان من الأمور الدنيويّة أم الآخرويّة، نفسياً كان أو بدنياً، خارجياً كان مثل فوت مال، أو شائياً كفوات جاه أو فقد حميم»<sup>٧</sup>.

﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ جار ومجرور متعلّق بحال محذوف من ﴿السُّوءِ﴾، و﴿السُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ﴾: «كُلُّ كلام يسوء من قيل فيه كالدعاء عليه، وشتمه بما فيه من المساوي،

١. سورة البقرة ٢/٥٥.

٢. سورة النساء ٤/١٥٣؛ قَالَ الْأَخْفَشُ الْأَصْغَرُ: أَيَّ عِيَانَا، يُكْشَفُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ.

٣. سورة الرعد ١٣/١٠.

٤. سورة الإسراء ١٧/١١٠.

٥. سورة نوح ٧١/٨ و ٩.

٦. مواهب الرحمن ١٠/٩٨.

٧. مواهب الرحمن، ١٠/٩٩.

والعيوب وبها ليس فيه، فكل ذلك لا يحب الله الجهر به وإظهاره، ومن المعلوم أنه تعالى منزّه من الحبّ والبغض على حدّ ما يوجد فينا معشر الإنسان وما يجانسنا من الحيوان، إلّا أنّه لما كان الأمر والنهي عندنا بحسب الطبع صادرين عن حبّ وبغضٍ كنّيهما عن الإرادة والكرهية وعن الأمر والنهي»<sup>١</sup>.

وبعبارة أخرى: ﴿السُّوءُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ «كلّ ما يسوء المقول فيه فيشمل السبّ، والقذف، ثمّ عمّم ﴿السُّوءُ﴾ أو حكمه حتّى يشمل الغمز واللّمز والاتّهام بالسيء من الصفات والأعمال، والبهتان، وإلصاق العيوب، وكلّ ما ليس في الطرف الآخر، والدّعاء عليه ونحو ذلك ممّا يسيئه، وهو يختلف باختلاف الأعصار والأمصّار والأقوام، فربّ سيء في عصر ومصر أو عند قوم لا يكون كذلك عند غيرهم. ولعلّ التعبير وعدم ذكر الخصوصية في المقام، ليشمل الجميع وكلّ ما ينطبق عليه السوء من القول عرفاً، والتقيد بالقول من باب الغالب»<sup>٢</sup>.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل نصب على الاستثناء المنقطع أي لكن ﴿مَنْ ظَلِمَ﴾ لا بأس بأن يجهر ﴿بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فيمن ظلمه من حيث ﴿ظَلِمَ﴾ «وهذه هي القرينة على أنه إنما يجوز له الجهر بالسوء من القول بين فيه ما ظلمه، ويظهر مساوئه التي فيه مما ظلمه به، وأما التعديّ إلى غيره ممّا ليس فيه، أو ما لا يرتبط بظلمه فلا دليل على جواز الجهر به من الآية»<sup>٣</sup>.

﴿ظَلِمَ﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر. ومعنى الظلم معروف. ويكون «الجهر بالسوء من مصاديق الظلم، وهو مبغوض بالفطرة، وإرشاد إلى أنّ

١. الميزان ٥/ ١٢٣.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ٩٩.

٣. الميزان ٥/ ١٢٣.

المظلوم إنما يجوز له الانتصار ممن ظلمه في الجهة التي ظلم بها، ولا يجوز التعدي عنها<sup>١</sup>.

والآية الشريفة تدلّ على الجواز الشرعي للإضرابات «والمظاهرات ضد حكام الجور، بل قد تجب إذا انحصر الطريق في رفع الظلم بها، على شريطة أن لا تؤدي إلى الشغب والإضرار بالغير، لأن الله سبحانه لا يطاع من حيث يعصى، فالإسلام يرمى للإنسان قداسته وكرامته، حتى يعتدي على كرامة غيره، وعندها ترتفع عنه وعن كرامته الصيانة والحصانة، ويحل هتكه واذلاله.

وتجدر الإشارة إلى أن الظلم لا يختص بحكام الجور وأعدائهم، فأَيُّ إنسان اعتدى على غيره بفعل أو قول، أو منعه حقّه، أو مطله به فهو ظالم، قال رسول الله ﷺ: «لِيُۡ ٱلْوَاجِدُ ظَلَمَ». وفي حديث آخر: «الواجد يحل عرضه». والواجد هو الذي لا يفي بالدين مع قدرته على الوفاء... وروى أهل البيت عن جدّهم ﷺ: «من عامل الناس، فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم - فهو ممن كملت مروءته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته». حتى الكاذب والمخلف بوعده لا حرمة له... وهكذا يحفظ الإسلام حقوق الفرد ما دام قائماً بحقوق الإنسانية التي تتمثل فيه وفي غيره، ومتى هانت عليه كان أهلاً للاحتقار والهوان<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ استثنائية، والجملة بعدها تأكيد للحكم السابق.

﴿كَانَ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ. ﴿ٱللَّهُ﴾ اسْمُهُ.

﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. ﴿سَمِيعًا﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمًا﴾ بالظالم والمظلوم.

١. مواهب الرحمن ١٠ / ١٠٠.

٢. الّٰيُّ مَصْدَرٌ مِّنَ الْفِعْلِ: لَوِىَ يَلْوِي، لَيًّا وَمِثْلُهُ فِي التَّصْرِيفِ: كَوَى، يَكْوِي، كَيًّا، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ فِي أُمْتَالِهِمْ: أَخْرُ الدَّوَاءَ الْكَيَّ. لَكِنِ الْمَتَأَخِّرِينَ عَدَلُوا عَنْ جَدِّ السَّبِيلِ إِذْ قَالُوا: لَوِىَ يَلْوِي، لَوِيًّا، وَكَوَى، يَكْوِي، كَوِيًّا، وَفِيهِ مَا فِيهِ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى الْفَظِنِ النَّبِيِّ.

٣. التفسير الكاشف ٢ / ٤٧٨.



### الروايات

قال القمي في ذيل الآية: أي لا يحب أن يجهر الرجل بالظلم والسوء ويظلم، إلا من ظلم، فقد أطلق له أن يعارضه بالظلم.

وفي حديث آخر في تفسير هذا، قال: إن جاءك رجل وقال فيك ما ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح، فلا تقبله منه وكذبه فقد ظلمك.<sup>١</sup>  
عن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

قال: من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم، فهو ممن ظلم، فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه.<sup>٢</sup>

وأبو الجارود، عنه عليه السلام، قال: الجهر بالسوء من القول أن يذكر الرجل بما فيه.<sup>٣</sup>  
عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: هو الضيف ينزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته، جاز أن يقول ذلك فيه.<sup>٤</sup>

عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فانتصر من ظلمه فإن ذلك قد أذن له فيه.<sup>٥</sup>

﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خُفُّوهُ أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

خطاب عام لجميع المكلفين وتوجيه تربوي وترغيب إلى إظهار الخير شكراً  
لنعمة أنعمها منعم على الإنسان وإلى العفو عن السوء والظلم.

١. تفسير القمي ١/ ٢٣٠.

٢. تفسير العياشي ١/ ٤٥٣، ح ٢٩٩.

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٥٤، ح ٣٠٠.

٤. التبيان ٣/ ٣٧١؛ مجمع البيان ٣/ ١٣١.

٥. التبيان ٣/ ٣٧١؛ مجمع البيان ٣/ ١٣١.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُبْدُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط. الإبداء: الإظهار ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾: إِنْ تظهروا.

﴿حَيَّرَا﴾ مفعول به، عام يشمل الفعل والقول. ﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿تُخْفُوهُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعل ومفعول به معطوفة على ﴿تُبْدُوا﴾. الإخفاء: ضد الإظهار وتركه. «وإخفاء الخير منصرفه إخفاء فعل المعروف ليكون أبعد من الرياء وأقرب إلى الخلوص»<sup>١</sup>.

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿تَعْفُوا﴾ معطوفة على ﴿تُبْدُوا﴾. العفو: الستر وعدم العقاب على الذنب.

﴿عَنْ سُوءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَعْفُوا﴾ وتنكير ﴿سُوءٍ﴾ يدل على التبعض. «والعفو عن السوء هو الستر عليه قولاً بأن لا يذكر ظالمه بظلمه، ولا يذهب بما وجهه عند الناس، ولا يجهر له ذلك»<sup>٢</sup>.

نعم، «يحسن العفو عن المسيء، ولكن حين يكون العفو عنه خيراً له، ولا ضرر فيه على المجتمع، أما إذا كان وسيلة إلى تشجيع المسيء على الإساءة وإلى انتشار الفساد فإن العقاب هو المتعين، وإلا اختل النظام، وساد الأشرار، واستحالت الحياة»<sup>٣</sup>.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط ومابعداها جواب عن العفو فقط.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿كَانَ﴾ فعلٌ ماضٍ ناقص. مِنْ الأزل إلى الأبد.

﴿عَفْوًا قَدِيرًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. من صيغ المبالغة، والجملة ﴿كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ في

١. الميزان ٥/ ١٢٤.

٢. الميزان ٥/ ١٢٤.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٤٧٨.

محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

والجواب «سبب أقيم مقام المسبب والتقدير: إن تعفوا عن سوء فقد اتصفتم بصفة من صفات الله الكمالية - وهو العفو على قدرة ١ - فإن الله ذو عفو على قدرته» ٢.

### رواية

روى عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ يَحِبُّ الْعَفْوَ. ٣

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا  
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١٥٠﴾

الآية الشريفة مع عشر بعدها تتحدث عن اليهود وتذكر عقائدهم الباطلة وأفاعليهم المجرمة ومظالمهم الكثيرة في الأنبياء وأديانهم المحققة. والمذكور في هذه الآية منها: التفرقة بين الإيثار بالله ورسله وعدتها الكفر المحض.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿يَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، أي يجحدون، وهم على طوائف:

أ: الذين يكفرون بالله ورسله أجمعين كالمشركين وعبداء الأصنام.

ب: الذين يدعون أنهم يؤمنون بالله فقط و يكفرون برسل الله أجمعين بداعي

١. وفي هذا المعنى يَقُولُ بَعْضُهُمْ: مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ فِي ثَلَاثَةِ مُنْحَصَرَةٍ لِيُنْ الْكَلَامِ وَالسَّخَا وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمُقَدَّرَةِ.

٢. الميزان ٥ / ١٢٤.

٣. التبيان ٣ / ٣٧٣.

إنكار الوحي الإلهي وأنّ العقل الإنساني يكفي لهداية البشر كالبراهمة.  
ج: الذين يؤمنون بالله وبيعض رسله وينكرون نبوة بعض آخر من أنبياء الله  
كأهل الكتاب حيث يكفرون برسالة عيسى عليه السلام أو برسالة محمد صلى الله عليه وسلم.  
والمذكور في الآية الشريفة القسم الأخير وعلى أي حال الآية الشريفة تسوّى  
بين الكفر بالله وبرسله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَكْفُرُونَ﴾.  
﴿و﴾ عاطفة. ﴿وَرُسُلِهِ﴾ معطوف ومضاف إليه.  
﴿و﴾ عاطفة تفسيرية. ﴿يُرِيدُونَ﴾ معطوفة على ﴿يَكْفُرُونَ﴾.  
﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.  
﴿يُفَرِّقُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَنْ يُفَرِّقُوا﴾ بتأويل مصدر في محل  
نصب مفعول به.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلّق بـ ﴿يُفَرِّقُوا﴾. ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.  
﴿و﴾ عاطفة. ﴿رُسُلِهِ﴾ معطوف على ﴿اللَّهُ﴾ ومضاف إليه.  
﴿و﴾ عاطفة تفسيرية.  
﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله معطوف على ﴿يُرِيدُونَ﴾.  
﴿نُؤْمِنُ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب مفعول به مقول القول.  
﴿بِبَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿نُؤْمِنُ﴾. من الأنبياء الله تعالى.  
﴿و﴾ عاطفة. ﴿نَكْفُرُ﴾ فعل مضارع وفاعله.  
﴿بِبَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿نَكْفُرُ﴾، من الأنبياء الله سلام الله عليهم  
أجمعين.

﴿و﴾ عاطفة تفسيرية. ﴿يُرِيدُونَ﴾ معطوفة على ﴿يُرِيدُونَ﴾ السابقة.  
﴿أَنْ يَتَّخِذُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مصدرية ناصبة وفاعله. بتأويل

مصدر مفعول به.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿يَتَّخِذُوا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، في محل جر مضاف إليه.

﴿سَبِيلًا﴾ مفعول به، «أي سبيلاً متوسطاً بين الإيمان بالله ورسله جميعاً والكفر بالله ورسله جميعاً، وهو الإيمان ببعض والكفر ببعض، ولا سبيل إلى الله إلا الإيمان به وبرسله جميعاً فإن الرسول بما أنه رسول ليس له من نفسه شيء ولا له من الأمر شيء، فالإيمان به إيمان بالله والكفر به كفر بالله محضاً»<sup>١</sup>.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

«بيان لحقيقة مذهبهم وواقع حالهم وتأکید يزیل کلّ وهم وشك في إيمانهم، فاولئك المفرّقون هم كافرون حقّاً لا مربة فيه وإن لم يشعروا به، فلم ينفعهم إيمانهم بالله وبيعض الرسل إذا كفروا»<sup>٢</sup>.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿هُمُ﴾ عماد. ﴿الْكَافِرُونَ﴾ خبر.

﴿حَقًّا﴾ مفعول مطلق - مصدر - منصوب بفعل محذوف: يحقّ أو حقّ حقّاً. ويمكن أن يكون صفة لمصدر محذوف أو نائباً عنه بتقدير: ﴿هُمُ﴾ الذين كفروا كفراً حقّاً.

والجملة الاسمية ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ في مستهل الآية السابقة. تأكيد للحكم بكفرهم «بالجملة المعرفة بين الجزئين وبضمير الفعل (عماد) وبالمصدر المؤكّد، قطع لكلّ إرادة باطلة وتقوّل فاسد، فإنّه لا حقّ أثبت وأصحّ ممّا يحقّقه الله تعالى

١. الميزان ٥/ ١٢٦.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ١١٨.

حقاً، والسرّ في ذلك واضح؛ لأنّ ما يتوسّلون به في إثبات التفرقة باطل، وأنّ لازم إيمانهم كذلك الردّ على الله ﷻ، لأنّ الأنبياء وحدة متكاملة، يبشّر السابق باللاحق ويدعو إليه، كما ينوّه اللاحق بالسابق ويجعل الإيمان به من أجزاء الإيمان بدينه، فإذا أنكر واحد منهم، فقد أنكر الجميع، وهو الكفر بالله العظيم، ولشناعة الفعل كان الجزء عظيمًا<sup>١</sup>.

﴿و﴾ حالية، وما بعدها وعيد لهم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله في محل نصب حال، أي أعددنا أو هيأنا من العتاد وهو العدة. التفات من الغيبة إلى التكلّم مع الغير لأنّ استناد الجزاء إلى المتكلّم أقرب إلى الوقوع من إسناده إلى الغائب<sup>٢</sup>.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

﴿عَذَابًا﴾ مفعول به، في الآخرة.


﴿مُهِينًا﴾ نعت، يهينهم ويدلّهم مخلدون في ذلك.

### رواية أو دراية

قال القمي: هم الذين أقرّوا برسول الله ﷺ وأنكروا أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [أي ينالوا خيراً]. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾.

١. مواهب الرحمن ١٠/١١٨.

٢. كما في الميزان ٥/١٢٧.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾  


«بيان للصنف المقابل لأولئك المفرقين بين الله ورسله، وفيه تعظيم لمقامهم وتشريف لهم ببيان عظيم أجرهم، ومنه تظهر حقيقة الإيثار المطلوب، وهي الإيمان بالله وعدم التفرقة بين أحد من رسله العظام صلى الله عليهم أجمعين»<sup>١</sup>.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿رُسُلِهِۦ﴾ معطوف على ﴿اللَّهُ﴾ ومضاف إليه. أي جميعهم.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُفَرِّقُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿يُفَرِّقُوا﴾. ﴿أَحَدٍ﴾ مضاف إليه.

﴿مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَحَدٍ﴾ «من» بياني. والضمير

يرجع إلى أنبياء الله سلام الله عليهم أجمعين.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال<sup>٢</sup>.

﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» و «هم» مفعول به أول أي

يعطيهم.

﴿أَجُورُهُمْ﴾ مفعول به ثانٍ ومضاف إليه. أي «ثوابهم الذي استحقوا على إيمانهم

١. مواهب الرحمن ١٠/ ١١٩.

٢. سَوْفَ حَرْفٌ اسْتِقْبَالٌ لَا يَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْفِعْلِ الْمُثْبِتِ، فَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ حَرْفٌ نَفْيٍ قَبْلَ مَدْخُولِهِ. وَلِذَا لَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ لَمْ تَدْرُسْ فَسَوْفَ لَنْ تَنْجَحَ: وَالصَّوَابُ فِيهِ: إِنَّ لَمْ تَدْرُسْ فَلَنْ تَنْجَحَ.

بالله ورسله، والاقرار بهم، وإنه يعطيهم جزاء هم على ذلك»<sup>١</sup>.  
والجملة الفعلية ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾ خبر ﴿أُولَئِكَ﴾ الثاني، والجملة  
الإسمية ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ﴾ في مستهل الآية الشريفة.  
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.  
﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾ من صيغ المبالغة، أي «يغفر لمن هذه صفته ما  
سلف له من المعاصي والآثام، ويسترها عليهم، ويترك العقوبة عليها، فانه لم يزل كان  
غفوراً رحيماً أي متفضلاً عليهم بالهداية إلى سبيل الحق موفقاً لهم لما فيه خلاص رقابهم  
من عقاب النار»<sup>٢</sup>.

### تنبيه

«كُلُّ الْفِرَقِ وَالْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَوْمَنُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا تَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَلَكِنْ بَعْضُ  
الطَوَائِفِ أَوْ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَكْفُرُ وَتُكْفِرُ بَعْضُ الطَوَائِفِ أَوْ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ،  
فَهَلْ هَذَا الْكُفْرُ وَالتَّكْفِيرُ، أَيْضاً كُفْرٌ بِاللَّهِ تَمَاماً كَالْكَفْرِ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ؟ الْجَوَابُ: كُلُّنَا  
يَحْفَظُ هَذَا الْحَدِيثَ: مَنْ كَفَرَ مُسْلِماً فَهُوَ كَافِرٌ»<sup>٣</sup>.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ  
ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن  
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾

بيان لظلم أهل الكتاب وجرائمهم وتعدّ عليهم أفعالهم الشنيعة وعنادهم

١. التبيان ٣/ ٣٧٥.

٢. التبيان ٣/ ٣٧٥.

٣. التفسير المبين / ١٠٣ للشيخ محمد جواد مغنیه.



لِلْحَقِّ وَجُحُودِهِمْ لَهُ وَتَخَصَّ بِالذِّكْرِ الْيَهُودَ الَّذِينَ يَعَانِدُونَ الْحَقَّ وَيُؤْذُونَ أَهْلَهُ  
وَيَكُونُونَ فِي أَشَدِّ اللَّجَاجِ مَعَهُمْ.

﴿يَسْأَلُكَ﴾ فعل مضارع ومفعول به أوّل مقدّم. والخطاب للرسول  
الأعظم ﷺ.

﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ فاعل و مضاف إليه. و ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ في عرف القرآن هم  
اليهود والنصارى «ولا ينافيه كون المظالم والجرائم المعدودة في ضمن الآيات مختصة  
باليهود كسؤال الرؤية، واتخاذ العجل، ونقض الميثاق عند رفع الطور والأمر بالسجدة  
والنهي عن العدو في السبت وغير ذلك.

فإن الطائفتين ترجعان إلى أصل واحد وهو شعب إسرائيل بعث إليهم موسى  
وعيسى عليهما السلام... وما قوم عيسى بأقل ظلماً لعيسى من اليهود لموسى عليه السلام»<sup>١</sup>.  
﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تُنَزَّلُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت». ﴿أَنْ تُنَزَّلَ﴾ في محل  
نصب مفعول به ثانٍ لـ ﴿يَسْأَلُكَ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُنَزَّلُ﴾، والضمير يرجع إلى أهل الكتاب  
ولكن الذين سألوه هم يهود المدينة<sup>٢</sup>.  
﴿كِتَابًا﴾ مفعول به.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿كِتَابًا﴾. «واختلفوا في  
الكتاب الذي سأل اليهود محمد ﷺ أن ينزل عليهم من السماء:

فقال قوم: سألوا ان ينزل كتابا من السماء مكتوبا، كما جاء موسى بنى إسرائيل  
بالتوراة مكتوبة من عند الله في الألواح. ذهب إليه السدي ومحمد بن كعب القرطبي،

١. الميزان ٥/ ١٢٩.

٢. وَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

فأنزل الله فيهم هذه الآية إلى قوله: ﴿عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾<sup>١</sup>.

وقال آخرون: بل سألوه أن ينزل عليهم كتاباً خاصاً لهم ذهب إليه قتادة.

وقال آخرون: بل يسألون أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتباً بالأمر بتصديقه، واتباعه ذكر ذلك ابنُ جرير، واختاره الطبري.

وقال الزجاج: ذلك حين سألوا فقا لهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾<sup>٢</sup>.

وقال الجبائي: كان سؤالهم على وجه التعنت وإلا فكان فيما أنزله الله من القرآن دلالة واضحة على نبوته<sup>٣</sup>.

وبالجملة: «سؤالهم تنزيل الكتاب من السماء بعد ما كانوا يشاهدونه من أمر القرآن لم يكن إلا سؤالاً جزافياً لا يصدر إلا ممن يخضع للحق ولا ينقاد للحقيقة وإنما يلغو ويهدو بما قدّمته له أيدي الأهواء من غير أن يتقيد بقيد أو يثبت على أساس، نظير ما كانت تتحكم به قريش مع نزول القرآن، وظهور دعوته فتقول على ما حكاها الله سبحانه عنهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾<sup>٤</sup> «أَوْ تَرَقَّىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾<sup>٥</sup>.

ولهذا الذي ذكرناه أجاب الله سبحانه عن مسألهم (أولاً) بأنهم قوم متمادون في الجهالة والضلالة لا يأبون عن أنواع الظلم وإن عظمت، والكفر والجحود وإن جاءت البيّنة، وعن نقض المواثيق وإن غلظت وغير ذلك من الكذب والبهتان وأي ظلم، ومن هذا شأنه لا يصلح لإجابة ما سأله والإقبال على ما اقترحه.

١. سورة النساء / ١٥٦.

٢. سورة الإسراء / ٩٣.

٣. التبيان ٣ / ٣٧٦.

٤. سورة يونس / ٢٠.

٥. سورة الإسراء / ٩٣.

و(ثانياً) أن الكتاب الذي أنزله الله وهو القرآن مقارن لشهادة الله سبحانه وملائكته وهو الذي يفصح عن التحدي بعد التحدي بآياته الكريمة<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط المقدّر أي: إن رفضت ما سألوه منك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، ومابعده «توبيخ من الله تعالى، سئل انزال الكتاب عليهم، وتفرّيع منه لهم بقوله لنبيه ﷺ: يا محمد لا يعظمّن عليك مسألتهم، إياك ذلك فإنهم من جهلهم بالله ﷻ وجرأتهم عليه، واغترارهم يحلمه، لو أنزلت عليهم الكتاب الذي سألوه لخالفوا أمر الله»<sup>٢</sup>.

﴿سَأَلُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، في محلّ جزم لأنّه جواب الشرط المقدّر. والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود.  
﴿مُوسَى﴾ مفعول به.

﴿أَكْبَرَ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أو نائب عنه تقديره: سؤالاً ﴿أَكْبَرَ﴾ وأعظم.  
﴿مِنْ ذَلِكَ﴾ جار ومجروره محلاً متعلّق بـ ﴿أَكْبَرَ﴾. ﴿سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي ممّا سألوكم من تنزيل كتاب من السماء إليهم<sup>٣</sup>.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿قَالُوا﴾ معطوف على ﴿سَأَلُوا﴾.  
﴿أَرَنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يرجع إلى موسى عليه السلام وضمير متصل ﴿نَا﴾ مفعول به أوّل. إرادة عيان، ونحن الإمامية تبعاً للعترة الطاهرة نقول بامتناع<sup>٤</sup>

١. الميزان ٥/ ١٣٠.

٢. التبيان ٣/ ٣٧٦.

٣. الميزان ٥/ ١٣٠.

٤. وقد صنّف علماء الطائفة في الردّ على القائلين بجواز الرؤية في الآخرة مؤلفاتٍ ورسائلٍ مُحْكَمَةً ومن آخرٍ من كتّاب فيها من أكابر مجتهدينا: الإمام السيّد عبدالحسين آل شرف الدين الموسوي في كتابه الموسوم بـ «كلمة في الرؤية».

الرؤية في الدنيا والآخرة مطلقاً.

﴿الله﴾ مفعول به ثان.

﴿جَهْرَةً﴾ حال. أي واضحاً، أو صفة لمفعول مطلق محذوف أي روية ﴿جَهْرَةً﴾

حتى نعاينه بأبصارنا. «وهذه غاية ما يبلغه البشر من الجهالة والهذر والطغيان»<sup>١</sup>.

وهذه المقالة مذكورة في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿فَ﴾ عاطفة تسيببية. ﴿أَخَذَتْهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم.

﴿الصَّعِقَةُ﴾ فاعل. وهي معروفة.

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَخَذَتْهُمْ﴾.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة للترتيب.

﴿اتَّخَذُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله معطوف على ﴿سَأَلُوا﴾، أي ﴿اتَّخَذُوا﴾ للعبادة.

﴿الْعِجَلِ﴾ مفعول به، وهو الذي صنعه السامري وأظلمهم به. وهذه عبادة

الصنم وهي من أفطع الجهالات البشرية كما في الميزان<sup>٣</sup>.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿اتَّخَذُوا﴾. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿جَاءَتْهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم. ﴿مَا﴾ مصدرية وما بعدها بتأويل

مصدر في محل جر بالإضافة.

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ فاعله، والمراد بها: الدلالات الواضحات والمعاجز الكثيرة والقصة

مروية في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِلَهُكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْفُسُكُمْ بِاتَّخَاذِكُمُ

الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ

١. الميزان ٥/ ١٣٠.

٢. سورة البقرة / ٥٥.

٣. الميزان ٥/ ١٣٠.

الْتَّوَابُ الرَّحِيمُ<sup>١</sup>.

«ومعلوم ان الذين سألوا الرؤية جهرة، واتخذوا العجل إلهاً هم اليهود الأولون، لا يهود المدينة... ولكن هؤلاء راضون ومؤمنون بكل ما فعل الآباء والأجداد، ومن هنا صحت النسبة إليهم»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَفَوْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿عَنِ ذَٰلِكَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿عَفَوْنَا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَاتَيْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿عَفَوْنَا﴾.

﴿مُوسَى﴾ مفعول به أول.

﴿سُلْطَنًا﴾ مفعول به ثانٍ. أي حجة و «هي الآيات التي آتاه الله إياها»<sup>٣</sup>.

﴿مُبِينًا﴾ نعت. أي ظاهرة.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَفَعْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿فَوْقَهُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه.

﴿الطُّورَ﴾ مفعول به، اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بـ﴿رَفَعْنَا﴾ و ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾

بخذف مضاف أي: بنقض ميثاقهم أو بأخذ ميثاقهم لأنَّ «الله تعالى رفع الطور عليهم

١. سورة البقرة / ٥٤.

٢. التفسير الكاشف ٢ / ٤٨١.

٣. التبيان ٣ / ٣٧٨.

حتى أخذ الميثاق منهم تحت الصخرة، وإنّا فعل ذلك تشديداً لأمر الميثاق وتوكيداً عليه وليأخذوا ما أنزل إليهم بقوة ويعلموا مخلصين»<sup>١</sup>.

والقصة مروية في سورة البقرة مرتين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>٢</sup>.

و ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بئسما بيا مُرْكُومٌ بِهِ إِيمَنُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>٣</sup>، ولكن أخذ ميثاقهم مذكور في القرآن مكرراً<sup>٤</sup>.

قال الشَّيْخُ مُعْنِيهِ: «إذن، فلا عجب إذا تمردت إسرائيل على الأنظمة الدولية ورفضت قرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ونقضت جميع العهود والمواثيق مرات وكرات، ولولا الخوف لم تقف عند حد... لا عجب ولا غرابة، انها تنسجم بذلك مع تاريخ أسلافها الذين رفع الله فوق رؤوسهم الطور كي يفوا بالعهد والميثاق»<sup>٥</sup>.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿قُلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿رَفَعْنَا﴾.

﴿لَهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿قُلْنَا﴾.

﴿أَدْخُلُوا﴾ فعل امر وفاعله، في محل نصب مقول القول.

﴿الْبَابِ﴾ مفعول به، «يعني باب حطة حين أمرهم الله أن يدخلوا فيه سجوداً،

فدخلوا على استأذانهم يزحفون»<sup>٦</sup>.

١. مواهب الرحمن ١٠/ ١٢٦.

٢. سورة البقرة / ٦٣.

٣. سورة البقرة / ٩٣.

٤. نحو آيتي ٨٣ و ٨٤ من سورة البقرة.

٥. التفسير الكاشف ٢ / ٤٨٢.

٦. التبيان ٣ / ٣٧٩.

﴿سُجِّدًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَدْخُلُوا﴾. أي ساجدين. وقصة باب حطة مروية في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾ معطوف على مثله وتعرب أعرابه.

﴿لَا تَعْدُوا﴾ فعل نهي وفاعله. أي: لا تتجاوزوا حدود الله.

﴿فِي السَّبْتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَعْدُوا﴾، ولا تحلوا ما حرّمه الله ﴿فِي﴾ يوم ﴿السَّبْتِ﴾ والقصة مروية في سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَخَذْنَا مِنْهُمْ﴾ معطوف على ﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾.

﴿مِيثَاقًا﴾ مفعول به، أي عهداً.

﴿غَلِيظًا﴾ نعت، أي وثيقاً. لأنهم تعهدوا «بالعمل بالتكاليف الإلهية وحفظ التوراة ومراعاة عهودها والتزامهم إذ أعرضوا، فالله تعالى يعذبهم بأنواع العذاب، أو لأجل عظمة الميثاق الذي اخذ منهم، وهو التصديق بنبوة عيسى عليه السلام ونبوة خاتم الأنبياء ﷺ، التي بشر بها في جميع الكتب السماوية»<sup>٣</sup>.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيٍ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ

قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥٥﴾

تفريع على ما سبق من أخذ الميثاق وبيان لما خالفوا فيه من العهود والمواثيق ولما

١. سورة البقرة / ٥٨.

٢. سورة البقرة / ٦٥.

٣. مواهب الرحمن ١٠ / ١٢٧.

نالوا من الجزاء والعقاب في الدنيا والعقبى.

﴿فَ﴾ عاطفة تفرعية على ﴿بِمِثْقِهِمْ﴾.

﴿بِ﴾ حرف جرّ، ويمكن تعلق ﴿بِ﴾ بفعل محذوف تقديره: فبسبب ﴿نَقَضِهِمْ مِثْقَهُمْ﴾ فعلنا بهم ما فعلنا من أنواع العقاب.

﴿مَا﴾ زائدة، جأت للتأكيد، أو بمعنى شيء وتقديره فبشيء ونقضهم بدل منه ومجرور به.

﴿نَقَضِهِمْ﴾ مجرور حرف جر ومضاف إليه. متعلق بمحذوف أي لعناهم، أو بما مرّ في الآية السابقة ﴿رَفَعْنَا﴾، أو بما يأتي ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾<sup>١</sup>.

﴿مِثْقَهُمْ﴾ مفعول به لمصدر ﴿نَقَضِهِمْ﴾ ومضاف إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿كُفِّرِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿نَقَضِهِمْ﴾.

﴿بِأَيِّتِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿كُفِّرِهِمْ﴾، نحو السؤال عن رُؤْيَةِ اللَّهِ وعبادة الماضين.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَتَلِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿نَقَضِهِمْ﴾.

﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾ مفعول به، والمراد بهم زكريا ويحيى وغيرهما ممن قتلهم.

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال من الضمير في ﴿قَتَلِهِمْ﴾ أي غير محقين.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَوْلِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿قَتَلِهِمْ﴾.

﴿قُلُوبُنَا﴾ مبتدأ ومضاف إليه.

﴿عُلْفٌ﴾ خبر، ﴿قُلُوبُنَا عُلْفٌ﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿عُلْفٌ﴾ جمع أغلف

«وهو الذي عليه الغلاف ليمنع نفوذ الشيء إليه، كغلاف السيف، وقد ورد في وصف نبينا الأعظم ﷺ: «يفتح قلوباً غلفاً»، أي مغشاة مغطاة، يقال: قلب أغلف، أي



عليه غشاء يمنع عن قبول الحق ونفوذه فيه»<sup>١</sup>. «وهذه كلمة ذكروها يريدون بها ردّ الدعوة، وإسناد عدم إجابتهم للدعوة إلى الله سبحانه كأثم كانوا يدعون أثم خلقوا غلف القلوب، أو أثم جعلوا بالنسبة إلى دعوة غير موسى كذلك من غير استناد ذلك إلى اختيارهم وصنعهم»<sup>٢</sup>.

﴿بَلْ﴾ إضراب وردّ وانكار لما قيله.

﴿طَبَعَ﴾ فعل ماضٍ، أي ختم كما في الرواية<sup>٣</sup>. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَيْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿طَبَعَ﴾.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿طَبَعَ﴾ ومضاف إليه. أي ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم وجحودهم للحق، فطبعه عليها جزائي في مقابل أعمالهم وأقوالهم.

﴿فَ﴾ تفرعية، وما بعدها أثر ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء وحصر.

﴿قَلِيلًا﴾ مستثنى، قال في الميزان: «إنّ هذه النعمة الإلهية إنما نزلت بهم بقوميتهم ومجتمعهم، فالمجموع من حيث المجموع مكتوب عليهم النعمة، ومطبوع على قلوبهم محال لهم أن يؤمنوا بأجمعهم، ولا يتنافى ذلك إيمان البعض القليل منهم»<sup>٤</sup>.

### رواية

قال أبو جعفر الثاني محمد بن علي الجواد عليه السلام: مَنْ شَهِدَ أَمْرًا فَكِرَهُهُ كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهُ وَمَنْ غَابَ عَنْ أَمْرٍ فَكَرَضِيَهُ كَانَ كَمَنْ شَهِدَهُ.<sup>٥</sup>

١. مواهب الرحمن ١٠/ ١٢٨.

٢. الميزان ٥/ ١٣١.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٢٣، ح ١٦ خبر إبراهيم بن أبي المحمود.

٤. الميزان ٥/ ١٣٢.

٥. تحف العقول / ٤٥٦.

### ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾

بيان نوع آخر من كفرهم الذي ارتكبه وهو الكفر بعيسى عليه السلام وقذف أمه العذراء.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ معطوف على ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ في الآية السابقة والمراد كفرهم بالنبى عيسى بن مريم عليه السلام كما مر.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿قَوْلِهِمْ﴾ معطوف كسابقه.

﴿عَلَىٰ مَرْيَمَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَوْلِهِمْ﴾. و ﴿مَرْيَمَ﴾ ممنوع من الصرف للعلمية والمعرفة، وهي التي يذكر الله في شأنها ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَمْرُؤُا اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>١</sup>.

﴿بُهْتَنًا﴾ مفعول به مصدر ﴿قَوْلِهِمْ﴾. البهتان: التَّهْمَةُ<sup>٢</sup> التي تبته من يقال فيه وتدهشه وتخيّره وهي من أقبح الكذب وهو قذفها.

﴿عَظِيمًا﴾ نعت، وهذا البهتان العظيم «كفرٌ وبهتانٌ معاً وقد كلّمهم عيسى في أوّل ولادته وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي إِلِكْتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾<sup>٣</sup>.

١. سورة آل عمران / ٤٢ و ٤٣.

٢. التَّهْمَةُ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الهَاءِ وَالْمِيمِ جَمِيعاً وَآخَرُهَا الهَاءُ. هذا هو المنصوص عليه في مُعْجَمَاتِ اللُّغَةِ لَكِنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ يَلْفُطُونَهَا بِسُكُونِ التَّاءِ وَهُوَ خَطَأٌ شَائِنٌ.

٣. سورة مريم / ٣٠.

٤. الميزان ٥ / ١٣٢.

## تنبيه

«كرر سبحانه نسبة الكفر إلى اليهود ثلاث مرات [في الآيتين]: الأولى بمناسبة ذكره لجحودهم ﴿أَيُّتَ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾. الثانية بمناسبة وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾. الثالثة عند ذكره لقولهم على مريم المنكر الذي لا يقوله إلا اليهود الذين تناصرهم أمريكا «المسيحية» وتزودهم بالسلاح ليعتدوا على القدس، ويتهكوا الشعائر الدينية التي يقدّسها المسيحيون والمسلمون، بخاصة الكنائس ومقابر المسيحيين»<sup>١</sup>.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾



«هذه الآية عطف على ما قبلها وتقديره ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ وقولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أنزلنا من العذاب، وأوجبنا لهم من العقاب، لأن إخبارهم أنهم قتلوا المسيح يقيناً، وما قتلوه، كفر من حيث هو جرأة على الله في قتل أنبيائه، ومن دلت المعجزات على صدقه، ثم كذبهم الله في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ه فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾»<sup>٢</sup>.

يذكر الله تعالى «جريمة اخرى من جرائمهم الدالة على كمال جرأتهم على الله

١. تفسير الكاشف ٢/ ٤٨٤.

٢. التبيان ٣/ ٣٨٢.

تعالى، والاستهزاء بآياته ورسالته، وتماديهم في الكذب والطغيان»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَوْلِهِمْ﴾ معطوف على ﴿قَوْلِهِمْ﴾ في الآية السابقة. «إِنَّمَا عَبَّادُكَ: ﴿قَوْلِهِمْ﴾ على سبيل التبجح، وليبان أنه مجرد قول يحكي عنهم لا حقيقة له، وهو بعيد عن الواقع»<sup>٢</sup>.

﴿إِنَّا﴾ من الحروف المشبهة بالفعل واسمه.

﴿قَتَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله في محل نصب خبر ﴿إِنَّا﴾. والجملة ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ في

حل نصب مقول القول.

﴿الْمَسِيحِ﴾ مفعول به. ﴿عِيسَى﴾ بدل من ﴿الْمَسِيحِ﴾ أو عطف بيان منه.

﴿أَبْنِ﴾ نعت لـ ﴿عِيسَى﴾ أو بدل منه.

﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه، وممنوع من الصرف كما مرّت و﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بمنزلة

الكلمة الواحدة.

﴿رَسُولَ﴾ نعت أو بدل من ﴿عِيسَى﴾ أو من ﴿الْمَسِيحِ﴾.

﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ «إمّا وصف لعيسى بن مريم، فيكون من جملة

أقوالهم المحكيّة عن الرسالة تهكماً واستهزاءً بدعوته.

أو على سبيل المدح والاختصاص للإشارة إلى رفعة شأنه وعظيم منزلته، وليبان

فضاعة عملهم وكمال جرأتهم على الله تعالى ونفي الألوهية المزعومة فيه.

أو أنّ الله تعالى وضع الذكر الحسن مقام ذكرهم القبيح له، فإنهم قد وصفوه

بأقبح الصفات»<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها ردّ على مقالة اليهود في قتل المسيح ﷺ.

١. مواهب الرحمن ١٠/ ١٣٢.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ١٣٣.

٣. مواهب الرحمن ١٠/ ١٣٣.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿قَتَلُوهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به، تصريح بعدم قتله.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا صَلَّبُوهُ﴾ معطوفة على ﴿مَا قَتَلُوهُ﴾. تصريح بعدم صلبه. و«لعل حكايته تعالى عنهم دعوى قتله أولاً ثم ذكر القتل والصلب معاً في مقام الرد والنفي لبيان النفي التام بحيث لا يشوبه ريب فإن الصلب لكونه نوعاً خاصاً من تعذيب المجرمين لا يلزم القتل دائماً، ولا يتبادر إلى الذهن عند إطلاق القتل، وقد اختلف في كيفية قتله فمجرد نفي القتل ربما أمكن أن يتأول فيه بأنهم ما قتلوه قتلاً عادياً، ولا ينافي ذلك أن يكونوا قتلوه صلباً فلذلك ذكر تعالى بعد قوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ قوله ﴿وَمَا صَلَّبُوهُ﴾ ليؤدي الكلام حقه من الصراحة، وينص على أنه ﷺ لم يتوف بأيديهم لا صلباً ولا غير مصلوب»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ زائدة. ﴿لَكِنْ﴾ حرف عطف للاستدراك.

﴿شُبِّهَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل والضمير يرجع إلى أهل الكتاب عامة. معنى التشبيه: «شبه لهم أمره فأخذوا غير المسيح ﷺ مكان المسيح فقتلوه أو صلبوه، وليس من البعيد عادة، فإن القتل في أمثال تلك الاجتماعات الهمجية والهجمة والغوغاء ربما أخطأ المجرم الحقيقي إلى غيره وقد قتله الجنديون من الروميين، وليس لهم معرفة بحاله على نحو الكمال فمن الممكن أن يأخذوا مكانه غيره، ومع ذلك فقد وردت روايات أن الله تعالى ألقى شبهه على غيره فَأُخِذَ وَقُتِلَ مكانه»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب اسم ﴿إِنْ﴾.

١. الميزان ٥/ ١٣٢.

٢. الميزان ٥/ ١٣٢.

﴿أَحْتَلَفُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَحْتَلَفُوا﴾، والضمير يرجع في عيسى أو قتله.

﴿لَ﴾ المزحلقة، تأكيد.

﴿فِي شَايَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾ المحذوف. إي ﴿لَفِي﴾ ريب وترديد  
وظن وتحمين وجهل.

﴿مَنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوف لـ ﴿شَايَ﴾ أي: ﴿لَفِي شَايَ﴾ حادث  
﴿مَنْهُ﴾ «ولا يجوز أن يتعلق بشك، لأنه لا يقال: شككتُ منه، وإنما يقال: شككتُ  
فيه»<sup>١</sup>.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿هُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَلِمَ﴾. ﴿مِنْ﴾ زائد وتأکید.

﴿عَلِمَ﴾ مجرور حرف جر ﴿مِنْ﴾ وفي محل رفع مبتدأ مؤخر. والجملة ﴿مَا هُمْ  
بِهِ مِنْ عَلِمَ﴾ في محل نصب حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَحْتَلَفُوا﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿أَتَبَاعَ﴾ مستثنى منقطع.

﴿الظَّنَّ﴾ مضاف إليه، و ﴿الظَّنَّ﴾ في مصطلح القرآن هو كل ما خالف الواقع.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا قَتَلُوهُ﴾ معطوف على ﴿مَا قَتَلُوهُ﴾ في السابق، والضمير يرجع إلى  
عيسى عليه السلام.

﴿يَقِينًا﴾ منصوب على المصدرية أي تيقنوا ﴿يَقِينًا﴾، ويجوز أن يكون صفة نائبة  
عن المصدر - المفعول المطلق - المحذوف وتقديره: قتلاً ﴿يَقِينًا﴾. نفي صريح وأكيد  
لقصة قتل النبي عيسى عليه السلام.

### تنبيه

«ربما ذكر بعض محققي التاريخ أنَّ القصص التاريخية المضبوطة فيه ﷺ والحوادث المربوطة بدعوته وقصص معاصريه من الحُكَّام والدعاة تنطبق على رجلين اثنين مسمَّين بالمسيح - وبينهما ما يزيد على خمسمائة سنة - : المتقدم منها محق غير مقتول، والمتأخر منها مبطل مصلوب، وعلى هذا فما يذكره القرآن من التشبيه هو تشبيه المسيح عيسى ابن مريم رسول الله بالمسيح المصلوب. والله أعلم»<sup>١</sup>.

وبعبارة أخرى: «بعض المحققين يرى أنَّ المسمَّى بالمسيح اثنان، وأنَّ المتقدم المحقَّ غير مقتول، والمتأخر المبطل هو المصلوب، والتاريخ المعروف بالميلادي لم يعرف أنَّه ضبط من ميلاد الثاني أو من ميلاد الأوَّل، وبينهما ما يزيد على خمسمائة سنة.

وكيف كان، فقد نقل في الأناجيل المعتمدة عند النصارى أنَّ المسيح ﷺ قال لتلاميذه: «كلَّكم تشكَّون فيَّ في هذه الليلة»<sup>٢</sup> مع تصريحه ﷺ لتلاميذه بأنَّه لا خبر صادق في أمره في ذلك الوقت، فحينئذٍ لا يبقى شك في صحَّة ما قاله القرآن الكريم في حقِّه»<sup>٣</sup>.

### رواية

في خبر علقمة عن الصادق عليه السلام: ... ألم ينسبوا مريم بنت عمران عليه السلام إلى أنَّها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟! الحديث.<sup>٤</sup>

١. الميزان ٥/ ١٣٣.

٢. متى / (٣١-٢٦) ومرقس / (٢٧-١٤).

٣. مواهب الرحمن ١٠/ ١٣٤.

٤. أمالي الصدوق، المجلس الثاني والعشرون ح ٣/ ١٦٤، رقم ١٦٣.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٥٨﴾

﴿بَلْ﴾ اضرابية.

﴿رَفَعَهُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به، والسياق يدل على بقرينة ﴿بَلْ﴾ اضرابية «أَنَّ رَفَعَهُ ﷺ إلى السماء كان بروحه وجسده مع كونه حيًّا، فتكون الآية الشريفة دالة على ردِّ اليهود من ادعاء صلبهم وقتلهم عيسى ﷺ»<sup>١</sup> كما مرَّ في ذيل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>٢</sup>.  
﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿رَفَعَهُ﴾. ﴿و﴾ استئنافية.  
﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾.

### رواية

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ قال: لما قبض أمير المؤمنين ﷺ قام الحسن ابن عليّ ﷺ في مسجد الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: أيها الناس إنَّه قد قبض في هذه الليلة رجلٌ ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، إنَّ كان لصاحب راية رسول الله ﷺ عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل، لا ينشئ<sup>٣</sup> حتَّى يفتح الله له والله ماترك بيضاء ولا حمراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله. والله لقد قبض في الليلة التي فيها قبض وصي موسى يوشع بن نون، واللييلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم، واللييلة التي نزل فيها القرآن.<sup>٤</sup>

١. أجود البيان في تفسير القرآن ٣/ ٣٣٥.

٢. سورة آل عمران / ٥٥.

٣. لا ينشئ: لا ينعطف ولا ينصرف ولا يرجع، من الثني وهو العطف والصرف. راجع: لسان العرب ١١٥/١٤.

٤. الكافي ٢/ ٤٨٦، ح ٨ (١/ ٤٥٧).



﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلٍ أَلَكْتُبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا﴾ ﴿١٥٩﴾

يظهر من الآية الشريفة بالتأمل فيها: أنَّ النبي عيسى عليه السلام لم يُتَوَفَّ بقتل أو صلب ولا بالموت حتف الأنف بل فيها دلالة على حياته وعدم موته.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿إِنْ﴾ بمعنى «ما» نافية، والمبتدأ محذوف تقديره ﴿وَإِنْ﴾ أحد.

﴿مِّنْ أَهْلٍ أَلَكْتُبِ﴾ جار و مجرور و مضاف إليه. متعلق بخبر.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿لَ﴾ رابطة لجواب القسم المقدر المحذوف.

﴿يُؤْمِنَنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع

إلى كلِّ واحد ﴿مِّنْ أَهْلٍ أَلَكْتُبِ﴾، والمراد بالإيمان هو الإيثار الاضطراري الذي لا ينفع كمن آمن عند موته.

﴿بِهِ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنَنَّ﴾، والضمير يرجع إلى عيسى النبي عليه السلام.

وقد ورد في بعض الروايات رجوعه إلى الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿قَبْلَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿يُؤْمِنَنَّ﴾. أي قبل.

﴿مَوْتِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى كلِّ واحد ﴿مِّنْ أَهْلٍ

أَلَكْتُبِ﴾. والمراد: الكتابي سواء كان يهودياً أو نصرانياً يؤمن بعيسى عليه السلام قبل وفاته بأنّه

عبد الله ورسوله، أو بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ظرف زمان ومضاف إليه.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص واسمه ضمير مستتر «هو» يرجع إلى عيسى عليه السلام.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار و مجرور متعلق بخبر ﴿يَكُونُ﴾.

﴿شَهِيدًا﴾ خبر ﴿يَكُونُ﴾. أي شاهداً ومُقرّاً بأنّه عبد الله ورسوله.

وبالجملة يستفاد من الآية الشريفة أنَّ جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى يؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته وأنَّ عيسى عليه السلام يكون شهيداً على جميعهم يوم القيامة بأنَّه ليس ابن الله ولا ابن الزانية بل عبدالله ورسوله فقط وكانت والدته طاهرة مطهرة. أو أنهم يؤمنون بمحمد عليه السلام على أنَّه خاتم النبيين عليه السلام.  
«وتسأل: وأية جدوى من الإخبار بأنَّ الحقَّ ينكشف لأهل الكتاب عند سكرة الموت، مع العلم أنَّهم في هذه الحال يعجزون عن إدراك ما فات؟  
الجواب: الغرض من ذلك هو الحث على المبادرة إلى تصحيح إيمانهم قبل أن تجتمع عليهم حسرة الفوت وسكرة الموت، تماماً كالغرض من الإخبار عن الجنة والنار»<sup>١</sup>.

### الروايات

في خبر شهر بن حوشب<sup>٢</sup>، قال: قال لي الحجاج:  
يا شهر! آية في كتاب الله قد أعيتني! فقلت: أيها الأمير آية آية هي؟ فقال: قوله:  
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾<sup>٣</sup> والله إنِّي لأمر باليهوديِّ والنصرانيِّ فيضرب عنقه، ثمَّ أرمقه<sup>٤</sup> بعيني فما أراه يحرك شفثيه حتَّى يجمد.  
فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوَّلت. قال: كيف هو؟ قلت:  
إنَّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملَّة يهوديٍّ ولا غيره  
إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهديِّ عليه السلام.  
قال: ويحك! أتى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت:  
حدَّثني به محمد بن عليِّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام والتحية

١. التفسير الكاشف ٤٨٦/٢.

٢. من رجال العامة ومشاهير الرواة عندهم لكنَّه روى عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.

٣. الرق: بقية الحياة. القاموس المحيط ٣/٣٣٧.

والإكرام، فقال: جئت بها - والله - من عين صافية.<sup>١</sup>

وروي أن رسول الله ﷺ «إذا رجع آمن به الناس كلهم»<sup>٢</sup>

عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ قال: هو رسول الله ﷺ.<sup>٣</sup>

عن الفضل بن محمد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

فقال: هذه نزلت فينا خاصة، إنه ليس رجل من ولد فاطمة عليه السلام يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يُقَرَّ للإمام بامامته، كما أقر ولد يعقوب ليوسف عليه السلام حين قالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾<sup>٤</sup>.

عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾، فقال: إيمان أهل الكتاب، إنما هو بمحمد ﷺ.<sup>٥</sup>

عن المشرقى، عن غير واحد، في قوله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني بذلك محمداً ﷺ، إنه لا يموت يهودي ولا نصراني أبداً حتى يعرف أنه رسول الله ﷺ، وأنه قد كان به كافراً.<sup>٦</sup>

١. تفسير القمي ١/ ٢٣٢، ح ٣١.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٣٢، ح ٣٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٥٤، ح ٣٠٢.

٤. سورة يوسف / ٩١.

٥. تفسير العياشي ١/ ٤٥٤، ح ٣٠٣.

٦. تفسير العياشي ١/ ٤٥٤، ح ٣٠٤.

٧. تفسير العياشي ١/ ٤٥٥، ح ٣٠٥.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلٍ أَلِکَتَبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

قال: ليس من أحدٍ من جميع الأديان يموت إلا رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام حقاً من الأولين والآخرين.<sup>١</sup>

هذه الروايات الأخيرة هي من باب تعيين المصدق والجرى والتطبيق لا بيان المراد من الآية الشريفة كما هو الواضح.

قال الشيخ: «ومعنى الآية الإخبار منه تعالى بأنه إلا ليؤمنن به يعني بعيسى قبل موته واختلفوا في الهاء إلى من ترجع فقال قوم: هي كناية عن عيسى، كأنه قال: لا يبقى أحد من اليهود إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى بأن ينزله الله إلى الأرض إذا أخرج المهدي عليه السلام وأنزله الله لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملّة واحدة هي ملّة الإسلام الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام. ذهب إليه ابن عباس وأبومالك والحسن وقتادة، وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الإيمان. واختاره الطبري. قال: والآية خاصة لمن يكون في ذلك الزمان وهو الذي ذكره علي بن إبراهيم في تفسير أصحابنا.


وروى شهر بن حوشب عن محمد بن علي بن الحنفية أنّ الحجاج سأله عن هذه الآية وقال: نرى اليهود تضرب رقبتهم، فلا يتكلّم بشيء فقال: حدثني محمد بن علي أنّ الله يبعث إليه ملكاً ينفذه ويضرب رأسه ودبره، ويقول له: كذبت عيسى، فيؤمن حينئذ ويقول: كذبت عيسى ويعترف به. فقال الحجاج: عمّن؟ فقال: عن محمد بن علي فقال له، جئت بها من عين صافية.

فقيل لشهر: ما أردت بذلك؟ قال: أردت ان اغيظه وذكره البلخي مثل ذلك»<sup>٢</sup>.

١. تفسير العياشي ١/ ٤٥٥، ح ٣٠٦.

٢. التبيان ٣/ ٣٨٦.

ومثلها في مجمع البيان<sup>١</sup> إلا أنه روى الرواية عن الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ 

إخبارٌ عن بعضٍ من جزاء أعمالهم في الدنيا وهو تحريم الطيبات عليهم كانت قبل أعمالهم حلال لهم فهذا جزاء دنيويٍّ عامٍّ.

﴿فَ﴾ تفريع على أعمالهم الفاسدة ومقالاتهم الكاسدة ونقض مواعيقهم ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا﴾<sup>٢</sup>.

﴿بِ﴾ حرف جرٍّ للسببية.

﴿ظَلَمَ﴾ مجروره، جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿حَرَّمْنَا﴾ المؤخر. والتنوين للتفخيم والتهويل أو للإبهام حتى يشمل جميع مظالمهم. ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَلَهُمْ﴾. «فالمراد بالظلم بعض ما ذكر من مظالمهم الفجعية فهو السبب لتحريم ما حرم عليهم من الطيبات بعد إحلالها»<sup>٣</sup>.

﴿مِّنَ الَّذِينَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿ظَلَمَ﴾ أو بصفة محذوفة منه.

﴿هَادُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. وهم اليهود.

﴿حَرَّمْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. يعني سبب تحريم الطيبات عليهم لا يكون إلا مظالمهم على نحو الحصر، والتحريم واقع في شريعة موسى المنزلة في التوراة، كما يدلّ

١. مجمع البيان ٣/ ١٣٧.

٢. سورة النساء / ١٥٥.

٣. الميزان ٥/ ١٣٧.

عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾<sup>١</sup>. وقال السبزواري رحمته الله: «و[في] الآية الشريفة تدل على أن كل معصية وظلم يصدر من الإنسان له أثر خاص به، سواء كان دنيوياً أم آخروياً أم يكون كلاهما معاً، ومن تلك الآثار أنه يوقع صاحبه في شدة من التكليف، فإذا كان الظلم نوعياً صادراً من الأمة، فإنه يوجب رفع التوسعة عليهم، ففي الحديث: «لا تكونوا كبني إسرائيل، شددوا فشدد الله عليهم»<sup>٢</sup>. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَرَّمْنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾.

﴿طَيَّبَتْ﴾ مفعول به. من الأكل والشرب وغيرهما.  
﴿أُحِلَّتْ﴾ فعل ماضٍ لِلْمَجْهُولِ ونائب فاعله ضمير مستتر، في محل نصب صفة لـ ﴿طَيَّبَتْ﴾.  
﴿هُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُحِلَّتْ﴾. فالله تعالى بسبب أعمالهم القبائح وأقوالهم الفاسدة حرّم عليهم في الدنيا بعض الطيبات التي كانت حلالاً لهم ولغيرهم.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَصَدَّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، معطوف على ﴿فَيُظْلَمِ﴾.  
والصد: هو مظالمهم وعصيانهم وإعراضهم وتكذيبهم لله تعالى وأحكامه وأنبيائه، وبالجملة: الصد: «هو إعراضهم المتكرر ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾»<sup>٣</sup>.  
﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿بَصَدَّهِمْ﴾. و ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو الإيمان برسالة الرسول الأعظم صلوات الله وسلاماته عليه.  
﴿كَثِيرًا﴾ «صفة نائبة عن المصدر - المفعول المطلق - المحذوف. التقدير: صدّاً

١. سورة الأنعام / ١٤٦.

٢. مواهب الرحمن ١٠ / ١٤٥.

٣. الميزان ٥ / ١٣٧.

كثيراً أو تكون صفة نائبة عن مفعول به محذوف بتقدير: صدهم ناساً كثيراً أو تكون مفعولاً به بالمصدر «صدهم» على تأويل فعله: أي بسبب صدهم بمعنى: منعهم كثيراً من الناس»<sup>١</sup>.

### رواية

صحيحة عبدالله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من زرع حنطة في أرض، فلم يُزَكَّ<sup>٢</sup> في أرضه وزرعه، وخرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض، أو بظلم [ل] مزارعه<sup>٣</sup> وأكرته<sup>٤</sup>، لأن الله يقول: ﴿فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [يعني لحوم الإبل والبقر والغنم] هكذا أنزلها الله، فاقراؤها هكذا، وما كان الله ليحل شيئاً في كتابه ثم يحرمه بعد ما أحله، ولا أن يحرم شيئاً ثم يحله من بعد ما حرمه. قلت: وكذلك أيضاً قوله: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾<sup>٥</sup>؟ قال: نعم.

قلت: فقوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾<sup>٦</sup>؟ قال: إن إسرائيل كان إذا

١. اعراب القرآن الكريم ٢/ ٥٢٠.

٢. «فلم تزك» البرهان. زكا الزرع: نها وزاد.

٣. «لمزارعيه» خ.

٤. جمع أكار، وهو الفلاح. لسان العرب ٤/ ٢٦.

٥. قال العلامة المجلسي رحمته الله: لعله عليه السلام قرأ «حرمننا» بالتخفيف، أي جعلناهم محرومين، وتعديته بعلی لتضمين معنى السخط أو نحوه واستدل عليه السلام على ذلك بأن ظلم اليهود كان بعد موسى عليه السلام ولم تنسخ شريعته إلا بشريعة عيسى، واليهود لم يؤمنوا به: فلا بد من أن يكون «حرمننا» بالتخفيف أي سلبنا عنهم التوفيق حتى ابتدعوا في دين الله، وحرموا على أنفسهم الطيبات التي كانت حلالاً عليهم افتراء على الله، ولم أر تلك القراءة في الشواذ أيضاً. بحار الأنوار ٩/ ١٩٦ و ١٣/ ٣٣٦.

٦. سورة الأنعام / ١٤٦.

٧. سورة آل عمران / ٩٣.

أكل من لحم الإبل يهيج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل! وذلك من قبل أن تنزل التوراة، فلما [١] أنزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله.<sup>١</sup>  
ونحوها مروية في الكافي<sup>٢</sup> وتفسير العياشي<sup>٣</sup> عن ابن أبي يعفور.  
والظاهر أنّ الإمام عليه السلام فسّر الآية الشريفة مضافاً إلى التحريم التشريعي بالنسبة إلى بني إسرائيل إلى التحريم التكويني والوضعي بالنسبة إلى الأمة المحمّدية لأنّ التحريم التشريعي لا يتناسب معهم، فحملها الإمام عليه السلام على الحرمة الوضعية التكوينية حتّى يمكن تطبيقها عليهم، لا انحصار الآية بها، والله العالم.

﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوْا وَقَدِّهُوْا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًا﴾  
﴿١٦١﴾

بيانُ جزاءٍ خاصٍ ﴿لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ ويكون ﴿عَذَابًا أَلِيْمًا﴾.  
﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَخَذَهُمْ﴾ معطوف على ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾، أو على ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾<sup>٥</sup> والثاني أظهر.

﴿الرَّبُّوْا﴾ مفعول به. واليهود هم الذين سنّوا الربا وشرّعوا تحليله وقد عرفوا به في طوال التاريخ البشري حتّى اليوم.  
﴿و﴾ حالية أو اعتراضية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

١. تفسير القمي ١/ ٢٣٢، ح ٣٢.

٢. الكافي ١٠/ ٥١٦، ح ١٠ (٥١٦/٥).

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٥٥، ح ٣٠٧.

٤. سورة النساء/ ١٥٥.

٥. سورة النساء/ ١٦٠.



﴿هُؤُا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.  
 ﴿عَنَّهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿هُؤُا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الرَّيُّوَا﴾. والربا لا يكون حلالاً في شريعتهم ولكنهم اشتهروا بأخذه.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَكَلِهِمْ﴾ معطوف على ﴿أَخَذِهِمْ﴾.  
 ﴿أَمْوَالَ﴾ مفعول به. ﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه.  
 ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة لمصدر - مفعول مطلق - محذوف أي: أكلاً متلبساً ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ وهو بالوجه المحرم نحو الرشا والخيانة والسرقه والقمار والفحشا والمنكر و... .  
 ﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة تعطف ما بعدها على ﴿حَرَمْنَا﴾.  
 ﴿أَعْتَدْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. الاعتداد: التهيؤ والتمهيد.  
 ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْتَدْنَا﴾. وهذا العذاب الأخروي يختص بالكافرين من اليهود.  
 ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾. أي: حال كونهم منهم.  
 و«من» بياني.  
 ﴿عَذَابًا﴾ مفعول به. ﴿أَلِيمًا﴾ نعت.

### تنبيه

«إذا قارنّا بين سيرة اليهود منذ القديم، بخاصة في عهد موسى وعيسى ومحمد، وبين وسائلهم وطرائقهم اليوم لم نجد أي فرق بين يهود الأمس ويهود اليوم، من حيث الضلال والفساد، والعداء للإنسانية وقيمها، وعدم الخضوع إلا (للطور) يُرفع فوق رؤوسهم... وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أنّ الشرّ طبعٌ أصيلٌ في اليهود، وجبلة لا تنفك عنهم، ولا ينفكون عنها، مهما تغيّرت الأزمان، وتطورت الأحوال، تماماً كما لا ينفك اللدغ عن طبع العقارب، ونفث السموم عن جبلة الأفاعي، وإذا

وجد في كل إنسان استعداد للخير والشر فإن طبيعة اليهود متمحضة للشر وحده. وإذا وجد منهم بين الحين والحين من يعرف الحق، ويعمل به فإنه قليل نادر، والنادر لا ينقض القاعدة، بل يكرسها، وقد استثنى سبحانه هذه القلة بقوله<sup>١</sup> في الآية الآتية.

﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

استثناء من أهل الكتاب عامة واستدراك من اليهود خاصة وهم «الأخيار الذين آمنوا إيماناً صادقاً، وهم الراسخون في العلم، المؤمنون بالله العظيم حق الإيمان، فلا يشملهم ما شمل اليهود من الخسران وسوء العاقبة، فإن هؤلاء المؤمنين أجراً عظيماً لا يدركه أحد»<sup>٢</sup>.

﴿لَكِنْ﴾ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ للاستدراك وكسر آخره لالتقاء الساكنين. ﴿الرَّاْسِخُونَ﴾ مبتدأ. وهو الذي رسخ في علمه وثبت عليه واستقام به. وهذا وصفهم الأول.

﴿فِي الْعِلْمِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿الرَّاْسِخُونَ﴾ بتأويل فعله. ﴿مِنْ﴾ تبعيضية.

﴿هُمْ﴾ مجرور. والجار ومجروره متعلق بمحذوف حال من الضمير في ﴿الرَّاْسِخُونَ﴾ وتقديره: حال كونهم ﴿مِنْهُمْ﴾. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب واليهود

١. التفسير الكاشف ٢/ ٤٨٨.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ١٨٢.

خاصة. ويدلّ على أنّهم كلّهم كانوا يعلمون الحقّ ويعرفون الرسول الأعظم محمد ﷺ كما يعرفون أبنائهم وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾<sup>١</sup>.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على ﴿الرَّاسِخُونَ﴾. وهذا وصفهم الثاني.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿الرَّاسِخُونَ﴾. ﴿ي﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، مجرورة محلاً، الجار والمجرور متعلّق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أُنْزِلَ﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾، والضمير الخطاب يرجع إلى الرسول

الأعظم محمد ﷺ خاتم أنبياء الله ورسله.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ معطوفة على ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿الْمُقِيمِينَ﴾ معطوف على ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ ومنصوب على المدح أي أعني أو أمدح

﴿الْمُقِيمِينَ﴾ تعظيماً للصلاة وإعلاناً لأهميتها.

قال الرازي: «روي عن عثمان وعائشة أنّهما قالوا: إنّ في المصحف لحنا وستقيمه

العرب بألستها.

واعلم أن هذا بعيد؛ لأنّ هذا المصحف منقول بالنقل المتواتر عن

رسول الله ﷺ فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه؟<sup>٢</sup>»<sup>٣</sup>.

وقال الطبرسي: «اختلف في نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون إلى انه

نصب على المدح على تقدير أعني المقيمين الصلاة قالوا إذا قلت مررت بزيد الكريم

١. سورتا البقرة / ١٤٦؛ والأنعام / ٢٠.

٢. راجع توجيه هذه القراءة في «الكشاف» للزّحّاشيّ.

٣. التفسير الكبير ١١ / ١٠٦.

وأنت تريد أن تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم فالوجه الجر وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت وقلت مررت بزيد الكريم كأنك قلت أذكر الكريم وإن شئت رفعت فقلت الكريم على تقدير هو الكريم.

وقال الكسائي: موضع المقيمين جر وهو معطوف على ﴿مَا﴾ من قوله ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي وبالمقيمين الصلاة.

وقال قوم: أنه معطوف على الهاء والميم من قوله ﴿مِنْهُمْ﴾ على معنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة.

وقال آخرون: أنه معطوف على الكاف ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي بـ ﴿مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ومن قبل ﴿الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾.

وقيل: أنه معطوف على الكاف في ﴿إِلَيْكَ﴾ أو الكاف في ﴿قَبْلِكَ﴾ وهذه الأقوال الأخيرة لا تجوز عند البصريين لأنه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة....

وأما ما روي عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ وعن قوله ﴿وَالصَّيِّبَ﴾<sup>١</sup> وعن قوله ﴿إِنْ هَدَيْنَا﴾<sup>٢</sup> فقالت يا ابن اختي هذا عمل الكتاب أخطؤوا في الكتاب وما روي عن بعضهم أن في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها قالوا وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة، فمما لا يلتفت إليه لأنه لو كان كذلك لم يكن لتعلمه الصحابة الناس على الغلط وهم القدوة والذين أخذوه عن النبي ﷺ<sup>٣</sup>.

﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به باسم الفاعل العامل ﴿الْمُقِيمِينَ﴾.

١. سورة البقرة / ٦٢؛ وسورة الحج / ١٧.

٢. سورة طه / ٦٣.

٣. مجمع البيان ٣ / ١٣٩.

﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية.

﴿الْمُؤْتُونَ﴾ «خبر لمبتدأ محذوف أي: وهم ﴿الْمُؤْتُونَ﴾ والمعنى: إن المصلين الذين يستحقون المدح هم الذين يقرنون إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة»<sup>١</sup>.

أو مبتدأ خبره ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

أو معطوف على ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ على أن يكون وصفهم الثالث.

﴿الزَّكَاةَ﴾ مفعول به باسم الفاعل العامل ﴿الْمُؤْتُونَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوف على ﴿الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، أو مبتدأ خبره ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. أو معطوف على ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ على أن يكون وصفهم الرابع. أو معطوف على ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ السابق ويكون تأكيداً أو تفسيراً وتوضيحاً له.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾. يعني: يؤمنون بالمبدء الأعلى.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْيَوْمَ﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾.

﴿الْآخِرِ﴾ نعت لـ ﴿الْيَوْمَ﴾. يعني: ويؤمنون بالمعاد والحياة الآخروي.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة خبر ﴿الْمُؤْتُونَ﴾ و ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ الماضيان. أو مبتدأ.

﴿سَ﴾ حرف استقبال للقريب.

﴿نُؤْتِيهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به أول.

﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان. لا يوصف كنهه إلا الله تعالى لتناسب العطاء مع

المعطي.

﴿عَظِيمًا﴾ نعت، والجملة الفعلية ﴿سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ خبر.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ  
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ ﴿١٣٢﴾

هذه الآية الشريفة تعليل لما ورد في الآية السابقة ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وردّ على ما  
زعمه أهل الكتاب من الفرق بين أفراد الموحى إليهم واحتجاج على المقترحين أن ينزل  
إليهم كتاباً بأن شأنه في الوحي كسائر الأنبياء.  
﴿إِنَّا﴾ الحرف المُشَبَّه بالفعل مع الضمير اسمه.  
﴿أَوْحَيْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله في محل رفع خبر ﴿إِنَّا﴾. والوحي النازل من الله  
تعالى على أنبيائه واحد وإن كانت مراتبهم مختلفة.  
﴿إِلَيْكَ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ والضمير الخطاب توجّه للرسول  
الأعظم خاتم النبيين محمد ﷺ.  
كأن القرآن الكريم يرى الملازمة بين الإيمان بالأنبياء جميعاً من دون فرق بينهم،  
فمَنْ آمَنَ بِمُوسَىٰ ﷺ وَعِيسَىٰ ﷺ لَا بَدَّ لَهُ أَنْ يُوْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّىٰ صَحَّ وَتَمَّ  
إِيمَانُهُ.

﴿كَ﴾ حرف جرٍ للتشبيه بمعنى مثل. ﴿مَا﴾ مصدرية.  
﴿أَوْحَيْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، بتأويل مصدر، في محل جرٍ بـ ﴿كَ﴾، والجار  
والمجرور متعلق بمفعول مطلق - مصدر - محذوف تقديره: أوحينا إياهم كإيحائنا، أو  
﴿أَوْحَيْنَا﴾ وحياً مثل الذي ﴿أَوْحَيْنَا﴾.  
﴿إِلَىٰ نُوحٍ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ الأخير. ذكر الله تعالى شأنه نوحاً

في أوّل سلسلة الأنبياء لأنّه أوّل نبي أنزل الله عليه الكتاب وكان صاحب الشريعة وكان شيخ الأنبياء وأبالبشر الثاني.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿النَّبِيِّنَ﴾ معطوف على ﴿نُوحٍ﴾.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿مِنْ﴾ بياني، يتعلّق الأوّلان بحال محذوفة من ﴿النَّبِيِّنَ﴾ تقديره: حال كونهم ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها تفصيل بعد إجمال وخصّصوا بالذكر تعظيماً لهم.

﴿أَوْحَيْنَا﴾ معطوف على ﴿أَوْحَيْنَا﴾ الأولى.

﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ جار ومجروره متعلّق بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾. ثمّ ذكر إبراهيم ﷺ لأنّه أيضاً كان صاحب كتاب وشريعة، كتابه سمي بالصحف وشريعته سميت بالحنيفية البيضاء وكان الأنبياء من نسله على شريعته.

﴿وَأِسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ الأسماء معطوفة بواوات العطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ومجرور بحرف جر ﴿إِلَىٰ﴾ والأسماء كلها غير منصرفين إلّا ﴿الْأَسْبَاطَ﴾. «وقدّم عيسى ﷺ على أنبياء كانوا قبله لشدة العناية بأمره ولغلو اليهود في الطعن فيه»<sup>١</sup>.

و﴿الْأَسْبَاطَ﴾ جمع سبط وهو ولد الولد وهم الأنبياء من اثني عشر ابناً ليعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم ﷺ. ولذا أطلق عليهم أسباط بني إسرائيل وإسرائيل لقب يعقوب ﷺ. و﴿الْأَسْبَاطَ﴾ يأتي بمعنى الفريق من اليهود، يقال للعرب قبائل ولليهود: أسباط.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ءَاتَيْنَا﴾ معطوف على ﴿أَوْحَيْنَا﴾.

﴿دَاوُدَ﴾ مفعول به أوّل لـ ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

﴿زُبُورًا﴾ مفعول به ثانٍ لـ ﴿ءَاتَيْنَا﴾. وقرأ حمزة وخلف «زُبُورًا» بضم الزاء.

قال الوزير المغربي<sup>١</sup>: «زبور جمعه زبور ومثله تَحُوم وتُحُوم وعُدُوب وعُدُوب، ولا يجمع فَعول - بفتح الفاء - على فُعول - بضم الفاء - إلا هذه الثلاثة في ما عرفنا»<sup>٢</sup>.  
وقيل: الزبور بمعنى المكتوب من قولهم: زبره أي كتبه فالزبور بمعنى المزبور<sup>٣</sup>.  
فالزبور: الكتاب على وزن فعول بمعنى مفعول أي مكتوب<sup>٤</sup>.  
قال السبزواري رحمته الله: «وإنما خص زبور داود عليه السلام بالذكر لأن له شأنًا خاصًا عند أهل الكتاب وإلا فلا يخرج عن سائر أفراد الوحي»<sup>٥</sup>.  
أقول: زبور داود موجود في الكتاب المقدس بعنوان المزامير كما إن بعض كتب أنبياء السابقين أيضاً موجودة فيه ولكنها مُحَرَّفة والله العالم.


### رواية

وفي الخبر الطويل عن رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أعطى الله علياً من القوة مثل قوة جبرئيل ومن النور مثل نور آدم ومن الجمال مثل جمال يوسف ومن الصوت ما يداني صوت داود ولولا أن داود خطيب أهل الجنة لأعطاه مثل صوته<sup>٦</sup>.

---

١. الوزير المغربي هو الحسين بن عليّ العالم الأديب المصنّف وهو سبطُ الشَّيخ النُّعْمَانِي صاحبِ كِتَابِ «الغَيْبَةِ» - أبْنُ بَنْتِهِ - .  
٢. نقل عنه الشيخ في التبيان ٣/ ٣٩٢.  
٣. كما في الميزان ٥/ ١٤١.  
٤. كما في التفسير الكاشف ٢/ ٤٩٠.  
٥. مواهب الرحمن ١٠/ ١٩١.  
٦. روض الجنان ٦/ ١٩٥.



﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ  
 اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ 

إعلان من الله تعالى بأن عدد أنبياء الله ورُسُلِهِ لا يختص بالذكورين هنا أو غيرها من الآيات الشريفة بل هناك عدّة من الأنبياء الكثيرين لم يذكرهم في القرآن الكريم كما صرح الله تعالى به أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾<sup>١</sup>.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رُسُلًا﴾ مفعول لفعل محذوف تقديره: قصصنا ﴿رُسُلًا﴾ أو أرسلنا ﴿رُسُلًا﴾ أو نبأنا ﴿رُسُلًا﴾، أو يكون مفعولاً به على المدح بفعل محذوف تقديره: أعني. ويمكن أن يكون حالاً بنفس الأفعال الماضية.  
 ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿قَصَصْنَاهُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. والجملة الفعلية في محل نصب صفة للموصوف ﴿رُسُلًا﴾. القصة مشتقة من قصّ أثره إذا اتّبعه ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾<sup>٢</sup> أي اتّبعي أثره.  
 ﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿قَصَصْنَاهُمْ﴾.

﴿مِّن قَبْلُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿قَصَصْنَاهُمْ﴾، و ﴿قَبْلُ﴾ ظرف أو اسم مبني على الضم.

وقد جاء ذكرُ أنبياء الله تعالى في سُورِ هود والشعراء والأنبياء وغيرها من القرآن الكريم كما ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ

١. سورة غافر / ٧٨.

٢. سورة القصص / ١١.

وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ۚ  
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ \*  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>١</sup>.  
﴿و﴾ عاطفة. ﴿رُسُلًا﴾ معطوف على ﴿رُسُلًا﴾ الأول.

﴿لَمْ﴾ حرف نفى وجزم وقلب.

﴿نَقَضْصَهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به.

﴿عَلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَقَضْصَهُمْ﴾.

والجملة الفعلية ﴿لَمْ نَقَضْصَهُمْ عَلَيْكَ﴾ في محل نصب صفة للموصوف  
﴿رُسُلًا﴾.

لم يذكر الله عدد غير المذكورين في كلامه ولكن ورد بعض الأعداد في بعض  
الروايات كما سيأتي.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿كَلَّمَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿مُوسَى﴾ مفعول به.

﴿تَكَلَّمَ﴾ مفعول مطلق جاء به لرفع كل تأويل ومجاز في المقام وأنه كان بلا  
واسطة. وتكلمه مع النبي موسى ﷺ قسم من الوحي المذكور في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ  
مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾<sup>٢</sup>.

### الروايات

في صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ: ... وكان من بين آدم ونوح من الأنبياء  
مستخفين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء  
صلوات الله عليهم أجمعين وهو قول الله ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

١. سورة الأنعام / (٨٦-٨٤).

٢. سورة البقرة / ٢٥٣.

نَقْصُصُهُمْ عَلَيْكَ﴾ يعني لم أَسَمَّ المستخفين كما سَمَّيت المستعلنين من الأنبياء ﷺ. ١.  
رواها العياشي في تفسيره ٢ والمراد بالمستخفين هم الذين دعوتهم على السر والخفاء،  
وبالمستعلنين هم الذين دعوتهم على العلانية والإظهار والله العالم.

وفي خبر أبي ذر عن رسول الله ﷺ : ... قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال:  
مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة  
عشر جماء غفراء قلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياء  
مرسلًا، قال: نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه.

ثم قال ﷺ: يا أباذر أربعة من الأنبياء سريانئون: آدم وشيث وأخنوخ، وهو  
إدريس عليه السلام - وهو أول من خط بالقلم - ونوح عليه السلام. وأربعة من الأنبياء من العرب:  
هود وصالح وشعيب ونبيك محمد. وأول نبي من بني إسرائيل موسى، وآخرهم  
عيسى، وستائة نبي، قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائة كتاب  
وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى  
إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، الحديث. ٣.

خبر دارم بن قبيصة عن علي بن موسى عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن النبي ﷺ قال:  
خلق الله ﷻ مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر،  
وخلق الله ﷻ مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي، فعلي أكرمهم على الله  
وأفضلهم. ٤.

خبر زيد بن علي عن آبائه عليه السلام عن النبي ﷺ قال: خلق الله ﷻ مائة ألف نبي  
وأربعة وعشرين ألف نبي وأنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله ﷻ مائة ألف


١. الكافي ١٥/ ٢٨١، ح ٩٢ (١١٥/ ٨).

٢. تفسير العياشي ١/ ٤٥٦، ح ٣٠٩.

٣. الخصال ٢/ ٥٢٤.

٤. الخصال ٢/ ٦٤١، ح ١٨.

وصي وأربعة وعشرين ألف وصي، فعليّ أكرمهم على الله وأفضلهم.<sup>١</sup>  
مرسلة الطبرسي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: بعث الله نبياً أسود لم يقص علينا قصته.<sup>٢</sup>

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾  


بيّن الله تعالى أنّ الرسل لهم أحوال ووصاف ثلاث: «١: فقد أرسل تبارك وتعالى رسلاً أرسلهم الله تعالى لهداية البشر، وإخراجهم من الضلالة والعمى إلى النور، وأوحى إليهم ما يوجب كمالهم، لعدم كفاية داعي الفطرة والعقل في الهداية، وعدم اغنائهما عن بعث الرسل. [٢: مبشرين لمن آمن وأطاع وعمل صالحاً بالثواب الجزيل والأجر العظيم. [٣: منذرین لمن تولّى وكفر وعصى بالوعيد والعذاب الأليم]»<sup>٣</sup>.  
﴿رُسُلًا﴾ تعرب اعراب ﴿رُسُلًا﴾ الأوّل في الآية السابقة. والأظهر أنّه حال بما مرّ سابقاً.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ حال أو وصف. وكان الأنبياء ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بثواب الله لمن آمن بالله وأطاعه وصدّق رسله واتبعه.  
﴿و﴾ عاطفة.

﴿مُنْذِرِينَ﴾ معطوف على ﴿مُبَشِّرِينَ﴾. وكانوا ﴿مُنْذِرِينَ﴾ يعني مخوفين من عقاب الله لمن عصاه وخالف أوامره وكذب رسله.

١. الخصال ٢/٦٤١، ح ١٩.

٢. مجمع البيان ٨/٥٣٣.

٣. مواهب الرحمن ١٠/١٩٢.

﴿ل﴾ حرف جر، للتعليل، وما بعدها غاية مهمّة من غايات بعث الرسل.

﴿كَلَّا﴾ = «ألا» مركب من «أن» حرف مصدري ناصب و «لا» نافية. «أن» المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جرّ بـ «ل» التعليل، والجار والمجرور متعلق بفعل مقدّر «ارسلنا» أو نحوه.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر مقدم ﴿يَكُونُ﴾.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق باسم ﴿يَكُونُ﴾ أو بحال منه لأنّه متعلّق بصفة قدّمت عليه.

﴿حُجَّةٌ﴾ اسم ﴿يَكُونُ﴾. ﴿لِفَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾ اعتذار من قولهم على ما حكى الله تعالى عنهم: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَخْزِي﴾<sup>١</sup>.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف متعلّق بصفة محذوفة من ﴿حُجَّةٌ﴾.

﴿الرُّسُلِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ خبرا ﴿كَانَ﴾. ف «إذا كانت له العزّة المطلقة والحكمة المطلقة استحال أن يغلبه أحدٌ بحجة بل له الحجة البالغة، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾<sup>٢</sup>»<sup>٣</sup>.

١. سورة طه / ١٣٤.

٢. سورة الأنعام / ١٤٩.

٣. الميزان ٥ / ١٤١.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ  
بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١٦٦﴾

الآية الشريفة «استدراك آخر في معنى الاستثناء المنقطع من الرد المتعلق  
بسؤالهم النبي ﷺ تنزيل كتاب إليهم من السماء، فإن الذي ذكر الله تعالى في رد  
سؤالهم بقوله ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾<sup>١</sup> إلى آخر الآيات، لازم معناه أن  
سؤالهم مردود إليهم، لأن ما جاء به النبي ﷺ بوحي من ربه لا يغير نوعاً ما جاء به  
سائر النبيين من الوحي، فمن ادعى أنه مؤمن بما جاؤا به فعليه أن يؤمن بما جاء به من  
غير فرق.

ثم استدرك عنه بأن الله مع ذلك يشهد بما أنزل على نبيه ﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۚ  
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>٢</sup>.

﴿لَكِنَّ﴾ حرف عطف يفيد الاستدراك. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يَشْهَدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر والجملة الفعلية خبر، شهادة الله  
على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء مختصة به ﷺ ومزية خاصة له ﷺ  
﴿فَإِنَّهُ ﷻ يَشْهَدُ بِحَقِّقَةٍ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَكْفِي فِي الشَّهَادَةِ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ وَصَدَقَهُ ﷺ  
لِإِعْجَازِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ إِنْزَالِ كِتَابٍ آخَرَ﴾<sup>٣</sup>.

بعبارة أخرى: شهادة الله هذه هي من الشهادة بالأفعال «حيث ﷺ  
بالدلائل والمعجزات على صدقه ومنها: القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه بعلمه»<sup>٤</sup>.

١. سورة النساء / ١٥٣.

٢. الميزان ٥ / ١٤١.

٣. مواهب الرحمن ١٠ / ١٩٤.

٤. التفسير الكاشف ٢ / ٤٩٦.

بالجملة: فشهادة الله تكون بإعجاز القرآن ولذا قال الله تعالى:

﴿بِمَا جَارَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ موصولة في محل جر، يتعلقان بـ ﴿يَشْهَدُ﴾ والباء للسببية، يعني يشهد الله بسبب ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن العظيم.

﴿أُنْزِلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾. ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ في كتابه القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>١</sup>. وقال ﷺ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup>.

﴿أُنْزِلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به. مجرد الإنزال لا يكفي في الشهادة المدعاة فلذا قيده بقوله ﷺ:

﴿بِعِلْمِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، والأولان يتعلقان بحال من الضمير الفاعلي في ﴿أُنْزِلَ﴾ وتقديره: «﴿أُنْزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كلُّ بليغ»<sup>٣</sup>، أو يمكن أن يكون متعلق بحال من الضمير المفعولي في ﴿أُنْزِلَ﴾ وتقديره: «﴿أُنْزِلَ﴾ مقروناً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم.

ومع تقييد الإنزال بعلم الله تعالى تمت الشهادة لأنه تعالى ﴿أُنْزِلَ﴾ على رسوله ﷺ وهو يعلم ماذا ينزل ينزله على سبيل الإعجاز ويحيط به ويحفظه من كيد الشياطين. وبالجملة: «بيانٌ إلى أنَّ ما أُنْزِلَ إليه إنما كان عن علم بجميع خصوصيات المنزل، وإحاطته به إحاطة تامة يسلم عن كلِّ باطل وزيف، وتتضمن الآية الشريفة

١. سورة الإسراء / ٨٨.

٢. سورة يونس / ٣٨.

٣. تفسير البيضاوي ٢ / ١٤٠ من طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٣٣ ق.

أُمُوراً كثيرة.

منها: أن ما أنزل إليه ﷺ هو من علمه الأتم، فيحتوي على جميع الحقائق الواقعية، والتوجيهات الربوبية، والتشريعات الربانية، فتكون هذه مزية فائقة على جميع الكتب الإلهية.

ومنها: أنه أنزله بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره، فيكون معجزة خارقة للعادة، يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان.

ومنها: أنه أنزله بعلمه لئلا يفسده الشيطان، فيضع الباطل مكان الحق أو يخلطه، فيدخل شيئاً من الباطل في الوحي الإلهي الحق، قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا \* لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أُلْغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾<sup>١</sup>.

ومنها: أنه أنزله بعلمه فقط، فلم يعلم به غيره ﷺ أبداً، لا أنت ولا قومك ولا غيرهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>٢</sup>، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾<sup>٣</sup>.

ومنها: إنما أنزله بعلم تام، بأنك أهل لإنزاله عليك، وعلمه بأنك تقوم بأعباء الرسالة خير قيام. وهذه الجملة المباركة تتضمن هذه المعاني الدقيقة وغيرها [مِمَّا لَمْ نَحْمُ أَفْهَامُنَا حَوْلَ حِمَاهُ، وَلَمْ نُحِطْ بِكَمَالِ فَحَوَاهِ]. وهي تكفي في الدلالة على إعجاز هذا الكتاب العظيم وصدق المنزل عليه، وحقيقة ما جاء ﷺ به، فسبحان من يعلم

١. سورة الجن / ٢٨-٢٦.

٢. سورة هود / ٤٩.

٣. سورة الشورى / ٥٢.



دقائق الأمور وخفياتها، كما فيه التبكيت العظيم لجهلهم وعنادهم<sup>١</sup>.  
﴿وَ﴾ حالية، والجملة الاسمية بعدها في محل نصب حال.  
﴿الْمَلَكَةُ﴾ مبتدأ. وهم وسائط في الإنزال ويكونون سفرائه فيعرفون ويشهدون بالإعجاز.

﴿يَشْهَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. فهم ﴿يَشْهَدُونَ﴾ بنبوته ﷺ .  
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَفَى﴾ فعل ماض، أي: حسبك بالله شاهداً على صدق.  
﴿بِاللَّهِ﴾ فاعله في محل رفع، والباء حرف جر زائد جاء للتأكيد.  
﴿شَهِدًا﴾ تمييز أو حال.  
شهادة الملائكة تبع وفرع لشهادة الله التي تغني عن كل شهادة ولذا قال تعالى:  
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِدًا﴾.

### شأن نزولها

«قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في جماعة من اليهود كان النبي ﷺ دعاهم إلى اتباعه، وأخبرهم أنهم يعلمون حقيقة نبوته فجحدهوا نبوته، وأنكروا معرفته، فأُنزل الله فيهم هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتعزية له عن تكذيب من كذبه»<sup>٢</sup>.

### رواية

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ فِي عَلِيٍّ ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ وَالْمَلَكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِدًا<sup>٣</sup>.  
الصحيحة تأويل وتطبيق وجري، ورواها الكليني؛ بسند صحيح والعياشي<sup>٤</sup> كما أذكرها لك

١. مواهب الرحمن ١٠/ ١٩٤ و ١٩٥.

٢. التبيان ٣/ ٣٩٦.

٣. تفسير القمي ١/ ٤٥٦، ح ٣١٠.

٤. الكافي ١/ ٣٩٢، ح ٥٩ (١/ ٤٢٤).

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٣٣، ح ٣٣.

في ما بعد فانتظر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

بعد أن بين الله تعالى «الحجة البالغة في رسالة نبيه ونزول كتابه من عند الله، وأنه من سنخ الوحي الذي أوحى إلى النبيين من قبله وأنه مقرون بشهادته وشهادة ملائكته وكفى به شهيداً حَقَّقَ ضلال من كفر به وأعرض عنه كائناً من كان من أهل الكتاب»<sup>١</sup>. فلا وجه لاختصاص الآية باليهود<sup>٢</sup> ولو كانت الصفات تنطبق عليهم بل تشمل جميع أهل الكتاب.

﴿إِنَّ﴾ حرف مُشَبَّهٌ بالفعل، تأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي ﴿الَّذِينَ﴾ جحدوا نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ بعد علمهم بها من أهل الكتاب المذكورين في الآيات السابقة. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿صَدُّوا﴾ معطوفة على ﴿كَفَرُوا﴾.

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلقان بـ ﴿صَدُّوا﴾ والمراد بـ ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الله وهو الإسلام «وفي الآية تبديل الكتاب الذي كان الكلام في نزوله من عند الله بسبيل الله حيث قال: ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وفيه إيجاز لطيف كأنه قيل: إن الذين كفروا وصدوا عن هذا الكتاب والوحي الذي يتضمنه فقد كفروا وصدوا عن سبيل الله، و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا

١. الميزان ٥/ ١٤٢.

٢. كما يظهر من الفخر الرازي في تفسيره ١١/ ١١٢ والشيخ مغنیه في الكاشف ٢/ ٤٩٧.

٣. الميزان ٥/ ١٤٢.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿ضَلُّوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، في محل رفع خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿ضَلَلًا﴾ مفعول مطلق.

﴿بَعِيدًا﴾ نعت، لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال كما قاله البيضاوي<sup>١</sup>، أو «لأنَّ أشدَّ الناس ضلالاً من كان ضالاً ويعتقد في نفسه أنَّه محقٌّ، ثمَّ إنَّه يتوسل بذلك الضلال إلى اكتساب المال والجاه، ثمَّ إنَّه يبذل كنه جهده في إلقاء غيره في مثل ذلك الضلال، فهذا الإنسان لا شك أنَّه قد بلغ في الضلال إلى أقصى الغايات وأعظم النهايات، فلهذا قال تعالى في حقهم ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾» كما قاله الفخر الرازي<sup>٢</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١٦٨﴾

تحقيق وتثبيت جاء تأكيداً للآية السابقة وإخبار «من الله تعالى بأن الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ كفروا بالله، وجحدوه بجحودهم رسالة نبيِّه وظلموا نبيِّه بتكذيبهم إيَّاه، ومُقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم عباد الله، وحسداً للعرب، وبغياً على رسوله ﷺ»<sup>٣</sup>.

وقد يقال: بأن الآية السابقة مختصة باليهود وهذه للمشركين، وقد مرَّ نقده.

﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، اسم ﴿إِنْ﴾ في محل نصب.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. بمحمد ﷺ ونبوته وخاتمته للأنبياء من أهل

الكتاب وغيرهم.

١. تفسير البيضاوي ١/ ١٤٠.

٢. التفسير الكبير ١١/ ١١٣.

٣. التبيان ٣/ ٣٩٧.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ظَلَمُوا﴾ معطوفة على ﴿كَفَرُوا﴾. والمراد بالظلم هنا الصّدّ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والكفر بنبوة نبينا محمد ﷺ وإضلال الغير عن الوصول إلى الحقّ بكتمانه وتحريفه وتمويهه، وكما يشمل إطلاقه الذين ﴿ظَلَمُوا﴾ محمد وآل محمد ﷺ حقوقهم ومواريتهم كما في الرواية الآتية. وتعليل لما ورد في الآية السابقة من ضلالهم البعيد.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَكُنْ﴾ فعلٌ مُضارعٌ ناقِصٌ مُجْزُومٌ بـ ﴿لَمْ﴾. ﴿اللَّهُ﴾ اسمٌ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾.

﴿إِ﴾ لام الجحود والنفي وحرف جر.

﴿يَغْفِرْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿إِنَّ﴾ مقدّرة بعد اللام وفاعله ضمير مستتر.

أي: «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ» ليعفو عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها لكنّه تعالى يفضحهم بها بعقوبته إيّاهم عليه<sup>١</sup>.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَغْفِرْ﴾، لأنّ الظلم بعد وضوح الحجة وإقامتها

غير مغفور.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿لِيَهْدِيَهُمْ﴾ معطوف على ﴿لِيَغْفِرْ﴾ ومفعول به أوّل.

﴿طَرِيقًا﴾ مفعول به ثان. أي إلى طريق الجنة.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٦٦﴾

استثناء منقطع يدلّ على أنّهم لا يمشون إلّا إلى طريق جهنم ولا يذهبون إلّا

إليها.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء في محل نصب صفة للموصوف ﴿طَرِيقًا﴾. أو تكون بمعنى «غير».

﴿طَرِيقٌ﴾ مستثنى بـ ﴿إِلَّا﴾. أي مسير.

﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه وممنوع من الصرف للمعرفة والتأنيث. وهم اختاروا ﴿طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ بجحدهم الحق وسوء أفعالهم وفساد عقيدتهم «لأنهم في الدنيا سلكوا طريق الضلالة، وانحرفوا عن طريق الهداية رغم<sup>١</sup> الإنذار والإخطار»<sup>٢</sup>.  
﴿خَلِدِينَ﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة. أي ماكثين في ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَلِدِينَ﴾.

﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان يفيد الاستمرار. أو يكون نائباً أو صفة لمصدر محذوف تقديره: خلوداً ﴿أَبَدًا﴾. ويدل «على خلودهم في النار، وعدم انقطاع العذاب عنهم، ولولا لفظ التأييد لكان لفظ الخلود محتملاً للدوام والاستمرار، ولطول أمد المكث في جهنم»<sup>٣</sup>.  
ولبيان عدم شمول المغفرة والشفاعة لهم.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾. أي الخلود الأبدي.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿كَانَ﴾.

﴿يَسِيرًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أي: هيناً سهلاً «لأنه إذا اراد الخلود بهم في النار يقدر

عليه ولم يمتنع ذلك عليه تعالى فكان عليه ﴿يَسِيرًا﴾.

١. وَالْوَجْهُ أَنْ يُقَالَ: بِالرَّغْمِ مِنَ الْإِنْذَارِ وَالْإِخْطَارِ.


٢. التفسير الكاشف ٢/ ٤٩٧.

٣. التفسير الكاشف ٢/ ٤٩٧.

### رواية

عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ في عليٍّ ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ<sup>١</sup> وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ<sup>٢</sup> وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا<sup>٣</sup>﴾ .  
قال: وسمِعته يقول: نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام بهذه الآية هكذا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ آل محمد حقهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ إلى قوله: ﴿يَسِيرًا﴾، الحديث<sup>١</sup>.

رواها القمي والكليني بإسناد صحيح في تفسيره<sup>٢</sup> والكافي<sup>٣</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ 

استنتاج رئيس من الآيات السابقة وهو دعوة الناس جميعاً إلى نبوة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله والوعد بالإجابة والوعيد بالرد.  
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب عام لجميع الناس من أهل الكتاب وغيرهم، ومتفرع على الآيات السابقات بعد ظهور الحجة والبرهان وشهادة الله بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله بها مرّ فآن وقت دعوة كافة الناس إلى رسالته صلى الله عليه وآله وإنما عمم الخطاب لصلاحيته المدعو إليه وهو الإيهان بالرسول أو لعموم الرسالة.  
﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿جَاءَكُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به، والضمير يرجع إلى كافة الناس.

١. تفسير العياشي ١/٤٥٦، ح ٣١٠.

٢. تفسير القمي ١/٢٣٤، ذيل ح ٣٣.

٣. الكافي ٢/٣٩٢، ح ٥٩ (١/٤٢٤).

﴿الرَّسُولُ﴾ فاعل. وهو نبيُّنا محمد ﷺ الرسول الأعظم.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الرَّسُولُ﴾ تقديره: «مُحَقَّقًا» أو بمعنى «معه الحق». والمراد بالحق هنا الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينًا. وعن أبي جعفر عليه السلام: بولاية مَنْ أَمَرَ اللهُ تعالى بولايته.<sup>١</sup>

﴿مِنْ﴾ حرف جرّ بياني.

﴿رَبِّكُمْ﴾ مجروره ومضاف إليه. والجار والمجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الْحَقِّ﴾.

﴿فَ﴾ تفريع على مجيئ ﴿الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾.

﴿أَمِنُوا﴾ فعل أمر وفاعله. بمحمد ﷺ وكتابه ودينه وشريعته، وبكلمة واحدة ﴿أَمِنُوا﴾ بالإسلام.

﴿خَيْرًا﴾ مفعول به منصوب بفعل محذوف نحو: اتّوا، أو صفة لمفعول مطلق محذوف تقديره: ﴿فَتَأْمِنُوا﴾ إيمانًا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾. أو خبرًا لفعل ناقص محذوف تقديره: ﴿فَتَأْمِنُوا﴾ يكن الإيمان ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾.

وعلى أي حال: ترغيبٌ وتحبيبٌ لعلّها وعدٌ ودعوةٌ إلى الإيمان لأنّ الإنسان بفطرته يميل إلى الخير ويطلبه. وتنكير الخير يدلّ على الاطلاق فيشمل جميع خير الدنيا والآخرة. فالخير كلّ الخير يوجد تحت الإيمان ومن الصفات اللازمة للإيمان هو الخير.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿خَيْرًا﴾.

﴿وَ﴾ استثنائية وبعدها وعيد وتهديد لمن ردّ الدعوة إلى الإيمان وكفر.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تَكْفُرُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط. «أي أن تجحدوا نبوته

وتكذبوا رسالته ﷺ وما جاء به عند الله فإن ضرر ذلك يعود عليكم دون الله»<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها جواب الشرط.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾ المقدم وتقديمه يفيد الحصر.

﴿مَا﴾ اسم موصول في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾ المؤخر.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: استقر.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

قال صاحب الميزان<sup>٢</sup>: «﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ لم يزد كفركم عليكم شيئاً، ولا ينقص من الله سبحانه شيئاً، فإن كل شيء مما في السماوات والأرض لله فمن المحال أن يسلب منه تعالى شيء من ملكه فإن في طباع كل شيء، مما في السماوات والأرض أنه لا شريك له فكونه موجوداً وكونه مملوكاً شيء واحد بعينه، فكيف يمكن أن ينزع من ملكه تعالى شيء وهو شيء؟»

والآية من الكلمات الجامعة التي كلما أمعنت في تدبرها أفادت زيادة لطف في معناها، وسعة عجيبة في تبيانها، فإحاطة ملكه تعالى على الأشياء وآثارها تعطي في الكفر والإيمان والطاعة والمعصية معاني لطيفة، فعليك بزيادة التدبر فيها<sup>٣</sup>.

وبالجملة: «تدل الآية الكريمة على أن الكافر مكابر لفطرته وعقله، فإنه كيف يتأتى منه الكفر مع علمه بأن له تعالى ما في السماوات والأرض»<sup>٣</sup>.

﴿وَكَانَ﴾ استئنافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾.

﴿عَلِيماً حَكِيماً﴾ خبراً ﴿كَانَ﴾. «﴿عَلِيماً﴾ بما أنتم صائرون إليه من طاعته أو

١. التبيان ٣/ ٣٩٨.

٢. الميزان ٥/ ١٤٨ و ١٤٩.

٣. مواهب الرحمن ١٠/ ٢١١.



معصيته. ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره إياكم ونهيه عما نهاكم عنه<sup>١</sup>.  
وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: «إِنَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ وَمَحِيطٌ بِمَخْلُوقَاتِهِ إِحَاطَةً عِلْمِيَّةً  
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِيمَانُ أَحَدٍ وَلَا كُفْرُ آخَرٍ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ، فَلَمْ يَخْلُقْ عِبَادَهُ عَبَثًا، فَإِذَا أَمَرَ  
الْإِنْسَانَ بِالْإِيمَانِ، فَلَعَلَّمَهُ بِأَنَّهُ خَيْرٌ لَهُ، وَإِنَّهُ يَعْذِبُ الْكَافِرَ لِأَنَّهُ اسْتَكْبَرَ وَلَمْ يُؤْمِنْ»<sup>٢</sup>.

### رواية

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا:  
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ (آلِ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ) ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ  
طَرِيقًا \* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا  
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (فِي وَلايَةِ عَلِيٍّ) ﴿فَقَامِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ وَإِنْ  
تَكْفُرُوا﴾ (بِوَلايَةِ عَلِيٍّ) ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>٣</sup>.

تحمل على تعيين المصداق والتطبيق والتأويل لا على التحريف كما هو الواضح.

﴿يَتَأْتِيهِمُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ  
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ  
وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ  
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

خطاب لأهل الكتاب عامة وللنصارى خاصة لأن اليهود كانوا يغفلون في تحقير

١. التبيان ٣/ ٣٩٨.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ٢١١.

٣. الكافي ٢/ ٣٩٢، ح ٥٩٤ (١/ ٤٢٤).

النبي عيسى عليه السلام وإهانتة ورموه بما يمس كرامته والنصارى كانوا ولا يزالون يغفلون في تعظيمه وتقديسه وجعلوه رباً وآله وإبناً له سبحانه وتعالى عما يقول المشركون.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء. ﴿أَهْلَ﴾ منادى منصوب.

﴿الْكِتَابِ﴾ مضاف إليه. وقد مرّ شمول ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هنا للفريقين اليهود والنصارى ولا وجه لتخصيصه بالنصارى.

﴿لَا تَغْلُوا﴾ فعل نهي مجزوم وفاعله. الغلو: هو تجاوز الحق والإفراط في الشيء وأصله كل شيء تجاوز حدّه يقال: غلافلان في الشيء يغلو غلواً وغلا بالجارية عظمها ولحمها: أي إذا انسرعت الشباب وتجاوزت لذاتها.<sup>١</sup>

﴿فِي دِينِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ويتعلّق الأوّلان بـ ﴿لَا تَغْلُوا﴾. والغلو في الدين لا يختص بأهل الكتاب بل يمكن دخول أهل كلّ دين فيه حتى المسلمين شيعةً وسنةً، ولذا لا بدّ الاحتراز من هذه المفسدة العظيمة، وإن كانت الآية الشريفة تختص بأهل الكتاب ولكن البلية عامة.

﴿وَعَاطِفَةً﴾. ﴿لَا تَقُولُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تَغْلُوا﴾.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾. خاصة وبالنسبة إلى دينكم عامة.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿الْحَقَّ﴾ مفعول به.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة. مركبة من «إِنَّ» المشبهة بالفعل و «ما» الزائدة الكافة التي أبطلت عمل «إِنَّ». وحرف حصر يأتي محصورها متأخراً دائماً.

«تخصيص بعد تعميم الخطاب لأهل الكتاب، تطبيقاً لما بيّنه ﷺ من نفي الغلو وعدم نسبة شيء الله جلّ شأنه إلّا الحق، والخطاب موجّه للنصارى التي غلت في

المسيح عليه السلام واعتقدت فيه الأباطيل»<sup>١</sup>.  
«الْمَسِيحُ» مبتدأ. ومعناه: المبارك وأصله «الممسوح نقل من مفعول إلى فاعل.  
سماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب.  
وقيل مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الأدميين كما يمسح الشيء من  
الأذى الذي يكون فيه. وهو قول مجاهد.  
وقال أبو عبيدة: هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيحاً، فعربت فقليل المسيح،  
كما عرب سائر أسماء الأنبياء في القرآن، نحو إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى.  
وقال قوم ليس هذا مثل ذلك، لان إسماعيل وإسحاق وما اشبههما أسماء، لا  
صفات. والمسيح صفة ولا يجوز أن يخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق في صفة  
شيء إلا بما يفهم، فعلم بذلك أنها كلمة عربية.  
وقال إبراهيم: المسيح المسيح الصديق وأما المسيح الدجال فإنه أيضاً بمعنى  
الممسوح العين صرف من مفعول إلى فاعل فمعنى المسيح في عيسى عليه السلام المسسوح  
البدن من الأدناس والآثام. ومعنى المسيح في الدجال المسسوح العين اليمنى أو  
اليسرى كما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك»<sup>٢</sup>.  
«عيسى» بدل من «الْمَسِيحُ» وتصريح باسمه لإبطال مادة الخلاف.  
«أَبْنُ» بدل ثان لـ «الْمَسِيحُ» أو صفة له.  
«مَرِيَمَ» مضاف إليه وممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. تصريح باسم الأم  
«ليكون أبعد من التفسير والتأويل بأي معنى مغاير، وليكون دليلاً على كونه انساناً  
مخلوقاً كأبي إنسان ذي أم»<sup>٣</sup>. «وهي تدل على بطلان ما زعموه فيه من النبوة له جلّ

١. مواهب الرحمن ١٠/ ٢١٣.

٢. التبيان ٣/ ٤٠٠.

٣. الميزان ٥/ ١٤٩.

شأنه»<sup>١</sup>.

﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبر ومضاف إليه والمحصور. يعني لا يكون شأنه إلا أنه  
 ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ وبيان لنفي البنوة والاتحاد والحلول، والرسول يمكن أن يكون انساناً  
 عادياً كسائر رسل الله.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كَلِمَتُهُ﴾ معطوفة على ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ ومضاف إليه. جميع المخلوقات  
 كلمات الله في عالم التكوين ولكن ﴿الْمَسِيحُ﴾ يختص بفقدان بعض الأسباب العادية في  
 تكوينه وولادته. والمراد بالكلمة قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ﴾<sup>٢</sup>.

﴿أَلْفَنَهَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. والإلقاء: هو الطرح  
 والإيصال، وكان بواسطة الملك على نحو البشارة كما قال الله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ  
 يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشَرِكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
 وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾<sup>٣</sup>.

﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ جار ومجروره يتعلّق بـ ﴿أَلْفَنَهَا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿رُوحٌ﴾ معطوف على ﴿كَلِمَتُهُ﴾. والروح لها معان متعددة؛ ولكن المراد منه  
 هنا أنه من الأمر كما قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>٤</sup>. وحيث كان المسيح داخل في  
 كلمة «كن» التكوينية فهي أمرٌ وما كان أمراً فهو روح.  
 وبالجملة: الآية تدلّ على أن المسيح «روحٌ مخلوقة لله تعالى بسبب كلمة «كن»

١. مواهب الرحمن ١٠ / ٢١٣.

٢. سورة آل عمران / ٤٧.

٣. سورة آل عمران / ٤٥.

٤. أنهاها الشيخ إلى الستة في تبيان ٣ / ٤٠١ فراجع.

٥. سورة الإسراء / ٨٥.

التكوينية التي أودعت في مريم الطاهرة، لا بواسطة نطفة وتوالد.  
والآيات المباركة جميعاً تدلّ على أنّ خلق عيسى عليه السلام كان معجزة، وقد تحقّق  
بكلمة «كن» التكوينية، من غير دخل للأسباب العادية التي يجب أن تتحقّق في خلق  
سائر أفراد البشر من الأب والنكاح وغيرها، قال تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ تفريع لما بعده على قوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ  
وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.  
﴿أَمِنُوا﴾ فعل أمر وفاعله.  
﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَمِنُوا﴾. أي ﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ﴾ بالألوهية والربوبية  
وحده لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رُسُلِهِ﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾ من النبي عيسى والأنبياء قبله وبعده عليه السلام.  
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَقُولُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تَغْلُوا﴾.  
﴿ثَلَاثَةً﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: الآلهة ﴿ثَلَاثَةً﴾، والجملة في محلّ نصب  
مفعول به - مقول القول - . والمراد بـ ﴿ثَلَاثَةً﴾ الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين حيث  
يعتقدونهنّ الآلهة وهم الأب والابن وروح القدس.

مع أنّهم يعدّون أنفسهم من الموحّدين ويقولون بالتثليث ويروون ويؤمنون بالله  
الواحد ويقولون بالأقانيم الثلاثة، وأنّهم يروون التوحيد عين التثليث والتثليث عين  
التوحيد لأنّهم يذهبون إلى الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة، ولا يروون  
التناقض العقلي بين الواحد والثلاث، ثمّ بعد الاعتراف بالمعارضة بين التوحيد  
والتثليث يقولون: أنّ التثليث نصّ إيماني لا بدّ من الإقرار به ولو لم ولن نفهموا معناه،

---

١. مواهب الرحمن ١٠/ ٢١٥.

لأنّه وارد في الأناجيل والكتب المقدسة فلا بدّ من الإيمان به.

بالله تَرَوْنَ الفرق بين الدينين، الدين الإسلامي يذهب إلى التوحيد الخالص  
«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»<sup>١</sup> والدين النصراني المحرّف يذهب في ابتدائه إلى  
التناقض العقلي الواضح ويريد أن يجمع بين الواحد والثلاثيّة وبعد عدم توفيقه بين  
الجمع يقول إنّهُ مِنَ الأسرار فلا بدّ من الإيمان به ولو لم نفهمه.

وتالله تَرَوْنَ الفرق بين الدين الإسلامي الذي لا يوجد خلافٌ عقليّ في نصوصه  
المقدسة وعلى فرض - وفرض المحال غير محالٍ - لو وُجِدَ يبادر علماء المسلمين إلى  
تأويل النص بما لا يتعارض مع قواعد التأويل المقبولة حتّى لا يعارض العقل القطعي  
البُتّي المُسلّم. وبين الدين النصرانيّة حيث في أوّل تعاليمهم يقولون بالتناقض ومع  
ظهور هذا التناقض يُصِرُّونَ على أنّه نصّ دينيّ فلا بدّ من قبوله وأنّه سرّ من أسرار  
النصرانيّة فلا بدّ من التسليم له.

فأنتم تحكمون فأَيّ الدينين أحقّ بالمتابعة والخضوع له ما جعل العقل أساسه أو  
ما خالف العقل من أساسه وابتدائه «فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»<sup>٢</sup>.

«أَنتهوا» فعل أمر وفاعله. نهاهم الله تعالى عن مقاتلتهم الشركية وادعائهم  
التثليث.

«خَيْرًا» مفعول به.

«لَكُمْ» جار ومجرور متعلّق بـ «خَيْرًا». أي إن تنتهوا عن القول بالتثليث  
لكان «خَيْرًا لَكُمْ».

«إِنَّمَا» كافة مكفوفة تفيد الحصر. وما بعدها تبين للإيمان الصحيح. وهو  
القول بالتوحيد الصريح الخالص.

١. سورة آل عمران / ١٨.

٢. سورة يونس / ٣٥.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿إِلَهُ﴾ خبره. ﴿وَاحِدٌ﴾ تأكيد.  
 ﴿سُبْحَنَهُ﴾ مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف نحو: أُسَبِّحُ أَيُّ أَنْزَلُهُ.  
 ومضاف إليه.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة. ﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب.  
 ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور خبر مقدم ﴿يَكُونُ﴾ اسم ﴿وَلَدٌ﴾ اسم ﴿يَكُونُ﴾.  
 رد آخر على النصارى<sup>١</sup> لأنهم يزعمون أن عيسى ابن الله للإعجاز المعلوم في ولادته ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا﴾<sup>٢</sup> و ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾<sup>٣</sup> و ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾<sup>٤</sup>.

وينقض عليهم بولادة أبي البشر آدم عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>٥</sup>.  
 وتنحلّ مقالتهن باستحالة الاستيلاد من الواجب تعالى عقلاً كما قرّر في محله علم الكلام وكما بحثنا عنه في أبحاثنا الكلامية. والجملة الآتية حال أو استئناف وعلى أيّ الحالين تعليل لنفي الولد عنه سبحانه «فإنّ الولد كيفما فرض هو الذي يماثل المولد في سنخ ذاته متكوناً منه، وإذا كان كلّ ما في السماوات والأرض مملوكاً في أصل ذاته وآثاره لله تعالى وهو القيوم لكلّ شيء وحده فلا يماثله شيء من هذه الأشياء فلا ولد له»<sup>٦</sup>.

١. لم يُذكَرُوا في القرآن الكريم إلّا باسم (النصارى) وأمّا تسميهم بـ (المسيحيين) فهي متأخّرة لا أصل لها في المأثور من الكتاب السنّة.

٢. سورة الإسراء / ٤٣.

٣. سورة الجن / ٣.

٤. سورة الإخلاص / ٣.

٥. سورة آل عمران / ٥٩.

٦. الميزان ٥ / ١٥٠.

- ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، واللام للملكية الحقيقية.
- ﴿مَا﴾ اسم موصول، مبتدأ مؤخر، وما بعده كناية ماسوى الله.
- ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف: استقر.
- ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.
- ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿كَفَى﴾ فعل ماض. ﴿بِ﴾ حرف جر زائد.
- ﴿اللَّهُ﴾ مجرور بحرف جر ولكنه مرفوع محلاً لأنه فاعل.
- ﴿وَكَيلاً﴾ تمييز أو حال. أي ولياً لشؤونكم ومدبراً لأمركم.

### روايتان

معتبرة حُرَّان قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: هي روح الله مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى.<sup>١</sup>

خبر أبي جعفر الأصم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح التي في آدم عليه السلام والتي في عيسى عليه السلام ما هما؟ قال: روحان مخلوقان اختارهما واصطفاهما، روح آدم عليه السلام وروح عيسى عليه السلام.<sup>٢</sup>

رِجَالُ السَّنَدِ كُلُّهُمْ نَقَاتٌ إِلَّا أَبَا جَعْفَرَ الْأَصَمَّ لِأَنَّهُ مَهْمَلٌ.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾

احتجاج آخر على نفي الوهيّة المسيح عليه السلام مطلقاً سواء فرض كونه ولداً أو أنه

١. الكافي ١/ ٣٢٧، ح ٢ (١/ ١٣٣).

٢. التوحيد ١/ ١٧١، ح ٤.



ثالث ثلاثة، فإنَّ المسيح عبد الله لن يستنكف أبداً عن عبادته، وهذا ممَّا لا ينكره النصارى، والأناجيل الدائرة عندهم صريحة في أنه كان يعبد الله تعالى، ولا معنى لعبادة الولد الذي هو سنخ إله ولا لعبادة الشيء لنفسه ولا لعبادة أحد الثلاثة لثالثها الذي ينطبق وجوده على كل منها<sup>١</sup>.

﴿لَنْ﴾ حرف نفى ونصب واستقبال.

﴿يَسْتَنكِفَ﴾ فعل مضارع منصوب. أي لم يأنف ولن يستكبر ولن ينقبض ولن يمتنع. «وأصله في اللغة من نكفت الدمع: إذا نحيت به بإصبعك من خدك»<sup>٢</sup>.  
﴿الْمَسِيحُ﴾ فاعله، وهو عيسى بن مريم كما صرح به في الآية السابقة.  
﴿أَنْ﴾ حرف نصب ومصدر.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمها ضمير مستتر.

﴿عَبْدًا﴾ خبر ﴿يَكُونُ﴾. والعبودية لا تجتمع مع الألوهية لأنَّهما نقيضان.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿عَبْدًا﴾.

﴿و﴾ عاطفة، والجملة بعدها استطرادية لأنَّ جماعة من المشركين يقولون أنَّ الملائكة بنات الله فتنفيتها الآية الشريفة بهذه الجملة الاستطرادية.

﴿لَا﴾ نافية. ﴿الْمَلَكُوتُ﴾ معطوف على ﴿الْمَسِيحُ﴾. ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ صفة.

ثمَّ التعبير «عن عيسى عليه السلام بالمسيح، وكذا توصيف الملائكة بالمقربين مشعر بالعلية لما فيهما من معنى الوصف، أي إن عيسى لن يستنكف عن عبادته وكيف يستنكف وهو مسيح مبارك؟ ولا الملائكة وهم مقربون؟ ولورجي فيهم أن يستنكفوا لم يبارك الله في هذا ولا قرَّب هؤلاء، وقد وصف الله المسيح أيضاً بأنَّه مقرب في قوله:

١. الميزان ٥/ ١٥٠ و ١٥١.

٢. التبيان ٣/ ٤٠٤.

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾<sup>١</sup> ٢.

﴿و﴾ استئنافية أو حالية، والجملة ما بعدها في موضع التعليل لما قبلها. «أي وكيف يستنكف المسيح والملائكة المقربون عن عبادته والحال أن الذين يستنكفون عن عبادته ويستكبرون من عباده من الإنس والجن والملائكة يحشرون إليه جميعاً، فيجزون حسب أعمالهم، والمسيح والملائكة يعلمون ذلك ويؤمنون به ويتقونه»<sup>٣</sup>.  
 ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وجملة فعل الشرط وجوابه خبره.  
 ﴿يَسْتَنكِفُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط. مرّ معناه.  
 ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَسْتَنكِفُ﴾.  
 ﴿و﴾ عاطفة.

﴿يَسْتَكْبِرُ﴾ معطوفة على ﴿يَسْتَنكِفُ﴾. «الاستكبار: طلب الكبر من غير استحقاق بمعنى أن يجعل نفسه كبيرة فوق ما هي عليه غروراً وإعجاباً لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد حصوله»<sup>٤</sup>.

ثم أضاف إلى الاستنكاف الاستكبار «لأنّ مجرد الاستنكاف لا يوجب السخط الإلهي إذا لم يكن عن استكبار كما في الجهلاء والمستضعفين، وأما المسيح والملائكة فإنّ استنكافهم لا يكون إلّا عن استكبار لكونهم عالمين بمقام ربهم، ولذلك اكتفى بذكر الاستنكاف فحسب فيهم، فيكون معنى تعليل هذا بقوله: ﴿وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾، أنهم عالمون بأنّ من يستنكف عن عبادته (الخ)»<sup>٥</sup>.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها في محلّ جزم لأنها جواب الشرط.

١. سورة آل عمران / ٤٥.

٢. الميزان ٥ / ١٥١.

٣. الميزان ٥ / ١٥١.

٤. مواهب الرحمن ١٠ / ٢٢٢.

٥. الميزان ٥ / ١٥١.

﴿سَ﴾ حرف استقبال للتسوية القريب.

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي فسيبعثهم يوم القيامة.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿سَيَحْشُرُهُمْ﴾.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من المحشورين. أي المستكفين المستكبرين كانوا أم العابدين لله تعالى شأنه.

### شأنه نزولها

«روي أن وفد نجران قالوا لنبينا: يا محمد لم تَعِيبُ صاحبنا! قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى عليه السلام. قال: وأي شيء أقول: فيه؟ قالوا: تقول أنه عبد الله ورسوله، فنزلت الآية»<sup>١</sup>.

### تنبيه مهم

قال الشيخ مغنیه: «وأغرب ما قرأتُ قول بعض المبشرين والمستشرقين: إنَّ محمدًا أخذ تعاليمه من الإنجيل والأخبار، ونسأل هؤلاء: هل أخذ محمد هاتين الآيتين، وما إليهما من الآيات والأحاديث التي كَفَرَتِ النصارى، ونعت عليهم ما اعتقدوا وما حرفوا من دين السيّد المسيح عليه السلام، هل أخذ محمد هذه التعاليم من الإنجيل ورجالات الكنيسة في عصره؟ ... إذن، يكون هذا إقراراً منهم بالكفر على أنفسهم...»<sup>٢</sup>.

١. مجمع البيان ١٤٦/٣.

٢. التفسير الكاشف ٥٠٢/٢.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا تَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٧٢﴾

«تفصيلٌ بعد إجمال لبيان الجزاء المترتب على كل واحد من الفريقين المستنكفين المستكبرين عن عبادته، وغيرهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يستنكفوا عن عبادة الله تعالى، وإنما قدّمهم تعظيماً لجزائهم وتنوياً بشرفهم»<sup>١</sup>. ويمكن أن تعدّ الآية الشريفة ردّاً ثالثاً على آباء الكنيسة وهي ردّ النظرية الفداء - أي فداء المسيح لأجل كفارة ذنوب جنس آدم أو آدم عليه السلام فقط حيث أنّهم يسرون ذنب آدم عليه السلام إلى أبنائه وذريته ولأجل تلك يسمّون المسيح الفادي - لأنّ الله تعالى في هذه الآية الشريفة عدّ بني آدم على القسمين بالنسبة إلى الإيمان والعمل الصالح فلكلّ منهما جزاء عمله من الثواب والعقاب وأنهم لا يأخذون بذنب غيرهم بلا فرق بين آدم عليه السلام أو غيره فتأمل في ما ذكرناه بدقة.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿أَمَّا﴾ حرف شرط وتفصيل وتأكيد.  
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.  
 ﴿وَعَمِلُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ مفعول به.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الفعلية بعدها خبر مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾.  
 ﴿يُوَفِّيهِمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أوّل. أي يؤتيهم وافياً تاماً لأنّ «التوفية هي الاستيفاء تاماً من غير نقص. أي يعطيهم أجورهم من غير

أَنْ يَنْقُصَ مِنْهَا شَيْئاً أَصَلاً، جزاءً لإيمانهم وأعمالهم الصالحة»<sup>١</sup>.  
 ﴿أُجُورَهُمْ﴾ مفعول به ثانٍ ومضاف إليه. أي: جزاء أعمالهم الصالحة. «وإنما  
 عبّر ﷺ عن الجزاء بالأجر، لبيان أن أعمالهم محفوظة لديه جلّت عظمتها، وقد استوفاهما  
 منهم تاماً، فسيجدون عوضها عنده سبحانه وتعالى كذلك، وهذا يدلّ على كمال عطفه  
 ورعايته للمؤمنين»<sup>٢</sup>.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿يَزِيدُهُمْ﴾ معطوف على ﴿يُؤْفِيهِمْ﴾.  
 ﴿مَنْ فَضَّلَهُ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿يَزِيدُهُمْ﴾.  
 «يعني ﴿يَزِيدُهُمْ﴾ ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الصالحة والثواب  
 عليها من الفضل، والزيادة هو ما لم يعرفهم مبلغه لأنّه وعد على الحسنة عشر أمثالها  
 من الثواب، والزيادة على ذلك تفضل من الله عليهم، وإن كان كل ذلك من فضله إلى  
 عباده. وقد روي أن الزيادة إلى سبعين ضعفاً وإلى سبعمائة وإلى ألفين وكلّ ذلك جائز  
 على ما يختاره الله ويفعله»<sup>٣</sup>.

وبعبارة أخرى: «فيزيد المؤمنين العاملين في أجورهم بتضعيفها أضعافاً  
 مضاعفة؛ لأنّه الجواد الكريم ذو المن العظيم، وإطلاق الزيادة يشمل جميع أنحاءها كما  
 وكيفاً ومدّة، وفي جميع العوالم، فلا يعلم مقدارها ولاكنّها أحد إلا الله تعالى»<sup>٤</sup>.  
 ﴿و﴾ عاطفة. ﴿أَمَّا﴾ الحرف وما بعدها معطوف على ﴿أَمَّا﴾ في صدر الآية.  
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ.  
 ﴿أَسْتَنْكُفُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي امتنعوا وأنفوا. ﴿و﴾ عاطفة.

١. مواهب الرحمن ١٠/ ٢٢٤.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ٢٢٤.

٣. التبيان ٣/ ٤٠٥.

٤. مواهب الرحمن ٣/ ٢٢٤.

﴿أَسْتَكَبرُوا﴾ معطوف على ﴿أَسْتَكْفُوا﴾ «معناه أن الذين يأنفون عن الاقرار بتوحيد الله، ويتعظمون عن الاعتراف بعبوديته، والإذعان له بالطاعة، واستكبروا عن التذلل له، وتسليم ربوبيته»<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الفعلية بعدها خبر مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾.  
 ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.  
 ﴿عَذَابًا﴾ مفعول مطلق. ﴿أَلِيمًا﴾ صفة. أي مؤلماً موجعاً.  
 ﴿وَ﴾ حالية، وما بعدها حال لـ ﴿الَّذِينَ أَسْتَكْفُوا وَأَسْتَكَبرُوا﴾ عن عبادة ربهم وذهبوا إلى ألوهية المسيح والملائكة أو غيرهما.  
 ﴿لَا يَجِدُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله.  
 ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا يَجِدُونَ﴾.  
 ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿لَا يَجِدُونَ﴾. أي ﴿مَنْ﴾ غير ﴿اللَّهِ﴾.  
 ﴿وَلَيَّا﴾ مفعول به، لأنهم بمقاتلتهم الفاسدة - ألوهية المسيح - خرجوا من ولاية الله تعالى شأنه. فلا يجدون لأنفسهم ﴿وَلَيَّا﴾ يلي أمورهم ويدبرها وينجيهم من عقابه.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.  
 ﴿نَصِيرًا﴾ معطوف على ﴿وَلَيَّا﴾. أي ناصرًا ينقذهم من عذابه.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾

«خطاب من الله (تعالى) لجميع الخلق من الناس المكلفين من سائر أصناف

الملل الذين قصّ قصصهم في هذه السورة من اليهود والنصارى والمشرّكين<sup>١</sup>.  
و «نداء ربوبي إلى الناس كافة، يجبّب إليهم الإيمان بعد الجولة الطويلة مع الزائغين والكافرين، إنّه نداء يرشدهم إلى الكمال المنشود الذي أعدّه الله تعالى لهم، إنّه نداء توجيه وتربية، تعدّ الأُمَّة إعداداً كاملاً لتحمل الأمانة الكبرى، وتحتل الصدارة بين الأمم، إنّه نداء للتحبّب وليس للإنذار والتخويف، فقد تضمّن هذا الخطاب العطف والرحمة من ربّ رؤوف رحيم، يعلم جميع مصالح عباده، ويدعوهم فيه إلى ما يسعدّهم في الدُّنيا والآخرة، ولأجل ذلك كان هذا الخطاب وحدهم، دون أن يذكر في مقابلها جزاء الكافرين والمعاندين.

والآية المباركة تدلّ على أنّ الحجة قد تمت على الناس ولزمتهم، فلم يبق بعد ذلك عذر لمتعدّر، ولا علة لمتعلّل، وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾<sup>٢</sup> وتقدّم قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>٣</sup> ٤.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء. ﴿أَيُّ﴾ منادي، مبنيّ على الضم في محل نصب.

﴿هَا﴾ زائدة للتنبيه. ﴿النَّاسُ﴾ بدل من ﴿أَيُّ﴾ أو عطف بيان منها.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدّم. أي أتاكم.

﴿بُرْهَنٌ﴾ مصدرٌ وفاعل. أي بيان للحجة ويأتي بمعنى الفاعل في ما إذا أطلق على نفس الدليل والحجة ومنه إطلاقه على الرسول الخاتم ﷺ. والظاهر أنّ المراد به محمد ﷺ بقريّة وقوع الآية في ذيل الآيات المبينة لصدق النبي في رسالته ولأنّه «برهان عظيم، ومظهر الحق، ومصداق العدل والقسط بين حقيقة الشريعة وواقعها

١. التبيان ٣/ ٤٠٦.

٢. سورة الأنعام / ١٤٩.

٣. سورة النساء / ١٦٥.

٤. مواهب الرحمن ١٠/ ٢٢٥.

٥. كما ورد في الرواية الآتية.

بسيرته العملية، فهو معلّم البشريّة حقايق العلوم الإلهيّة، والتوجيهات الربوبيّة، ومظهر [أسماء] الخالق العظيم، ومعجزة الدهر، فهو خير برهان وأتمّ دليل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ٢» ٣.

و «يعني أتاكم حجة من الله تبرهن لكم عن صحة ما أمركم به، وهو محمد ﷺ جعله الله حجة عليكم، وقطع به عذرکم» ٤.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلّق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾ أو بصفة محذوفة من ﴿بُرْهَنٌ﴾ أي ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ ﴿رَبِّكُمْ﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أُنزِلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أُنزِلْنَا﴾.

﴿نُورًا﴾ مفعول به. الظاهر أنّ المراد به القرآن الكريم بقرينة ﴿أُنزِلْنَا﴾. «وإنّما سمّاه نوراً لما فيه من الدلالة على ما أمر الله به ونهى عنه والاهتداء به تشبُّهاً بالنور الذي يهتدي به في الظلمات» ٥.

قال علي بن إبراهيم القمي: النور إمامة عليّ أمير المؤمنين ٦.

بمعنى أنّ إمامته ﷺ أحد مصاديق ما أنزل في القرآن الكريم فإطلاقه عليها كإطلاق الكلّ على الجزء.

﴿مُبِينًا﴾ نعت. يعني بيّن لكم المحجة الواضحة والسبل الهادية. قال الشيخ:

١. في المصدر «صفات».

٢. سورة الأحزاب / ٢١.

٣. مواهب الرحمن ١٠ / ٢٢٦.

٤. التبيان ٣ / ٤٠٦.

٥. التبيان ٣ / ٤٠٦.

٦. تفسير القمي ١ / ٢٣٤.



«وفي الآية دلالة على أن كلام الله مُحَدَّثٌ<sup>١</sup>، لانه وصفه بالإنزال فلو كان قديماً، لما جاز ذلك عليه»<sup>٢</sup>.

### روايتان

عن عبدالله بن سليمان، قال: قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: قوله ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾؟ قال: البرهان محمد عليه وآله السلام، والنور علي عليه السلام.<sup>٣</sup>  
قال الطبرسي: قيل: النور: ولاية علي عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام.<sup>٤</sup>  
قد مرّ معنى الروايتين آنفاً.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾



«هذا إخبار من الله ووعد منه لمن صدق الله وأقرّ بوحدانيته، واعترف بما بعث به نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله من أهل الملل، واعتصم به وتمسك بالنور الذي أنزله إلى نبيّه»<sup>٥</sup>.  
و «بيان لثواب من اتّبع برهان ربّه والنور النازل من عنده.  
والآية كأنها منتزعة من الآية السابقة المبينة لثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أعني قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، ولعلّه لذلك لم يذكر ههنا جزاء المتخلف من تبعية البرهان

١. بفتح الدال المهملة.

٢. التبيان ٣/ ٤٠٦.

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٥٧، ح ٣١١.

٤. مجمع البيان ٣/ ١٤٧.

٥. التبيان ٣/ ٤٠٧.

والنور، لأنه بعينه ما ذكر في الآية السابقة، فلا حاجة إلى تكراره ثانياً بعد الإشعار بأنّ جزاء المتبعين ههنا جزاء المتبعين هنالك، وليس هناك إلاّ فريقان: المتبعون والمتخلفون»<sup>١</sup>.

وبعبارة أخرى: «بيان لثواب من اتّبع برهان ربّه، وآمن بالنور الذي أنزله على الرسول ﷺ، وذكرنا أنّ هذه الآية الشريفة من المواضع المعدودة في القرآن الكريم التي يذكر فيها جزاء المؤمنين الصادقين وإيمانهم، ولم يذكر فيها جزاء الكافرين والمعاندين؛ لأنّ أسلوب الخطاب أسلوب التّحبّب والرّأفة، لأنّه ﷺ ذكر جزاءهم في الآيات السابقة، وقد كان معهم جولة طويلة في هذه السورة، ولأنّه جلّ شأنه أراد أن يكون ختام هذا السورة - باستثناء آية الكلاله - بالذكر الجميل والثواب الجزيل والعطف والرحمة، دون الخوف والخبية.

والآية الشريفة تبيّن حقيقة الإيثار المطلوب من الناس، وهي الإيمان بالله العظيم وحده لا شريك له، حسبما أوجبه البرهان الذي جاءهم دون ما يقترحه أهل الزيغ والضلال»<sup>٢</sup>.

﴿فَ﴾ عاطفة تفرعية. ﴿أَمَّا﴾ حرف شرط وتفصيل وتأكيد.  
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله.  
 ﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ءَامَنُوا﴾. وكفروا بالمقالات الفاسدة الشركية بالنسبة إلى المسيح عليه السلام والملائكة وغيرهما وقالوا بالتوحيد الخاص القراح. وهذه القسمة من الآية الشريفة تبيّن الجانب العقائدي وهو الإيمان بالله وحده.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَعْتَصَمُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. والاعتصام هو التمسك بما يعصم

١. الميزان ٥/ ١٥٢.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ٢٢٧.

ويحفظ.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْتَصُمُوا﴾ والضمير يرجع إلى ﴿نُورًا﴾ في الآية السابقة، وقد مرّ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>١</sup> أن المراد بالاعتصام الأخذ بكتاب الله والاتباع لرسوله ﷺ<sup>٢</sup>.

وهذه القسمة من الآية تبين الجانب العملي وهو الاعتصام لأنّه «لا يتحقّق إلّا بالعمل بكتاب الله واتباع رسوله العظيم ﷺ وإطاعتها حقّ الطاعة»<sup>٣</sup>.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿سَ﴾ حرف استقبال للتسويق القريب.

﴿يُدْخِلُهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.

﴿فِي رَحْمَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿سَيُدْخِلُهُمْ﴾.

﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿رَحْمَةٍ﴾. ورحمته تعالى هي جنّته.

وحاصله: «ستنالهم رحمته التي تنجيهم من عقابه، وتوجب لهم ثوابه، وجنته، ويالحقهم ما لحق أهل الإيمان به، والتصديق لرسوله»<sup>٤</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿وَفَضَّلَ﴾ معطوف على ﴿رَحْمَةٍ﴾. ومعناه مرادف لما مرّ من قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ

فَضْلِهِ﴾<sup>٥</sup> وهو الإحسان الزائد على الجزاء وهو لا يقدر بقدر.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها من آثار الاعتصام بالله كما مرّ آنفاً.

﴿يَهْدِيهِمْ﴾ معطوف على ﴿سَيُدْخِلُهُمْ﴾ تعرب إعرابها.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَهْدِيهِمْ﴾ والضمير يرجع إلى «الله» تعالى.

١. سورة آل عمران / ١٠١.

٢. الميزان ٥ / ١٥٢.

٣. مواهب الرحمن ١٠ / ٢٢٧.

٤. التبيان ٣ / ٤٠٧.

٥. سورة النساء / ١٧٣.

﴿صِرَاطًا﴾ مفعول به.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نعت. والمراد به «هو الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده»<sup>١</sup> و «الهداية إلى صراط المستقيم من أعظم عنايات الله تعالى على من يشاء من خلقه، وقد خص بها الأنبياء العظام ﷺ والأولياء الكرام وبعض الخُلَصِّ من عباده»<sup>٢</sup>.  
قال علي بن إبراهيم القمي: وهم الذين تمسكوا بولاية أمير المؤمنين والأئمة ﷺ. ٣.

### رواية

وفي ذيل خبر عبدالله بن سليمان الماضي، قال: قلت له: ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ قال: الصراط المستقيم عليّ ﷺ. ٤.  
قد وردت ثلاثون رواية على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ هو الصراط المستقيم. ٥.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أَمْرٌ فَلَهَا نَصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ ۝ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

بَيَّنَّتِ الْآيَةُ فَرَائِضَ الْكَالَالَةِ وَهُمْ هُنَا إِخْوَةُ الْمَيِّتِ وَأَخَوَاتُهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ أَوْ لِأَبِيهِ

١. التبيان ٣/ ٤٠٧.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ٢٢٨.

٣. تفسير القمي ١/ ٢٣٤.

٤. تفسير العياشي ١/ ٤٥٧، ح ٣١١.

٥. راجع عوالم العلوم، القسم الثاني من المجلد ١٥/ (٣٠-١٩).

فقط، وقد مرّ في الآية الثانية عشرة من هذه السورة سهام كلاله الميت لأُمّه فلا يعيدها  
فقد استعملت ﴿الْكَلَلَةَ﴾ في القرآن الكريم مرّتين فقط.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. أي يسألونك يا محمد ﷺ أن  
تفتيهم في الكلاله كما يدلّ عليه الجواب.

وطلب الفتوى من علامات الإيمان والتسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ  
وأوصيائه الأطهار.

﴿قُلِ﴾ فعل امر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يا رسول الله محمد ﷺ .  
﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. الملفتي هو ﴿اللَّهُ﴾ لأنّه هو الشارع في الشريعة الإسلامية المقدّسة.  
﴿يُفْتِيكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.  
﴿فِي الْكَلَلَةِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُفْتِيكُمْ﴾. الكلاله في اللغة الإحاطة  
ويراد بها قرابة الإنسان ماعدا العمودين ويطلق على الميت المورث والحي الوارث وقد  
مرّ إنّ المراد بها هنا إخوة الميت وأخواته لأبيه وأُمّه أو لأبيه فقط.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿أَمْرُؤًا﴾ فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل الآتي.  
﴿هَلَكَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط. أي  
مات، إشارة إلى أنّ من لا ولد له هالك.  
﴿لَيْسَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور في محل نصب لأنّه خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدّماً.  
﴿وَلَدٌ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾. والجملة ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ في محل رفع صفة لـ ﴿أَمْرُؤًا﴾ أو  
حال من ضمير ﴿هَلَكَ﴾ فتكون تفسيراً لـ ﴿الْكَلَلَةِ﴾ اطلاق الولد يشمل الذكر والأنثى  
كما يشمل الأحفاد والأسباط.

﴿وَ﴾ حالية والجملة بعدها حال من ضمير ﴿هَلَكَ﴾ أو من ﴿أَمْرُؤًا﴾.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿أُخْتُ﴾ مبتدأ مؤخر، الأخت الشقيقة وهي الأخت من الأب والأم ومع عدمها تقوم مقامها الأخت من الأب فقط - لا من الأم فقط لأنّ سهمها مرّ في الآية ١١ من السورة وإذا لم يكن مع الأخت الشقيقة أو من الأب أحد من الورثة تأخذ النصف بالفرض والنصف الباقي بالرد و «تنفرد وحدها بجميع التركة عند الشيعة سواء أكان للميت عصبه أو لم يكن، أما السنة فيعطون النصف الباقي للعصبه ان كان، وإلا أخذت الأخت جميع التركة، فالخلاف بينهم وبين الشيعة في حال وجود العصبه فقط»<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط والجملة بعدها في محل جزم جواب الشرط.  
 ﴿لَهَا﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿نِصْفُ﴾ مبتدأ مؤخر.  
 ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر بالإضافة. أو مصدرية.  
 ﴿تَرَكَ﴾ فعل ماض وفاعله. أي نصف ما تركه الميت من الميراث إذا كانت ﴿مَا﴾ موصولة، وإذا كانت ﴿مَا﴾ مصدرية تقديره: نصف التركة.  
 ومنه يظهر سهم الأخت من أختها أيضاً نصف ماترك لأنّ لو كانت لها فريضة أخرى لذكرت.

﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.  
 ﴿يَرِثُهَا﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به، والجملة خبر.  
 ﴿إِنْ﴾ شرطية. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.  
 ﴿يَكُنْ﴾ فعل مضارع ناقص مجزوم لـ ﴿لَهَا﴾.  
 ﴿لَهَا﴾ جار ومجرور خبر ﴿يَكُنْ﴾.  
 ﴿وَلَدٌ﴾ اسم ﴿يَكُنْ﴾. والجملة ﴿لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ في محل جزم لأنّها فعل الشرط وجوابه محذوف لتقدم معناه. تقديره: سهم الأخ من أخته المتوفاة جميع ماترك لأنّ لم

يقيد الميراث وكذلك سهم الأخ من أخيه المتوفى جميع الميراث على جميع المذاهب الإسلامية.

﴿فَ﴾ استثنائية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كَانَتْ﴾ فعل ماض ناقص والضمير «ا» اسم «كان». والفعل في محل جزم لأنه فعل الشرط.

﴿أَتْنَتَيْنِ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أي ﴿كَانَتْ﴾ أختين بدلاً من أخت واحدة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط والجملة بعدها في محل جزم جواب الشرط.

﴿لَهُمَا﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿الثَّانِيَانِ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿الثَّانِيَانِ﴾.

﴿تَرَكَ﴾ فعل ماض وفاعله. وحكم الأخوات أيضاً حكم الاختين.

وإذا كانا أخوين اثنين فلهما جميع ماترك كما للاخ الواحد الجميع. وهذا الفرض غير مذكور في الآية الشريفة ولكن يعلم ذلك من ذهاب الأخ الواحد بالجميع وكذلك حكم الأخوة حكم الأخ الواحد.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿إِنْ﴾ شرطية.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص وضمير «واو» اسمه، فعل الشرط.

﴿إِخْوَةً﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿رَجَالًا﴾ تمييز أو بدل مفصل من مجمل.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿نِسَاءً﴾ معطوف على ﴿رَجَالًا﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لِلذَّكَرِ﴾ جار ومجرور خبر مقدم.

﴿مِثْلُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿حَظٍّ﴾ مضاف إليه.

﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ مضاف إليه ثان. ﴿يُبَيِّنُ﴾ فعل مضارع.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُبَيِّنُ﴾.

﴿أَنْ﴾ مصدرية وما بعدها في محل نصب مفعول لأجله أو نائب عنه.

﴿تَضَلُّوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي حذر وكراهة ومخافة ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ أو لثلاً ﴿تَضَلُّوا﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿بِكُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿عَلِيمٌ﴾ خبر. أي عالم ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من مصالح عباده في قسمة موارثهم. وتفصيل فروع الإرث يطلب من كتاب الفرائض في الفقه.

### شأن نزولها

«روى البراء بن عازب [الأنصاريُّ الصَّحَابِيُّ المعروف] قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة. وآخر آية نزلت خاصة سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وقال جابر بن عبد الله: نزلت في المدينة وقال ابن سيرين: نزلت في مسير كان فيه رسول الله ﷺ وأصحابه. واختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال سعيد بن المسيب: سأل عمر النبي ﷺ عن الكلاله، فقال: أليس قد بين الله ذلك؟ قال: فنزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وقال جابر بن عبد الله: اشتكيت وعندي تسع أخوات لي أو سبع، فدخل عليَّ النبي ﷺ فنفخ في وجهي، فافقت. فقلت: يا رسول الله ألا أوصي لأخواتي بالثلثين؟ قال: أحسن. قلت: الشطر. قال: أحسن، ثم خرج وتركني، ورجع إليَّ فقال: يا جابر إنِّي لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وأنَّ الله ﷻ قد أنزل في الذي لأخواتك فجعل لهنَّ الثلثين. قال: وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في. وقال قتادة: إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ همَّهم شأن الكلاله، فأنزل الله ﷻ، فيها هذه الآية»<sup>١</sup>.



## الروايات

معتبرة بكير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا مات الرجل وله أُختٌ، تأخذ نصف ما ترك من الميراث بالآية، كما تأخذ البنت لو كانت، والنصف الباقي يرد عليها بالرحم، إذا لم يكن للميت وارث أقرب منها.  
فإن كان موضع الأخت أخ أخذ الميراث كله بالآية لقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾.

فإن كانتا أُختَيْنِ أخذتا الثلثين بالآية، والثلث الباقي بالرحم.  
وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً ﴿فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ وذلك كله إذا لم يكن للميت ولد، أو أبوان أو زوجة.<sup>١</sup>

صحيحة زُرارة قال: إذا ترك الرجل أمه أو أباه أو ابنه أو ابنته فإذا ترك واحداً من الأربعة فليس بالذي عني الله ﷻ في كتابه ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ولا يرث مع الأم ولا مع الأب ولا مع الابن ولا مع الابنة أحد خلقه الله ﷻ غير زوج أو زوجة.<sup>٢</sup>

الرواية مقطوعة لم تنقل من المعصوم شيئاً وروى نحوها العياشي في تفسيره<sup>٣</sup> ولكن رواها الكشي<sup>٤</sup> في رجاله بسنده الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام من قوله: «لا يرث مع الام» إلى آخرها.

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا ترك الرجل أباه أو أمه أو ابنه أو ابنته إذا ترك واحداً من هؤلاء الأربعة فليس هم الذين عني الله ﷻ ﴿قُلِ اللَّهُ

١. تفسير القمي ١/ ٢٣٥، ح ٣٤.

٢. الكافي ١٣/ ٥٣٤، ح ٢ (١٣/ ٧).

٣. تفسير العياشي ١/ ٤٥٩، ح ٣١٦.

٤. رجال الكشي ١٣٣، ح ٢١١.

يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ ﴿١﴾

رواها العياشي في تفسيره مع زيادة: «ليس يَرِثُ مع الأُمِّ ولا مع الأب ولا مع الابن ولا مع البنتُ إلَّا زوج أو زوجة، فإنَّ الزوج لا ينقص من النصف شيئاً، إذا لم يكن معه ولد، ولا تنقص الزوجة من الربع شيئاً إذا لم يكن معها ولد»<sup>٢</sup>.

معتبرة أُخْرَى لِبِكْرِ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: امْرَأَةٌ تَرَكْتُ زَوْجَهَا وَإِخْوَتَهَا لِأُمِّهَا وَإِخْوَتَهَا وَأَخْوَاتَهَا لِأَبِيهَا فَقَالَ: لِلزَّوْجِ النِّصْفُ ثَلَاثَةُ أَصْهُمٍ وَلِلْإِخْوَةِ مِنَ الْأُمِّ الثَّلَاثُ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ وَبَقِيَ سَهْمٌ فَهُوَ لِلْإِخْوَةِ وَالْأَخْوَاتِ مِنَ الْأَبِ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى لِأَنَّ السَّهَامَ لَا تَعُولُ وَلَا يَنْقُصُ الزَّوْجُ مِنَ النِّصْفِ وَلَا الْإِخْوَةُ مِنَ الْأُمِّ مِنْ ثَلَاثِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ: ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا السُّدُسُ وَالَّذِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ <sup>٣</sup> إِنَّمَا عَنِ ذَلِكَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ مِنَ الْأُمِّ خَاصَّةً، وَقَالَ فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ امْرَأَةٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلِلْأُخْتِ نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا النِّصْفَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾ فَهُمْ الَّذِينَ يَزَادُونَ وَيَنْقُصُونَ وَكَذَلِكَ أَوْلَادُهُمُ الَّذِينَ يَزَادُونَ وَيَنْقُصُونَ وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً تَرَكَتْ زَوْجَهَا وَإِخْوَتَهَا لِأُمِّهَا وَأُخْتَيْهَا لِأَبِيهَا كَانَ لِلزَّوْجِ النِّصْفُ ثَلَاثَةَ أَصْهُمٍ وَلِلْإِخْوَةِ مِنَ الْأُمِّ سَهْمَانِ وَبَقِيَ سَهْمٌ فَهُوَ لِلْأَخْتَيْنِ لِلْأَبِ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَهِيَ لَهَا لِأَنَّ الْأَخْتَيْنِ لِلْأَبِ لَوْ كَانَتَا أَخَوَيْنِ لِلْأُمِّ لَمْ يَزَادَا عَلَى مَا بَقِيَ وَلَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً أَوْ كَانَ مَكَانَ الْوَاحِدَةِ أَخٌ لَمْ يَزِدْ عَلَى مَا بَقِيَ وَلَا

١. الكافي ١٣ / ٥٧٤، ح ١ (٩٩ / ٧).

٢. تفسير العياشي ١/ ٤٥٨، ح ٣١٤.

٣. سورة النساء / ١٢ .

يزاد أنثى من الأخوات ولا من الولد على ما لو كان ذكراً لم يزد عليه.<sup>١</sup>

معتبرة ثالثة لبكير قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فسأله عن امرأة تركت زوجها وإخوتها لأُمِّها وأختها، لأبيها فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم وللإخوة من الأُمِّ الثلث سهمان وللأخت من الأب السدس سهم، فقال له الرجل: فإن فرائض زيد وفرائض العامة والقضاة على غير ذلك يا أبا جعفر يقولون للأخت من الأب ثلاثة أسهم تصير من ستة تعول إلى ثمانية، فقال أبو جعفر عليه السلام: ولم قالوا ذلك؟ قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُ أَخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام: فإن كانت الأخت أختاً؟ قال: فليس له إلا السدس، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فما لكم نقصتم الأخ إن كنتم تحتجون للأخت النصف بأن الله سمى لها النصف فإن الله قد سمى للأخ الكل والكل أكثر من النصف لأنه قال تعالى: ﴿فَلَهَا نِصْفُ﴾ وقال للأخ وهو يرثها يعني جميع ما لها إن لم يكن لها ولد فلا تعطون الذي جعل الله له الجميع في بعض فرائضكم شيئاً وتعطون الذي جعل الله له النصف تاماً، فقال له الرجل: أصلحك الله فكيف نعطي الأخت النصف ولا نعطي الذكر لو كانت هي ذكراً شيئاً قال: تقولون في أمّ وزوج وإخوة لأُمّ وأخت لأب يعطون الزوج النصف والأُمّ السدس والإخوة من الأُمِّ الثلث والأخت من الأب النصف ثلاثة فيجعلونها من تسعة وهي من ستة فترتفع إلى تسعة قال: وكذلك تقولون قال: فإن كانت الأخت ذكراً لأب قال: ليس له شيء فقال الرجل لأبي جعفر عليه السلام: جعلني الله فداك فما تقول أنت؟ فقال: ليس للإخوة من الأب والأُمّ ولا الإخوة من الأُمّ ولا الإخوة من الأب مع الأُمّ شيء، قال عمر بن أذينة: وسمعت من محمد بن مسلم يرويه مثل ما ذكر بكير المعنى سواء ولست أحفظه بحروفه وتفصيله إلا معناه، قال: فذكرت ذلك لزرارة فقال: صدقاً هو والله الحق.<sup>٢</sup>

١. الكافي ١٣/ ٥٧٩، ح ٤ (١٠١/ ٧).

٢. الكافي ١٣/ ٥٨١، ح ٥ (١٠٢/ ٧).

### رواها العياشي مختصراً في تفسيره.<sup>١</sup>

صحيحة أخرى لمحمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما تقول في امرأة ماتت وترك زوجها وإخوتها لأمها وإخوة وأخوات لأبيها؟ فقال: للزوج النصف ثلاثة أسهم ولإخوتها لأمها الثلث سهمان الذكر والأنثى فيه سواء، وبقي سهم فهو للإخوة والأخوات من الأب للذكر مثل حظ الأنثيين لأن السهام لا تعول وإن الزوج لا ينقص من النصف ولا الإخوة من الأم من ثلثهم لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ وإن كان واحداً فله السدس إنما عنى الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ إنما عنى بذلك الإخوة والأخوات من الأم خاصة، وقال: في آخر سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إن أمرؤاً هلك ليس له ولد وله أخت (يعني بذلك أختاً لأب وأم أو أختاً لأب) فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين وهم الذين يزدادون وينقصون قال: ولو أن امرأة تركت زوجها وأختها لأمها وأختها لأبيها كان للزوج النصف ثلاثة أسهم ولأختها لأمها الثلث سهمان ولأختها لأبيها السدس سهم وإن كانت واحدة فهو لها لأن الأختين من الأب لا يزدادون على ما بقي ولو كان أخ لأب لم يزد على ما بقي.<sup>٢</sup>

### ورواها العياشي مختصراً.<sup>٣</sup>

معتبرة رابعة لبكير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله رجل عن أختين وزوج فقال: النصف والنصف فقال الرجل: أصلحك الله قد سمى الله لهما أكثر من هذا لهما الثلثان فقال: ما تقول في أخ وزوج؟ فقال: النصف والنصف، فقال: أليس قد سمى الله المال

١. تفسير العياشي ١/٤٥٩، ح ٣١٧.

٢. الكافي ١٣/٥٨٤، ح ٦ (١٠٣/٧).

٣. تفسير العياشي ١/٤٥٨، ح ٣١٥.

فقال: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَا وَلَدٌ﴾.<sup>١</sup>

حسنة موسى بن بكير قال: قلت لزراعة: إن بكيراً حدثني عن أبي جعفر عليه السلام أن الإخوة للأب والأخوات للأب والأم يزدون وينقصون لأنهن لا يكن أكثر نصيباً من الإخوة والأخوات للأب والأم لو كانوا مكانهن لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنْ أَمْرُؤَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَا وَلَدٌ﴾ يقول: يرث جميع مالها إن لم يكن لها ولد فأعطوا من سمى الله له النصف كمالاً وعمدوا فأعطوا الذي سمى الله له المال كله أقل من النصف والمرأة لا تكون أبداً أكثر نصيباً من رجل لو كان مكانها، قال: فقال زُرارة: وهذا قائم عند أصحابنا لا يختلفون فيه.<sup>٢</sup>

عن بُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ قال: كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام، فدخل عليه رجلٌ، فقال: ما تقول في أختين وزوج؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: للزوج النصف، وللأختين ما بقي. قال: فقال الرجل: ليس هكذا يقول الناس. قال: فما يقولون؟ قال: يقولون: للأختين الثلثان، وللزوج النصف، ويقسمون على سبعة. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: ولم قالوا ذلك؟ قال: لأن الله سمى للأختين الثلثين، وللزوج النصف.

قال: فما يقولون لو كان مكان الأختين أخ؟ قال: يقولون للزوج النصف، وما بقي فللأخ. فقال له: فيعطون من أمر الله له بالكل النصف، ومن أمر الله بالثلثين أربعة من سبعة.

قال: وأين سمى الله له ذلك؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: اقرأ الآية التي في آخر السورة ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إِنْ أَمْرُؤَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ هَا وَلَدٌ﴾.

١. الكافي ١٣/ ٥٨٥، ح ٧ (١٠٣/٧).

٢. الكافي ١٣/ ٥٨٧، ح ٩ (١٠٤/٧).

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: فإنما كان ينبغي لهم أن يجعلوا لهذا المال للزوج النصف، ثم يقسموا على تسعة.

قال: فقال: الرجل: هكذا يقولون. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: فهكذا يقولون. ثم أقبل عليّ فقال: يا بُكر، نظرت في الفرائض؟ قال: قلتُ وما أصنع بشيء هو عندي باطل؟ قال: فقال: انظر فيها، فإنه إذا جاءت تلك كان أقوى لك عليها.<sup>١</sup>  
وعن حمزة بن حمران قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الكلالة، قال: ما لم يكن له والد ولا ولد.<sup>٢</sup>

قال الشعبي: اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الكلالة وقال أبو بكر: هو ما عدا الولد، وقال عمر: هو ما عدا الوالد.

ثم قال عمر: إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر.  
وقال عمر رضي الله عنه: لأن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينهنَّ لكان أحبَّ إلينا من الدنيا وما فيها، الكلالة والخلافة وأبواب الربا.<sup>٣</sup>

وهذا القول لا يصحُّ أبداً؛ لأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بينَ الثلاثة أتمَّ تبيين؛ لأنَّ ذلك من مفاد ما نطقت به الآية الشريفة من إكمال الدين وإتمام النعمة على المؤمنين؛ وتقوم الحجة على الجاحدين.  
وقال محمد بن سيرين: نزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسيره إلى حجة الوداع، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان [وإلى جنبه عمر] فبلغها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى حذيفة وبلغها حذيفة إلى عمر وهو يسير خلف حذيفة، فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها، فقال له حذيفة: والله إنك لأحمق أن ظننت أن إمارتك تحملني أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ لما لقانيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [والله، لا أزيدك عليها شيئاً أبداً] فقال عمر: لم أرد هذا رحمك الله، ثم قال عمر: من كنت بيتتها

١. تفسير العياشي ١/٤٥٧، ح ٣١٢.

٢. تفسير العياشي ١/٤٥٨، ح ٣١٣.

٣. تفسير الكشف والبيان ٣/٤٢١.

له فإنها لم تبين لي وما شهدك أفهمتها له فإنني لم أفهمها.<sup>١</sup>  
 وقال طارق بن شهاب: أخذ عمر كتفاً وجمع أصحاب النبي ﷺ، ثم قال:  
 لأقضيّن في الكلالة قضاءً تحدّث به النساء في خدورها فخرجت حينئذ حية من البيت  
 فتفرّقا، فقالوا: لو أراد الله أن يتم هذا الأمر لأتمته.<sup>٢</sup>  
 وخطب عمر الناس يوم الجمعة فقال: والله إنني ما أدع بعدي شيئاً هو أهم من  
 الكلالة، قد سألت رسول الله ﷺ عنها فما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها حتى  
 طعن الناس فيّ وقال: تكفيك الآية التي في آخر سورة النساء.<sup>٣</sup>  
 والروايات الأربعة الأخيرة كلّها عاميات تدلّ على أن الخليفان لم يفهما معنى الكلالة لاسيّما  
 الثاني منهما حتى آخر حياته.  
 وهل الذي لا يفهم معنى الكلالة يصلح أن يجلس مقام رسول الله ﷺ؟ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ  
 تَحْكُمُونَ﴾.<sup>٤</sup>

١. المصنّف لعبدالرزاق ١٠/٣٠٤، ح ١٩١٩٣ باختصار.

٢. تفسير الكشف والبيان ٣/٤٢٢.

٣. تفسير الطبري ٦/٥٨؛ تفسير الكشف والبيان ٣/٤٢٢؛ وتفسير ابن كثير ١/٥٩٤.

٤. سورة يونس / ٣٥.





# سُورَةُ الْمَائِدَةِ



سورة المائدة مدنيّة كلّها إلّا قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>١</sup> فإنّها نزلت في حجة الوداع وغدير خم.

بل قيل: آخر سورة نزلت المائدة وهي مائة وعشرون آية.

### فضلها

عن زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قال: قال عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه: نزلت المائدة قبل أن يُقبَضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بشهرين أو ثلاثة.<sup>٢</sup>

عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن عليٍّ عليه السلام، قال: كان القرآن يَنْسَخُ بعضُه بعضاً، وإنّا كان يُؤخَذُ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأخره، فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة، فنسخت ما قبلها، ولم يَنْسَخْها شيء، فلقد نزلت عليه وهو على بغلته الشَّهباء، وثقل عليها الوحي حتّى وقفت وتدلّى بطنها<sup>٣</sup>، حتّى رَأَيْتُ سُرَّتَهَا تَكَادُ تَمَسُّ الْأَرْضَ، وأُغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى وضع يده على ذُؤَابَةِ<sup>٤</sup> شيبه بن وهب الجُمَحِيِّ، ثم رُفِعَ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقرأ علينا سورة المائدة، فَعَمِلَ

---

١. سورة المائدة / ٣.

٢. تفسير العياشي ٣/ ٢، ح ١.

٣. أي استرسل إلى أسفل.

٤. الذُّؤَابَةُ، الناصية وهي شعر مُقَدَّم الرأس.

رسول الله ﷺ وعَمِلْنَا. ١

في خبر أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يَلِسْ إيمانه بظلم ولم يشرك [به] أبدا. ٢

روى مثلها في تفسير العياشي. ٣

عن أبي حمزة الثمالي قال: سَمِعْتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون ألف ملك. ٤

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول: جمع عمر بن الخطاب أصحاب النبي عليه السلام وفيهم علي عليه السلام وقال ما تقولون في المسح على الخفين؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يمسخ على الخفين، فقال علي عليه السلام: قبل المائدة أو بعدها؟ فقال: لا أدري، فقال علي عليه السلام: سبق الكتاب الخفين إنما أنزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة. ٥

عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: مَنْ قرأ سورة المائدة أُعْطِيَ من الأجر بعدد كلِّ يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات. ٦

وروى الكفعمي مثلها في المصباح. ٧

وحيث أُنْهَا آخر ما نزلت على رسول الله ﷺ فلها أهمية خاصة.

---

١. تفسير العياشي ٢/ ٣، ح ٢.

٢. ثواب الأعمال / ١٣١.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٤، ح ٣.

٤. مجمع البيان ٣/ ١٥٠.

٥. التهذيب ١/ ٣٦١، ح ٢١.

٦. مجمع البيان ٣/ ١٥٠؛ وروض الجنان ٦/ ٢١٤.

٧. المصباح / ٤٣٩.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مرّ تفسيرها في أوّل الحمد.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۖ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةٌ ءَلَّا نَعْمِرَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ  
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ تَحَكُّمٌ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١﴾

«خطاب من الله (تعالى) للمؤمنين المعترفين بوحدانيته تعالى المقرين له بالعبودية المصدقين لرسوله ﷺ في نبوته، وفيما جاء به من عند الله من شريعة الإسلام، أمرهم الله بإيفاء العقود وهي العهود التي عاهدوها مع الله وأوجبوا على أنفسهم حقوقاً، وألزموا نفوسهم بها فروضاً أمرهم الله تعالى بالإتمام بالوفاء والكمال لما لزمهم»<sup>١</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تفتح السورة بهذا الخطاب العام للمؤمنين الذين يؤمنون بالله ورسوله ﷺ.

﴿أَوْفُوا﴾ فعل امر وفاعله. مَادَّةٌ وَفَى «تَدُلُّ عَلَى أَخْذِ الشَّيْءِ وَافِيًا وَالْإِتْيَانُ بِهِ تَامًا لَا نَقْضَ فِيهِ»<sup>٢</sup>. والوفاء: القيام بمقتضى الشيء تاماً وتاماً.

﴿بِالْعُقُودِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَوْفُوا﴾. «العقد: العهد الموثق، وأصل العقد: الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال بينهما. والمراد بالعقود: كلّ ما عقد

١. التبيان ٣/ ٤١٤.

٢. مواهب الرحمن ١٠/ ٢٨١.

الله تعالى على عباده وألزمهم إياه من الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله وأوصيائه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والإتيان بفرائضه ورعايته حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه، وكل ما يعقده المؤمنون على أنفسهم لله وفيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات وغيرها.

والآية الشريفة تدل على وجوب الوفاء بجميع العقود، ومنها: البيوع والتجارات والمعاملات»<sup>١</sup>... «والآية الشريفة بإطلاقها تدل على وجوب الوفاء بالعقود والعهود الاجتماعية والاقتصادية. ومنها: المعاملات والبيوع والتجارات. وتدلل على صحة العقود والعهود والمعاملات بل تدل على وجوب الوفاء بها. وبالجملة: مضافاً إلى استفادة صحة العقود والعهود من الآية الشريفة، يستفاد منها وجوب الوفاء بها، يعني الالتزام وال لزوم والوفاء والإيفاء بالعقود والعهود. وهذا الأمر - المستفاد من هذه الآية - لا يُستفاد من الآيتين المذكورتين سابقاً، وهذا أمرٌ مهم. أي أنّ الوفاء بالعقود والعهود لازم لا يجوز تركه إلا بالدليل. يعني الآية تدل على لزوم البيع والمعاملات»<sup>٣</sup>.

﴿أُحِلَّتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، الإحلال: الإباحة.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُحِلَّتْ﴾ والضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿بِهَيْمَةٍ﴾ نائب فاعل. وهي في اللغة: الحيوان الذي لا نطق له لما في صوته من

الإبهام ولا يستعمل في الطير.<sup>٤</sup> «البهيمة: اسم جنس لكل ذات الأربع من دواب البرّ

١. الآراء الفقهية ١ / ١٤ للمؤلف.

٢. هما سورة البقرة / ٢٧٥ ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ وسورة النساء / ٢٩ ﴿تَجَرَّةً عَنْ تَرَاضٍ﴾. اللتان مرّ توضيحهما في كتاب الآراء الفقهية ١ / ١١ و ١٣.

٣. الآراء الفقهية ١ / ١٥.

٤. التفسير الكاشف ٦ / ٣.

والبحر، سمّيت بها لعدم تمييزها وإيهام الأمر عليها، والجمع بهائم وبهم<sup>١</sup>.  
﴿الْأَنْعَمِ﴾ مضاف إليه. وضافتها بيانية. والأنعام: جمع نعم وهي الدواب  
المعروفة.

والأنعام: هي الأبل والبقر والغنم والمعز الأهلية والوحشية والظباء والحمير  
والخيل.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿مَا﴾ موصولة في محل نصب مستثنى.  
﴿يُتْلَى﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».  
﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُتْلَى﴾. أي إلا ما حرّمه الله تعالى في كتابه كما  
في هذه الآية والآية الثالثة من هذه السورة وما ورد في السنة الشريفة.

﴿غَيْرَ﴾ حال من الضمير ﴿كُمْ﴾.  
﴿مُحَلٍّ﴾ مضاف إليه. أي ﴿غَيْرَ﴾ معتبره حلالاً.  
﴿الصَّيْدِ﴾ مضاف إليه ثان. مصدر بمعنى المفعول. أي يحرم عليكم هذا الذي  
حلال صيده إذا كنتم في حال الإحرام.  
﴿وَأَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿حُرْمٌ﴾ خبر، جمع حرام بمعنى المحرّم اسم فاعل.  
﴿إِنْ﴾ الحرف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهِ﴾ اسم ﴿إِنْ﴾.  
﴿تَحْكُمُ﴾ فعل مضارع وفاعله، والجملة الفعلية إلى آخر الآية خبر ﴿إِنْ﴾.  
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي «إن الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما  
يريد تحليله، وتحريم ما يريد تحريمه، وأيجاب ما يريد إيجابه. وغير ذلك من أحكامه

وقضاياه، فافعلوا ما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه»<sup>١</sup>.

### الروايات

صحیحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال: أي

بالعهود.<sup>٢</sup>

ونحوها في تفسير العياشي.<sup>٣</sup>

خبر ابن أبي عمير عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال: إن رسول الله ﷺ عقد عليهم لعلي عليه السلام بالخلافة في عشرة مواطن، ثم أنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ التي عقدت عليكم لأمر المؤمنين عليه السلام.<sup>٤</sup>  
صحیحة محمد بن مسلم قال: سألت أحدهما عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾. فقال: الجنين في بطن أمه إذا أشعر وأوبر فذكاته ذكاة أمه فذلك الذي عني الله ﷻ.<sup>٥</sup>

رواها العياشي<sup>٦</sup> والصدوق<sup>٧</sup> والشيخ<sup>٨</sup>.

عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، عن علي عليه السلام، قال: ليس في القرآن ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا وهي في التوراة، يا أيها

١. التبيان ٣/ ٤١٧.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٣٦، ح ١.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٤، ح ٥.

٤. تفسير القمي ١/ ٢٣٦، ح ٢.

٥. الكافي ١٢/ ١٨٢، ح ١ (٢٣٤/ ٦).

٦. تفسير العياشي ٢/ ٥، ح ١١.

٧. الفقيه ٣/ ٣٢٨، ح ٤١٧٥؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٢٤، ح ١.

٨. التهذيب ٩/ ٥٨، ح ٢٤٤.



## المساكين. ١.

روى نحوها في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ وصحيفة الرضا عليه السلام ٣.

عن جعفر بن أحمد، عن العَمَرَكِيِّ بن علي، عن عليّ بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى عليه السلام، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: ليس في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا وهي في التوراة: يا أيها المساكين. ٤

عن عِكْرَمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا ورأسها علي بن أبي طالب عليه السلام. ٥

عن عِكْرَمَةَ، عن ابن عباس، قال: ما نزلت ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا وعليّ عليه السلام شريفها وأميرها؛ ولقد عاتب الله أصحاب محمد عليه وآله السلام في غير مكان، وما ذَكَرَ عليّاً عليه السلام إِلَّا بخير. ٦

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ قال: هي الأَجَنَّةُ التي في بُطُونِ الْأَنْعَامِ، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر ببيع الأَجَنَّةِ. ٧  
عن وَهْبٍ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام: أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام سُئِلَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْفِيلِ وَالدَّبِّ وَالْقِرْدِ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ الَّتِي تُؤْكَلُ. ٨  
عن الْمُفَضَّلِ، قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ

١. تفسير العياشي ٢/ ٤، ح ٤.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٣٩، ح ١١٩.

٣. صحيفة الرضا عليه السلام / ٢٣٥، ح ١٣٦.

٤. تفسير العياشي ٢/ ٥، ح ٨.

٥. تفسير العياشي ٢/ ٤، ح ٦.

٦. تفسير العياشي ٢/ ٤، ح ٧.

٧. تفسير العياشي ٢/ ٥، ح ١٠.

٨. تفسير العياشي ٢/ ٥، ح ١٢.

﴿الْأَنْعَمِ﴾، قال: البهيمة هاهنا الولي، والأنعام: المؤمنون.<sup>١</sup>

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَى وَلَا الْفَلَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَنَّانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

جدد الله خطاب المؤمنين بما ينهاهم أن يحلوا ﴿شَعِيرَ اللَّهِ﴾ وحرمت الله وأن لا يضيعوا فرائضه وعليهم أن يراقبوا حدود الله من محرماته وواجباته.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تجديد خطاب للمؤمنين.

﴿لَا تَحْلُوا﴾ فعل نهي وفاعله. «الإحلال هو الإباحة الملازمة لعدم المبالاة بالحرمة والمنزلة، ويتعين معناه بحسب ما أضيف إليه: لإحلال شعائر الله عدم احترامها وتركها، وإحلال الشهر الحرام عدم حفظ حرمة والقتال فيه، هكذا»<sup>٢</sup>.

﴿شَعِيرَ﴾ مفعول به «جمع شعيرة وهي. على وزن فعيلة، واشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الأمر: إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، وإذا كان كذلك»<sup>٣</sup>.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. والإضافة تشريفية. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا﴾ زائدة للتأكيد. ﴿الشَّهْرَ﴾ معطوف على ﴿شَعِيرَ﴾.

١. تفسير العياشي ٥/٢، ح ١٣.

٢. الميزان ٥/١٦٢.

٣. التبيان ٣/٤١٩.

﴿الْحَرَامُ﴾ نعت. أي «لا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءكم من المشركين، كما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾»<sup>١</sup> ٢.

«وَالْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فِي الْإِسْلَامِ أَرْبَعَةٌ، واحد فرد وهو شهر رجب، وثلاثة سرد وهي ذوالقعدة، وذوالحجة، والمحرم<sup>٣</sup> الحرام. وإفراده في المقام لإرادة الجنس»<sup>٤</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة للتأكيد.

﴿الْهَدَى﴾ معطوف على ﴿شَعِيرٍ﴾. «الهدي جمع واحد هَذِيه وأصله هَذِيَة وهو ما هداه الإنسان من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك إلى بيت الله تقريباً به إلى الله (تعالى) وطلباً لثوابه يقول الله: لا تستحلوا ذلك فتغصبوه أهله عليه، ولا تحولوا بينهم وبين ما اهدوا من ذلك إلى بيت الله أن يبلغوه محلّه من الحرم، ولكن خلوهم حتى يبلغوا به المحلّ الذي جعله ﷻ له. وهو كعبته»<sup>٥</sup>.

﴿وَلَا أَلْقَيْدٍ﴾ حرف عطف وحرف زائد ومعطوف على ﴿شَعِيرٍ﴾.

﴿أَلْقَيْدٍ﴾ «جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي في عنقه من نعل ونحوه ليعلم أنه هدي للحج فلا يتعرض له»<sup>٦</sup>.

﴿وَ﴾ حرف عطف أو «واو» حالية.

﴿لَا﴾ ناهية، حذف معمولها اختصاراً: أي من قوم.

﴿ءَامِينَ﴾ معطوف على شعائر أو حال. «﴿ءَامِينَ﴾ جمع آم اسم فاعل من أم إذا

١. سورة البقرة / ٢١٧.

٢. التبيان / ٣ / ٤١٩.

٣. هذا هو الصواب المنصوص عليه في معجمات اللغة. بإضافة الألف واللام. أمّا ما شاع من تجزئته من هذين الحرفين بصورة (محرم) فهو خطأ شائن.

٤. مواهب الرحمن / ١٠ / ٢٩١.

٥. التبيان / ٣ / ٤١٩.

٦. الميزان / ٥ / ١٦٢.

قصد والمراد به القاصدون لزيارة<sup>١</sup>.

﴿الْبَيْتَ﴾ مفعول به اسم فاعل ﴿ءَامِينَ﴾. ﴿الْحَرَامَ﴾ نعت.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، الجملة الفعلية حال من قوم ﴿ءَامِينَ﴾ أو صفة لـ ﴿ءَامِينَ﴾. يبتغون أي يطلبون.

﴿فَضْلًا﴾ مفعول به. والفضل أعم من الأجر الأخروي والريح المالي.

﴿مِّن رَّيِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة محذوفة من ﴿فَضْلًا﴾.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿رِضْوَانًا﴾ معطوف على ﴿فَضْلًا﴾. أي يطلبون رضا الرب.

﴿و﴾ استئنافية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان مستقبل يتضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق

بجوابه.

﴿حَلَلْتُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. أي ﴿إِذَا﴾ خرجتم من الإحرام.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَصْطَادُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والأمر عَقِيبَ الحظر لا يدلّ على أزيد من الإباحة

- كما هو مقررٌ في موضِعِهِ - وَحَظُّهُ رَدُّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿غَيْرِ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿لَا تَجْرِمَنَّكُمْ﴾ فعلٌ نَهْيٌ و «نون» التأكيد الثقيلة ومفعول به. ﴿لَا تَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي

لا يحملنكم، جرمه: حملة، «الجريمة للمعصية محمولة من حيث وبأها وللعقوبة المالية

وغيرها لأنها محمولة على المجرم»<sup>٢</sup>. وأصله: القطع.

﴿شَتَّانُ﴾ فاعل، ﴿شَتَّانُ﴾: العداوة والبغض. ﴿قَوْمٍ﴾ مضاف إليه.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

١. الميزان ٥/ ١٦٢.

٢. الميزان ٥/ ١٦٢.

﴿صَدُّوكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعولٌ به. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ومابعدُها بتأويل مصدر في محل رفع بدل من ﴿شَقَّانُ﴾ أو عطف بيان له تقديره: صدَّهم إياكم. ويمكن أن يكون في محل نصب مفعولاً له.

﴿صَدُّوكُمْ﴾: منعوكم.

﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ جار ومجرور ونعت، متعلق بـ ﴿صَدُّوكُمْ﴾.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَعَتَّدُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ومابعدُها بتأويل مصدر مفعول به ثانٍ ﴿لَا تَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

معناه: «لا يحملنكم عدواة قوم وهو أن منعوكم» ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن تَعَتَّدُوا ﴿عليهم بعد ما أظهركم الله عليهم﴾<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿تَعَاوَنُوا﴾ فِعْلٌ أمرٌ وفاعله، «التعاون [كما تَدُلُّ عَلَيْهِ صِيغَةُ (تَفَاعَلَ)] غير الإعانة، التعاون عبارة عن اجتماع أشخاص لإيجاد أمر من المعصية أو الطاعة كعدم مسجد أو بنائه، ولذا ينسب الفعل إلى الجميع لا إلى الشخص الواحد، بخلاف الإعانة التي هي عبارة عن تهيئة مقدمات فعل الغير مع استقلاله في فعله، كإعطاء الخشب لمن أراد أن يصنع آلة لهو أو قمار. فبين الإعانة والتعاون بون بعيد، والآية الشريفة تدلُّ على حرمة التعاون على الإثم والعدوان، ولكن الإعانة غير التعاون فلا تدلُّ على حرمة الإعانة»<sup>٢</sup>.

﴿عَلَى الْبِرِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَعَاوَنُوا﴾، ومعنى ﴿الْبِرِّ﴾ معلوم.

﴿وَ﴾ عاطفة.

١. الميزان ٥/ ١٦٣.

٢. الآراء الفقهية ١/ ٢٠٠ للمؤلف.

﴿التَّقْوَى﴾ معطوف على ﴿الْبِرِّ﴾. و ﴿التَّقْوَى﴾ هي مراقبة الله في أوامره ونواهيه، وهذه الجملة أسست سنة إسلامية مهمة جداً وهي سنة التعاون ﴿عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَعَاوُنُوا﴾ فعل نهي وفاعله.

﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَعَاوُنُوا﴾ الإثم: الذنب والمعصية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْعُدْوَنِ﴾ معطوف على ﴿الْإِثْمِ﴾. ﴿الْعُدْوَنِ﴾: «التعدي على حقوق الناس

ألحقه بسلب الأمن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿اللَّهِ﴾ مفعول به.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهِ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿شَدِيدٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿الْعِقَابِ﴾ مضاف إليه. تعليل لما سبق من الأمر بالتقوى ومراعاة أحكام الله

وحدوده. أو تأكيد بعد تأكيد.

### شأن نزولها

قال الشيخ أبو الفتوح الرازي مانصه بالفارسية: «آيت در حطم آمد و اين لقب مردی است نام او شريح بن ضبيعة بن هند بن سُرخبيل. و قصه او آن بود كه او به مدينه آمد و جماعتی كه با او بودند ایشان را بيرون مدينه رها كرد و او تنها در مدينه رفت و به نزديك رسول شد و گفت: إلى ما تدْعُوا؟ تو مردمان را با چه دعوت می کنی؟ رسول ﷺ گفت: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة» با آن كه گواهی دهند كه خدای یكى است و نماز كنند و زكات مال بدهند. او گفت:

این نیکوست که تو گفתי جز که مرا امیرانی هستند که من بی استطاع رأی ایشان کاری نکنم به ایشان مشورت کنم و باز آیم. و همانا باشد که ایشان را با خود بیارم و رسول ﷺ پیش از آن که او درآمد، اصحابان را گفته بود: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ رِبْعَةٍ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ». مردی از ربعه درآمد و به زبان شیطان سخن گوید. چون برون رفت رسول ﷺ [گفت] «دَخَلَ بَوَجهِ كَافِرٍ وَخَرَجَ بِعَقِبِي غَادِرٍ وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ، گفت: این مرد به روی کافری درآمد و به عقب و عاقبت غادری می رود؛ این مرد مسلمان نیست. چون بیرون رفت به گله مدینه بگذشت. گله براند و این بیت ها رجز می گفت:

بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ      بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالزَّمْ  
خَدَلَجُ السَّاقِينَ خَفَاقُ الْقَدَمِ      قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمِ  
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ      وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمِ  
هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّي زَيْمِ

چون سال دیگر بود به حج آمد با حاجیان بکر بن وایل از یمامه و تجارتی بسیار و مالی عظیم با او بود. مسلمانان گفتند: حطم اینک! و مال بسیار با خود دارد رها کن ما را تا او را بکشیم و مال او به عوض چهارپای خود برداریم. رسول ﷺ [گفت]: روا نباشد که او در حرم است و ماه ماه حرام است و او هدی آورده است و تقلید کرده روا نباشد. گفتند: ای رسول الله! ما در جاهلیت چنین بسیار کرده ایم. خدای تعالی این آیت فرستاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾؛ ای آنان که ایمان آورده اید حلال مدارید شعایر خدای<sup>۲</sup>.

۱. هذه الأبيات لشاعرٍ عربيٍّ قديمٍ وقد تمثَّلَ بها الحجاجُ بْنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيُّ لَعَنَهُ اللهُ عندَ صُعودِهِ المُنْبَرِ في العراقِ وَقَتَلَ من كان من المسلمين في المسجد الأعظم والحكاية مشهورةٌ في كُتُبِ التاريخ.  
۲. روض الجنان ۶/ ۲۲۳ و ۲۲۴.

### روايتان

خبر موسى بن بكر بن دابٍ عمَّن حدّثه عن أبي جعفر عليه السلام أنّ زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام دخل على أبي جعفر محمّد بن عليّ ومعه كتب من أهل الكوفة يدعونه فيها إلى أنفسهم ويخبرونه باجتماعهم ويأمرونه بالخروج، فقال له أبو جعفر عليه السلام : هذه الكتب ابتداء منهم، أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه؟ فقال: بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقنا وبقربتنا من رسول الله ﷺ ولما يجدون في كتاب الله ﷻ من وجوب مودّتنا وفرض طاعتنا، ولما نحن فيه من الضيق والظنك والبلاء، فقال له أبو جعفر عليه السلام ، إنّ الطاعة مفروضة من الله ﷻ وسنة أمضاها في الأوّلين وكذلك يجريها في الآخرين والطاعة لواحد منّا والمودة للجميع، وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول، وقضاء مفصول، وحتم مقضيّ وقدر مقدور، وأجل مسمّى لوقت معلوم، فلا يستخفّنك الذين لا يوقنون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فلا نعجل، فإنّ الله لا يعجل لعجلة العباد ولا تسبقنّ الله فتعجزك البليّة فتصرعك، قال: فغضب زيد عند ذلك، ثمّ قال: ليس الإمام منّا من جلس في بيته وأرخى سترة وثبط عن الجهاد ولكنّ الإمام منّا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده ودفع عن رعيّته وذبّ عن حريمه، قال أبو جعفر عليه السلام : هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً ممّا نسبتها إليه فتجيء عليه بشاهد من كتاب الله أو حجة من رسول الله ﷺ أو تضرب به مثلاً، فإنّ الله ﷻ أحلّ حلالاً وحرم حراماً وفرض فرائض وضرب أمثالاً وسنّ سنناً ولم يجعل الإمام القائم بأمره شبهة فيما فرض له من الطّاعة أن يسبقه بأمر قبل محله، أو يجاهد فيه قبل حلوله، وقد قال الله ﷻ في الصيد: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾<sup>١</sup> أفقتل الصيد أعظم أم قتل النفس التي حرم الله. وجعل لكلّ شيء محلاً وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ



فَاصْطَبَاذُوا<sup>١</sup> وقال ﷺ: ﴿لَا تُحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾<sup>٢</sup> فجعل الشهور عدّة معلومة فجعل منها أربعة حرماً وقال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلَمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾<sup>٣</sup>، ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾<sup>٤</sup> فجعل لذلك محلاً وقال: ﴿وَلَا تَعَزِّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾<sup>٥</sup> فجعل لكل شيء محلاً ولكل أجل كتاباً. فَإِنْ كُنْتَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَبِقِيْنٍ مِنْ أَمْرِكَ وَتَبَيَّنَ مِنْ شَأْنِكَ، فَشَأْنُكَ وَإِلَّا فَلَا تَرُومَنَّ<sup>٦</sup> أمراً أَنْتَ مِنْهُ فِي شَكٍّ وَشَبْهَةٍ، وَلَا تَتَعَاطَى زَوَالَ مَلِكٍ لَمْ يَنْقُضْ أَكْلَهُ، وَلَمْ يَنْقُطِعْ مَدَاهُ، وَلَمْ يَبْلُغِ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فَلَوْ قَدْ بَلَغَ مَدَاهُ وَانْقَطَعَ أَكْلُهُ وَبَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، لَأَنْقَطَعَ الْفَصْلُ وَتَتَابَعَ النِّظَامُ وَلَأَعْقَبَ اللَّهُ فِي التَّابِعِ وَالتَّبَوُّعِ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ إِمَامٍ ضَلَّ عَنْ وَقْتِهِ، فَكَانَ التَّابِعُ فِيهِ أَعْلَمَ مِنَ الْمَتَّبِعِ، أُرِيدُ يَا أَخِي أَنْ تَحْيِيَ مِلَّةَ قَوْمٍ قَدْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَعَصَوْا رَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ وَادَّعَوْا الْخِلَافَةَ بِلَا بَرَهَانٍ مِنَ اللَّهِ وَلَا عَهْدٍ مِنْ رَسُولِهِ؟! أَعْيِذُكَ بِاللَّهِ يَا أَخِي أَنْ تَكُونَ غَدَاً الْمَصْلُوبَ الْكَنَاسَةَ.

ثُمَّ أَرَفَضْتُ عَيْنَاهُ وَسَأَلْتُ دَمُوعَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ هَتَكَ سِتْرَنَا وَجَحَدَنَا حَقّاً وَأَفْشَى سِرّاً وَنَسَبَنَا إِلَى غَيْرِ جَدِّنَا وَقَالَ فِينَا مَا لَمْ نَقْلُهُ فِي أَنْفُسِنَا<sup>٧</sup>.

وروا مختصرها في تفسير العياشي<sup>٨</sup>.

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: لم ينسخ منها (أي من هذه الآية) شيء، لأنه لا يجوز

١. سورة المائدة / ٢.

٢. سورة المائدة / ٢.

٣. سورة التوبة / ٢.

٤. سورة التوبة / ٥.

٥. سورة البقرة / ٢٣٦.

٦. فَلَا تَرُومَنَّ: أي لا تطلبين.

٧. الكافي ٢/ ٢٠٦، ح ١٦ (١/ ٣٥٦).

٨. تفسير العياشي ٢/ ٦، ح ١٤.

أن يبتدأ المشركون في أشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا.١

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ  
وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى  
النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ۚ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ  
دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ۗ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ  
نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ  
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

«بعد ما أحل سبحانه وتعالى بهيمة الأنعام وأسس قواعد النظام العام، وأمر بالتعاون لحفظ الاجتماع من الضياع وتحقيق السعادة، ذكر تعالى في هذه الآية الشريفة الأمور التي استثناهَا أنفًا من الحكم العامِّ ممَّا وعد بتلاوتها في القرآن الكريم، وهي عشرة أشياء، وأحلَّها في حال الاضطرار والمخمصة.

ثم بيَّن ﷺ أنَّ هذا الدين قد كمل بتشريع أحكامه وتأسيس دعائمه وأركانه، فأخبر سبحانه وتعالى بأنَّه قد أتمَّ نعمته على المؤمنين أن نصَّب عليهم من يحفظ لهم دينهم ويقيم شعائره وأحكامه، فرضي لهم الإسلام ديناً ومنهجاً قوياً ليس له بديل، بل لا يسعهم غيره؛ لأنَّه لم ينقصه شيء فليطمئن المؤمنون بأنَّه لا يصيب هذا الدين أذى من أعدائه - الذين ما برحوا في تقويض أركانه وهدم كيانه - فلا تخشوهم، بل لابد أن تكون الخشية من الله العزيز المتعال باتِّباع تعاليمه وطاعة مَنْ نصبه ﷺ هادياً لهم يهديهم بأمره جلَّ شأنه، فإنَّ الله غفور رحيم، يغفر لهم ذنوبهم ويرحمهم برحمته،

فيدفع عنهم كيد الأعداء وصوارف الزمان، ودواهي الأشرار والفجّار»<sup>١</sup>.  
 ﴿حُرِّمَتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول. بيان لقوله تعالى ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾<sup>٢</sup>.  
 ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حُرِّمَتْ﴾.  
 ﴿الْمَيْتَةِ﴾ نائب فاعل. ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿الْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيِرِ﴾ معطوفان بواوي العطف على ﴿الْمَيْتَةِ﴾ ومضاف إليه.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة في محل رفع معطوفة على ﴿الْمَيْتَةِ﴾.  
 ﴿أَهْلٍ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر. الالهلال: رفع الصوت والمراد به ذكر ما يذبح له للإصنام بل ما سوى الله تعالى.  
 ﴿لِغَيْرِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَهْلٍ﴾. ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه.  
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَهْلٍ﴾.

«هذه الأربعة مذكورة فيما نزل من القرآن قبل هذه السورة كسورتي الأنعام والنحل وهما مكّيتان، وسورة البقرة وهي أول سورة مفصلة نازلة بالمدينة قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزْيِرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>٣</sup> وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>٤</sup>.

والآيات جميعاً - كما ترى - تحرّم هذه الأربعة المذكورة في صدر هذه الآية وتماثل الآية أيضاً في الاستثناء الواقع في ذيلها بقوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ

١. مواهب الرحمن ١٠ / ٣٣٠.

٢. سورة المائدة / ١.

٣. سورة الأنعام / ١٤٥.

٤. سورة البقرة / ١٧٣.

لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فَأَيَّةُ الْمَائِدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الْمَشْرُوكَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تِلْكَ مُؤَكَّدَةٌ لِتِلْكَ الْآيَاتِ.

بل النهي عنها وخاصة عن الثلاثة الأول أعني الميتة والدم ولحم الخنزير أسبق تشريعاً من نزول سورتي الأنعام والنحل المكيّتين، فإن آية الأنعام تعلل تحريم الثلاثة أو خصوص لحم الخنزير بأنه رجس، فتدل على تحريم أكل الرجز، وقد قال تعالى في سورة المدثر وهي من السور النازلة في أول البعثة: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾<sup>١</sup>.

وكذلك ما عدّه تعالى بقوله ﴿وَالْمُنْخَبِقَةَ وَالْمَوْقُودَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيطَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ جميعاً من مصاديق الميتة بدليل قوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ فإنما ذكرت في الآية لنوع عناية بتوضيح أفراد الميتة ومزيد بيان للمحرمات من الأطعمة من غير أن تتضمن الآية فيها على تشريع حديث.

وكذلك ما عدّه الله تعالى بقوله ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ فَإِنَّهُمَا وَإِنْ كَانَا أَوَّلَ مَا ذُكِرَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَكِنَّهُ تَعَالَى عِلَلُ تَحْرِيمِهَا أَوْ تَحْرِيمِ الثَّانِي مِنْهُمَا - عَلَى احْتِمَالٍ ضَعِيفٍ - بِالْفِسْقِ، وَقَدْ حَرَّمَ الْفِسْقُ فِي آيَةِ الْأَنْعَامِ، وَكَذَا قَوْلُهُ ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ مَا ذُكِرَ فِي الْآيَةِ لَكُونِهِ إِثْمًا، وَقَدْ دَلَّتْ آيَةُ الْبَقَرَةِ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِثْمِ، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾<sup>٢</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾<sup>٣</sup>.

فقد اتضح وبأن أن الآية لا تشتمل فيما عدته من المحرمات على أمر جديد غير مسبوق بالتحريم فيما تقدم عليها من الآيات المكية أو المدينة المتضمنة تعداد محرمات الأطعمة من اللحوم ونحوها<sup>٤</sup>.

١. سورة المدثر / ٥.

٢. سورة الأنعام / ١٢٠.

٣. سورة الأعراف / ٣٣.

٤. الميزان ٥/ ١٦٣ و ١٦٤.

﴿وَ﴾ عاطفة ومابعدا بيان لمصاديق الميتة التي حرّمت في الشرع وهي خمسة:

﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾ معطوفة على ﴿الْمَيْتَةُ﴾، والمراد بها: «ما مات خنقاً، والخنق حبس النفس بأي سبب كان اختياراً من الفعل الإنسان أو غير اختياري، كما إذ وقعت في الماء أو أدخلت رأسها بين خشبتين ونحو ذلك ممّا يوجب زهوق الروح.

والتأنيث هنا وفي الميتة لأنّهما وصف لبهيمة الأنعام»<sup>١</sup>.

﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾ معطوفة. وهي التي تضرب بعصاً أو نحوها حتّى تموت.

﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾ معطوفة. وهي التي تردت أي سقطت من مكان عالٍ كشاهق جبل أو بئر ونحوهما.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ معطوفة، فعيل بمعنى مفعول. وهي التي تموت عن نطح حيوان آخر أي تنطحها أخرى.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ أي ما تبقى من فريسة الحيوان المفترس. والسبع: اسم جنس يشمل كلّ وحشٍ ضارٍ يَعْدُو<sup>٢</sup> على الإنسان وغيره أو يفترسها كالأسد والنمر والذئب ونحوها.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، والاستثناء يرجع إلى جميع الخمسة الماضية من مصاديق الميتة قبل زهاق روحهنّ بل يرجع إلى جميع ما تقدم ذكره إلّا ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم كما ذهب إليه أمير المؤمنين على عليه السلام<sup>٣</sup>.

﴿مَا﴾ موصولة في محل نصب مستثنى.

﴿ذَكَيْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. التذكية: هي فري الأوداج الأربعة على الحيوان الحي ولو كانت حياته غير مستقرة وتعرف حياته بحركة ذنب أو أثر تنفس أو حركة

١. مواهب الرحمن ١٠ / ٣٣٤.

٢. مِنَ الْعَدُوِّ وَهُوَ تَجَاوُزُ الْحُدُودِ فِي الظُّلْمِ وَالْإِعْتِدَاءِ.

٣. كما ورد في التبيان ٣ / ٤٣١.

عين أو نحوها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة.

﴿ذُبِحَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر.

﴿عَلَى النَّصْبِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ذُبِحَ﴾. ﴿النَّصْبِ﴾ جمع نصب وهي حجارة نُصِبَتْ وَعُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ويدبحون لها وعليها، وأهل الجاهلية يعظمونها ويقدسونها وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة والنصب غير مصورة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنْ﴾ مصدرية.

﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. الاستقسام هو طلب القسمة، والقسمة: افراز النصيب. فالمراد بها هنا: قسمة اللحم بما يأتي.

﴿بِالْأَزْلَمِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾. ﴿الْأَزْلَمِ﴾ جمع زلام وهي القداح التي لا ريش لها.

«والاستقسام بالأزلام في المقام هو طلب النصيب من الجزور بضرب القداح، وذلك أنهم كانوا يعمدون على الجزور فيجزئونه عشرة أجزاء ثم يجمعون عليه فَيُخْرِجُونَ السَّهَامَ فيدفعونها إلى رَجُلٍ.

والسهام: عشرة، سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة أغفال لا انصباء لها (خال من الكتابة)، وكانوا يضربون بها مقامرة، ولذا جعل ﷻ القسمة بها ميسراً، وقد تقدّم في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾<sup>١</sup> بعض الكلام<sup>٢</sup>. ويأتي تفصيله في صحيحة أبان بن تغلب الآتية.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، «يحتمل الإشارة إلى جميع المذكورات، والإشارة إلى الأخيرين

١. سورة البقرة / ٢١٩.

٢. مواهب الرحمن ١٠ / ٢٣٨.

المذكورين بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ لحيلولة الاستثناء، والاشارة إلى الأخير<sup>١</sup>، والأوّل خير الثلاثة عندي.

﴿فَسَقُّ﴾ خبر.

﴿آيَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلّق بـ ﴿يَيْسَ﴾ ما بعده ولليوم اطلاقات مختلفة والمراد به هنا اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١٠ هـ يوم العيد الغدير وهو يوم إعلان نصب أمير المؤمنين علي عليه السلام بالخلافة والإمامة والوصاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبيعة الناس بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله معه عليه السلام كما ورد «عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام أَنَّ الآية نزلت بعد أن نصب النبي صلى الله عليه وآله علياً علماً للأمة يوم غدير خم [بعد] منصرفه عن حجة الوداع»<sup>٢</sup>.

من هنا إلى ﴿الْإِسْلَمَ﴾ كلام معترض وُضع في وسط هذه الآية الشريفة وهذا اسلوباً خاصاً بالقرآن الكريم أنّه إذا أراد بيان أمور مهمة أدرجها في ضمن غيرها نحو آية التطهير الواردة في ضمن الآيات النازلة في شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله حالكونها لا تتعلق بهنّ أبداً كما هو المعلوم.

والشاهد على ذلك الروايات الواردة في سبب نزولها تختص بهذا الكلام من دون التعرض إلى صدر الآية وذيلها.

﴿يَيْسَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿كَفَرُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿مِنْ دِينِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَيْسَ﴾.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿لَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فعل نهي وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى المؤمنين والمفعولي يرجع إلى الكافرين. «بمعنى ارتفاع الموجب عن الخشية [منهم] بعد

١. الميزان ٥/ ١٦٧.

٢. التبيان ٣/ ٤٣٥.

يأس الذين كفروا من التعرّض لدينكم»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَخْشَوْنَ﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية والضمير المفعولي «ي» محذوف وجعل بدله الكسرة تحت «ن».

﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلّق بـ ﴿أَكْمَلْتُ﴾ مابعد. «ال» للعهد الذهني إشارة إلى ما وقعت في يوم العيد الغدير.

﴿أَكْمَلْتُ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَكْمَلْتُ﴾.

﴿دِينَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه، الإكمال يكون بولاية أمير المؤمنين ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَتَمَّمْتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَتَمَّمْتُ﴾.

﴿نِعْمَتِي﴾ مفعول به ومضاف إليه والإتمام يكون بولاية أمير المؤمنين ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَضِيتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿رَضِيتُ﴾.

﴿الْإِسْلَامَ﴾ مفعول به، و﴿الْإِسْلَامَ﴾ هو مجموع ما نُزل من عند الله لعباده.

﴿دِينًا﴾ تمييز. ورضاية الرب بدين الإسلام تكون بولاية أمير المؤمنين ﷺ.

كما ورد في صحيحة محمد بن مسلم، عن أبي جعفر ﷺ قال: آخر فريضة أنزلها

الله الولاية، ثمّ لم ينزل بعدها فريضة، ثمّ [أ] نزل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بكراع الغميم<sup>٢</sup>.

١. مواهب الرحمن ١٠/٣٥٢.

٢. موضع بناحية الحجاز بين مكّة والمدينة، وهو واد أمام عسفان بثانية أميال. معجم البلدان ٤/٤٤٣.



فأقامها رسول الله ﷺ بالجحفة<sup>١</sup>، فلم ينزل بعدها فريضة<sup>٢</sup>.  
 الاحتمالات المذكورة في تفاسير العامة في سبب إكمال الدين خمسة كلها  
 مردودة: «الأول: أن يكون المراد به إكمال أمر الحج بحضور النبي ﷺ بنفسه  
 الشريفة وتعليمه الناس تعليماً قولياً وعملياً في آن واحد.

وفيه: أن حضوره ﷺ في الحج وإكماله بتشريع الأحكام، فيه كمال للحج فقط  
 لا للدين كله وإتمام للنعمة، فإن كل حكم إلهي بحدّ نفسه كمال ونعمة عظيمة، كما ورد  
 في قوله تعالى عند تشريع الوضوء والتميم: ﴿وَلْيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾<sup>٣</sup>، إلا أن ظاهر الآية  
 المباركة في المقام أن ما شرّعه ﷺ من الحكم في هذا اليوم يكون موجباً لكمال الدين كله  
 وسبباً لانقطاع رجاء الكفار، مضافاً إلى ذلك أن تشريع الحج لم يكن موجباً لا يثاس  
 الكفار وانقطاع الرجاء عن هذا الدين كما هو معلوم، فتقطع الرابطة بين الجملتين،  
 وهو خلاف ظاهر الآية الشريفة.

الثاني: أن يكون المراد به إكمال الدين بنزول بقايا الحلال والحرام في هذا اليوم  
 فلا حلال بعده ولا حرام، وبه استولى اليأس على الكفار وانقطع رجاءهم عن هذا  
 الدين.

وفيه: مضافاً إلى ما أُورد على سابقه، أن الأحكام لم تكمل يوم عرفة، فقد نزلت  
 بعده عدّة أحكام كآية الصيف وآيات الربا، كما دلّت عليه جملة من الأخبار.

مع أن الكفار الذين انقطع رجاءهم واستولى اليأس على نفوسهم، هل هم  
 مُشْرِكُو قُرَيْشٍ؟ فقد كانوا كذلك قبل نزول هذه الآية المباركة، أم مشركو العرب؟ فقد  
 خابوا عند نزول سورة براءة، أم الكفار مطلقاً من غيرهم؟ وقد عرفت أنهم لم يكونوا

١. قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة، بينها وبين غدِير خَمٍّ ميلان. معجم البلدان ١١١/٢.

٢. تفسير القمي ١/٢٣٩، ح ٣.

٣. سورة المائدة/٦.

آيسين يومئذٍ من الظهور من المسلمين.

الثالث: أن يكون المراد به إكمال الدين بتخليص بيت الله الحرام من رجس الوثنيّة، وبرائن الشرك، وإجلاء المشركين عنه وخلوصه لعبادة الله الواحد الأحد. وفيه: أن الأمر كان كذلك بعد فتح مكّة قبل هذا اليوم بستتين، يضاف إلى ذلك أن تسمية مثل ذلك كمالاً للدين وإن كان فيه إتمام للنعمة مشكل، فإنّ الدين مجموعة من الاعتقادات والتوجيهات والإرشادات القيّمة التي توجّه الإنسان إلى الصراط المستقيم، وتعدّه إعداداً علمياً وعملياً وعقائدياً لنيل الكمالات الواقعيّة، وليس في فتح مكّة من الأهميّة العظمى التي يكون بها إكمالاً للدين كلّ، وإن كان له أهميّة من النواحي الأخرى التي لا يستهان بها كما هو معلوم.

على أن إشكال يأس الكفّار يأتي في هذا الاحتمال أيضاً، كما هو واضح. الرابع: أن يكون المراد به إكمال الدين ببيان المحرّمات بياناً تفصيلياً، بعد أن ذُكرت على سبيل الإجمال في بعض السور المكّيّة، لئلاّ ينفر العرب من هذا الدين، ويمتنعوا عن قبوله، وليكون المسلمون على بصيرة منها فيجتنبوا عنها من علم ومعرفة واطمئنان من دون خشية من الكفّار، فإنّهم يئسوا من هذا الدّين بعد إغزاره وظهور الدين كلّ، فالمراد من اليوم هو يوم عرفة التي نزلت فيه هذه الآية الشريفة التي بيّنت هذه الأحكام، وأبطلت بها سنن الجاهليّة، وهدم صرح الشرك بالبشارة بغلبة المسلمين، وظهورهم على المشركين ظهوراً تامّاً، وعدم الخشية منهم، فإنّهم يئسوا من إزالة هذا الدين، فأبدل الله تعالى خوف المؤمنين أمناً وضعفهم قوّة وفقرهم غنى، فالأجدر بالمسلمين أن يتوجّهوا إلى العمل بالأحكام في أمن وأمان، فلا يبالوا بالكفّار ولا إلى قوّتهم، ولا يخافوهم على دينهم ولا على أنفسهم.

ويرد عليه: ما أورد على سوابقه، مضافاً إلى أن التدرّج في المقام ليس كالتدرّج في آيات الخمر، فإنّ هذه الآية المباركة لم تأت بحكم جديد، إضافة إلى ما ورد من

التحريم في سورة البقرة والأنعام والنحل، إلا أن في المقام شرحاً للميتة ببيان أفرادها، فإن أريد من التدريج خوفاً من امتناع الناس عن قبول هذا المعنى، فهو غير وجيه، إذ أن هذه المحرمات ذكرت في غير موضع واحد.

على أن تشريع حكم واحد مثل هذا الذي ورد في الآية الكريمة، وإن كان كما لا في حد نفسه وتاماً للنعمة، لكنه لم يكن كما لا كله - كما عرفت - كما هو شأن بقية الأحكام الإلهية التي شرعت في أوقات متعددة، فلم يرد فيها مثل ما ورد في ما شرعه الله تعالى في هذا اليوم بأنه كمال للدين وإتمام للنعمة العظيمة، وأنه سبب لإيثاس الكفار من هذا الدين، وأن به رضا الله تعالى أن يكون الإسلام ديناً إلى يوم القيامة.

الخامس: أن يكون المراد بإكمال الدين هو سد باب التشريع، فلم ينزل حكماً آخر بعد نزول هذه الآية في يوم عرفة.

وفيه: أنه لم ينسد باب التشريع عند نزول هذه الآية الشريفة في هذا اليوم كما عرفت مكرراً، فقد شرعت أحكام كثيرة بعدها أيضاً<sup>١</sup>. ﴿فَ﴾ استثنائية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره. ﴿أَضْطُرُّ﴾ فعل ماض مبني للمجهول في محلّ جزم لأنه فعل الشرط ونائب فاعله ضمير مستتر. والاضطرار: الوقوع في الضرورة. بيان للحكم الثانوي الاضطراري وهو إباحة ما ورد في الصدر من المحرمات في حال الاضطرار.

﴿فِي مَحَبَّةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَضْطُرُّ﴾. المخصصة: المجاعة التي تورث خنص البطن وضموره بحيث يخاف معها الموت. ﴿غَيْرَ﴾ حال.

١. مواهب الرحمن ١٠ / (٣٤٨-٣٤٦).

﴿مُتَجَانِفٍ﴾ مضاف إليه. التجانف: التمايل والجنف: الميل والانحراف.  
 ﴿لِإِثْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُتَجَانِفٍ﴾. أي: عدم تجاوز الحدِّ عمّا يوجب  
 رفع الضرورة لأنّ التجاوز عنه يكون اثماً لتقدّر الضرورات بقدرها.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط والجملة الآتية جواب الشرط في محل جزم.  
 ﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.  
 ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبراً ﴿إِنَّ﴾. أي: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لجعل حكم إباحة الاضطرار  
 والحكم ناش عن رحمته، فالمغفرة تتعلقان بالحكم الذي يستتبع مخالفته عنوان المعصية  
 التي تستتبع العقاب.

### الروايات

أذكر روايات صدر الآية أولاً ثم روايات إيثاس الكفار وإكمال الدين وإتمام  
 النعمة وإرضاء الربّ الإسلام ديناً من طريق العامة فقط تتميّماً للاستدلال لخلافة  
 أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من دون واسطة.  
 خبر الوشاء أو حسنته قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: النطيحة والمتردية وما  
 أكل السبع إذا أدركت ذكاته فكل. ١  
 خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تأكل من فريسة السبع ولا الموقودة  
 ولا المتردية إلا أن تدركها حيّة فتذكي. ٢  
 خبر مفضل بن عمر وغيره، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني جعلت فداك  
 لم حرم الله تبارك وتعالى الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ فقال: إنّ الله سبحانه  
 وتعالى لم يحرم ذلك على عباده وأحلّ لهم سواه رغبةً منه فيما حرم عليهم ولا زهداً فيما

١. الكافي ١٢/١٨٤، ح ١ (٢٣٥/٦).

٢. الكافي ١٢/١٨٥، ح ٢ (٢٣٥/٦).

أَحَلَّ لَهُمْ وَلَكِنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَعَلَّمَكَ مَا تَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ وَمَا يَصْلَحُهُمْ فَأَحَلَّهُ لَهُمْ وَأَبَاحَهُ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَصْلَحَتِهِمْ وَعَلَّمَ مَا يَضُرُّ [هُمْ] فَنَهَايَهُمْ عَنْهُ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ أَبَاحَهُ لِلْمُضْطَرِّ وَأَحَلَّهُ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقُومُ بَدَنُهُ إِلَّا بِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ بِقَدْرِ الْبُلْغَةِ لَا غَيْرَ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الْمَيِّتَةُ فَإِنَّهُ لَا يَدْمِنُهَا أَحَدٌ إِلَّا ضَعْفَ بَدَنِهِ وَنَحَلَ جِسْمَهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَانْقَطَعَ نَسْلُهُ وَلَا يَمُوتُ أَكَلَ الْمَيِّتَةَ إِلَّا فَجْأَةً.

وَأَمَّا الدَّمُ فَإِنَّهُ يَوْرَثُ أَكْلَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ وَيَبْخُرُ الْفَمُ، وَيَنْتِنُ الرِّيحُ، وَيَسِيءُ الْخَلْقُ، وَيَوْرَثُ الْكَلْبُ وَالْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ، وَقَلَّةُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةُ حَتَّى لَا يُؤْمِنُ أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَهُ وَوَالِدِيهِ وَلَا يُؤْمِنُ عَلَى حَمِيمِهِ وَلَا يُؤْمِنُ عَلَى مَنْ يَصْحَبُهُ.

وَأَمَّا لَحْمُ الْخَنْزِيرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَسَخَ قَوْمًا فِي صُورِ شَتَّى شَبهِ الْخَنْزِيرِ وَالْقَرْدِ وَالذُّبِّ وَمَا كَانَ مِنَ الْمَسْخُوحِ ثُمَّ نَهَى عَنْ أَكْلِهِ لِلْمِثْلَةِ لِكَيْلَا يَنْتَفِعَ [النَّاسُ] بِهَا وَلَا يَسْتَخَفَّ بِعَقُوبَتِهَا.

وَأَمَّا الْخَمْرُ فَإِنَّهُ حَرَّمَهَا لِفَعْلِهَا وَلِفَسَادِهَا وَقَالَ: مَدَمَنْ الْخَمْرُ كَعَابِدٍ وَثَنَ، تَوَرَّثَهُ الْارْتِعَاشُ، وَتَذَهَبَ بَنُورُهُ، وَتَهْدَمُ مَرْوَعَتُهُ وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَجْسِرَ عَلَى الْمَحَارِمِ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ وَرُكُوبِ الزَّانَا فَلَا يُؤْمِنُ إِذَا سَكَرَ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى حَرَمِهِ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ ذَلِكَ، وَالْخَمْرُ لَا يَزِدَادُ شَارَهَا إِلَّا كُلَّ سُوءٍ.<sup>١</sup>

رواها العياشي في تفسيره.<sup>٢</sup>

عن عبيد بن قُريظ، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾. قال: التي تختنق في رباطها، ﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾ المريضة التي لا تجد ألم الذبح، ولا تضطرب، ولا يخرج لها دم، ﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾ التي تردى من فوق بيت أو نحوه

١. الكافي ١٢/٢٤٢، ح ١ (٢٤٢/٦).

٢. تفسير العياشي ٦/٢، ح ١٥.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي تنطها صاحبها.<sup>١</sup>

خبر عبدالعظيم بن عبدالله الحسني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال: «سألته عما أهل لغير الله به، فقال: ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر حرم الله ذلك كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير فمن اضطر غير باغ ولا عاد فالإثم عليه أن يأكل الميتة، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله متى تحل للمضطر الميتة، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ سئل ف قيل له: يا رسول الله إنا نكون بأرض فتصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبخوا أو تغتبقوا أو تحتفئوا بقلأ فشأنكم بها.

قال عبدالعظيم: فقلت له: يا ابن رسول الله ما معنى قوله ﷺ ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ [فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ]﴾<sup>٢</sup> قال: العادي السارق، والباغي الذي يبغي الصيد بطراً أو لهواً لا ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرأ، هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لهما أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر.

قال: فقلت: فقوله ﷺ: ﴿وَالْمُنْحِنَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قال: المنحنة التي انحنقت بأخناقها حتى تموت، والموقوذة التي مرضت وقذفها المرض حتى لم يكن بها حركة، والمتردية التي تتردى من مكان مرتفع إلى أسفل أو تتردى من جبل أو في بئر فتموت، والنطيحة التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت وما أكل السبع منه فمات، وما ذبح على النصب على حجر أو صنم إلا ما أدرك ذكاته فيذكى.

قلت: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾؟ قال: كانوا في الجاهلية يشترون بغيراً فيما بين

١. تفسير العياشي ٢/٨، ح ١٨.

٢. سورة البقرة / ١٧٣.

عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة: سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها، أمّا التي لها أنصباء فالفدّ والتوأم والنفاس والحلّس والمُسبِل والمُعَلّى والرّقيب، وأمّا التي لها أنصباء لها فالفسيح والمنيح والوغد فكانوا يحيلون السهام بين عشرة فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصباء لها ألزم ثلث ثمن البعير فلا يزالون بذلك حتّى تقع السهام الثلاثة التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة منهم فيلزمونهم ثمن البعير، ثمّ ينحرونه ويأكله السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثلاثة الذين نقدوا ثمنه شيئاً، فلمّا جاء الإسلام حرّم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرّم فقال ﷺ: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ - يعني حراماً﴾.

وهذا الخبر في روايات أبي الحسين الأسديّ رحمته الله عن سهل بن زياد عن عبد العظيم بن عبد الله [الحسيني] عن أبي جعفر محمد بن عليّ الرضا عليه السلام ١.

صحيحة أبان بن تغلب عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام أنّه قال: في قوله ﷺ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ﴾ الآية قال: الميتة والدّم ولحم الخنزير معروف ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ يعني ما ذبح للأصنام، وأمّا المتخنقة فإنّ المجوس كانوا لا يأكلون الذّبايح ويأكلون الميتة وكانوا يخنقون البقر والغنم فإذا اختنقت وماتت أكلوها، ﴿وَالْمُرْدِيَةُ﴾ كانوا يشدّون أعينها ويلقونها من السطح فإذا ماتت أكلوها، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ فكانوا يأكلون ما يقتله الذّئب والأسد، فحرّم الله ذلك ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْنَاهُ﴾ كانوا يذبحون لبيوت النيران، وقريش كانوا يعبدون الشجر والصخر فيذبحون لها ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ قال كانوا يعمدون إلى الجزور فيجزّونه عشرة أجزاء ثمّ يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها إلى رجل، والسهام عشرة سبعة لها أنصباء والرّقيب والمُعَلّى. والفدّ له سهم، والتوأم له سهمان، والمُسبِل له ثلاثة أسهم، والنفاس له أربعة أسهم، والحلّس له

خمسة أسهم، والرَّقِيب له ستّة أسهم، والمُعَلَّى له سبعة أسهم. والتي لا أنصباء لها: السَّفِيح، والمنيح، والوَعْد. وثمان الجزور على من لا يخرج له من الأنصباء شيء وهو القمار فحرّمه الله ﷻ. ١

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوانِ غَيْرِ الْخَنزِيرِ وَالنَّطِيحَةِ وَالْمُتَرَدِيَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ فإن أدركت شيئاً منها وعين تطرف أو قائمة تركض أو ذنب يمصع فقد أدركت ذكاته فكله، قال: وإن ذبحت ذبيحة فاجدت الذبح فوقعت في النار أو في الماء أو من فوق بيتك أو جبل إذا كنت قد أجدت الذبح فكل. ٢

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: أن تدركه تتحرك أذنه أو ذنبه أو تطرف عيه. ٣

\*\*\*

قال الطبري: حدثني المثنى، قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قال: نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسِيرِ فِي حِجَةِ الْوَدَاعِ، وَهُوَ رَاكِبٌ رَاحِلَتَهُ، فَبَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتَهُ مِنْ ثَقْلِهَا. ٤

قال الحافظ ابن مردويه الإصفهاني المتوفى سنة ٤١٠ هـ: «من طريق أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدري، أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدیر خم حين قال لعلي: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه» ٥.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: لما نصب رسول الله ﷺ عليّاً يوم غدیر خم

١. الخصال، ٢/٤٥١، ح ٥٧.

٢. التهذيب ٩/٥٨، ح ٢٤١.

٣. التبيان ٣/٤٣١.

٤. تفسير الطبري ٦/١٠٢.

٥. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣١، ح ٣٢٩ ونقل عنه تفسير ابن كثير ٢/١٤.



فنادى له بالولاية، هبط جبرئيل عليه هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>١</sup>.  
وعن أبي هريرة، قال: لما كان يوم غدیر خم - وهو يوم ثمانی عشر من ذي  
الحجة - قال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ  
دِينَكُمْ﴾<sup>٢</sup>.

وعن مجاهد، قال: نزلت هذه الآية بغدير خم، فقال رسول الله ﷺ: «الله  
أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي، والولاية لعليّ»<sup>٣</sup>.

١. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣١، ح ٣٣٠ ونقل عنه الدر المنثور ٢/ ٢٥٩، قال فيه: أخرج ابن  
مردويه وابن عساکر عن أبي سعيد الخدري.  
٢. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣١، ح ٣٣١ ونقل عنه الدر المنثور ٢/ ٢٥٩، قال فيه: أخرج ابن  
مردويه والخطيب وابن عساکر عن أبي هريرة.  
ورواه مفصلاً ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٣٥٠)، قال: قال الحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي:  
حدثنا عبدالله بن علي بن محمد بن بشران، أخبرنا علي بن عمر الحافظ الدارقطني، أخبرنا أبونصر  
حبشون بن موسى بن أيوب الخلال، حدثنا علي بن سعيد الرمي، حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي، عن  
ابن شاذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثمانی عشرة من  
ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب  
فقال: «ألست ولي المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال عمر بن  
الخطاب: «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم»، فأنزل الله ﷻ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ  
لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

مثل هذا رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/ ١٥٨، ح ٢١٣.

٣. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣٢، ح ٣٣٢ ونقل عنه توضيح الدلائل / ١٥٥.  
ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (١/ ١٥٧، ح ٢١١)، قال: أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي،  
أخبرنا أبوبكر الجرجاني، أخبرنا أبو أحمد البصري، عن أحمد بن عمار بن خالد، عن يحيى بن  
عبد الحميد الحماني، عن قيس بن الربيع، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ لما  
نزلت عليه هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قال: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا  
الرب برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي». ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال  
من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ دعا الناس في غدير خم، وأمر بما تحت الشجرة من شوك فقم، كان ذلك يوم الخميس، فدعا علياً فأخذ بضبعيه، ورفعها حتى نظر الناس لبياض إبطي رسول الله ﷺ، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ثم لم يفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وبالولاية لعلي بن أبي طالب»<sup>١</sup>.

وحدثني جدي، حدثني عبد الله بن إسحاق البغوي، حدثني الحسن بن عليل العنزي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الذراع، حدثنا قيس بن حفص، حدثني علي بن الحسن أبوالحسن العبدي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ دعا الناس في غدير خم، أمر بما كان تحت الشجرة من شوك فقم، وذلك يوم الخميس، ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضبعه ورفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطه، ثم لم يفرقا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله». فقال حسان بن ثابت: ائذن لي يا رسول الله أن أقول أبياتاً.  
قال: «قل ببركة الله تعالى»، فقال حسان بن ثابت: يا معشر مشيخة قريش، اسمعوا شهادة رسول الله ﷺ، ثم قال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ	بِخُمْ وَأَسْمِعْ بِالنَّبِيِّ مُنَادِيَا
بِأَنِّي مَوْلَاكُمْ نَعَمْ وَنَبِيُّكُمْ	فَقَالُوا وَلَمْ يُبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا

١. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣٢، ح ٣٣٣ ونقل عنه مفتاح النجا / ٤١. ورواه ابن مردويه كما في أرجح المطالب / ٦٧.

إِهْكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيُّنَا      وَلَا تَجِدَنَّ فِي الْخَلْقِ لِلْأَمْرِ عَاصِيَا  
فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيٌّ، فَإِنِّي      رَضِيتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيًا<sup>١</sup>

نقل الحافظ أبونعيم الإصفهاني في كتابه الموسوم بـ «نزول القرآن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» يرفعه إلى علي بن عباس، عن أبي الجحّاف، عن الأعمش، عن عطية، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب عليه السلام «يَتَأَيُّمُ الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ»<sup>٢</sup> وقد قال الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»<sup>٣</sup>.

ويرفعه إلى قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى علي عليه السلام في غدير خم، وأمر بما تحت الشجرة من شوك فقم، وذلك في يوم الخميس، فدعا علياً عليه السلام فأخذ بضيعه فرفعها حتى نظر الناس [إلى] بياض إبطي رسول الله ﷺ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي، وبالولاية لعلي من بعدي. ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله.

١. ما نزل من القرآن في علي عليه السلام / ٢٣٢ ونقل عنه المناقب، الخوارزمي، / ١٣٥، ح ١٥٢؛ مقتل الحسين (١/ ٤٧)، قال: أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي، أخبرنا أبو الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني - كتابة، أخبرنا الشريف أبوطالب المفضل الجعفري بأصبهان، أخبرني أبوبكر بن مردويه ورواه ابن مردويه كما في الطرائف (١/ ١٤٦، ح ٢٢١)، وفيه: ثم قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه...». وفي آخر الحديث: قال: فلقية عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب! أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

٢. سورة المائدة / ٦٧.

٣. خصائص الوحي المبين / ٥٣، ح ٢١.

قال حسان بن ثابت: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تسمعهنَّ فقال: قل على بركة الله. فقام حسان، فقال: يا معشر مشيخة قريش، اسمعوا قولي بشهادة من رسول الله ﷺ في الولاية ماضية، ثم قال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ

وذكر الأبيات السابقة، وقال في آخر الأبيات:

فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا عَلِيُّ فَإِنِّي رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيًا

فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ فَكونوا له أنصارَ صِدْقٍ مَوَالِيَا

هُنَاكَ دَعَا اللَّهَ وَاللَّهُمَّ وَالِ وَلِيَّهِ وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيًا<sup>١</sup>

نقل أبوالمؤيد موفق بن أحمد [الخوارزمي الحنفي]، في كتاب «فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)» عن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدِيرِ خُمٍّ؛ أمر بما تحت الشجرة من الشوك فقمَّ، وذلك يوم الخميس، يوم دعا الناس إلى عليٍّ، وأخذ بضبعه، ثم رفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ﷺ، ثم ملل يفترقا حتى نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الربِّ برسالتي، والولاية لعليٍّ. ثم قال: اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وأنصر مَنْ نصره، وأخذلْ مَنْ خذله.

وقال حسان بن ثابت: أتأذن لي يا رسول الله أن أقول أبياتاً؟ فقال: قل بركة الله

تعالى. فقال حسان بن ثابت:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ بِحُمٍّ وَأَسْمِعْ بِالنَّبِيِّ مُنَادِيَا

بِأَنِّي مَوْلَاكُمْ، نَعَمْ وَوَلِيِّكُمْ فَقَالُوا وَلَمْ يُبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا

إِهْكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيُّنَا وَلَا تَجِدَنَّ فِي الْخَلْقِ لِلْأَمْرِ عَاصِيَا

فقال له قُمْ يَا عَلِيُّ فَإِنِّي رَضِيتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيًا  
[فَمِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ] فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صِدْقٍ مَوَالِيَا  
هُنَاكَ دَعَا: اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيَّهِ وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيًا<sup>١</sup>

بإسناده عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ [قال]: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ دَعَا النَّاسَ إِلَى [عَلِيٍّ فِي] غَدِيرِ خُمٍّ، أَمَرَ بِمَا كَانَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ مِنَ الشُّوكِ فَقُمَّ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْحَمِيسِ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ بَضْبِعِهِ فَرَفَعَهَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَى بَيَاضِ إِبْطِئِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثُمَّ لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ، وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ، وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَأَخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

[فقال حسان بن ثابت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقُولَ أَيْبَاتًا؟ قُلْ بِبَرَكَةِ اللَّهِ].

فقال حسان بن ثابت: يَا مَسِيحَةَ قُرَيْشٍ، اسْمَعُوا شَهَادَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ... ثُمَّ أَنْشَدَ الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ<sup>٢</sup>.

نقل الخطيب البغدادي عن أبي هريرة: من صام ثمان عشرة من ذي الحجة كتب صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خُمٍّ، لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: أَلَسْتُ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصَبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>٣</sup>.

نقل الحموي بإسناده عن الأنصاري بإسناده عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ: أَنَّ

١. مناقب الخوارزمي / ٨٠.

٢. فرائد السمطين ١/ ٧٢، ح ٣٩.

٣. تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٣٣ و ٢٣٤؛ مناقب المغازلي / ١٩، ح ٢٤؛ شواهد التنزيل ١/ ٢٠٣، ح ٢١٣.

رسول الله ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلِيٍّ فِي غَدِيرِ خُمٍّ، وَأَمَرَ بِمَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ مِنَ الشَّوْكِ فَقُمَّ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْحَمِيسِ، فَدَعَا ﷺ عَلِيًّا فَأَخَذَ بَضْبَعِيهِ، فَرَفَعَهُمَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَى بَيَاضِ إِبْطِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقُوا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ مِنْ بَعْدِي. ثُمَّ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ أَنْصَرَهُ، وَأَخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ: ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقُولُ فِي عَلِيٍّ أَيْبَاتًا تَسْمَعُهَا! فَقَالَ: قُلْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ.

فَقَامَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: يَا مَشِيخَةَ مَعْشَرِ قُرَيْشٍ، أَسْمَعُوا قَوْلِي شَهَادَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْوَلَايَةِ الثَّابِتَةِ. فَقَالَ:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ      بِخُمٍّ وَأَسْمَعُ بِالرَّسُولِ مُنَادِيًا

الْأَيْبَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

وهذه الأبيات والحديث مشهوران في كُتُبِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

وَقَالَ الْحَمَوِيُّ الشَّافِعِيُّ عَقِيبَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالْأَيْبَاتِ: هَذَا حَدِيثٌ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ الْخُدْرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ<sup>١</sup>.

قَالَ السَّيُوطِيُّ: وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَابْنُ عَسَاكَرٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنَادَى لَهُ بِالْوَلَايَةِ هَبْطَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ بِهِذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>٢</sup>.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْخَطِيبُ وَابْنُ عَسَاكَرٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا

١. فرائد السمطين ١/ ٧٤، ح ٤٠.

٢. الدر المنثور ٢/ ٢٥٩.

كان يوم غدیر خم وهو يوم ثانی عشر من ذی الحجة قال النبی ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه فأَنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾<sup>١</sup>.

ومما ذكرنا يظهر بطلان مقالة الفخر الرازي حيث يقول: «قال أصحابنا: هذه الآية دالة على بطلان قول الرافضة، وذلك لأنه تعالى بين أن الذين كفروا يئسوا من تبديل الدين، وأكد ذلك بقوله ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ فلو كانت إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام منصوباً عليها من قبل الله تعالى وقبل رسوله ﷺ نصاً واجب الطاعة لكان من أراد إخفاءه وتغييره آيساً من ذلك بمقتضى هذه الآية، فكان يلزم أن لا يقدر أحد من الصحابة على انكار ذلك النص وعلى تغييره وإخفاءه، ولما لم يكن الأمر كذلك، بل لم يجز لهذا النص ذكر، ولا ظهر منه خبر ولا أثر، علمنا أن ادعاه هذا النص كذب، وأن علي بن أبي طالب عليه السلام ما كان منصوباً عليه بالامامة»<sup>٢</sup>.

**وجه الظهور:** النصوص على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة ولكن سيرة القوم من أول اليوم على الإنكار وإيثار الكافرين لا يدل على عدم إخفاء النصوص وإنكارها بواسطة الذين يدعون أنهم خلفاء رسول الله ومقالة الفخر لم تكن إلا مغالطة واضحة.

وأما سيرتهم على الإنكار فيظهر ذلك حين جاؤوا بأمر المؤمنين عليه السلام يُقاد للبيعة كالجمل المخشوش. قال: فإن لم أبايع فمَه؟  
ف قيل له: إِذَنْ تُقْتَلُ والله.

فقال: إِذَنْ تَقْتُلُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَأَخَا رَسُولِهِ!

ف قيل له: أَمَّا عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا.

وهكذا استمرت الحال معه حتى تناسوا فضله كله، وتسرب الريب أو الجهل

١. الدر المنثور ٢/ ٢٥٩.

٢. التفسير الكبير ١١/ ١٣٩.

إلى أظهر فضيلة له ﷺ!

حتى سأل رجلُ البراء<sup>١</sup> بنَ عازب، فقال: يا أبا عمار! أشهد عليّ بدراً؟! قال: حقاً.<sup>٢</sup>

وبلغ الحال إلى أن نرى الصحابة يسألون عن عليّ هل شهدوا له منقبة؟! فقد أخرج ابنُ عساكر<sup>٣</sup> عن الحارث بن مالك، قال: أتيتُ مكة، فلقيت سعدَ ابنَ أبي وقاص، فقلتُ: هل سمعتَ لعليّ منقبة؟! قال: شهدتُ له أربعاً، لأنَّ تكون لي واحدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ من الدنيا أجمعٍ فيها مثلُ عُمرِ نوحٍ ﷺ!

فذكر تبليغ براءة، وسدَّ الأبواب، والراية يومَ خيبر، وحديث «من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ» بغدير خُم، وذكر الخامسة من مناقبه حديث «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى»<sup>٤</sup>.

وأخرج ابنُ عساكر أيضاً عن سهم بن حُصين الأسديّ، قال: «قدِمْتُ إلى مكة أنا وعبدالله بنُ علقمة، وبها أبو سعيدٍ الخُدريّ - وكان عبدالله بنُ علقمة سبابةً لعليّ دهاً! - قال: فقلتُ له: هل لك في هذا - يعني أباسعيد الخُدريّ -

١. بتخفيف الراء المهملة.

٢. ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالبٍ ﷺ من تاريخ دمشق، رقم ١٩١.

٣. ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالبٍ ﷺ من تاريخ دمشق، رقم ٢٧٨.

٤. والخامسة من مناقبه أنَّ رسولَ الله ﷺ غزا على ناقته الحمراء وخلف عليّاً، فنفت ذلك عليه قريش، وقالوا: إنَّه إنَّما خلفه أنَّه استقله وكره صحبته! فبلغ ذلك عليّاً، قال: فجاء حتى أخذ بغرز الناقة، فقال عليّ: زعمت قريش أنَّك إنَّما خلفتني أنَّك تستقلني وكرهت صحبتي! قال: بكى عليّ. قال: فنادى رسولُ الله ﷺ في الناس، فاجتمعوا، ثم قال: أيُّها الناس! ما منكم أحدٌ إلَّا وله حامة، أما ترضى يا ابنَ أبي طالبٍ أن تكونَ منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي؟ فقال عليّ: رضيتُ عن الله ورسوله.

٥. تاريخ ابن عساكر، رقم ٥٦٥.



نَحْدِثُ بِهِ عَهْدًا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ سَمِعْتَ لَعْلِيَّ مَنْقِبَةً؟! قَالَ: نَعَمْ! فَإِذَا أَنَا حَدَّثْتُكَ فَسَلْ عَنْهَا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَقَرِيشًا؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَأَبْلَغَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَوْلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قَالُوا: بَلَى - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قَالَ: «أُذُنُ يَا عَلِيٍّ!» فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَيَاضِ آبَاطِهِمَا، قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قال: فقال عبدالله بنُ علقمة: «أنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟!» قال أبو سعيد: «نعم» وأشار إلى أُذُنِيهِ وَصَدْرِهِ، وقال: «سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي»<sup>١</sup>. فتراهم يتعجبون إذا سمعوا له بمنقبة، ولا يكادون يصدّقون الصحابيَّ حَتَّى يَحْلِفَ لَهُمْ أَوْ يُوَكِّدَ لَهُمْ بِأَنَّهُ سَمِعَهُ بِأُذُنِيهِ وَوَعَاهُ قَلْبُهُ وَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَقَرِيشًا!

فمثل سعيد بن المسيّب يسمعُ حديثَ المنزلةِ مِنْ عامر بن سعد بن أبي وقاص، فلا يؤمن به حَتَّى يراجع سعداً نفسه! فيها أخرج مسلمٌ عن سعيد بن المسيّب، عن عامر بن سعدٍ، عن أبيه سعد: سمع النبي ﷺ يقول لعليٍّ: «أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ». قال سعيد: «فأحببتُ أن أُشَافِهَ بِذَلِكَ سَعْدًا، فَلَقِيْتُهُ فَذَكَرْتُ لَهُ مَا ذَكَرَ لِي عَامِرٌ»، قال فوضع إصبعيه في أُذُنِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اسْتَكْتَا إِن لَمْ أَكُنْ أَسْمَعُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ»<sup>٢</sup>.

وفي لفظ أحمد في المسند عن قتادة وعليّ بن زيد بن جُدعان، قالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُسَيَّبِ، حَدَّثَنِي ابْنُ لَسْعَدٍ بَنَ مَالِكٍ حَدِيثًا عَنْ أَبِيهِ قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى سَعْدٍ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا حَدَّثْتَهُ عَنْكَ حِينَ اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا عَلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ فغضب فقال: «مَنْ حَدَّثَكَ بِهِ؟» فكَرِهَتْ أَنْ أَخْبِرَهُ أَنَّ ابْنَهُ

١. أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين ﷺ من تاريخ دمشق بطريقين.

٢. فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لأحمد بن حنبل / ١٥٦، رقم ٧٩ و / ٢٤٣، رقم ٢٠١.

حدّثني فيغضب عليه!

ثم قال: «إنَّ رسولَ الله ﷺ حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليّاً على المدينة، فقال عليٌّ: يا رسولَ الله ما كنتُ أحبُّ وجهاً إلّا وأنا معك، فقال: أوّما ترضى أن تكونَ منّي بمنزلة هارونَ من موسى، غير أنّه لا نبيَّ بعدي»<sup>١</sup>.  
وفي لفظ ابن عساكر: فأحببتُ أن أُشافهَ بذلك سعداً، فلقيته فسألته عمّا ذكر لي، فقال: «نعم، سمعته»، قال فقلت: «أنت سمعته؟!» فأدخل إصبعيه في أُذنيه، فقال: «نعم وإلّا فاستكّتا!»

وفي لفظٍ آخر: قال سعيد: فلمَ أرضَ بقول إبراهيمَ حتّى لقيتُ سعداً، فقلتُ: «أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟» فقال: «نعم، وإلّا فاصطكّتا».  
وفي حديث الزهريّ عن عامر بن سعدٍ قال: إنّ لِمَعَ أبي إذ تبعنا رجلاً في نفسه على عليٍّ بعضُ الشيء، فقال: «يا أبا إسحاق! حديثٌ يذكر الناسُ عن عليٍّ»، قال: «وما هو؟» قال: «أنت منّي بمنزلة هارونَ من موسى»، قال: «نعم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ... ما يُنكر أن يقولَ لعليٍّ هذا وأفضل من هذا!»  
أخرجه ابنُ عساكر، رقم ٣٧٤.

وأخرج ابنُ عساكر عن جابر بن يزيد الجعفيّ عن عبد الله بن يحيى الحضرميّ قال: سمعتُ عليّ بنَ أبي طالبٍ على المنبر يقول: «صَلَّيتُ مع رسول الله ﷺ سنينَ صلاةً قبلَ أن يُصلّيَ مع أحدٍ»، فقلت لعبد الله بن يحيى: «وإلّا فصمتَ أذنك» ثلاثاً، قال: «وإلّا فصمتَ أذناي!»<sup>٢</sup>.

ومّا ذكرنا ظهر عدمُ تماميةِ مقالةِ الألوسي المتعصب حيث يقول: «وأخرج

١. المسند/٣، رقم ١٥٣٢.

٢. مقدمة العلامة السيّد عبدالعزيز الطباطبائي رحمه الله على كتاب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأحمد بن حنبل / (٤٤-٤١).

الشيعة عن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت بعد أن قال النبي ﷺ لعلي كرم الله تعالى وجهه في غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فلما نزلت قال عليه الصلاة والسلام: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرب رسالتي وولاية علي كرم الله تعالى وجهه بعدي، ولا يخفى أن هذا من مفترياتهم، وركاكة الخبر شاهدة على ذلك في مبتدأ الأمر، نعم ثبت عندنا أنه ﷺ قال في حق الأمير كرم الله تعالى وجهه هناك: من كنت مولاه فعليّ مولاه» وزاد على ذلك - كما في بعض الروايات - لكن لا دلالة في الجميع على ما يدعونه من الإمامة الكبرى والزعامة العظمى<sup>١</sup>.

لما مرّ من العامة ورود هذا الخبر من طرقهم ودلالته واضحة.

في هذا المجال راجع كتاب موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة<sup>٢</sup>.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ  
مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ  
عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤﴾

«بعد أن ذكر سبحانه وتعالى بعض المحرّمات من الطعام، واستثنى منها ما كان محللاً على الإجمال، يذكر ﷻ في هذه [الآية] الشريفة بعض ما يحلّ أكله، وهي الطيبات بأجمعها، سواء أكانت من اللحوم أم غيرها، وخصّ بالذكر منها ما اصطاده الإنسان بواسطة الكلب المعلم الذي تعلّم على الصيد»<sup>٣</sup>.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به أول، والجملة الاسمية بعده

١. روح المعاني ٦/ ٣٢٠ (٦/ ٦١).

٢. موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة ١/ ١٧٨.

٣. مواهب الرحمن ١٠/ ٣٩٦ مع الاصلاحين.

مفعول به ثان. ومعنى السؤال واضح والضمير الفاعلي يرجع إلى المؤمنين والمفعولي يرجع إلى رسول الله ﷺ .

﴿ مَا ﴾ مبتدأ.

﴿ ذَا ﴾ خبره، أو ﴿ مَاذَا ﴾ كلمة واحدة اسم استفهام مبتدأ وجملة ﴿ أَجَلَ هُمْ ﴾ خبره.

﴿ أَجَلَ ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿ هُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَجَلَ ﴾. والسؤال بقرينة الجواب أعم من المطاعم والمناكح، والثاني يأتي في الآية الآتية.

سؤال عام يقتضي أن يأتي بجواب عام فلذا أجاب الله تعالى:

﴿ قُلْ ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» يا رسول الله ﷺ والجملة الفعلية بعده مفعول به - مقول القول - .

﴿ أَجَلَ ﴾ مرّ. ﴿ لَكُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ أَجَلَ ﴾.

﴿ الطَّيِّبُ ﴾ نائب فاعل جمع الطيب ضد الخبيث قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾<sup>١</sup>.

«وقيل: معنى الطيبات ما يستلذ ويستطاب. وظاهر الآية على هذا يقتضي تحليل كل مستطاب إلا ما قام دليل على تحريمه»<sup>٢</sup>.

و ﴿ الطَّيِّبُ ﴾ جمع محلي بـ «ال» يفيد العموم ولم يقيد بها بشيء يفيد «أن يكون المعتبر في تشخيص طيبه استطابة الأفهام المتعارفة ذلك فما يستطاب عند الأفهام العادية فهو طيب، وجميع ما هو طيب حلال»<sup>٣</sup>.

١. سورة المائدة / ١٠٠.

٢. التبيان ٣ / ٤٤٤.

٣. الميزان ٥ / ٢٠١.

وإنما نزلنا الطيب على المتعارف المعهود لإقتضاء العموم الذي يشمل جميع مصاديق الطيب. لا أن الإطلاق تنزل على المتعارف المعهود.<sup>١</sup>  
والجواب العام هو هذا: كل ما كان طيباً فهو حلال في الشريعة المقدسة، فتكون حِلِّيَّةُ الطَّيِّبَاتِ شرعية لا عقلية.<sup>٢</sup>  
والحيثيات: هي ما نص على تحريمه في الآية السابقة وغيرها من الآيات التحريمية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على ﴿الطَّيِّبَتُ﴾ فتكون في محل رفع، أو في محل جر بحذف مضافه وتقديره: «وصيد الذي».  
﴿عَلَّمْتُمُ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ وتقديره: «حال كونه» ﴿مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾. و ﴿الْجَوَارِحِ﴾ هي الكواشب من سباع الطير والبهائم من الصقر والبازي والكلاب والفهود. سميت الكواشب لأن أربابها يكسبون بصيدها أو لأنها تخرج صيدهن غالباً.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ اسم فاعل من التكليب وهو تعليم الكلاب وتأديبها للصيد. حال من الضمير الفاعلي في ﴿عَلَّمْتُمُ﴾ أي معلّم الكلاب للصيد. تقييد للحلية بالكلاب المعلّمة، لا غيرها من الكلاب والجوارح، كما رواه أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام.<sup>٣</sup>  
﴿تُعَلِّمُوْنَهُنَّ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿مُكَلِّبِينَ﴾.

١. كما عليه العلامة الطباطبائي رحمه الله صاحب الميزان ٢٠٢/٥.

٢. خلافاً للفقهاء السبزواري رحمه الله في مواهب الرحمن ٣٩٨/١٠.

٣. التبيان ٤٤٠/٣.

﴿مِمَّا﴾ مكوّنة من «من» و «ما»، جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ .  
 ﴿عَلَّمَكُمُ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم . ﴿اللَّهُ﴾ فاعله . ﴿و﴾ تفريعية .  
 ﴿كُلُوا﴾ فعل أمر و فاعله . والأمر في مقام الحظر يفيد الإباحة كما يبيّن في علم  
 الأصول وبيان لشرط من شرائط حلية أكل صيد الكلاب المعلّمة .  
 ﴿مِمَّا﴾ مرّ، متعلّق بـ ﴿كُلُوا﴾ و «من» هنا تبعيضية .  
 ﴿أَمْسَكْنَ﴾ فعل ماض و فاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى الكلاب المعلّمة . أي  
 تصيدنّ .

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَمْسَكْنَ﴾ . أي لكم لا لنفسها .  
 ﴿و﴾ عاطفة .  
 ﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر و فاعله معطوف على ﴿كُلُوا﴾ . بيان لشرط آخر من الحلية  
 وهو ذكر اسم الله تعالى حين ارسال الكلب المعلّم .  
 ﴿أَسَمَ﴾ مفعول به . ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه .  
 ﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَذْكُرُوا﴾ . والضمير يرجع إلى ﴿مَا عَلَّمْتُمْ﴾ .  
 ﴿و﴾ عاطفة . ﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر و فاعله معطوف على ﴿أَذْكُرُوا﴾ .  
 ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به . ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد .  
 ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ . ﴿سَرِيعٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ . ﴿الْحِسَابِ﴾ مضاف إليه .  
 والجملة الأخيرة أشعار «بلزوم اتقاء الله فيه حتّى لا يكون الاصطياد إسرافاً في  
 القتل، ولا عن تله وتجبر كما في صيد اللهو ونحوه فإن الله سريع الحساب يجازي سيئة  
 الظلم والعدوان في الدنيا قبل الآخرة، ولا يسلك أمثال هذه المظالم والعدوانات  
 بالاغتيال والفك بالحيوان العجم إلّا إلى عاقبة سوء على ما شاهدنا كثيراً»<sup>١</sup> .

### تنبيه

«اتفقت كلمة المذاهب على أن صيد الكلب يحلّ أكله بالشروط الآتية، واختلفت في صيد غيره كالفهد والصقر وما أشبه مُعَلِّماً يفقه ما يفقه الكلب، قال الشيعة: لا يحل. وقال غيرهم: يحل. واستدل الشيعة بأن لفظ مكلين خاص بصيد الكلب المعلوم، ومهما يكن، فلا يحل صيد الجوارح إلا مع توافر الشروط التالية:

١- أن يكون الجارح مُعَلِّماً إذا أمره صاحبه بأمر، وإذا زجره ينزجر. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

٢- أن يرسله صاحبه بقصد الصيد، فلو انطلق من تلقائه، وأتى بالصيد مقتولاً فلا يحل.

٣- أن يكون الصائد مُسْلِماً عند الشيعة.

٤- أن يسمى الصائد عند ارسال الجارح، فيقول: اذهب على اسم الله، وما أشبه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

٥- أن يدرك الجارح الصيد حياً، وأن يسند الموت إلى جرحه، فلو أدركه ميتاً لم يحل، وكذا إذا أدركه حياً، ولكن مات بسبب آخر غير الجارح»<sup>١</sup>.

### الروايات

صحيحة أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب، قال: لا تأكلوا إلا ما ذكّيتم إلا الكلاب. قلت: فإن قتله؟ قال: كل، فإن الله يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. ثم قال عليه السلام: كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها، إلا الكلاب المعلّمة، فإنها تمسك على صاحبها.

١. تفسير الكاشف ١٦/٣.

[و] قال: إذا أرسلت الكلب المعلم، فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته.<sup>١</sup>  
 صحيحة الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي عليه السلام يفتي وكان يتقي ونحن  
 نخاف في صيد البزاة والصقور وأما الآن فإننا لا نخاف ولا نحل صيدها إلا أن تدرك  
 ذكاته فإنه في كتاب علي عليه السلام أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ في  
 الكلاب.<sup>٢</sup>

صحيحة أخرى الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: في كتاب علي عليه السلام في قول  
 الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ قال: هي الكلاب.<sup>٣</sup>  
 صحيحة جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يرسل الكلب  
 على الصيد فيأخذه ولا يكون معه سكين يذكيه بها أيدعه حتى يقتله ويأكل منه؟ قال:  
 لا بأس، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ولا ينبغي أن يؤكل مما قتل الفهد.<sup>٤</sup>  
 صحيحة أخرى لأبي بكر الحضرمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صيد البزاة  
 والصقور والكلب والفهد، فقال: لا تأكل صيد شيء من هذه إلا ما ذكيتموه إلا  
 الكلب المكلب، قلت: فإن قتله؟ قال: كل لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ  
 مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُوهُمْ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.<sup>٥</sup>  
 موثقة سماعة بن مهران قال: سألته عما أمسك عليه الكلب المعلم للصيد وهو  
 قول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُوهُمْ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا  
 أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: لا بأس أن تأكلوا مما أمسك الكلب مما لم  
 يأكل الكلب منه فإذا أكل الكلب منه قبل أن تدركه فلا تأكل منه، قال: وسألته عن

١. تفسير القمي ١/ ٢٣٩، ح ٥.

٢. الكافي ١٢/ ٩٨، ح ١ (٢٠٧/ ٦).

٣. الكافي ١٢/ ٨٣، ح ١ (٢٠٢/ ٦).

٤. الكافي ١٢/ ٨٩، ح ٨ (٢٠٤/ ٦).

٥. الكافي ١٢/ ٩٠، ح ٩ (٢٠٤/ ٦).



صيد الفهد وهو معلّم للصيد فقال: إن أدركته حيّاً فذكّه وكُله، وإن قتله فلا تأكل منه.<sup>١</sup>

عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سُئِلَ عن كَلْبِ المَجُوسِ يُكَلِّبُهُ المسلم، وَيُسَمِّي وَيُرْسِلُهُ. قال: نعم، إِنَّهُ مُكَلَّبٌ، إِذَا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَلَا بِأَس. <sup>٢</sup>  
عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن الرجل سَرَحَ الكلبَ المَعْلَمَ ويسمّي إذا سَرَحَهُ، قال: يَأْكُلُ مِمَّا أَمْسَكَ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَدْرَكَهُ وَقَتْلَهُ، وَإِنْ وُجِدَ مَعَهُ كَلْبٌ غَيْرُ مَعْلَمٍ فَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ.

قلت: فالصَّقر والعُقاب والبازي؟ قال: إن أدركت ذكاته فكلّ منه، وإن لم تُدرك ذكاته فلا تأكل منه.

قلت: فالفهد ليس بمنزلة الكلب؟ قال: فقال: لا، ليس شيء مُكَلَّبٌ إِلَّا الكلب.<sup>٣</sup>

عن زُرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما خلا الكلاب مِمَّا يَصِيدُ الْفُهْدَ وَالصُّقُورَ وَ أَشْبَاهَ ذَلِكَ، فَلَا تَأْكُلَنَّ مِنْ صَيْدِهِ إِلَّا مَا أَدْرَكَتْ ذَكَاتَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ فَمَا خَلَا الْكِلَابُ فَلَيْسَ صَيْدُهُ بِالَّذِي يُؤْكَلُ إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ ذَكَاتُهُ.<sup>٤</sup>  
عن أبي جميلة، عن ابن حَنْظَلَةَ، عَنْهُ عليه السلام، فِي الصَّيْدِ يَأْخُذُهُ الْكَلْبُ فَيُدْرِكُهُ الرَّجُلُ فَيَأْخُذُهُ، ثُمَّ يَمُوتُ فِي يَدِهِ، أَيَأْكُلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿كُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ﴾.<sup>٥</sup>

١. التهذيب ٢٧/٩، ح ١١٠.

٢. تفسير العياشي ١٠/٢، ح ٢٤.

٣. تفسير العياشي ١٠/٢، ح ٢٦.

٤. تفسير العياشي ١١/٢، ح ٢٩.

٥. تفسير العياشي ١٢/٢، ح ٣٢.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ<sup>ط</sup> وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ<sup>ط</sup> وَالْحَصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَتِ وَالْحَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ<sup>ط</sup> وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ<sup>ط</sup> وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٠﴾

بعد أن نهي الله سبحانه عن ولاية أهل الكتاب ومعاشرتهم ومخالطتهم قد يتوهم حرمة طعامهم ونسائهم فيبين حليتهما للمؤمنين ويلمح بأن دين الإسلام دين التآلف والرحمة لا النفرة والخشونة.

﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف زمان مقدّم متعلّق بـ ﴿أُحِلَّ﴾، تصدير الجملة الفعلية بـ ﴿الْيَوْمَ﴾ يدلّ على امتنان الله تعالى على المؤمنين بإحلال طعام أهل الكتاب ونسائهم. ﴿أُحِلَّ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أُحِلَّ﴾. ﴿الطَّيِّبُ﴾ نائب فاعل. تأكيد لما مرّ في الآية السابقة من القاعدة العامة في الحلال والتذكير بأنها امتنانية.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿طَعَامُ﴾ مبتدأ، وهذا من مصاديق القاعدة العامة وفَرَدَ من أفراد المشكوكة فصرح بحليته.

«والطعام هو المأكول وكان بعض أهل اللغة يقول: الطعام هو البُرُّ خاصة»<sup>١</sup> كما قاله ابن فارس.

وهذه الحلية لا تشمل ذبائهم لأنهم لم يذكوها تذكية إسلامية مع شرائطها ومنها عندنا كون الذابح مسلماً فلا يجوز أكل ذبائهم ولو ذكوها تذكية إسلامية. كما

١. معجم مقاييس اللغة ٣/ ٤١٠.

روي تحريم ذبائح نصارى تغلب عن علي عليه السلام ١. نعم، يحل أسماكهم لأنّ تذكية السمك خروجه حيّاً من الماء لا فرق بين خارجه، ويحلّ برّهم وسائر حبوبهم وكذا فواكههم وثمارهم. وعلى القول بطهارتهم يجوز الأكل من طعام طبخوها إذا اجتنبوا من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ولم يكن على ظاهرهم النجاسة. فالحلية لا تحمل على ذبائحهم مطلقاً وأطعمتهم المطبوخة إذا لم يحترزوا عن النجاسات.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مضاف إليه. ﴿أُوتُوا﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله. ﴿الْكُتَبَ﴾ مفعول به. ﴿حِلٌّ﴾ خبر وقد مرّ معناه. ﴿لَكُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿حِلٌّ﴾. وقال الخليل بن أحمد: «الطعام اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُؤْكَلُ... والعالي في كلام العرب: أنّ الطعام هو البرّ خاصة ويقال: اسم له وللخبز المخبوز ثم يُسمّى بالطعام ما قرب منه وصار في حدّه وكلّ ما يسدّ جوعاً فهو طعام» ٢. وقال ابن الأثير: «في حديث أبي سعيد «كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير» قيل أراد به البرّ وقيل التمر وهو أشبه لأنّ البرّ كان عندهم قليلاً لا يتسع لإخراج زكاة الفطر. وقال الخليل: إنّ العالي...» ٣. وقال الزمخشري: «وفلان يحتكر في الطعام أي في البرّ. وعن الخليل: أنّه العالي في كلام العرب وهذا من الغلبة كالمال في الإبل» ٤.

١. التبيان ٣/ ٤٤٤.

٢. ترتيب كتاب العين / ٥٦٩.

٣. النهاية ٣/ ١٢٦ و ١٢٧.

٤. أساس البلاغة / ٢٨٠.

وقال ابن منظور: «وأهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام عَنَوْا به البرَّ خاصة»<sup>١</sup> ثم ذكر كلام ابن الأثير والخليل الماضين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿طَعَامُكُمْ حِلٌّ هُمْ﴾ معطوفة على ﴿طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ والجملة كلام واحد وحكم واحد وهو ثبوت الحلية وارتفاع الحرمة عن الطعام فلا مانع أن يذكر طرفي الحكم كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾<sup>٢</sup>.

فلا يكون في مقام تشريع حكم الحلية لأهل الكتاب لأنهم لا يؤمنون برسول الله ﷺ وقرآنه وأحكامه فحينئذ يصير هذا التشريع لغواً ولم يصدر اللغو عن الحكيم على الإطلاق.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ نائب فاعل لفعل محذوف يفسره قبله تقديره: أحل لكم تزويج ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾. أو أنها معطوفة على ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ والثاني أظهر. الاحصان لها معان أربعة: الاسلام والتزويج والحرية والعفة وهذا الأخير هي المقصودة هنا.<sup>٣</sup> فيصير معني ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفيفات.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق حال محذوفة من ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾. و ﴿مِنَ﴾ بيانية. أي حال كونهن ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ معطوفة على ﴿الْمُحْصَنَاتُ مِنَ

١. لسان العرب ١٢ / ٣٦٤.

٢. سورة الممتحنة / ١٠.

٣. كما في التفسير الكاشف ٣ / ١٧.

الْمُؤْمِنَاتِ. تحليل لتزويج نساء أهل الكتاب وهنّ اليهودية والنصرانية والمجوسية.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بـ ﴿أُحِلَّ﴾.

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول، فعل الشرط وجوابه به

محذوف وهي الحلية على نحو النكاح وإعطاء.

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مفعول به ثانٍ ومضاف إليه. أي مهورهنّ ولعلّ التعبير بالأجر

تلميح إلى جواز الاستمتاع بهنّ كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ

أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ<sup>١</sup>.

﴿مُحْصِنِينَ﴾ حال من فاعل ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾. أي حال كونهم يفعلون على طريق

النكاح والتزويج، لا على نحو الزنا والسفاح.

﴿غَيْرَ﴾ بدل ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أو حال ثانٍ من فاعل ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾. أو صفة

لـ ﴿مُحْصِنِينَ﴾.

﴿مُسْفِحِينَ﴾ مضاف إليه. السفاح: الزنا. ولكن هنا ارتكابه جهراً بقربة ما

بعده.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.

﴿مُتَّخِذِي﴾ معطوفة على ﴿مُسْفِحِينَ﴾.

﴿أَخْدَانٍ﴾ مضاف إليه. الخدن: الصديق، يطلق على الذكر والأنثى. والمراد به

الزنا سراً، على طريق الصداقة ولعلّ من دون أجره.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملة فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يَكْفُرُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر، والمراد

بالكفر هنا ترك العمل بالإحكام الشرعية أي: الكفر العملي وهو العصيان والإثم

والتجاوز عن الحدود الشرعية.

﴿بِالْإِيمَانِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَكْفُرُ﴾. فالمراد بالإيمان هنا نفس الأحكام الشرعية وكفرها ترك العمل بها.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿حِطَّ﴾ فعل ماضٍ جواب الشرط: أي يسقط.

﴿عَمَلُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ حالية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ.

﴿مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ جار ومجرور خبر المبتدأ.

### الروايات

صحيحة أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حِطَّ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ قال: تفسيرها في بطن القرآن [يعني] من يكفر بولاية عليٍّ، وعليٍّ هو الإيمان.<sup>١</sup>

صحيحة قتبية الأعشى قال: سألت رجلاً أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده فقال له: الغنم يرسل فيها اليهودي والنصراني فتعرض فيها العارضة فيذبح أناكل ذبيحته؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا تدخل ثمنها مالك ولا تأكلها فإنما هو الاسم ولا يؤمن عليه إلا مسلم، فقال له الرجل: قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ ط وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي عليه السلام يقول: إنما هو الحبوب وأشباهاها.<sup>٢</sup>

روى الشيخ نحوها في التهذيب<sup>٣</sup> بسند صحيح.

١. بصائر الدرجات ١/ ١٥٧، ح ٥.

٢. الكافي ١٢/ ٢٠٠، ح ١٠ (٦/ ٢٤٠).

٣. التهذيب ٩/ ٦٤، ح ٥.

معتبرة أبي الجارود قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فقال عليه السلام: الحبوب والبقول.<sup>١</sup>  
 موثقة سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن طعام أهل الكتاب وما يحل منه قال: الحبوب.<sup>٢</sup>

موثقة الحسن بن جهم قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا أبا محمد ما تقول في رجل يتزوج نصرانية على مسلمة؟ قلت: جعلت فداك وما قولي بين يديك، قال: لتولنَّ فإنَّ ذلك يعلم به قولي، قلت: لا يجوز تزويج النصرانية على مسلمة ولا غير مسلمة، قال: ولم؟ قلت: لقول الله ﷻ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾<sup>٣</sup> قال: فما تقول في هذه الآية: ﴿وَالْخَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؟ قلت: فقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ﴾ نسخت هذه الآية فتبسم ثم سكت.<sup>٤</sup>

صحيحة زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَالْخَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فقال: هذه منسوخة بقوله: ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾<sup>٥</sup>.

موثقة الحسن بن جهم تعارض صحيحة زرارة وعند المعارضة موافقة الكتاب راجحة فتقدم الموثقة الدالة على جواز نكاحهن. أو أن الصحيحة محمولة على النكاح الدوام.

معتبرة عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْآيَاتِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ فقال: من ترك العمل الذي أقرَّ به، قلت: فما موضع ترك

١. الكافي ١٢/ ٢٧٣، ح ٦ (٢٦٤/ ٦).

٢. الكافي ١٢/ ٢٧٠، ح ١ (٢٦٣/ ٦).

٣. سورة البقرة / ٢٢١.

٤. الكافي ١٠/ ٦٥٩، ح ٦ (٣٥٧/ ٥).

٥. سورة الممتحنة / ١٠.

٦. الكافي ١٠/ ٦٦١، ح ٨ (٣٥٨/ ٥).

العمل؟ حتى يدعه أجمع؟ قال: منه الذي يدع الصلاة متعمداً لا من سكر ولا من علة. ١

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾، قال: العَدَس والحُبوب وأشباه ذلك، يعني [من] أهل الكتاب. ٢

عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ﴿وَالْحَصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَتِ﴾، قال: هُنَّ المسلمات. ٣

عن أبي جميلة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في ﴿وَالْحَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، قال: هُنَّ العَفَائِفُ. ٤

عن العبد الصالح، قال: سأله عن قوله: ﴿وَالْحَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ما هُنَّ، وما معنى إحصائهن؟ قال: هُنَّ العَفَائِفُ من نسائهم. ٥  
عن أبان بن عبد الرحمن، قال: سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: أدنى ما يُخْرَجُ به الرجل من الإسلام أن يرى الرأي بخلاف الحق فيقيم عليه، قال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾، وقال: الذي يكفر بالإيمان الذي لا يعمل بما أمر الله به، ولا يرضى به. ٦

عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام، في قول الله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾، قال: هو ترك العمل حتى يدعه أجمع، قال: منه الذي يدع الصلاة

١. الكافي ٤/ ١٤٤، ح ١٢ (٢/ ٣٨٧).

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٣، ح ٣٧.

٣. تفسير العياشي ٢/ ١٣، ح ٣٨.

٤. تفسير العياشي ٢/ ١٤، ح ٤٠.

٥. هو الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

٦. تفسير العياشي ٢/ ١٤، ح ٤١.

٧. تفسير العياشي ٢/ ١٤، ح ٤٣.



متعمداً، لا من شغل، ولا من سُكر، يعني النوم.<sup>١</sup>  
 عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألتُه عن تفسير هذه الآية ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾، [فقال]: يعني بولاية علي عليه السلام ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.<sup>٢</sup>

صحیحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله تعالى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ فقال: العدس والحمص وغير ذلك.<sup>٣</sup>

ابن شهر آشوب السروي عن الباقر عليه السلام وعن زيد بن علي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ قال: بولاية علي عليه السلام.<sup>٤</sup>  
 وروى ابن الفارسي مثلها في روضة الواعظين<sup>٥</sup> عن زيد بن علي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

الآية الشريفة تتضمن حكم الطهارات الثلاث: الوضوء وغسل الجنابة

١. تفسير العياشي ٢/ ١٤، ح ٤٤.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٤، ح ٤٥.

٣. التهذيب ٩/ ٨٨، ح ١٠٩.

٤. المناقب ٣/ ٩٤.

٥. روضة الواعظين / ١٠٦.

والتيمم.

﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله.

﴿إِذَا﴾ ظرف متضمن معنى الشرط.

﴿قُمْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، فعل الشرط إي إذا أردتم القيام. «إذا عُدِّيَ إلى ربما كني به عن إرادة الشيء المذكور للملازمة والقران بينهما»<sup>١</sup>.

﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قُمْتُمْ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، وما بعدها يبين كيفية الوضوء.

﴿أَغْسِلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، جواب الشرط، الغسل: إمرار الماء على الشيء.

﴿وُجُوهَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الوجه: ما يستقبلك من شيء ومن الإنسان صورته. وحدّ الوجه «من قصاص شعر الرأس إلى محاذي شعر الذقن طولاً وما دخل بين الوسطى والإبهام عرضاً، وما خرج عن ذلك فلا يجب غسله. وما نزل من الشعر عن المحادر، فلا يجب غسله»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَيْدِيَكُمْ﴾ معطوفة على ﴿وُجُوهَكُمْ﴾. والأيدي: جَمْعُ يَدٍ، وَلَهَا اِطْلَاقَاتٌ مِنْ

الأصابع في حدّ السرقة إلى المنكبين فهي من الألفاظ المشتركة يحتاج تعيينه إلى القرينة.

﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾. وبهما تعين المراد من اليد أنّها

﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾. فحدّ اليد في غسلها إلى المرفق وبيان لغاية المغسول لا الغسل ودخول

المرفق بنفس الآية الشريفة لأنّ ﴿إِلَى﴾ فيها بمعنى «مع» كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾<sup>٣</sup> أو بمعنى «من».

١. الميزان ٥/ ٢١٩.

٢. البيان ٣/ ٤٤٩.

٣. سورة النساء / ٢.

«ويجب عندنا غسل الأيدي من المرفق، وغسل المرافق معها إلى رؤوس الأصابع، ولا يجوز غسلها من الأصابع إلى المرافق»<sup>١</sup>.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَمْسَحُوا﴾ معطوفة على ﴿فَاغْسِلُوا﴾. المسح: امرار اليد أو كل عضو لامس على الشيء بالمباشرة. و «إذا عُدِّيَ بنفسه أفاد الاستيعاب، وإذا عُدِّيَ بالباء دلّ على المسح ببعضه مِنْ غَيْرِ استيعاب وإحاطة»<sup>٢</sup>.  
﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَمْسَحُوا﴾. يدل على مسح بعض الرأس لا كله.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفة على ﴿رُءُوسِكُمْ﴾، وَقُرِئَ بالفتح معطوف على موضع ﴿رُءُوسِكُمْ﴾ وهو النصب، وَقُرِئَ بالجر معطوف على لفظ ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾.  
وعلى أي حال لم تعطف على ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ «في أول الآية مع انقطاع الحكم في قوله ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ بحكم آخر وهو قوله: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾، فان الطبع السليم يأبي عن حمل الكلام البليغ على ذلك<sup>٣</sup>، وكيف يرضى طبع متكلم بليغ أن يقول مثلاً: قبلت وجه زيد ورأسه ومسحت بكتفه ويده بنصب يد عطفاً على «وجه زيد» مع انقطاع الكلام الأول، وصلاحيه قوله «يده» لأن يعطف على محل المجرور المتصل به، وهو أمر جائز دائر كثير الورود في كلامهم»<sup>٤</sup> ٥.

١. التبيان ٣/ ٤٥٠.

٢. الميزان ٥/ ٢٢١.

٣. وَقَدْ قَالَ الْمُحَقِّقُونَ إِنَّ عَطْفَ الْأَرْجُلِ عَلَى الْوُجُوهِ، مِنْ أَقْبَحِ الْوُجُوهِ.

٤. الميزان ٥/ ٢٢٢.

٥. وراجع تفاسير آية الوضوء مِنْ «مفاتيح الغيب» للَفَخْرِ الرَّازِي فَقَدْ وَافَقَ الْإِمَامِيَّةَ بِعَدَمِ جَوَازِ عَطْفِ الْأَرْجُلِ عَلَى الْوُجُوهِ، وَأَنَّ الْعَطْفَ عَلَى الْجَوَارِ لَيْسَ مِنْ فِصِيحِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَلَا يَصِحُّ إِنْ فُرِضَ

﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْجُلَكُمْ﴾. الكعب هو العظم الناتي في وسط ظهر القدم.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص، اسم «كان» في محل جزم لأنه فعل الشرط.

﴿جُنُبًا﴾ خبر «كان». «الجنب في الأصل مصدر غلب عليه الاستعمال بمعنى

اسم الفاعل، ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد وغيره، يقال: رجل جنب وامرأة جنب ورجلان أو امرأتان جنب، ورجال أو نساء جنب، واختص الاستعمال بمعنى المصدر للجنابة»<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَطَهَّرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط المراد بالطهارة هنا الغسل لقوله

تعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾<sup>٢</sup>. أي «وإن أصابتكم جنابة وأردتم القيام إلى الصلاة فاطهروا بالاغتسال. والجنابة تكون بشيئين: أحدهما: بإنزال الماء الدافق في النوم أو اليقظة. وعلى كل حال بشهوة كان أو بغير شهوة.

والآخر: بالنقاء الختانيتين وحده غيبوبة الحشفة أنزل أو لم ينزل»<sup>٣</sup>. «ويستفاد من ذلك أن تشريع الوضوء إنما هو في حال عدم الجنابة، وأما عند الجنابة فالغسل فحسب كما دلت عليه الأخبار»<sup>٤</sup>.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾

وُقُوعُهُ مَعَ الْعَطْفِ وَمَعَ احْتِمَالِ اللَّبْسِ.

١. الميزان ٥/ ٢٢٥.

٢. سورة النساء / ٤٣.

٣. التبيان ٣/ ٤٥٧.

٤. الميزان ٥/ ٢٢٥.

فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴿٦﴾ قد مرَّ الكلام حول هذا القسم من الآية الشريفة في سورة النساء<sup>٢</sup> حول التيمم فلا نعيده وراجعه. ﴿مَنْهُ﴾ جار و مجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿صَعِيدًا﴾. و «من» ابتدائية والمراد أن يكون المسح بالوجه واليدين مبتداء من الصعيد<sup>٣</sup>. والضمير يرجع إلى ﴿صَعِيدًا﴾ أو التيمم.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع، والإرادة هنا تشريعية.

﴿اللَّهُ﴾ فاعل. ﴿لِ﴾ زائدة تأكيد.

﴿يَجْعَلُ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿لِ﴾ زائدة وفاعله. «أن» مضمرة وما بعدها بتأويل مصدر مفعول به لفعل ﴿يُرِيدُ﴾. والجعل هنا أيضاً تشريعي. ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَجْعَلُ﴾. ﴿مِنْ﴾ زائدة أو تبعيضية. ﴿حَرَجٍ﴾ اسم مجرور في محل نصب لأنه مفعول به ﴿يَجْعَلُ﴾.

الخرج: المشقة والضيق والزحمة التي لا يطاق عادة والعسر والثقل والإصر. ويستفاد منها قاعدة نفي الخرج الحاكمة على الأحكام الأولية الشرعية والبحث عنها يأتي في القواعد الفقهية.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿لَكِنْ﴾ حرف استدراك.

﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع والإرادة كما مرّت تشريعية. ﴿لِ﴾ زائدة، تأكيد.

﴿يُطَهِّرُكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. يدلّ على أن الطهارات الثلاث هي طهارة معنوية وأنها غايتها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لِيَتِمَّ﴾ معطوفة على ﴿لِيَجْعَلَ﴾.

١. أجود البيان في تفسير القرآن ٥/ ٧٧.

٢. سورة النساء / ٤٣.

٣. الميزان ٥/ ٢٢٩.

﴿نِعْمَتُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه والمراد بالنعمة هنا الدين بمجموعه.

ومنها: جعل الطهارات الثلاث وغيرهن من الأحكام والمعارف.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُتِمَّ﴾

﴿لَعَلَّ﴾ حرف مشبهة بالفعل. ﴿كُمُ﴾ اسمه.

﴿تَشْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل رفع خبر ﴿لَعَلَّ﴾. ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على

إتمام نعمته من تشريع الدين بمجموعه الكامل.

### الروايات

صحيحة زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت:

إنَّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟

فضحك ثم قال: يا زرارة قال: رسول الله ﷺ ونزل به الكتاب من الله لأنَّ

الله ﷻ يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أنَّ الوجه كله ينبغي أن يغسل ثم قال:

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ثم فصل بين الكلام فقال: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين

قال: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ أنَّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما

وصل اليدين بالوجه: فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فعرفنا حين وصلها بالرأس أنَّ

المسح على بعضها ثم فسّر ذلك رسول الله ﷺ للناس فضيّعوه ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا

مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ فلما وضع الوضوء إن لم

تجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لأنّه قال: ﴿بِوُجُوْهِكُمْ﴾ ثم وصل بها

﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾ ثم قال: ﴿مِنْهُ﴾ أي من ذلك التيمم لأنّه علم أنَّ ذلك أجمع لم يجر على

الوجه لأنّه يعلّق من ذلك الصعيد ببعض الكف ولا يعلّق ببعضها، ثم قال: ﴿مَا يُرِيدُ

اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ (في الدين) مِّنْ حَرَجٍ والحرج الضيق.<sup>١</sup>  
 صحيحة أخرى لزرارة وبكير أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن وضوء  
 رسول الله ﷺ فدعا بطست أو تور فيه ماء فغمس يده اليمنى فغرف بها غرفة  
 فصبها على وجهه، فغسل بها وجهه، ثم غمس كفه اليسرى فغرف بها غرفة فأفرغ على  
 ذراعه اليمنى فغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكف لا يردّها إلى المرفق ثم غمس كفه  
 اليمنى فأفرغ بها على ذراعه اليسرى من المرفق وصنع بها مثل ما صنع باليمنى، ثم  
 مسح رأسه وقدميه ببلل كفه، لم يحدث لهما ماءً جديداً ثم قال: ولا يدخل أصابعه  
 تحت الشراك قال: ثم قال: إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَقُولُ: ﴿يَتَّيِبُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ  
 فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ فليس له أن يدع شيئاً من وجهه إلّا غسّله لأنّ الله يقول:  
 ﴿اَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ثم قال: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى  
 الْكَعْبَيْنِ﴾ فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف  
 الأصابع فقد أجزأه.<sup>٢</sup>

#### ورواها الصدوق بسنده الصحيح في علل الشرائع.<sup>٣</sup>

خبر الهيثم بن عروة التميمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﻻ:  
 ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ فقلت: هكذا ومسحت من ظهر كفي إلى  
 المرفق، فقال: ليس هكذا تنزِيلها إنّما هي ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، ثم  
 أمرّ يده من مرفقه إلى أصابعه.<sup>٤</sup>

رجال السند كلهم ثقات إلّا سهل وهو مختلف فيه، والمراد بتنزيلها أي مفادها ومعناها.  
 صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله ﻻ: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ

١. الكافي ٥/ ٩٥، ح ٤ (٣٠/ ٣).

٢. الكافي ٥/ ٨٢، ح ٥ (٢٦/ ٣).

٣. علل الشرائع / ٢٧٩.

٤. الكافي ٥/ ٩١، ح ٥ (٢٨/ ٣).

النِّسَاءُ ﴿ فقال: هو الجماع ولكن الله ستير يحبُّ السَّتر فلم يسم كما تسمون. ١  
عن زُرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت: كيف يُمسح الرأس؟ قال: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فما مسحت من رأسك فهو كذا، ولو قال: امسحوا رؤوسكم، فكان عليك المسح كله. ٢

عن صفوان، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، فقال: قد سأل رجل أبا الحسن عليه السلام عن ذلك؟ فقال: سيكفيك أو كفتك سورة المائدة، يعني المسح على الرأس والرجلين. ٣

عن محمد بن أحمد الخراساني، رفع الحديث، قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام رجلٌ، فسأله عن المسح على الخُفَّينِ، فأطرق في الأرض ملياً، ثم رفع رأسه، فقال: يا هذا، إنَّ الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطَّهارة، وقسمها على الجوارح، فجعل للوجه منه نصيباً، وجعل لليدين منه نصيباً، وجعل للرأس منه نصيباً، وجعل للرجلين منه نصيباً، فان كانتا خُفَّاك من هذه الأجزاء، فامسح عليهما. ٤

عن عبد الله بن خليفة، أبي العريف المكراني، قال: قام ابن الكواء إلى علي عليه السلام فسأله عن المسح على الخُفَّينِ؟ فقال: بعد كتاب الله تسألني؟ قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ إلى قوله: ﴿الْكَعْبَيْنِ﴾ ثم قام إليه ثانية فسأله، فقال له مثل ذلك ثلاث مرَّات، كلَّ ذلك يتلو عليه هذه الآية. ٥

عن الحسن بن زيد، عن جعفر بن محمد عليه السلام، أنَّ علياً عليه السلام خالف القوم في

١. الكافي ١١/ ٢٨١، ح ٥ (٥٥٥/٥).

٢. تفسير العياشي ١٩/ ٢، ح ٥٤.

٣. تفسير العياشي ١٩/ ٢، ح ٥٥.

٤. تفسير العياشي ٢١/ ٢، ح ٦٠.

٥. تفسير العياشي ٢٢/ ٢، ح ٦٢.



المسح على الخُفَّين على عهد عمر بن الخطاب، قالوا: رأينا النبي ﷺ يمسح على الخُفَّين، قال: فقال عليّ عليه السلام: قبل نزول المائدة أو بعدها؟ فقالوا: لا ندري. قال: ولكن أدري أنَّ النبي ﷺ ترك المسح على الخُفَّين حين نزلت المائدة، ولأنَّ أَمْسَحَ على ظهر حمار أحبَّ إلي من أن أَمْسَحَ على الخُفَّين؛ وتلا هذه الآية ﴿يَتَأْتِيَا الذِّبْنَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ١.

عن زُرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التيمم، فقال: إنَّ عمار بن ياسر أتى النبي ﷺ، فقال: أجنبت وليس معي ماء؟ فقال: كيف صنعت يا عمار؟ قال: نزعت ثيابي، ثمَّ تمعَّكتُ على الصَّعيد؟ فقال: هكذا يصنع الحمار، إنَّما قال الله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ ثمَّ وضع يديه جميعاً على الصَّعيد، ثمَّ مسحهما، ثمَّ مسح من بين عينيه إلى أسفل حاجبيه، ثمَّ ذلك إحدى يديه بالأخرى على ظهر الكفِّ بدءاً باليمنى. ٢.


موثقة ابن بكير قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام قوله تعالى ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ما يعني بذلك إذا قمتم إلى الصلاة؟ قال: إذا قمتم من النوم، قلت: ينقض النوم الوضوء؟ فقال: نعم إذا كان يغلب على السمع ولا يسمع الصوت. ٣.  
خبر غالب بن الهذيل قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ على الخفض هي أم على النصب؟ قال: بل هي على الخفض. ٤.

١. تفسير العياشي ٢/ ٢٢، ح ٦٣.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٢٢، ح ٦٤.

٣. التهذيب ١/ ٧، ح ٩.

٤. التهذيب ١/ ٧٠، ح ٣٧.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ 

«في هذه الآية إذكاري بنعم الله تعالى عليهم برسوله ﷺ ﴿وَمِيثَقَهُ الَّذِي﴾ واثقهم به عندما ضمنوا لرسول الله ﷺ السمع والطاعة، ثم حذرهم أن ينقضوا ذلك بقلوبهم، وأعلمهم أنه ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾»<sup>١</sup>.

و «ترغيب إلى دوام طاعة الله سبحانه وتعالى، وحث على الوفاء بعهده، وتذكير لهم بما أنعم الله تعالى على المؤمنين من الفيوضات العلية والمواهب الجميلة، والدخول في الإسلام الذي جمعهم بعد أن كانوا متباغضين متفرقين، وأرشدتهم إلى الكمالات والمعارف الواقعية بعد أن كانوا في جاهلية عمياء، مع أن حالهم في الإسلام من حيث أمنهم وغناهم، وصفاء قلوبهم، وخلوص نيّاتهم، وطهارة أعمالهم معروف لا يمكن إنكاره، وتبين هذه الآية المباركة قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾»<sup>٢</sup>٣.

و «كل من دخل في دين أو حزب فقد قطع عهداً على نفسه أن يستجيب لمبادئه وتعاليمه، ويعمل بها عن رضا وطيب نفس... وهذا هو الميثاق الذي واثقنا الله به نحن المسلمين حين ارتضينا الإسلام ديناً، ومن قام بهذا الميثاق وأداه كما أمر الله فقد وفى مع الله، ومن عصى فقد خان الله، ومن أظهر معاني الوفاء لله سبحانه الاخلاص لعباده. والصدق في معاملتهم، ولا أعرف علامة على الصدق في الدين حقاً وواقعاً

١. التبيان ٣/ ٤٥٩.

٢. سورة آل عمران / ١٠٣.

٣. مواهب الرحمن ١١/ ٣٣.

غير الوفاء... وأنصح كل انسان أن لا يآتمن أحداً لعلمه أو عبادته، أو لمنصبه وشهرته، بل يآتمنه ويثق به بعد اليقين بصدقه ووفائه»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على الأفعال الآمرة في الآية السابقة. فيكون الخطاب للمؤمنين.

﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والمراد بالنعمة هو إرسال رسول منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم وإنزال الكتاب السماوي عليهم وتشريع الأحكام الشرعية من الواجبات والمحرمات، وبالجملة المراد بالنعمة هو الإسلام بحقيقته وواقعه وروحه ولبه.

ومن إتمام النعمة هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾<sup>٢</sup>.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نِعْمَةَ﴾. والضمير الخطاب يرجع إلى المؤمنين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مِيثَاقَهُ﴾ معطوف على ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾. الميثاق: العهد المؤكد، والمراد به الاسلام عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً بقرينة قوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

ومنه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بدلالة قوله تعالى بعد نصبه عليه السلام بيد رسول الله ﷺ في يوم الغدير: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>٣</sup>. فتدخل الولاية في الإسلام بل هي من دعائمه الأساسية

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٤.

٢. سورة المائدة / ٣.

٣. سورة المائدة / ٣.

بل هي ركنه الوحيد. والشاهد عليه ما يأتي من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾<sup>١</sup>.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، صفة لـ ﴿مِيثَاقَهُ﴾.

﴿وَأَثَقْتُمُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي عاهدكم عهداً غليظاً ومؤكداً.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَأَثَقْتُمُ﴾.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿وَأَثَقْتُمُ﴾، بمعنى حين، وبيان للميثاق المأخوذ.

﴿قُلْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. في محل جرٍّ بالاضافة لوقوعه بعد الظرف.

﴿سَمِعْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. مفعول به ومقول القول. ومفعول به ﴿سَمِعْنَا﴾

محذوف أي «قولك».

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَطَعْنَا﴾ معطوف على ﴿سَمِعْنَا﴾ ومفعوله محذوف أي «أمرك». وحذف

المفعولين يدلّ على الإطلاق أي السمع المطلق والطاعة المطلقة وهي حقيقة الإسلام

الذي لا يكون إلا الانقياد لله تعالى والدخول في ولايته التي هي ولاية رسوله ﷺ

وولاية أوصياء رسوله ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿اتَّقُوا﴾ معطوف على ﴿أَذْكُرُوا﴾، وتأکید آخر على المحافظة على ميثاق الله.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿إِنْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنْ﴾. ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾.

﴿بِذَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿الصُّدُورِ﴾ مضاف إليه. «تحذير لهم في نسيان نعمه ونقض موثيقه... فإن الله

تعالى عالم بخفايا القلوب وما تضمرة النفوس»<sup>١</sup>.

### رواية

قال أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام الميثاق هو ما بين لهم في حجة الوداع من تحريم كل مسكر وكيفية الوضوء على ما ذكره الله وغير ذلك ونصب أمير المؤمنين عليه السلام إماماً للخلق.<sup>٢</sup>

### دراية

قال علي بن إبراهيم القمي: لما أخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم بالولاية، قالوا: سمعنا وأطعنا. ثم نقضوا ميثاقهم!<sup>٣</sup>

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

خطاب للمؤمنين يذكرهم الله ﷻ بأهم قضايا التي تمس حياتهم المادية والمعنوية والدينية والأخروية وأمرهم أن يكونوا قائمين بالعدل، يقومون به ويدومون عليه ومبينون له.

و «العدل الذي أمر الله به في هذه الآية وغيرها، العدل الذي هو أمل الإنسانية وهدفها، والذي لا تستقيم بدونه حياة... إن المجتمع قد يعيش من غير علم، أمّا أن

١. مواهب الرحمن ١١ / ٣٤.

٢. التبيان ٣ / ٤٦٠؛ مجمع البيان ٣ / ١٦٨؛ روض الجنان ٦ / ٢٨٥.

٣. تفسير القمي ١ / ٢٤١.

يعيش بلا عدل في جهة من الجهات فمحال، حتّى ولو كان جميع أفرادها عباقرة ومخترعين... إنّ العلم بلا عدل ضرره أكثر من نفعه، أمّا العدل فكلّه نفع، ومحال أن يكون فيه للضرر شائبة، وإنّ وجدت فهي وسيلة لدفع ما هو أعظم ضرراً، وأشدّ خطراً<sup>١</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للذين آمنوا واعطوا السمع والطاعة  
﴿كُونُوا﴾ فعل أمر ناقص و «واو» اسمه.

﴿قَوَّامِينَ﴾ خبر «كان». «القوام من صيغ المبالغة، والمراد به كثرة القيام له ﷻ بالملازمة لأداء حقوقه، والوفاء بعهوده، والإخلاص في الأعمال ابتغاءاً لمرضاته ﷻ حتّى تصير عادةً لكم، وخُلُقاً كريماً فيكم، فتكونوا مظهرًا من مظاهر أسائه المقدّسة، ولتكونوا دعاة إلى الله تعالى بأعمالكم وأقوالكم»<sup>٢</sup>.  
﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿قَوَّامِينَ﴾.

﴿شُهَدَاءَ﴾ حال من اسم «كان» أو بدل من ﴿قَوَّامِينَ﴾ أو خبر ثان لـ «كان». ولم يَنُونْ آخرها لأنّها ممنوع من الصرف على وزن «فُعَلَاءَ». والمراد بها إقامة الشهادة في الدعوي وغيرها.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿شُهَدَاءَ﴾. القسط: العدل وهو وضع كلّ شيء في موضعه وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه، والمراد: «كونوا شهداء بالعدل بابتغاء الحقيقة في الشهادة وأداء الواقع على ما هو عليه، بغير ميل ولا حيف اتّباعاً للهوى، والآية المباركة تشابه الآية الكريمة التي وردت في سورة النساء ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

١. التفسير الكاشف ٢٦/٣.

٢. مواهب الرحمن ٦٦/١١.

تَعْمَلُونَ خَيْرًا<sup>١</sup> ٢.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم محلاً، مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الثقيلة ومفعول به. ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يبعثكم ولا يحملنكم.

﴿شَنَّانٌ﴾ فاعل. ومعناه: شدة البغض والعداوة. أي: لا تشهدوا على أحد إلا بالعدل ولو كان عدواً لكم فإلى هنا ردع «عن الظلم في الشهادة لسابق عدواة من الشاهد للمشهود عليه»<sup>٣</sup>.

﴿قَوْمٍ﴾ مضاف إليه. والمراد بهم «أعداء الخير والعدل الذين يقاومون كل محاولة لتحرير الإنسانية من قيود الضعف والتخلف»<sup>٤</sup>.

﴿عَلَى﴾ حرف جر.

﴿أَلَا﴾ مكوّنة من «أَنْ» المصدرية الناصبة، و «لَا» نافية.

﴿تَعْدِلُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أَنْ». وفاعله. «أَنْ» المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جرّ بـ ﴿عَلَى﴾ متعلّق بـ ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

﴿أَعْدِلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. تأكيد على مراعاة العدل في خصوص الشهادة بل في جميع الأمور.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. والضمير يرجع إلى العدل. ﴿أَقْرَبُ﴾ خبر.

﴿لِلتَّقْوَى﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَقْرَبُ﴾. ويستفاد أنّ العدل من الأسباب القريبة ﴿لِلتَّقْوَى﴾ وبينهما مناسبة السببية.

١. سورة النساء / ١٣٥.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٦٦.

٣. الميزان ٥ / ٢٣٧.

٤. التفسير الكاشف ٣ / ٢٦.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿اتَّقُوا﴾ معطوف على ﴿اعْدِلُوا﴾. فعل أمر وفاعله. لأنَّ التقوى هي الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الأحكام.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل جاء تأكيداً.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿خَيْرٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿بِمَا﴾ جر وموصول في محلِّ جر، متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي عالمٌ بأعمالكم ويحاسبكم ويجازيكم ونسأل الله عفوه ورحمته ومغفرته.

### الروايات

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلى من الماء يصيبه الضمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قلَّ.<sup>١</sup>

رواها الكليني<sup>٢</sup> بسند آخر عن الحلبي.

صحيحة معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك.<sup>٣</sup>

صحيحة ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ من أعظم النَّاسِ حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمَّ خالفه إلى غيره.<sup>٤</sup>

معتبرة الفضل عن الرضا عليه السلام يقول: استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعمة.<sup>٥</sup>

١. الكافي ٣/ ٣٨٠، ح ٢٠ (١٤٨/٢).

٢. الكافي ٣/ ٣٧٥، ح ١١ (١٤٦/٢).

٣. الكافي ٣/ ٣٧٧، ح ١٥ (١٤٧/٢).

٤. الكافي ٣/ ٧٣٢، ح ٣ (٣٠٠/٢).

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٤٤، ح ٥٢ (طبعة آل البيت).



كتب أمير المؤمنين في عهده إلى مالك الأشتر المروي بسند معتبر: ... إنَّ أفضل  
 قرة عين الولاية استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية...<sup>١</sup>  
 وكتب علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام إلى ابنه زيد: اوصيك بتقوى الله فإنَّها تجمع  
 لك خير الدنيا والآخرة؛ أمَّا الدنيا فتطهير العرض من الدنس وإكرام النفس عن  
 الدناءة، وأمَّا الآخرة فحسن الثواب وكرم المآب. واعلم أنَّ الناس إلى ذمِّ المسيء أسرع  
 منهم إلى حمد المحسن، فإنَّ أتاك سائل وكان أهلاً فاقض حاجته لأنَّه أهله، وإن لم يكن  
 أهلاً فلا تدع ما أنت أهله، وليكن مالك دون عرضك، ولا تجعل عرضك دون  
 مالك، ولا تدع من المعروف صغيراً وكبيراً<sup>٢</sup>.  
 الروايات الواردة حول العدل كثيرة قد ذكرت خمسين منها في كتابي الموسوعة<sup>٣</sup>.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

ترغيب وتحثيث في الإيَّان والعمل الصالح.  
 هذه الآية وما بعدها «وعد جميل للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإيعاد شديد  
 للذين كفروا وكذبوا بآيات الله، وبين المرحلتين مراحل متوسطة ومنازل متخللة أبهم  
 الله سبحانه أمرها وعقباها»<sup>٤</sup>.  
 ﴿وَعَدَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.  
 ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، لم يذكر متعلق الإيَّان فيشمل جميع الاعتقادات

١. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٢. مكارم أخلاق النبي والأئمة عليهم السلام / ٢٧٤، ح ٣٥٩، للقطب الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣.

٣. راجع موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٧ / (١٢٠-١١١).

٤. الميزان ٥ / ٢٣٨.

الصحيحة نحو الإقرار بالله تعالى ووحدانيته والتصديق بنبوّة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وإمامة وخلافة وصيّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده الأوصياء المعصومين وغيرها من العقائد الحقّة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَمِلُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿الصَّلَحَتْ﴾ مفعول به، الجمع المحلّ بـ «ال» يفيد العموم فيشمل جميع الأعمال الصالحة في تعامل الإنسان مع خالقه ومع أفراد مجتمعه الديني والإنساني ومع الطبيعة والبيئة ونحوها.

﴿هَمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿مَغْفَرَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية ﴿هَمْ مَغْفَرَةٌ﴾ إنشا للوعد الذي أخبر عنه تعالى بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ وتدلّ على أهمية المواعيد والتأكيد عليه. والمغفرة: أصلها التغطية ومعناها تكفير السيئة. أو «المغفرة: الستر، إي إن إيمانهم وعملهم الصالح يوجبان غفران الله تعالى لهم بستر ذنوبهم ومحو آثارها من نفوسهم»<sup>١</sup>.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَجْرٌ﴾ معطوف على ﴿مَغْفَرَةٌ﴾. الأجر «هو الثواب الذي وعد الله المؤمنين به على فعلهم الطاعات. والفرق بين الثواب والأجر في العرف أن الثواب هو الجزاء على الطاعات. والأجر قد يكون مثل ذلك وقد يكون في المعنى المعاوضة على المنافع بمعنى الأجر»<sup>٢</sup>.

﴿عَظِيمٌ﴾ نعت، الأجر العظيم هو «الجزاء المضاعف الذي لا حدّ لعظمته»<sup>٣</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٧٠.

٢. التبيان ٣ / ٤٦٢.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ٧٠.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

اسلوب قرآني في الجمع بين الترغيب والترهيب والقران بين الوعد والوعيد  
إتماماً للحجة وأيضاحاً للمحجة.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ، والجملة الاسمية ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَحِيمِ﴾ خبره.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والكفر هو الإنكار مع وضوحه وثبوت الشيء  
عند المنكر، والمراد بالكفر هنا الكفر العقائدي لا الكفر العملي الذي هو الاتيان  
بمعاصي الله.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿كَذَّبُوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾.

قال العلامة الطباطبائي رحمته الله: «تقييد الكفر بتكذيب الآيات للاحتراز عن الكفر  
الذي لا يقارن تكذيب الآيات الدالة، ولا ينتهي إلى إنكار الحق مع العلم بكونه حقاً  
كما في صورة الاستضعاف، فإن أمره إلى الله إن يشأ يغفره وإن يشأ يعذب عليه»<sup>١</sup>.  
ولكن على ما قلنا كل كفر تكذيب فيكون عطف التكذيب على الكفر عطف  
تفسير لا التقييد.

نعم، المكذب بآيات الله وإن لم يعلمها آيات فهو كافر إذا كان له سبيل إلى  
معرفتها.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. يتعلقان بـ ﴿كَذَّبُوا﴾. آيات الله هي  
توحيد الله وصفاته الذاتية وعدله ونبوة نبيه ﷺ وخلافة وصيه عليه السلام والإقرار  
والاعتراف بأحكام الله الواردة في الشريعة المقدسة.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.  
 ﴿أَصْحَابُ﴾ خبر. «المصاحبة: تقتضي الملازمة كما يقال أصحاب الصحراء  
 بمعنى الملازمين لها»<sup>١</sup>.  
 ﴿الْجَحِيمِ﴾ مضاف إليه. اسم من أسماء جهنم، أصلها الجحمة وهي شدة تأجج  
 النار.  
 ومعنى ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أنهم يخلدون في النار لما مرّ من اقتضاء المصاحبة  
 الملازمة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ  
 أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾

خطاب للمؤمنين ذكرهم الله نعمته عليهم «من النصر والعزّة والغلبة على  
 الأعداء والمشرّكين، وحفظهم من مكائدهم وشرورهم، والآية المباركة تشمل جميع  
 أطافه ﷺ على المؤمنين التي خصّهم بها في جميع الغزوات والوقائع التي دارت بين  
 المسلمين والكفار، الذين كان همّهم الوحيد محو أثر الإسلام والقضاء على دين الحقّ،  
 ممّن كان في عصر النزول ومن بعده إلى يوم القيامة»<sup>٢</sup>.

ولا يختص بأحدها بل «يقبل الانطباق على وقائع متعددة مختلفة وقعت بين  
 الكفار والمسلمين كغزوات بدر وأحد والأحزاب وغير ذلك، فالظاهر أن المراد به  
 مطلق ما هم به المشركون من قتل المؤمنين وإحفاء أثر الإسلام ودين التوحيد»<sup>٣</sup>.  
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تذكير للمؤمنين.

١. التبيان ٣/ ٤٦٣.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ٧١.

٣. الميزان ٥/ ٢٣٨.

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. والذكر هو حضور المعنى للنفس ونقيضه النسيان والتذكر هو طلب المعنى لا طلب القول.

﴿نِعَمَتَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والمراد بها هنا نصر المسلمين أعدائهم والظفر بهم والسلطة عليهم.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نِعَمَتَ﴾، والضمير يرجع إلى المؤمنين.  
﴿إِذْ﴾ ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب بمعنى «حين» متعلق بـ ﴿نِعَمَتَ اللَّهِ﴾ أو ﴿أَذْكُرُوا﴾.

﴿هَمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، الهم: القصد.

﴿قَوْمٌ﴾ فاعله. والمراد بهم هنا «مشركو مكة الذين أرادوا القضاء على الإسلام في بدايته عن طريق البطش بأتباعه قتلاً وتعذيباً وتشريداً، ثم اعلان الحرب وتحريض الجيوش، ولكن الله في النهاية نصر المسلمين على أعدائه وأعدائهم، وصاروا أعزاء بعد أن كانوا أذلاء، وحاكمين بعد أن كانوا محكومين، ولا نعمة أعظم من الحرية والنصر على العدو»<sup>١</sup>.

وقال القمي: يعني أهل مكة من قبل أن يفتحها فكف أيديهم بالصلح يوم الحديبية.<sup>٢</sup>

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَبْسُطُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَنْ يَبْسُطُوا﴾ وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿هَمْ﴾. البسط: المدّ

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَبْسُطُوا﴾.

﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. بسط إليه لسانه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا

١. التفسير الكاشف ٣/ ٢٧.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٤١.

بطش به بالقتل والإهلاك.

﴿فَ﴾ حرف عطف جاء للترتيب و «للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها وتحقيقها

بعد الهم بلا فصل»<sup>١</sup>.

﴿كَفَّ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله ﷻ.

﴿أَيَّدِيَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. واهتار الأيدي في ﴿أَيَّدِيَهُمْ﴾ لزيادة

التقرير.

﴿عَنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَفَّ﴾. والضمير يرجع إلى المؤمنين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ معطوفة على جملة ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ﴾. تأكيد تام على مراعاة التقوى

في جميع الأحوال لاسيما عند النصر والظفر على العدو.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتَوَكَّلْ﴾، وتقديمها يفيد الحصر.

﴿فَ﴾ زائدة. ﴿لَا﴾ لام الأمر. ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ «لام الأمر».

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ فاعله. لابد أن يتوكل المؤمنون على الله «لا على قوتهم، أي إنما

منحتكم هذه القوة لتستعملوها في أحقاق الحق، لا في إحياء الباطل، وفي انتشار الأمن

والعدل، لا لاستغلال المستضعفين، والتأمر عليهم، والتحكم بهم، كما فعل بكم

المشركون من قبل، وكما يفعل أكثر الناس، يطلبون العدالة، وهم ضعفاء، ويتنكرون

لها، وهم أقوياء... إن المؤمن حقاً يخشى الله ويشكره، وهو قوي أكثر مما يخشاه

ويشكره، وهو ضعيف، أو هو في الحالين سواء - على الأقل - أما من آمن بلسانه، دون

قلبه فعلى العكس»<sup>٢</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٧٢.

٢. التفسير الكاشف ٣ / ٢٨.

### شأن نزولها

الحبري بإسناده عن ابن عباس قال: نزلت في رسول الله ﷺ وعليّ وزيريه حين أتاهم يستعينهم في القَتِيلَيْن<sup>١</sup>.

نقل عنه الحسكاني في شواهد التنزيل<sup>٢</sup>.

اختلفوا في الباسطين أيديهم على ستة أقوال:

[١] «فقال مجاهد وقتادة وأبو مالك: هم اليهود همّوا بأن يقتلوا النبي ﷺ لما مضى إلى بني قريظة<sup>٣</sup> يستعين بهم على دية مقتولين من بني كلاب بعد بئر معونة كانا وفدا على النبي ﷺ فلقبهما عمرو بن أمية الضمري فقال: أ مسلمين؟ فقالا: بل وافدين، فقتلها، فقال له النبي ﷺ قتلتي قتيلين قبل أن يبلغا الماء والله لأدينهما. ومضى إلى يهود بني قريظة يستعين بهم.

وقيل: كان يستقرض لأجل الدية لأنه كان يحملها، فهتّت بنو قريظة بالفتك به وبقتله، فأعلم الله تعالى النبي ﷺ ذلك فانصرف عنهم.

[٢] وقال ابن عباس: كانت اليهود دعوا رسول الله ﷺ إلى طعام لهم، وعزموا على الفتك به، فأعلم الله ذلك نبيّه ﷺ فلم يحضر.

[٣] وقال الحسن: إنما بعثت قريش رجلاً ليفتك بالنبي ﷺ فاطلع الله نبيه على أمره ومنعه الله منه، لأنه دخل على النبي ﷺ وسيفه مسلول فقال له: أرنيه فاعطاه إيّاه، فأما حصل في يده قال: ما الذي يمنعني من قتلك؟ فقال النبي ﷺ: الله يمنعك فرمى بالسيف وأسلم. واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن أمية ليغتاله ﷺ بعد بدر، فأعلمه الله ذلك. وكان ذلك سبب إسلام عمرو بن

١. تفسير الحبري / ٢٥٧، رقم ٢٠.

٢. شواهد التنزيل ١/ ١٧٣، رقم ١٨٦.

٣. وفي مجمع البيان ٣/ ١٦٩: بني النضير.

وهب.

[٤] وقال الواقدي: غزا رسول الله ﷺ جمعاً من بني ذبيان ومحارب بذى أمر فتحصنوا برؤوس الجبال، ونزل رسول الله ﷺ بحيث يراهم، فذهب لحاجته فأصابه مطر فبل ثوبه، فنشره على شجرة واضطجع تحته بعيداً من أصحابه، والأعراب ينظرون إليه فأخبروا سيدهم دعثور بن الحارث المحاربي فجاء حتى وقف على رأسه بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد ﷺ مَنْ يمنعك مني اليوم؟ فقال: الله ودفع جبرائيل في صدره ووقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، وقام على رأسه وقال: مَنْ يمنعك مني اليوم؟ فقال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ فنزلت الآية.

[٥] وقال أبو علي الجبائي: المعني بذلك ما لطف الله تعالى المسلمين من كف أعدائهم عنهم حين هموا باستتصالحهم بأشياء شغلهم بها من الأمراض والقحط، وموت الأكابر، وهلاك المواشي وغير ذلك من الأسباب التي انصرفوا عن قتل المؤمنين:

[٦] وقال آخرون: نزلت الآية فيما عزم المشركون على الايقاع بالنبي ﷺ وأصحابه يوم بطن النخلة إذا دخلوا في الصلاة، فاعلمه الله ذلك، فصلى بهم صلاة الخوف. وإنما جعل الله تخلص النبي ﷺ بما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث كان إمامهم وسيدهم، وكان مبعوثاً إليهم بما فيه مصالحهم، فمقامه بينهم نعمة على المؤمنين، فلذلك اعتد به عليهم<sup>١</sup>.



﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١٢)

حديث عن اليهود ونعم الله تعالى عليهم وميثاق الله معهم ونقضهم الميثاق وهذا الحديث يجري في غيرهم من الأمم لأن سنن الله ثابتة لا تتغير ولقول رسول الله ﷺ: كل ما كان في الأمم السالفة فإنه يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.<sup>١</sup>

﴿و﴾ استئنافية. ﴿ل﴾ ابتدائية تأكيدية. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَخَذَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِيثَاقٌ﴾ مفعول به. الميثاق: «اليمين المؤكدة لأنه يستوثق بها من الأمر»<sup>٢</sup>، العهد والعقد وفي الفارسية: «بيان»، «قرارداد».

﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثانٍ. وهم بنو يعقوب من قوم اليهود.

﴿و﴾ عاطفة وما بعدها تأكيد للميثاق تتميم للنعمة عليهم.

﴿بَعَثْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَعَثْنَا﴾ أو متعلق بحال من ﴿نَقِيبًا﴾ لأنه صفة قدّمت عليه. لأن الحجج الإلهية من قوم لا بد أن يكونوا ﴿مِنْهُمْ﴾.

١. كمال الدين وتام النعمة / ٥٧٦؛ ونحوها في تفسير العياشي ٢ / ٢٤، ح ٦٩.

٢. التبيان ٣ / ٤٦٥.

﴿آتَى﴾ مفعول به، وعلامة نصبه الياء لأنه مشئ وحذفت نونه للإضافة.

﴿عَشَرَ﴾ مضاف إليه، مبني على الفتح.

﴿نَقِيبًا﴾ تمييز، النقيب: الباحث عن القوم وأحوالهم «والظاهر أنهم رؤساء الأسباط الإثني عشر، كانوا كالولاة عليهم يتولون أمورهم فنسبتهم إلى أسباطهم بوجه كنسبة أولي الأمر إلى الأفراد في هذه الأمة لهم المرجعية في أمور الدين والدنيا غير أنهم لا يتلقون وحياً، ولا يشرعون شريعة، وإنما ذلك إلى الله ورسوله»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوفة على ﴿أَخَذَ اللَّهُ﴾.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبهة بالفعل واسمه.

﴿مَعَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. و «مع» يدل على المصاحبة والنصرة والحفظ والمعونة. ومعية الله مع العباد معية علم وقدرة وحفظ ونصرة لا الاتحاد والحلول الباطلان. وجملة ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ في محل نصب مفعول به - مقول القول - . ثم بعد أن يذكر الله تعالى نعمة النقاء وأنه تعالى معهم، يشرع في ذكر الميثاق وهو يتضمن أموراً خمسة:

﴿لَ﴾ للتوكيد موطئة للقسم. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَقَمْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله في محل جزم لأنه فعل الشرط. والفعل مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع. وجملة ﴿إِنْ أَقَمْتُمْ﴾ اعتراضية بين القسم المحذوف وجوابه.

﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به، وهذا هو الأمر الأول في الميثاق. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ معطوفة على ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾. وهذا هو الأمر الثاني في

الميثاق.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ءَامَنْتُمْ﴾ معطوفة على ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾.

﴿رُسُلِي﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَامَنْتُمْ﴾ ومضاف إليه. وهذا هو الأمر الثالث في الميثاق، وهو الإيمان بجميع الأنبياء الماضين، ووجه تأخيرهِ عن الأمرين الأولين شدة الاهتمام بهما بحيث لا يقبل الإيمان بالرسول من دونهما وإلا هما متأخران عن الإيمان كما هو الواضح.

أو المراد الإيمان بالأنبياء المتأخرين من اليهود نحو: عيسى بن مريم عليه السلام ومحمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. فيصح التأخير والأول أظهر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَزَّزْتُوهُمْ﴾ معطوفة على ﴿ءَامَنْتُمْ﴾. المراد بالتعزيز هنا: النصر مع التعظيم.

أي نصرتموهم، والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿رُسُلِي﴾. وهذا هو الأمر الرابع.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَقْرَضْتُمْ﴾ معطوفة على ﴿ءَامَنْتُمْ﴾. القرض: هو الإنفاق المندوب في سبيل الله وجهاد أعدائه دون الحقوق المالية الواجبة.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به أول. ﴿قَرَضًا﴾ مفعول به ثانٍ.

﴿حَسَنًا﴾ نعت أي من طيبة النفس ومن الحلال ومن دون المن والأذى.

وهذا هو الأمر الخامس وهو بذل المال في سبيل الله تعالى، جعله الله في الميثاق لأن اليهود معروفون بالبخل والشح فأراد الله تطهيرهم منهما.

وهذه الأمور الخمسة هي مفاد الميثاق الذي أخذ الله من بني إسرائيل بحيث لو وفوا بهذه الأمور كان الله في حفظهم ومعونتهم ونصرتهم في هذه الدنيا ولكنهم لم يفوا.

وفي الآخرة جزاء هذا الميثاق لِمَنْ وفى به أمران هما:

﴿لَ﴾ واقعة في جواب القسم المقدر.

﴿أَكْفَرْنَ﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الثقيلة وفاعله

ضمير مستتر «أنا». وقد مرّ معنى التكفير: التغطية والغفران والعفو.

﴿عَنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَكْفَرْنَ﴾.

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والعفو عن الذنوب هو الجزاء الأولى في

الآخرة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَاذْخَلْنَكُمْ﴾ معطوفة علي ﴿لَاكْفَرْنَ﴾. و ﴿كُم﴾ مفعول به أول.

﴿جَنَّتْ﴾ مفعول به ثان.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الجملة في محل نصب صفة لـ ﴿جَنَّتْ﴾. وأدخال

الجنة هو الجزاء الثانية في الآخرة لمن وفى بالميثاق.

﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجعلنا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿كَفَرًا﴾ فعل ماض وفاعله مستتر. في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط. أي من لم

يف بالميثاق وكفر به اعتقادياً أو عملياً.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿كَفَرًا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مضاف إليه. أي ﴿بَعْدَ﴾ أخذ الميثاق.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة مِنْ ﴿مَنْ﴾ تقديره حال كونه

﴿مِنْكُمْ﴾. أي من الذين أخذ الله الميثاق منهم.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿ضَلَّ﴾ فعل ماض وفاعله مستتر في محلّ جزم لأنّه جواب الشرط.

﴿سَوَاءٌ﴾ مفعول به.

﴿السَّبِيلِ﴾ مضاف إليه. أي خرج عن الصراط المستقيم فلا يصل إلى المقصود

ولا يكون عاقبته إلاّ الخزي والعار والخذلان والعذاب.

### الروايات

ابوالحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي المعروف بابن شاذان القمي قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ عليه السلام، قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ، قال: حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ مَنْذَرٍ، قال: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَعَاشِرَ النَّاسِ إَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَكُمْ أَبَاً مَنْ دَخَلَ أَمِنْ مِنَ النَّارِ وَمِنْ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِنَا إِلَى هَذَا الْبَابِ حَتَّى نَعْرِفَهُ. قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخُو رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [وْخَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ].

مَعَاشِرَ النَّاسِ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا فَلْيَتَمَسَّكَ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَإِنَّ وِلَايَتَهُ وَوِلَايَتِي، وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي. مَعَاشِرَ النَّاسِ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ الْحُجَّةَ بَعْدِي فَلْيَعْرِفْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. [مَعَاشِرَ النَّاسِ (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فَلْيَقْتَدِ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدِي] وَالْأُئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِي فَإِنَّهُمْ خَزَانُ عِلْمِي.

فَقَامَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا عِدَّةُ الْأُئِمَّةِ؟ فَقَالَ: يَا جَابِرُ سَأَلْتَنِي رَحِمَكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِأَجْمَعِهِ، عِدَّتُهُمْ عِدَّةُ الشُّهُورِ وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خُلِقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. وَعِدَّتُهُمْ عِدَّةُ الْعِيُونِ الَّتِي انْفَجَرَتْ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام حِينَ ضَرَبَ بِعَصَاهُ [الْحِجْر] فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا.

وَعِدَّتُهُمْ عِدَّةُ نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى] ﴿وَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾. فَالْأُئِمَّةُ يَا جَابِرُ اثْنَا عَشَرَ [إِمَامًا] أَوَّلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَآخِرُهُمُ الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ

صلوات الله عليهم.<sup>١</sup>

الرواية معتبرة الاسناد باعتبار محمد بن سنان عندي.

وسئل رسول الله عن عدد الأئمة فقال ﷺ : عدد الأئمة من بعدي عدد نساء

بني إسرائيل.<sup>٢</sup>

ومن طريق العامة أخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود أنه سئل كم يملك هذه الأمة

من خليفة، فقال: سألنا عنها رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر كعدة بني إسرائيل.<sup>٣</sup>

﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ

مَوَاضِعِهِ<sup>٤</sup> وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ<sup>٥</sup> وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا

قَلِيلًا مِنْهُمْ<sup>٦</sup> فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ<sup>٧</sup> إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ<sup>٨</sup>﴾

تفصيل بعد اجمال فإنه يذكر الله تعالى في هذه الآية بعض جزاء نقض الميثاق

وهو اللعن الإلهي وتقسية القلوب وتحريف الكلم ونسيان الحظوظ وخيانة أولياء الأمور.

قال الشيخ: «المعني بالآية تسليية النبي ﷺ فقال الله له: لا تعجب من هؤلاء

اليهود الذين هموا أن يسيطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك ونكثوا العهد الذي بينك

وبينهم، وغدروا بك، فإن ذلك من عادتهم، وعادات أسلافهم، لأنني أخذت ميثاق

سلفهم على عهد موسى على طاعتي، وبعثت منهم إثني عشر نقيباً، فنقضوا ميثاقي،

١. مائة منقبة = المناقب لابن شاذان / ٧١، ح ٤١ ونقل عنه في الاستنصار / ٢٠ للكراجكي واليقين في إمرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام / ٢٤٤ للعلامة الحلي.

٢. روض الجنان / ٦ / ٢٩٤.

٣. الدر المنثور / ٢ / ٢٦٧.

٤. وَقَدْ صَنَّفَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ الشَّافِعِيُّ رِسَالَةً حَافِلَةً فِي طُرُقِ أَنَّ الْخُلَفَاءَ بَعْدَ النَّبِيِّ اثْنَا عَشَرَ وَكُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَسَمَّاها «لَذَّةُ الْعَيْشِ فِي طُرُقِ الْأُئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ».

ونكثوا عهدي، فلعنهم بنقضهم ميثاقهم<sup>١</sup>.  
﴿فَ﴾ عاطفة، والكلام معطوف على ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الآية السابقة.  
﴿بِ﴾ حرف جر، للسببية.  
﴿مَا﴾ زائدة للتأكيد وتفيد الإبهام للتعظيم أو التحقير أو غيرهما، والمجرور متعلق بـ ﴿لَعَنَهُمْ﴾.  
﴿نَقَضِهِمْ﴾ مصدر ومضاف إليه. أي: بسبب ﴿نَقَضِهِمْ﴾.  
﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ مفعول به منصوب بالمصدر ﴿نَقَضِهِمْ﴾ ومضاف إليه.  
ونقض المواثيق من سمات اليهود و«أَنَّهُمْ يَنْقُضُونَ كُلَّ عَهْدٍ إِلَّا عَهْدَ عَدَمِ نَقْضِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَهَذِهِ سَمَةٌ لَهُمْ لَا تَفَارِقُهُمْ أَبَدًا، كَمَا أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تَنْفَكُ عَنْهُمْ أَبَدًا... لِلتَّلَازُمِ وَالتَّلَاحُمِ بَيْنِ نَقْضِ الْعَهْدِ، وَبَيْنِ لَعْنَةِ اللَّهِ»<sup>٢</sup>.  
﴿لَعَنَهُمْ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولُ بِهِ. اللعن هو الإبعاد والطرْد عن الرحمة الإلهية. وهو الجزاء الأول لنقض الميثاق التي لا تنفك عنه.  
﴿وَ﴾ عاطفة.  
﴿جَعَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿لَعَنَهُمْ﴾. وهذه الجزاء الثانية لنقض الميثاق وهذا الجعل من الله تعالى يكون جزاءً لنقضهم الميثاق ولا يكون ابتداءً.  
﴿قُلُوبَهُمْ﴾ مفعول به أوَّل ومضاف إليه.  
﴿فَسِيَّةٌ﴾ مفعول به ثانٍ. من القسوة وهي الصلابة والغلظة يقال لغير الرحيم: قاسي القلب والمراد بقسوة القلب، عدم خشوعها وخضوعها للحق وعدم التأثر من رحمة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آلَافٍ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ

١. التبيان ٤٦٨/٣.

٢. التفسير الكاشف ٣/٣٠.

مَبْنِيَّ فَسَقُوتَ<sup>١</sup>.

﴿تُحَرِّفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الحَرْف: الجانب، الناحية، والتحريف: التغير وهذه هي الجزاء الثالثة وأتَّهم يحتاجون إلى التحريف دائماً فلا يزال التحريف حرفتهم والتحريف بأمرين:

١- التفسير الذي لا يرضى به صاحبه وهو سوء التأويل ٢- التغير والتبديل.  
﴿الْكَلِمِ﴾ مفعول به، جمع الكلمة وتحريفها إمّا معنوي أو لفظي ولا ثالث، والثاني إمّا بالزيادة أو النقيصة أو التبديل ولا رابع.

﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلّق بـ ﴿تُحَرِّفُونَ﴾.  
وحرف اليهود كتابهم السماوي التوراة ولهم باع طويل في التحريف وهم أساتذة هذا الفن، ولم يكتفوا بتحريف كتابهم بل يحرفون التاريخ وقضاياه والمواثيق والقرارات وغيرها.

﴿وَ﴾ حالية وما بعدها حال ناقضي الميثاق وهو الجزاء الرابعة.  
﴿نَسُوا﴾ فَعْلٌ ماضٍ وفاعله، أي تركوا عامداً وعالماً.  
﴿حَظًّا﴾ مفعول به، أي نصيباً، وهذا «الحظ» من الأصول التي تدور على مدارها السعادة.

﴿مِمَّا﴾ حرف جر «من» و «ما» موصولة، متعلّق بـ ﴿حَظًّا﴾.  
﴿ذُكِّرُوا﴾ فعل ماضٍ مجهول ونائب فاعله، أي ﴿مِمَّا﴾ أنزل على النبي موسى ﷺ.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ذُكِّرُوا﴾، والضمير يرجع إلى «ما» موصولة.  
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَزَالُ﴾ فعل مضارع ناقص واسمه ضمير مستتر فيه. «أنت» خطب للرسول



الأعظم ﷺ .

﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَطَّلُعُ﴾. الخائنة: الخيانة.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿خَائِنَةٍ﴾.

والمراد: يا رسول الله ﷺ أنت تطلع على الدوام على خيانة منهم أو طائفة خائنة منهم. والخيانة هي سيرتهم على الدوام والاستمرار.  
﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾ المستثنى.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿قَلِيلًا﴾. والضمير يرجع إلى اليهود. ومن المعلوم «أن استثناء القليل منهم لا ينافي ثبوت اللعن والعذاب للجماعة التي هي الشعب والأمة»<sup>١</sup>.

وهذا القليل بعد خروجه عن أعماله الماضية ودخوله في صف المؤمنين يخرج من اللعن والعذاب و «يدخل في الإيمان ويصير كواحد من المؤمنين»<sup>٢</sup>.

﴿فَ﴾ جزائية لشرط محذوف وهو إن تابوا وآمنوا أو استثنائية تفييد التعليل.

﴿أَعَفُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت» يا رسول الله ﷺ .

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعَفُ﴾. والضمير يرجع إلى المؤمنين والتائبين من اليهود أو إليهم جميعاً بشرط عدم اقتدارهم وعدم احتمال تسلطهم على المؤمنين.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَصْفَحَ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ . معطوف على ﴿أَعَفُ﴾.

﴿أَصْفَحَ﴾ عنهم: أي «أعرض» عنهم مؤلّياً. صفح كل شيء: وجهه وناحيته وجنبه.

﴿إِنَّ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿يُحِبُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

١. الميزان ٥/ ٢٤١.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ٨١.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ مفعول به. جملة ﴿تُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. تعليل للأمر بالعفو والصفح وإرشاد إلى أن العفو من باب «الإحسان الذي يحبه الله، والرسول أحق الناس أن يتبع ما يحبه الله تعالى»<sup>١</sup>.

### دراية

قال القمي: «قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ...﴾ يعني نقض عهد أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ قال: من نحى أمير المؤمنين عليه السلام عن موضعه. والدليل على ذلك أن الكلمة أمير المؤمنين عليه السلام. قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾<sup>٢</sup> يعني الإمامة.

قوله: ﴿وَلَا تَرَالُ تَطَّلُعُ عَلَى حَافِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾.

قال: منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾<sup>٣</sup> ٤.

وقال السبزواري: «لا وجه للقول بنسخها»<sup>٥</sup>. وهو الظاهر والصحيح عندي.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

بعد أن بين الله تعالى نقض اليهود ميثاقهم بين نقض النصارى ميثاقهم أيضاً

١. مواهب الرحمن ١١ / ٨١.

٢. سورة الزخرف / ٢٨.

٣. سورة التوبة / ٥.

٤. تفسير القمي ١ / ٢٤١.

٥. مواهب الرحمن ١١ / ٨٢.

وأثمهم واليهود سواء من هذه الجهة.

ولم يذكر ميثاق النصارى لاتحاده مع ميثاق اليهود ولم يذكر الآثار المترتبة على نقض الميثاق والجزاءات للاشتراك، نعم زاد عليها أضافات تأتي في ضمن الآية الشريفة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر، متعلق بـ ﴿أَخَذْنَا﴾ الآتي.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿إِنَّا﴾ من الحروف المشبهة بالفعل وضمير «نا» اسمه.

﴿نَصَرَيْ﴾ خبر ﴿إِن﴾. والجملة الاسمية ﴿إِنَّا نَصَرَيْ﴾ في محل نصب مفعول

به - مقول القول - . وهم الذين يدعون متابعة النبي عيسى عليه السلام ويدعون أنهم ينصرون الله تعالى ونبيه ودينه وكتابه، كما قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُ الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾<sup>١</sup>.

﴿أَخَذْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿مِيثَقَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. إضافة الميثاق إلى كل قوم لا يدل على

اختلافه وأصله واحد وهو العقائد الحقّة الصحيحة والأحكام الواردة في شريعة كل نبي عليه السلام. ومن ميثاق النصارى هو التوحيد والإقرار بعبودية عيسى عليه السلام ونبوته والبشارة بالنبي الخاتم ﷺ الذي يأتي من بعده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾<sup>٢</sup>.

﴿فَ﴾ عاطفة، للترتيب. يعني بعد نقضهم ميثاقهم.

﴿نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ مرّت في الآية السابقة فلا نعيدها. ذكر الله تعالى

١. سورة الصف / ١٤.

٢. سورة الصف / ٦.

هذه الجزاء المشتركة بين نقض ميثاقى اليهود والنصارى ولم يذكر الباقية من الآثار لوضوحها.

﴿وَفَ عَاطِفَةً، لِلْسَّبِيَّةِ وَالْجُمْلَةِ بَعْدَهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿أَخَذْنَا﴾.

﴿أَغْرَيْنَا﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ. «الإغراء بالشئ معناه الإلصاق من جهة التسليط»<sup>١</sup>. «﴿أَغْرَيْنَا﴾ أَي أَلْصَقْنَا، لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْغَرَاءِ الَّذِي يَلْصِقُ بِالشَّيْءِ»<sup>٢</sup>.  
يعني كان نقض الميثاق والنسيان العمدي بما أنزله الله على موسى وعيسى وغيرهما من أنبيائهم ﷺ سبباً لإغراءهم....

ونسبة الإغراء إلى الله تعالى ليست ابتدائية بل جزائية لأنه لا يصدر من الله تعالى إلا الخير.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿أَغْرَيْنَا﴾ ومضاف إليه. أي بين النصارى.  
﴿أَلْعَدَاوَةِ﴾ مفعول به. مأخوذ من العَدُوِّ وبمعنى التجاوز ومنافاة الالتئام وإذا كان بالقلب يقال له: العداوة والمعاداة.  
﴿وَفَ عَاطِفَةً.

﴿أَلْبَغَضَاءِ﴾ مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿أَلْعَدَاوَةِ﴾. الْبَغْضُ وَالْبَغْضَاءُ خِلَافُ الْحُبِّ، وَهَاتَانِ مَلْصَقَتَانِ بِهِمَا، وَلَا تَنْفَكَانِ عَنْهُمَا، لِأَنَّهُمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمَا وَ﴿نُسُوا﴾ عَامِداً عَالِماً كَتَبَهُمَا السَّمَاوِيَّةُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمَا.

«ولم يزل منذ رفع عيسى بن مريم ﷺ، واختلف حواريوه والدعاة السائحون من تلامذتهم فيما بينهم نشب الاختلاف فيما بينهم، ولم يزل ينمو ويكثر حتى تبدل إلى الحروب والمقاتلات والغارات وأنواع الشرد والطرود وغير ذلك حتى انتهى إلى

١. التبيان ٤٧٢/٣.

٢. التفسير الكاشف ٢٩/٣.

حروب عالمية كبرى تهدد الأرض بالخراب والإنسانية بالفناء والانقراض»<sup>١</sup>.  
 وبعبارة أخرى: «لقد وقع بين الذين قالوا: إنا نصارى من الخلاف والشقاق  
 والعداء في التاريخ القديم والحديث مصداق ما قصّه سبحانه في كتابه الصادق  
 الكريم، فقد سأل من دمائهم على أيدي بعضهم البعض، ما لم يسئل من حروبهم مع  
 غيرهم في التاريخ كلّ، سواء أكان ذلك بسبب الخلافات الدينية، أو بسبب الخلافات  
 على الرياسة الدينية، أو بسبب الخلافات السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية، وفي  
 خلال القرون الطويلة لم تسكن هذه العداوات، ولم تحمد هذه الحروب والجراحات،  
 وهي ماضية إلى يوم القيامة، كما قال أصدق القائلين»<sup>٢</sup>.  
 ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿أَغْرَيْنَا﴾ أو بحال  
 محذوفة من ﴿الْبَغْضَاءِ﴾، يعني لا تنفك ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ منهم إلى يوم القيامة.  
 ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال لتأكيد الوعيد، أي في يوم القيامة تكشف الحقيقة.  
 ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به، «بحقيقة حالهم وعليهم من الضلال  
 ويجازيهم على ما صنعوه في الدنيا بالعقاب والعذاب»<sup>٣</sup>.  
 والتعبير بالإنباء لبيان أنّهم غالباً لا يعلمون حقيقة حالهم أو لا يريدون أن  
 يعلموا.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿بِ﴾ حرف جر.  
 ﴿مَا﴾ موصولة، متعلّق بـ ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾. أو مصدرية فهي ومابعدا بتأويل مصدر  
 في محلّ جر بالباء تقديره: بسوء صنيعهم.  
 ﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ واسْمُهُ.

١. الميزان ٥/ ٢٤٢.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٣٢ نقلاً من كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة.

٣. مواهب الرحمن ١١/ ٨٣.

﴿يَصْنَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر «كان». أي ﴿بِمَا كَانُوا﴾ يصنعونه، والتعبير بالصنع للإعلام بأنهم كانوا يصنعون عقائدهم وافكارهم وشريعتهم وهم لا يلتزمون بالوحي السماوي الذي أنزل إليهم.

#### روايتان

في تفسير القمي: قال علي عليه السلام: إن عيسى بن مريم عبد مخلوق، فجعلوه رباً ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾<sup>١</sup>.

خبر أبي الربيع الشامي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «لا تشتت من السودان أحداً، فإن كان لابد فمن النوبة»<sup>٢</sup>؛ فإنهم من الذين قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أما إنهم سيذكرون ذلك الحظ، وسيخرج مع القائم عليه السلام منا عصابة<sup>٣</sup> منهم، الحديث<sup>٤</sup>.

﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾



«لما ذكر تعالى أخذه الميثاق من أهل الكتاب على نصره رسله وتعزيزهم وعلى

١. تفسير القمي ١/ ٢٤٢، ح ٦.

٢. قال الجوهري: «النوب والنوبة أيضاً: جيل من السودان، الواحد: نوبي»، وقال الفيروزآبادي: «النوب: جيل من السودان، والنوبة: بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد، منها بلال الحبشي». الصحاح ١/ ٢٢٩؛ القاموس المحيط ١/ ٢٣٢ (نوب).

٣. قال الجوهري: «العصابة: الجماعة من الناس والخيول والطيور»، وقال ابن الأثير: «العصائب: جمع عصابة، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين، ولا واحد لها من لفظها». الصحاح ١/ ١٨٢؛ النهاية ٣/ ٢٤٣ (عصب).

٤. الكافي ١٠/ ٦٤٦، ح ٢ (٣٥٢/٥).

حفظ ما آتاهم من الكتاب ثم نقضهم ميثاقه تعالى الذي واثقهم به دعاهم [في الآيات الخمس الآتية] إلى الإيمان برسوله الذي أرسله، وكتابه الذي أنزله، بلسان تعريفهما لهم وإقامة البينة على صدق الرسالة وحقية الكتاب، وإتمام الحجة عليهم<sup>١</sup>.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء.

﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ منادى ومضاف إليه. والمراد بهم اليهود والنصارى.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به.

﴿رَسُولُنَا﴾ فاعل ومضاف إليه. وفي إضافة الرسول إلى الضمير «نا» ما لا يخفى من التنويه بمقامه وعظيم منزلته.

إلى هنا تعريف بالرسول الخاتم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببيان واضح ومابعده تعريف بكتابه السماوي ومعجزته الخالدة القرآن الكريم.

﴿يُبَيِّنُ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب حال من ﴿رَسُولُنَا﴾.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُبَيِّنُ﴾. والتبيين والتوضيح عام لأهل الكتاب ولجميع الناس.

﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به.

﴿مِمَّا﴾ حرف جر و ﴿مَا﴾ موصولة متعلق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرًا﴾.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمُهُ.

﴿تُخْفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. وهذه الجملة ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ مضافاً إلى التعريف بالكتاب، تكون إقامة بينة على صدق الرسالة وحقية الكتاب من رسول أمي يخبر بما لا سبيل إليه إلا الإخبار من السماء والوحي الإلهي.

و «مما يخفون» من بشارات العهدين على نبوة نبينا خاتم الأنبياء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وإخفاء اليهود خبر الحساب والعقاب يوم القيامة وإخفاء النصارى التوحيد الذي هو أساس دعوة الأنبياء ﷺ. مضافاً إلى إخفائهم بعض الأحكام الواردة في شرائعهم كتحريم الخمر والزنا والربا ووجوب الحتان ونحوها.

﴿مَنْ أَلْكَتَبَ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ موصولة تقديره: حال كونه ﴿مَنْ أَلْكَتَبَ﴾، و ﴿مَنْ﴾ بيانية. والمراد بـ ﴿أَلْكَتَبَ﴾ التوراة والانجيل. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَعْفُوا﴾ معطوف على ﴿يُبَيِّنُ﴾، فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». أي: يترك ولا يذكر ولا يأخذكم به لأنه ﷺ لم يؤمر ببيان الجميع.

﴿عَنْ كَثِيرٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَعْفُوا﴾. أي لا يذكر كثيراً من المخفيات والتحريفات ولذا قال في الميزان: «وأما عفوّه عن كثير فهو تركه كثيراً مما كانوا يخفونه من الكتاب، ويشهد بذلك الاختلاف الموجود في الكتابين، كاشتغال التوراة على أمور في التوحيد والنبوة لا يصح استنادها إليه تعالى كالتجسم والحلول في المكان ونحو ذلك، وما لا يجوز العقل نسبته إلى الأنبياء الكرام من أنواع الكفر والفجور والزلات، وكفقدان التوراة ذكر المعاد من رأس ولا يقوم دين على ساق إلاّ بمعاد، وكاشتغال ما عندهم من الأنجيل ولا سيما إنجيل يوحنا على عقائد الوثنية»<sup>١</sup>.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾ اعربت. والجائي هو الرسول الأعظم ﷺ.

﴿مَنْ أَلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾. أي ﴿مَنْ﴾ جانب ﴿أَلَّهِ﴾ فهو تعالى أرسله إلى جميع الناس.

﴿نُورٍ﴾ فاعل ﴿جَاءَكُمْ﴾، والظاهر مراد به القرآن الكريم وآيات الله الحكيم، ومن المحتمل بقرينة الفقرة الماضية أنّ المراد به الرسول الأعظم ﷺ وأوصيائه



المعصومين عليهم السلام كما في تفسير القمي<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿كَتَبَ﴾ معطوف على ﴿نُورَ﴾ عطف تفسير وبيان.

﴿مُيَبَّنَ﴾ نعت.

### شأن نزولها


«قال الباقر عليه السلام وجماعة من المفسرين: إن امرأة من خير ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فأرسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا إليهم أن يسألوا النبي عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدّهما؟ فقال: وهل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا: نعم، فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به، فقال جبرائيل: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له، فقال النبي: هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدكاً يقال له ابن سوريا؟ قالوا: نعم. قال: فأَيُّ رجل هو فيكم؟ قالوا: أعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى، قال: فأرسلوا إليه ففعلوا، فأتاهم عبدالله بن سوريا، فقال له النبي: إني أُشَدُّكَ اللهَ الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلّل عليكم الغمام وأنزل عليكم المنّ والسّلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من أُحصن؟ قال ابن سوريا: نعم، والذي ذكرتني به لو لا خشية أن يحرقني ربّ التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك، ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال: إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم، قال ابن سوريا: هكذا أنزل الله في عدول

١. تفسير القمي ١/ ٢٤٢.

أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم، قال ابن صوريا: هكذا أنزل الله في التوراة على موسى. فقال له النبي: فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله؟ قال: كنا إذا زني الشريف تركناه وإذا زني الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا حتي زني ابن عم ملك لنا فلم ترجمه ثم زني رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلاناً يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد أربعين جلدة ثم يسود وجوهها ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم. فقالت اليهود لابن صوريا: ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما أتينا عليك بأهل ولكنك كنت غائباً فكرهنا ان نغتائبك فقال: انه انشدني بالتوراة ولو لا ذلك لما أخبرته به فأمر بهما النبي فرجما عند باب مسجده أو قال أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأنزل الله فيه ﴿يَتَأْهَلُ الْكَتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك ان تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه فأعرض النبي عن ذلك؟ ثم سأله ابن صوريا عن نومه فقال: تنام عيناى ولا ينام قلبي، فقال: صدقت وأخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبه أمه شيء أو بأمه ليس فيه من شبه أبيه شيء فقال: أيهما علا وسبق ماء صاحبه كان الشبه له، قال: قد صدقت. فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة منه قال: فأغمي على رسول الله طويلاً ثم خلى عنه محمراً وجهه يفيض عرقاً فقال: اللحم والدم والظفر والشحم للمرأة والعظم والعصب والعروق للرجل، قال له: صدقت. أمرك أمر نبي فأسلم ابن صوريا عند ذلك وقال: يا محمد من يأتيك من الملائكة؟ قال: جبرائيل. قال: صفه لي، فوصفه النبي ﷺ، فقال: أشهد أنه في التوراة كما قلت وأنت رسول الله حقاً فلما أسلم ابن صوريا وقعت فيه اليهود وشتموه، فلما أرادوا ان

ينهضوا تعلقت بنو قريضة ببني النضير فقالوا يا محمد إخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد إذا قتلوا منا قتيلاً لم يُقدِّ واعطونا ديتهم سبعين وسقاً من تمر، وإذا قتلنا منهم قتيلاً قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر وإن كان القاتل امرأة قتلوا به الرجل منا وبالرجل منهم رجلين منا وبالعبء الحرماً وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فأنزل الله في الرجم والقصاص الآيات<sup>١</sup>.

أقول: لم يرد في الكتاب الكريم حكم الرجم، نعم حكم القصاص موجود فيه، فلا بد في شأن النزول من رفع اليد عما لم يكن والله العالم.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ 

تتميم لدلالة الآية السابقة.

﴿يَهْدِي﴾ فعل مضارع، ومعنى الهداية واضح وهي الايصال إلى المطلوب.  
﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَهْدِي﴾. والباء للآلة أو السببية والضمير يرجع إلى ﴿نُورٍ﴾ في الآية السابقة.

﴿يَهْدِي﴾ فاعل. والهداية من الله حتى لو كان بواسطة النبي ﷺ أو الكتاب المبين لأن الكل يرجع إليه تعالى. والنبي رسوله والكتاب كتابه تعالى.

﴿مَنِ﴾ اسم موصول، مفعول به أول ﴿يَهْدِي﴾.

﴿اتَّبَعَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر.

﴿رِضْوَانَهُ﴾ مفعول به ﴿اتَّبَعَ﴾ ومضاف إليه؛ والضمير يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى.

أي رضا الله وجنته محفوفة برضاه.

﴿سُبُلٌ﴾ مفعول به ثانٍ ﴿يَهْدِي﴾، أو بدل من ﴿رِضْوَانُهُ﴾. جمع سبيل.

﴿السَّلَامِ﴾ مضاف إليه. والسلامة هي التخلص من كل داءٍ وشقاءٍ يختل به أمر

سعادة الحياة في الدنيا والآخرة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ معطوف على ﴿يَهْدِي﴾. فعل مضارع وفاعله ومفعول به.

﴿مَنْ الظُّلُمَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾. والكفر ظلمة لأن الكافر

يتحير فيه كما يتحير أحدٌ في الظلمة وظلمات الكفر متعددة ومختلفة يجمعها الكفر.

﴿إِلَى النُّورِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾. و ﴿النُّورِ﴾ واحد لأن طريق

الحق لا اختلاف فيه ولا تفرق وان تعددت بحسب المراتب والمقامات والمواقف.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي: بلطفه وعلمه وأمره.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَهْدِيهِمْ﴾ معطوف على ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾، فعل مضارع وفاعله ومفعول به.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ جار ومجرور ونعت، متعلق بـ ﴿يَهْدِيهِمْ﴾. والصراط

المستقيم واحد وتنكيره لتعظيمه وتفخيمه.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ۚ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٧﴾

ابتدأت العقيدة النصرانية «بالتوحيد الخالص في عيسى عليه السلام»، وبقيت على

التوحيد أمداً غير قصير فرّق من المسيحيين، منها فرقة ابيون، وفرقة بولس الشمشاطي، وفرقة أريوس، وقد نص القرآن صراحة على أن عيسى عليه السلام أتى بعقيدة التوحيد: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۖ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۖ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾<sup>١</sup>.

وظلت عقيدة التوحيد عند كثير من المسيحيين، ولم تُلن عقيدة التثليث مدعومة بالقوة إلى سنة ٣٢٥م حيث أصدر مجمع نيقية قراراً بإثبات ألوهية المسيح، وتكفير من يقول: أنه إنسان، وحرّق جميع الكتب التي تصفه بغير الألوهية، ونفذ قسطنطين امبراطور الرومان هذا القرار، وأصبح المسيح إلهاً عندهم بعد أن كان بشراً<sup>٢</sup>. ﴿لَ﴾ الابتدائية والتأكيدية، أو جواب للقسم المقدّر وتقديره: أقسم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ﴾.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿كَفَرَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، وهذا حكم بالكفر على التحقيق على الذين يقولون بألوهية بشر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والجملة بعده مقول القول.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبّه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿الْمَسِيحُ﴾ خبره، وجملة ﴿هُوَ الْمَسِيحُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. يعني أن المعبود منحصر في

١. سورة المائدة / ١١٦ و ١١٧.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٣٦.

المسيح لا غير، لقصر المسند إليه على المسند. لأنهم يقولون باتحاد المسيح مع الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿أَبْنُ﴾ بدل أو صفة لـ ﴿الْمَسِيحِ﴾.

﴿مَرِيَمَ﴾ مضاف إليه، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة فضلاً عن التأنيث.

والقرآن الكريم يؤكد على أن عيسى النبي ﷺ ابن مريم، فيكون بشراً ومتولداً من امرأة ومحلاً للحوادث وكل ذلك ينافي القول بالألوهية.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ.

﴿فَ﴾ زائدة أو تكون لمعنى الشرط المتقدم. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ.

﴿يَمْلِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو»، خبر.

﴿مِنْ آلِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَمْلِكُ﴾ أو بحال مقدمة من ﴿شَيْئًا﴾.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول به. هذه الفقرة تثبت سلطنة تامة لله تعالى على جميع خلقه،

يحكم فيهم بما يشاء ويريد فهو مالك الملك ولا شريك له ولا نظير.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿أَرَادَ﴾ فعل ماض وفاعله، فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف ويظهر ممّا

يأتي.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُهْلِكُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَنْ يُهْلِكَ﴾ بتأويل المصدر مفعول

به فعل ﴿أَرَادَ﴾، تقديره: الإهلاك.

﴿الْمَسِيحِ﴾ مفعول به. ﴿أَبْنُ﴾ بدل أو صفة لـ ﴿الْمَسِيحِ﴾.

﴿مَرِيَمَ﴾ مضاف إليه. تأكيد على بنوته التي تنفي ألوهيته. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أُمَّهُ﴾ معطوف على ﴿الْمَسِيحِ﴾، مضاف إليه. وإذا كانت له أم فلا يمكن أن

يكون إلهًا، لأنَّ الله تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، معطوف على ﴿الْمَسِيحِ﴾.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: وُجد.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿الْمَسِيحِ أَتَى مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

وهذه الفقرة برهان على نفي ألوهية المسيح وإثبات عبوديته وهو: إِنَّ الله تعالى يتصرف في المسيح وأُمّه ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ بما يشاء «فله أن يهلك المسيح كما له أن يهلك أُمّه ومن في الأرض على حد سواء من غير مزية للمسيح على غيره، وكيف يجوز الهلاك على الله سبحانه؟ فوضعهم أن المسيح بشر يبطل وضعهم أنه هو الله سبحانه للنناقضة»<sup>٢</sup>.

«وإنَّما ذكر ﷺ أمَّ المسيح مع اندراجها في عموم المعطوف، لزيادة تأكيد عجز المسيح، وزيادة للتقرير والتبكيث، وإنَّما لتعميم إرداة الهلاك مع حصول الغرض بقصرها على المسيح عيسى عليه السلام، لتحويل الخطب وإظهار كمال العجز، ببيان أن الكلَّ تحت إرادته وقهره تعالى لا يقدر على دفع ما يريد فضلًا عمَّا يريد غير»<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ استثنائية، مابعدا تعليل لما قبلها.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور خبر مقدم. تقديمه يفيد الحصر.

﴿مُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخر. «الملك - بضم الميم - وهو نوع سلطنة ومالكية على

سلطنة الناس وما يملكونه إنَّما يتقوَّم بشمول القدرة ونفوذ المشيئة، والله سبحانه ذلك في جميع السماوات والأرض وما بينهما، فله القدرة على كلِّ شيء»<sup>٤</sup>.

﴿الَسَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

١. سورة التوحيد / ٣.

٢. الميزان ٥ / ٢٤٧.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ١٠٧.

٤. الميزان ٥ / ٢٤٨.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ اسم موصول، في محل جرّ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف مكان بفعل محذوف تقديره: استقرّ، ومضاف إليه. تصريح لنفي توهم كون ملك ما بين السموات والأرض لغير الله تعالى أو نفي الشبهة في ذلك، حتى لا يبقى مجال لغير الله تعالى وفي مُلكِهِ وملكوته.

﴿يَخْلُقُ﴾ فعل مضارع وفاعله. والجملة تعليل للملك، لأنّ الخالق هو صاحب المُلْك «وهو يخلق ما يشاء من الأشياء فله الملك المطلق في السماوات والأرض وما بينهما فخلقه ما يشاء وقدرته على كل شيء هو البرهان على ملكه كما أن ملكه هو البرهان على أن له أن يريد إهلاك الجميع ثم يمضي إرادته لو أراد، وهو البرهان على أنه لا يشاركه أحد منهم في ألوهيته.

وأما البرهان على نفوذ مشيئته وشمول قدرته فهو أنه الله عز اسمه، ولعلّه لذلك كرر لفظ الجلالة في الآية مرات فقد آل فرض الألوهية في شيء إلى أنّه لا شريك له في ألوهيته»<sup>١</sup>.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع فاعله.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَى كُلِّ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿قَدِيرٌ﴾. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر. «تقرير لمضمون ما سبق وتأكيد له، وبيان لتعميم قدرته إلى ما هو الأوسع من عالم الوجود وإرشاد إلى برهان قويم، وهو أنّ الإله لا بدّ أن يتّصف بتمام القدرة وشمولها لجميع الأشياء، وإلا فلا يكون إلهاً، ولعلّه لأجل ذلك ذكر اسم الجلالة، لبيان أنّه الإله المستجمع لجميع صفات الكمال التي منها الملكية المطلقة للسماوات والأرضين وما بينهما، وثبوت القدرة التامّة، فهو يخلق ما يشاء بما يشاء،



وهو يدلّ على أنّه لا شريك له في الألوهيّة»<sup>١</sup>.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>٢</sup>

حكى الله تعالى بعض ما صدر من اليهود والنصارى «من الدعاوي الباطلة... وهذه الحكاية تدلّ على جرأتهم على الله تعالى، وعدم مبالاتهم بالمواثيق والعهود التي أخذت منهم على العمل بمقتضاها، فلا تفيد الادعاءات والشعائر في القرب إلى الله تعالى ونيل جزائه العظيم»<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قَالَتِ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، معطوف على ﴿قَالُوا﴾ في الآية السابقة.  
﴿الْيَهُودُ﴾ فاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النَّصْرَى﴾ معطوف على ﴿الْيَهُودُ﴾. والجملة الاسمية بعدها مقول القول.

﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ، أي كلّ قوم يقوم بالنسبة إلى أنفسهم.

﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ خبر ومضاف إليه.. البنوة هنا الاختصاص والتقرب، لا البنوة

الحقيقية وإن كانوا يدعونها بالنسبة إلى النبيّين عزيز وعيسى بن مريم عليهما السلام.

وإنما كانوا يدعون البنوة لأنفسهم «اطلاقاً تشريفاً بنوع من التجوّز، وقد ورد

في كتبهم المقدسة هذا الاطلاق كثيراً كما في حق آدم<sup>٤</sup> ويعقوب<sup>٥</sup> وداود

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٠٨.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ١٠٨.

٣. آية ٣٨ من الاصحاح الثالث من انجيل لوقا.

٤. آية ٢٢ من الاصحاح الرابع من سفر الخروج من التوراة.

٥. آية ٧ من المزمور ٢ من مزامير داود.

واقرام<sup>١</sup> وعيسى<sup>٢</sup> واطلق<sup>٣</sup> أيضاً على صلحاء المؤمنين.

وكيف كان فإنما أُريد بالأبناء أئهم من الله سبحانه بمنزلة الأبناء من الأب، فهم بمنزلة أبناء الملك بالنسبة إليه المنحازين عن الرعية المخصوصين بخصيصة القرب المقتضية أن لا يعامل معهم معاملة الرعية كأئهم مستثنون عن إجراء القوانين والأحكام المجرة بين الناس لأنّ تعلقهم بعرش الملك لا يلائم مجازاتهم بما يجازي به غيرهم ولا إيقافهم موقفاً توقف فيه سائر الرعية، فلا يستهان بهم كما يستهان بغيرهم فكلّ ذلك لما تتعقبه علاقة النسب من علاقة الحبّ والكرامة<sup>٤</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحَبُّهُمْ﴾ معطوف على ﴿أَبْنَوْا اللَّهَ﴾. عطف تفسير. «وغرضهم من دعوى هذا الاختصاص والمحبوبة إثبات لازمه وهو أنه لا سبيل إلى تعذيبهم وعقوبتهم فلن يصيروا إلّا إلى النعمة والكرامة لأنّ تعذيبه تعالى إيّاهم يناقض ما خصهم به من المزية، وحباهم به من الكرامة»<sup>٥</sup>.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت» خطاباً للرسول الخاتم ﷺ. أمر رسوله بالاحتجاج عليهم وردّ دعواهم بالحجة والبرهان.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط مقدّر، إي: إن كان ادعائكم هذا صحيحاً ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾.

﴿لِمَ﴾ أصلها «ل» حرف جر و «ما» استفهامية. حذفت «ا» «ما» بحرف جر «ل». أي: لأيّ شيء؟

١. آية ٩ من الاصحاح ٣١ من نبوة أرميا.

٢. موارد كثيرة من الأنجيل وملحقاتها.

٣. آية ٩ من الاصحاح ٥ إنجيل متى، وفي غيره من الأنجيل.

٤. الميزان ٥/ ٢٤٨.

٥. الميزان ٥/ ٢٤٩.

﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، واطلاق العذاب يشمل الدنيوي والأخروي كما أنَّ فعل مضارع يدلُّ على الاستمرار كما يدلُّ على الاستقبال.

﴿بِ﴾ حرف جر، للسببية.

﴿ذُنُوبِكُمْ﴾ مجروره ومضاف إليه. جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾. وهذه الجملة ﴿يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ هي الحجة الأولى عليهم أنَّها لو صحت دعواكم أنَّكم أبناء الله وأحباؤه فلايَّ شيء ﴿يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ «وهم يقرون بأنَّهم معذبون، لأنَّهم لو لم يقولوا به، كذبوا بكتبهم وأباحوا الناس ارتكاب فواحشهم. واليهود تقرُّ أنَّهم يعذبون أربعين يوماً. وهي عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل»<sup>١</sup>.

﴿بَلْ﴾ حرف ابتداء أو استئناف أو بمعنى «إن» على معنى: الحق... وما بعده

الحجة الثانية.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ. ﴿بَشَرٌ﴾ خبره.

﴿مَمَّنْ﴾ مكوّنة: «مِنْ» حرف جر و «مَنْ» اسم موصول. جار ومجرور في محلِّ رفع صفة لـ ﴿بَشَرٌ﴾.

﴿خَلَقَ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى. أي ﴿مَمَّنْ﴾ خلقه الله من بني آدم. وهذه الجملة ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ تكون من مقدمات الحجة. أي أنتم بشر مثل غيركم ممَّن خلقه الله تعالى من بني آدم.

﴿يَغْفِرُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

﴿لِمَنْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿يُعَذِّبُ﴾ معطوف على ﴿يَغْفِرُ﴾. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.

وهذه الجملة ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ نتيجة الحجة الثانية، أي أنتم لستم من أبناء الله وأحبائه لأن الله إن أراد يعذبكم و«أنه تعالى لا يشاء العقوبة إلا لمن كان عاصياً»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها الحجة الثالثة عليهم.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿مُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخر، قد مر معنى ﴿مُلْكُ﴾ في الآية السابقة.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ اعربت في الآية السابقة.

والحجة الثالثة: أن الله تعالى خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ «من المخلوقات، فالجميع مملوك له ﷻ، ومربوب له مقهور تحت إرادته، فلا يتبني شيء منها إليه تعالى إلا بالمعبودية والمملوكية، يتصرف فيها بما شاء إيجاداً وإعداماً، إحياءً وإماتة، إثابةً وتعذيباً. وهو الغني عن خلقه، فلا يحتاج إليهم، بل هم محتاجون إليه، فلا يمكن أن يتصور له بنون»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿الْمَصِيرُ﴾ مبتدأ مؤخر. وإليه تعالى يؤول أمر العباد و«أنه سيحاسبهم على أفعالهم وأقوالهم، فيثيب المحسن على إحسانه، ويُعاقب المسيء على إساءته، ولا يصرفه صارف عن ذلك الجزاء.

وفي الآية المباركة إشعار بأنه سيعذب أصحاب تلك الدعاوي الباطلة، على كفرهم وغرورهم وتقوّلهم على الله تعالى بغير حق»<sup>٣</sup>.

١. التبيان ٣/ ٤٧٨.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ١١٢.

٣. مواهب الرحمن ١١/ ١١٣.

﴿يَتَأْهَلَّ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٩)

خطابٌ ثانٍ لأهل الكتاب متمم للخطاب السابق يتضمن دعوتهم إلى الإيمان بالرسول الخاتم ﷺ ويكون إتماماً للحجة عليهم لثلاثاً يقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ وناداهم الله خصوصاً لينبهم على ما يذكروهم.

﴿يَتَأْهَلَّ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أعربت في أول الآية الخامسة عشرة من هذه السورة كما مر معناها أيضاً فلا نعيد ولكن نضيف هنا أنها تدل على أن الرسول الخاتم ﷺ مخصوص بالعلم الذي ليس مع غيره من الأنبياء ﷺ، لأن التبيين يكون من هذا النبي ﷺ لا من غيره من الأنبياء ﷺ.

﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حالاً من الضمير في ﴿يُبَيِّنُ﴾. الفترة: انقطاع ما بين النبيين، «والأصل فيها الانقطاع عما كان عليه من الجد فيه من العمل، يقال: فتر عن عمله...»<sup>١</sup>.

وهذه الفترة أكثر من خمسمائة عام.

﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿فِتْرَةٍ﴾، يعني «على انقطاع ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾»<sup>٢</sup>.

﴿أَن﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَقُولُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. المصدر المنسبك من ﴿أَن تَقُولُوا﴾ مجرور بإضافة مفعول له محذوف وتقديره: مخافة قولكم ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾.

١. التبيان ٣/ ٤٧٩.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٤٢.

أو كراهة قولكم...، أي لكي ﴿لَا تَقُولُوا﴾<sup>١</sup> أو لئلا تقولوا.  
 ﴿مَا﴾ نافية. ﴿جَاءَنَا﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم.  
 ﴿مِنْ﴾ حرف جر بيانية.  
 ﴿بَشِيرٍ﴾ مجروره في محل رفع فاعل ﴿جَاءَنَا﴾. «البشير: هو المبشر لكل مطيع  
 بالثواب... ليتمسك المطيع بطاعته»<sup>٢</sup>.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة لتأكيد النفي.  
 ﴿نَذِيرٍ﴾ معطوف على ﴿بَشِيرٍ﴾. «النذير هو المُنذِرُ الْمُخَوِّفُ كُلِّ عَاصٍ لِلَّهِ  
 بالعقاب... ويحْتَنِبُ العاصي لمعصيته»<sup>٣</sup>.  
 ﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.  
 ﴿جَاءَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به مقدم. ﴿بَشِيرٍ﴾ فاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿نَذِيرٍ﴾ معطوف على ﴿بَشِيرٍ﴾ والمراد به خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ.  
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿عَلَى كُلِّ﴾ جارو مجرور متعلق بـ ﴿قَدِيرٍ﴾.  
 ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرٍ﴾ خبر.  
 والجملة الأخيرة تعليل لما سبق من ارسال الرسل وإنزال الكتب وجعل  
 الشرائع، وردّ لدعوى اليهود من عدم جواز جعل شريعة بعد شريعة موسى ﷺ لأنهم  
 يذهبون إلى امتناع النسخ كما أنهم يذهبون امتناع البداء وهاتان الدعويان تنافيان مع  
 عموم قدرته تعالى شأنه.

### رواية

قال أمير المؤمنين عليه السلام في توصيف الأنبياء: «فاستودعهم في أفضل مستودع،

١. سورة البقرة / ١٠٤ و ١٥٤؛ سورة النساء / ٩٤ و ١٧١؛ سورة النحل / ١١٦.

٢. التبيان ٣ / ٤٨٠.

٣. التبيان ٣ / ٤٨٠.

وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعز الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتخب منها أمناه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمره لا تنال، فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل، أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم.

إعملوا رحمكم الله على أعلام بينة، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام، وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ، والصحف منشورة، والأقلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة»<sup>١</sup>.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أَدْرُكُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ

وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

«إعلام من الله تعالى للنبي ﷺ قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم من الحق وسوء اختيارهم لأنفسهم وشدة خلافهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديهم وآلائه عليهم، مسلياً بذلك نبيه ﷺ من مقاساتهم في ذات الله»<sup>٢</sup>.  
«والخطاب للرسول الكريم إعرافاً عن خطابهم، وقد ذكر ﷺ نداء موسى ﷺ لليهود الدال على كمال القرب والمزية لهم بالاعتناء بهم، حيث أضافهم إلى نفسه ثم

١. نهج البلاغة، خطبه ٩٣.

٢. التبيان ٣/ ٤٨٠.

عقبه بتذكيرهم بما خصّهم من الآلاء والنعم الجسماء، استئالة بهم ونصحاً في تنفيذ موثيقه ﷻ<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِذْ﴾ اسم، مفعول به فعل محذوف «اذكر».

﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿مُوسَى﴾ فاعله.

﴿لِقَوْمِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَالَ﴾ ومضاف إليه.

وزمن مقالة ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ كان بعد خروج بني إسرائيل من مصر كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مِلًّا﴾.

﴿يَا﴾ أداة نداء.

﴿قَوْمٍ﴾ منادى وأصلها «قومي» فحذفت الياء اختصاراً وبقيت الكسرة دالة

عليها. والمراد بهم بني إسرائيل.

﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿نِعْمَةً أَلَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. وقد قسّم الله النعمة ثلاثة أقسام حين

التفصيل.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نِعْمَةً﴾.

أريد بها جميع نعم التي أنعم الله تعالى عليهم وحباهم بها، فالمراد جنس النعمة

التي أنعم الله تعالى عليهم.

﴿إِذْ﴾ اسم، مفعول به فعل محذوف «اذكر».

﴿جَعَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى.

﴿فِيكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾.

﴿أَنْبِيَاءَ﴾ مفعول به. التفصيل الأوّل بعد إجمال النعمة و «هم الأنبياء الذين في

عمود نسبهم كإبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من الأنبياء، أو خصوص



الأنبياء من بني إسرائيل كيوسف أو الأسباط وموسى وهارون»<sup>١</sup>.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿جَعَلَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. معطوف على ﴿جَعَلَ فِيكُمْ﴾.  
﴿مُلُوكًا﴾ مفعول به ثانٍ. وجعلهم ملوكاً هي النعمة الثانية والمراد بها الاستقلال  
في أمورهم وخروجهم عن استرقاق الفراعنة وغيرها من الطواغيت.  
وفي تفسير القمي: «يعني في بني إسرائيل، لم يجمع الله لهم النبوة والملوك في بيت  
واحد، ثم جمع ذلك لنبيه ﷺ»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها النعمة الثالثة.

﴿ءَاتَاكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول، معطوف على ﴿جَعَلَكُمْ﴾.  
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به ثانٍ. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.  
﴿يُؤْتِ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر ومفعول به أول محذوف  
تقديره: ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ﴾ هـ.  
﴿أَحَدًا﴾ مفعول به ثانٍ لـ ﴿لَمْ يُؤْتِ﴾،

﴿مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَحَدًا﴾. والمراد بها «هي  
العنايات والألطفات الإلهية التي اقترنت بآيات باهرة قيّمة بتعديل حياتهم لو استقاموا  
على ما قالوا، وداموا على ما واثقوا، وهي الآيات البينات التي أحاطت بهم من كل  
جانب أيام كانوا بِمِصْرَ، وبعد إذ نَجَّاهُمُ اللهُ من فرعون وقومه، فلم يتوافر ويتواتر من  
الآيات المعجزات والبراهين الساطعات والنعم التي يتنعم بها في الحياة على أُمَّة من  
الأُمم الماضية المتقدمة على عهد موسى ما توافرت وتواترت على بني إسرائيل»<sup>٣</sup>.

١. الميزان ٥/ ٢٨٧.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٤٢.

٣. الميزان ٥/ ٢٨٨.

### روايتان

سعد بن عبدالله الأشعري قال: حدثني جماعة من أصحابنا، عن الحسن بن علي ابن أبي عثمان وإبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ فقال: «الأنبياء: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإبراهيم وإسماعيل وذريته، والملوك: الأئمة عليهم السلام»، قال: فقلت: وأي ملك أعطيتهم؟ قال: «ملك الجنة وملك الكرّة»<sup>١</sup>.  
الكرّة: أي الرجعة.

ومراد الرواية عدم اختصاص الآية ببني إسرائيل بل تجري في شأن الأمة المرحومة أيضاً كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم، حدوا النعل بالنعل، والقُدّة بالقُدّة، حتّى لا تخطئون طريقهم، ولا تخطئكم سنّة بني إسرائيل، الحديث<sup>٢</sup>.  
روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: هؤلاء إنّما خاطبهم موسى بذلك لأنهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وأزواج<sup>٣</sup>.

﴿يَنْقُومِ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ

فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل «بدخول الأرض المقدسة، وكان يستنبط من حالهم التمرد والتأبّي عن القبول، ولذلك أكد أمره بالنهي عن الارتداد وذكر استتباعه الخسران. والدليل على أنّه كان يستنبط منهم الرد توصيفه إيّاهم بالفاسقين بعد ردهم،

١. مختصر البصائر / ١١٩، ح ٩٧.

٢. تفسير العياشي / ٢ / ٢٤، ح ٦٩.

٣. التبيان / ٣ / ٤٨١.

فإن الردّ وهو فسق واحد لا يصحح اطلاق «الْفَاسِقِينَ»<sup>١</sup> عليهم الدالّ على نوع من الاستمرار والتكرّر»<sup>٢</sup>.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء. ﴿قَوْمٍ﴾ منادى.

﴿أَدْخُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿الْأَرْضُ﴾ مفعول به.

﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾ نعت لـ ﴿الْأَرْضِ﴾. «المقدسة: في اللغة: المطهرة. وقيل: إنّها طهرت من الشرك وجعلت مسكناً وقراراً للأنبياء والمؤمنين، والأصل التقديس، وهو التطهير، ومنه قيل للسلطان الذي يتطهر منه: القدس. وقيل: بيت المقدس لأنّه يطهر من الذنوب. ومنه تسبيح الله وتقديسه سبوح قدوس، وهو تنزيهه عمّا لا يجوز عليه من نحو الصحابة والولد والظلم والكذب»<sup>٣</sup>.

﴿الَّتِي﴾ اسم موصول، صفة ثانية لـ ﴿الْأَرْضِ﴾.

﴿كَتَبَ﴾ فعل ماض. يعني في اللوح المحفوظ والقضاء الإلهي في توطنهم فيها. «ولا ينافيه قوله في آخرها: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾<sup>٤</sup> بل يؤكدّه فإنّ قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ كلام مجمل أبهم فيه ذكر الوقت وحتىّ الأشخاص، فإنّ الخطاب للأمة من غير تعرض لحال الأفراد والأشخاص، كما قيل: إنّ السامعين لهذا الخطاب الحاضرين المكلفين به ماتوا وفنوا عن آخرهم في التيه، ولم يدخل الأرض المقدسة إلّا أبناءهم وأبناء أبنائهم مع يوشع بن نون، وبالجملة لا يخلو قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ عن أشعار بأثبات مكتوبة لهم بعد ذلك»<sup>٥</sup>.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿كَتَبَ﴾.

١. سورة المائدة / ٢٥.

٢. الميزان ٥ / ٢٨٨.

٣. التبيان ٣ / ٤٨٣.

٤. سورة المائدة / ٢٦.

٥. الميزان ٥ / ٢٨٨.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَرْتَدُّوْا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله.

﴿عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. حال من ضمير ﴿تَرْتَدُّوْا﴾ بتقدير: «مدبرين». يعني: لا ترجعوا عن طاعة الله في أمره بدخول ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾. ﴿فَ﴾ للسببية.

﴿تَنْقَلِبُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة مصدرية بعد ﴿فَ﴾ و فاعله.

﴿حَسِرِينَ﴾ حال من ضمير ﴿تَنْقَلِبُوا﴾. الخسران: ذهاب رأس المال. وبني إسرائيل بعد عدم دخولهم ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ صاروا ﴿حَسِرِينَ﴾ لعصيان أمر نبي الله موسى ﷺ وخسروا حظهم في السلطة على ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾. فيكون المراد «من الخسران خسران الدارين»<sup>١</sup>.

### الروايات

صحيحة أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن الرضا ﷺ في حديث: قلنا: إن أهل مصر يزعمون أن بلادهم مقدسة.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: جعلت فداك، يزعمون أنه يحشر من جبلهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب.

قال: لا لعمري ما ذاك كذلك، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها.

ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ أن يخرج عظام يوسف منها، فاستدل موسى على من يعرف القبر، فدل على امرأة عمياء زمنة، فسألها موسى أن تدله

عليه فأبّت إلّا على خصلتين: فيدعو الله فيذهب بزمانتها، ويصيرها معه في الجنة في الدرجة التي هو فيها. فأعظم ذلك موسى، فأوحى الله إليه: وما يعظم عليك من هذا، أعطها ما سألت. ففعل، فوعده طلوع القمر، فحبس الله القمر حتى جاء موسى لموعده، فأخرجه من النيل في سفط مرم، فحملة موسى.

ولقد قال رسول الله ﷺ: لا تغسلوا رؤوسكم بطينها، ولا تأكلوا في فخارها، فإنّه يورث الذلّة ويذهب الغيرة.

قلنا له: قد قال ذلك رسول الله ﷺ؟

فقال: نعم. ١.

روى نحوها العياشي في تفسيره عن علي بن أسباط عن الرضا عليه السلام. ٢.

عن أبي جعفر عليه السلام: قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فردّوا عليه وكانوا ستمائة ألف، الحديث. ٣.

عن زرارة، وحمّان، ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام، عن قوله: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، قال عليه السلام: كتبها لهم، ثمّ محاها. ٤.

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لي: إنّ بني إسرائيل قال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ فلم يدخلوها حتّى حرّمها عليهم وعلى أبنائهم، وإنّما دخلها أبناء الأبناء. ٥.

عن إسماعيل الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أصلحك الله ﴿ادْخُلُوا

١. قرب الاسناد / ٣٧٥، ح ١٣٣٠.

٢. تفسير العياشي ٢ / ٢٦، ح ٧٤.

٣. تفسير العياشي ٢ / ٢٥، ح ٦٩.

٤. تفسير العياشي ٢ / ٢٥، ح ٧٠.

٥. تفسير العياشي ٢ / ٢٥، ح ٧١.

الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أكان كتبها لهم؟

قال: إي والله، لقد كتبها لهم، ثم بدا له لا يدخلوها. قال: ثم ابتداء هو فقال: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ رَكَعَتَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ، فَجَعَلَهَا لِلْمَسَافِرِ، وَزَادَ لِلْمَقِيمِ رَكَعَتَيْنِ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعًا.<sup>١</sup>

عن مَسْعُودَةَ بِنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، قَالَ: كَتَبَهَا لَهُمْ ثُمَّ مَحَاهَا، ثُمَّ كَتَبَهَا لِأَبْنَائِهِمْ فَدَخَلُوهَا، وَاللَّهُ يَمْحُو ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>٢.٣</sup>

عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ذكر أهل مِصْرَ، وذكر قوم موسى عليه السلام وقولهم: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾<sup>٤</sup>، فحرمها الله عليهم أربعين سنة، وتيهمهم، فكان إذا كان العشاء وأخذوا في الرحيل، نادوا: الرحيل الرحيل، الوَحَى الوَحَى، فلم يزلوا كذلك حتى تغيب الشمس، حتى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض، قال الله تعالى للأرض: ديري بهم، فلم يزلوا كذلك حتى إذا أسحروا وقارب الصُّبْحُ، قالوا: إِنَّ هَذَا الْمَاءَ قَدْ أَتَيْتُمُوهُ فَانْزِلُوا، فَإِذَا أَصْبَحُوا، إِذَا أَبْنَيْتُهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا بِالْأَمْسِ، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم، لقد ظللتُم وأخطأتم الطريق، فلم يزلوا كذلك حتى أذن الله لهم فَدَخَلُوهَا، وقد كان كتبها لهم.<sup>٥</sup>

عن داود الرقي، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يقول: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: نِعَمُ الْأَرْضِ الشَّامُ، وَبُئْسَ الْقَوْمُ أَهْلُهَا، وَبُئْسَ الْبِلَادُ مِصْرُ، أَمَا إِنَّهَا سِجْنٌ مِنْ سَخِطِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ دُخُولُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِصْرَ إِلَّا مِنْ سَخَطٍ وَمَعْصِيَةٍ مِنْهُمْ لِلَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ

١. تفسير العياشي ٢/ ٢٦، ح ٧٢.

٢. سورة الرعد / ٣٩.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٢٦، ح ٧٣.

٤. سورة المائدة / ٢٤.

٥. تفسير العياشي ٢/ ٢٧، ح ٧٥.

قال: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني الشام، فأبوا أن يدخلوها، فتاهوا في الأرض أربعين سنة، في مصر وفيها، ثم دخلوها بعد أربعين سنة.  
قال: وما كان خُرُوجهم من مِصر ودخولهم الشام إلا من بعد توبتهم، ورضى الله عنهم.

وقال عليه السلام: إني لأكره أن أكل من شيء طُبَخَ في فَخَّارها، وما أُحِبُّ أن أغسل رأسي من طِينها مخافة أن تورثني تربتها الذَّلَّ، وتذهب بغيرتي.<sup>١</sup>  
رواها القُطْبُ الراونديُّ بإسناده في قصص الأنبياء.<sup>٢</sup>

عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، قال: كان في علمه أنهم سيعصون ويتيهون أربعين سنة، ثم يدخلونها بعد تحريمه إياها عليهم.<sup>٣</sup>

القطب الراوندي بإسناده عن ابن أورمة، عن محمد بن أبي صالح، عن الحسن ابن محمد بن أبي طلحة، قال: قلت للرضا عليه السلام: أيأتي الرسل عن الله بشيء ثم تأتي بخلافه؟ قال: نعم، إن شئت حدثتك وإن شئت أتيك به من كتاب الله، قال تعالى جلَّتْ عظمتُه: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم.

وقال عمران: إنَّ الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبياً في سنتي هذه وشهري هذا، ثم غاب وولدت امرأته مريم وكفلها زكريّا، فقالت طائفة: صدق نبيُّ الله، وقالت الآخرون: كذب، فلمّا ولدت مريم عيسى عليه السلام فقالت الطائفة التي أقامت على صدق عمران: هذا الذي وعدنا الله.<sup>٤</sup>

١. تفسير العياشي ٢/ ٢٧، ح ٧٦.

٢. قصص الأنبياء ١/ ٤٤٣، ح ٢٨٥.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٢٨، ح ٧٧.

٤. قصص الأنبياء ٢/ ٥٦، ح ٣٠٧.

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

بيان لكيفية إعراضهم عن طاعة نبيهم ومقاتلتهم في جوابه ونقضهم مواعيد ربهم، وأنهم «يريدون نصراً رخصياً ومريحاً، لا يكلفهم قتيلًا ولا جريحاً، تماماً كما غرق عدوهم فرعون...»<sup>١</sup>.

﴿قَالُوا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى بني إسرائيل قوم النبي موسى على نبينا وآله وعليه السلام.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء. ﴿مُوسَى﴾ منادى.

﴿إِن﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور، خبر ﴿إِن﴾ المقدم. والضمير يرجع إلى ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾.

﴿قَوْمًا﴾ اسم ﴿إِن﴾ المؤخر.

﴿جَبَّارِينَ﴾ نعت لـ ﴿قَوْمًا﴾. الجبار: صفة مبالغة قال الفراء: «لم اسمع أدرك»<sup>٢</sup>. «والجبار هو الذي لا ينال بالقهر وأصله - في النخل - ما فات اليد طولاً والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد»<sup>٣</sup>.

قال الراغب: «أصل الجبر إصلاح الشيء بضربٍ من القهر يُقال: جبرته فأنجبر واجتبر وقد قيل جبرته فجبر كفول الشاعر:

قد جبر الدين الإله فجبر

١. التفسير الكاشف ٣/ ٤٣.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ١٤٦.

٣. التبيان ٣/ ٤٨٤.



هذا قول أكثر أهل اللغة وقال بعضهم ليس قوله فجبر مذكوراً على سبيل  
الأنفعال بل ذلك على سبيل الفعل وكرره ونبه بالأول على الابتداء بإصلاحه وبالثاني  
على تميمه فكأنه قال قصد جبر الدين وابتدأه فتمم جبره، وذلك أن فعل تارة يقال  
لمن ابتداء بفعل وتارة لمن فرغ منه. وتجبر يقال إما لتصور معنى الاجتهاد والمبالغة أو  
لمعنى التكلف كقول الشاعر:

تَجَبَّرَ بَعْدَ الْأَكْلِ فَهُوَ عَيْضٌ

وقد يقال الجبر تارة في الإصلاح المجرد نحو قول عليؑ: يَا جَابِرَ كُلِّ كَسِيرٍ،  
وَيَا مُسَهِّلَ كُلِّ عَسِيرٍ. ومنه قولهم للخيز جابر ابن حبة. وتارة في القهر المجرد نحو  
قوله ﷺ: «لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِضَ». والجبر في الحساب إلحاق شيء به إصلاحاً لما يريد  
إصلاحه وسمي السلطان جبراً كقول الشاعر:

وَأَنْعَمَ صَبَاحُضُ أَيُّهَا الْجَبْرُ

لقهره الناس على ما يريد أو لإصلاح أمورهم، والإجبار في الأصل حمل الغير  
على أن يجبر الآخر لكن تُعورَفَ في الإكراه المجرد فقل أجبرته على كذا كقولك  
أكرهته، وسمي الذين يدعون أن الله تعالى يكره العباد على المعاصي في تعارف  
المتكلمين مجبراً وفي قول المتقدمين جبرية وجبرية. والجبار في صفة الإنسان يقال لمن  
يجبر نقيضته بادعاء منزلة من العالي لا يستحقها وهذا لا يقال إلا على طريق الدم  
كقوله ﷻ: «وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ»<sup>١</sup> وقوله تعالى: «وَلَمْ تَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا»<sup>٢</sup> وقوله  
ﷻ: «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ»<sup>٣</sup> وقوله ﷻ: «كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ

١. سورة إبراهيم / ١٥.

٢. سورة مريم / ٣٢.

٣. سورة المائدة / ٢٢.

جَبَّارٌ<sup>١</sup> أي مُتَعَالٍ عن قَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ لَهُ. وَيُقَالُ لِلْقَاهِرِ غَيْرُهُ جَبَّارٌ نَحْوُ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾<sup>٢</sup> وَلِتَصَوِّرَ الْقَهْرَ بِالْعُلُوِّ عَلَى الْأَقْرَانِ قِيلَ نَخْلَةُ جَبَّارَةٌ وَنَافَةُ جَبَّارَةٌ<sup>٣</sup>.  
وقال العلامة الطباطبائي «المراد بالجبارين هم أولو السطوة والقوة من الذين يجبرون الناس على ما يريدون... وقد ورد في عدة من الأخبار؛ في صفة هؤلاء الجبارين من العمالة وعظم أجسامهم الأرضية قامتهم أمور عجيبة لا يستطيع ذو عقل سليم أن يصدقها، ولا يوجد في الآثار الأرضية والأبحاث الطبيعية ما يؤيدها فليست إلا موضوعة مدسوسة»<sup>٥</sup>.

وبالجملة: ﴿جَبَّارِينَ﴾ أي متغلّبين لا يتأتى لنا مقاومتهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد والضمير اسمه.

﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال، يدلّ على نفي الأبد.

﴿نَدْخُلُهَا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله مستتر «نحن» ومفعول به. والضمير

المفعولي يرجع إلى ﴿الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ﴾. والجملة ﴿لَنْ نَدْخُلُهَا﴾ خبر ﴿إِنَّا﴾.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وجرّ.

﴿تَخْرُجُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾ وفاعله.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تَخْرُجُوا﴾. و«أن» المضمرة وما بعدها بتأويل

مصدر في محل جرّ بـ ﴿حَتَّى﴾ وتقديره: ﴿حَتَّى﴾ خروجهم منها. والجار والمجرور متعلّق بـ ﴿لَنْ نَدْخُلُهَا﴾.

والجملة ردّ لأمر موسى ﷺ واشتراط من قومه بأنّ دخولهم في ﴿الْأَرْضَ

١. سورة الغافر / ٣٥.

٢. سورة ق / ٤٥.

٣. المفردات / ٨٣.

٤. راجع تفسير الطبري ٦/ ٢٠٩؛ والدر المنثور ٢/ ٢٧٠.

٥. الميزان ٥/ ٢٩١.

الْمُقَدَّسَةِ ﴿ مشروط بخروج القوم الجبارين منها.  
 ﴿فَ﴾ استثنائية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.  
 ﴿تَخْرُجُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله لأنّه فعل الشرط، والضمير الفاعلي  
 يرجع إلى الجبارين.  
 ﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تَخْرُجُوا﴾. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.  
 ﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد والضمير اسمه.  
 ﴿دَخَلُوا﴾ خبر ﴿إِنَّا﴾، إذ لا طاقة لنا بهم.  
 والجملة الأخيرة ﴿فَإِنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَخَلُوا﴾ إيعاد ثانوي من  
 بني إسرائيل لنبيهم موسى ﷺ على اشتراط دخولهم بخروج قوم جبارين.  
 ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا  
 دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٣﴾  
 هذه الآية «إخبار من الله تعالى عن رجلين من جملة النقباء الذين بعثهم موسى  
 لتعرف خبر القوم. وقيل هما يوشع بن نون، وكالب، وقيل كلاب بن يوفنا، في قول  
 ابن عباس ومجاهد والسُّدِّي وقتادة والربيع»<sup>١</sup>.  
 ﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ.  
 ﴿رَجُلَانِ﴾ فاعله. وعن أبي جعفر ﷺ: أحدهما يوشع بن نون والآخر كالب بن  
 يافنا وهما ابنا عمّه<sup>٢</sup> أي ابنا عمّ موسى ﷺ.  
 ﴿مِنْ﴾ حرف جرّ، بيانيّ.

١. التبيان ٣/ ٤٨٦.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٢٥، ح ٦٩.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر، الجار والمجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿رَجُلَانِ﴾.

﴿تَخَافُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. صفة أولى لرجلين. «ظاهر السياق أن المراد بالمخالفة مخافة الله سبحانه وأن هناك رجالاً كانوا يخافون الله أن يعصوا أمره وأمر نبيه، ومنهم هذان الرجلان اللذان قالوا ما قالاً»<sup>١</sup>.

«قرأ سعيد بن جبير ﴿تَخَافُونَ﴾ بضم الياء [بناءً على المجهول] وقال: كانا من الجبارين فأسلما واتبعا موسى»<sup>٢</sup>. فكان «رجلان من الجبابرة أسلما وسارا إلى موسى، فعلى هذا «الواو» [في يُخَافُونَ] لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف أي من الذين يخافهم بنو إسرائيل»<sup>٣</sup>.

أقول: هذه القراءة وهذا القول شاذٌّ والاعتماد على الأوّل.

﴿أَنْعَمَ﴾ فعلٌ ماضٍ، صفة ثانية لرجلين. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَيْهِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْعَمَ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿رَجُلَانِ﴾ و ﴿أَنْعَمَ﴾ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بالإيمان والتثبت، «أنّهما كانا يختصان من بين أولئك الذين يخافون بأن الله أنعم عليهما، وقد مرّ في موارد تقدمت من الكتاب أن النعمة إذا أُطلقت في عرف القرآن يراد بها الولاية الإلهية فهما كانا من أولياء الله تعالى، وهذا في نفسه قرينة على أنّ المراد بالمخافة مخافة الله سبحانه فإنّ أولياء الله لا يخشون غيره قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»<sup>٥</sup>.

ويمكن أن يكون متعلق ﴿أَنْعَمَ﴾ المحذوف أعني المنعم به هو الخوف، فيكون

١. الميزان ٥ / ٢٩١.

٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٤ / ٤٣.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ٢ / ١٥٥.

٤. كما عليه أبو الفتوح الرازي في روض الجنان ٦ / ٣١٧.

٥. سورة يونس / ٦٢.

المراد أن الله أنعم عليهما بمخافته، ويكون حذف مفعول ﴿تَخَافُونَ﴾ للاكتفاء بذكره في قوله: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ إذ من المعلوم أن مخافتهما لم يكن من أولئك القوم الجبارين وإلا لم يدعوا بني إسرائيل إلى الدخول بقولهما: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾<sup>١</sup>.

﴿ادْخُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، ابتداء مقالتهم لبني إسرائيل الجبانين. والأمر يدل على الفور فالمراد به المباغته «أي: باغتوهم ولا تمهلوهم ليجدوا للحرب مجالاً»<sup>٢</sup>.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ادْخُلُوا﴾.

﴿الْبَابَ﴾ مفعول به. «لعل المراد به أول بلد من بلاد أولئك الجبابرة يلي بني إسرائيل... وهذا استعمال شائع أو المراد باب البلدة»<sup>٣</sup>.

﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه متعلق بجوابه.

﴿دَخَلْتُمُوهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. الضمير الفاعلي يرجع إلى بني إسرائيل والضمير المفعولي إلى ﴿الْبَابَ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿إِنْكُمْ﴾ من الحروف المشبهة بالفعل، تأكيد واسمه.

﴿غَلِبُون﴾ خبر ﴿إِنْ﴾. «وعدّ منهما لهم بالفتح والظفر على العدو، وإنّما أخبرا إخباراً بتيّاً اكتمالاً منهما بما ذكره موسى ﷺ أن الله كتب لهم تلك الأرض لإيمانها بصدق أخباره، أو أنّهما عرفا ذلك بنور الولاية الإلهية»<sup>٤</sup>.

١. الميزان ٥/ ٢٩١.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ١٥٠.

٣. الميزان ٥/ ٢٩٢.

٤. الميزان ٥/ ٢٩٢.

﴿و﴾ استثنائية.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَوَكَّلُوا﴾، وتقدمه يدل على أن التوكل لا بد أن يكون على الله تعالى فقط حتى يصير سبباً للغلبة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط المتقدم. أي إذا دخلتم متوكلاً على الله فقط ﴿فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

﴿تَوَكَّلُوا﴾ فعل أمر و فاعله. «لأن الله سبحانه كافي من توكل عليه وفيه تطيب لنفوسهم وتشجيع لهم»<sup>١</sup> و ﴿مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>٢</sup>

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه، في محل جزم بـ ﴿إِنْ﴾.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

وجواب الشرط محذوف لتقدم معناه تقديره: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَتَوَكَّلُوا﴾. أي: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبما آتاكم به رسوله من عنده ﴿فَتَوَكَّلُوا﴾ ﴿عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ

فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَنِعْدُونَ﴾

حكى الله تعالى عنادهم مع الرَّجُلَيْنِ وإصرارهم على التمرد والعصيان وأثمهم لا يعبدون الله إلا على حرف... وما أكثرهم في غيرهم من المسلمين والنصارى.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ﴾ أعربت في الآية ما قبل السابقة. اعراض عن مخاطبة الرجلين الداعيين إلى طاعة الله ورسوله إلى مخاطبة نبيهم موسى ﷺ تحقيراً وعصيانياً وتمرداً.

١. الميزان ٥/ ٢٩٢.

٢. سورة الطلاق / ٣.

﴿إِنَّا لَنَنذُرُهَا﴾ أعربت في ما سبق والضمير يرجع إلى ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾. كرروا مقالتهم ﴿إِنَّا لَنَنذُرُهَا﴾ حتى يئس نبيهم موسى ﷺ ولم يدعهم من بعد دعوة بعد الدعوة.

﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان للمستقبل، تأكيد لنفي المؤكد. تأكيد لقولهم: ﴿إِنَّا لَنَنذُرُهَا﴾ بظرف الزمان الدالة على التأيد في الاستقبال.

﴿مَا﴾ مصدرية ظرفية. ﴿دَامُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور في محل نصب خبر ﴿دَامُوا﴾؛ وجملة ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ بيانية للأبدية.

وفي هذا الجواب المؤجز «بعد الاطناب في مقام التخاصم والتجاوب دلالة على استمالة الكلام وكراهة استماع الحديث أن يمضي عليه المتخاصم الآخر»<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ تفرعية. والجملة بعدها تفرعية على ردّهم الدعوة في كمال سوء الأدب.

﴿أَذْهَبَ﴾ فعل أمر خطاباً لنبيهم موسى ﷺ.

﴿أَنْتَ﴾ فاعله، و «إنما أبرز الضمير ليصح العطف عليه لأنه لا يجوز العطف

على الضمير قبل أن يؤكد»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَبُّكَ﴾ معطوف على ﴿أَنْتَ﴾ ومضاف إليه، والضمير الخطاب خروج منهم

عن العبودية والولاية الإلهية، لأنهم ينسبون «الرب» إلى موسى ﷺ فقط.

﴿فَ﴾ تفرعية أخرى.

﴿فَتَتَلَا﴾ فعل أمر فاعله. «وفي الكلام أوضح الدلالة على كونهم مشبهين

كالوثنيين، وهو كذلك فإنهم القائلون على ما يحكيه الله سبحانه عنهم في قوله:

١. الميزان ٥/ ٢٩٢.

٢. التبيان ٣/ ٤٨٧.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ أَجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾<sup>١</sup> ولم يزالوا على التجسيم والتشبيه حتى اليوم على ما يدل عليه كتبهم الدائرة بينهم<sup>٢</sup>.

﴿إِنَّا﴾ الحرف المشبهة بالفعل واسمه. ﴿هَٰهُنَا﴾ اسم إشارة للمكان.

﴿قَعْدُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّا﴾. «أي: لا نبرح عن مكاننا ولا نقاتل»<sup>٣</sup>.

آخر تأكيد من بني إسرائيل على عصيانهم وخروجهم عن طاعة ربهم وولاية نبيهم بل على سوء أدبهم والاستهانة والاستهزاء بأوامر الله تعالى ورسوله، بعد صدور معجزات عديدة منه وإنعام الله تعالى عليهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

«استنصار من موسى عليه السلام في إجراء الأمر الإلهي، وشكوى منه عليه السلام إلى ربه لحال نفسه وأخيه، والاعتذار إليه تعالى، والتَّصَلُّ؛ من فعل قومهم وفسقهم، فإنه عليه السلام لم يتعرض لحال غيرهما من المؤمنين، فإنَّ المقام يقتضي التعرُّض لحال أنفسهما، لا حال من خرج عن الطاعة وفسق عن أمره»<sup>٥</sup>.

﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى موسى عليه السلام. في هذا المقال يدل على غاية الانقطاع إلى الله ﷻ توجه موسى عليه السلام «إلى ربه جلَّ شأنه بقلب مليء

١. سورة الأعراف / ١٣٨.

٢. الميزان ٥ / ٢٩٢.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ١٥٢.

٤. التَّصَلُّ: شبه التَّبرُّؤ من جنابة ذنب ونحوه.

٥. مواهب الرحمن ١١ / ١٥٢.



بالحزن، مشفق خائف وجل، وبمثله تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة»<sup>١</sup>.  
﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف منصوب بأداة نداء محذوفة تقديره: «يا ربّي»، ومن  
المعلوم «أن اسم «الرّب» له أهميّة خاصّة في الدُّعاء، وأثر عظيم في استجابته، وهذا  
القول يدلّ على عظم هذا الأمر وأهمّيته في حياة بني إسرائيل، فإنّه ﷺ لم يتركهم على  
حالهم، ولم ينصرف عنهم بمجرد إعراضهم واستهانتهم له، فإنّ هذا الأمر له الأثر  
الكبير في تثبيت دعوته واستمرارها، وإنّه أساس كلّ أمر ونهي فيهم، وفي الإعراض  
عن هذا الأمر تشتّت كلمتهم، وإهدار وحدتهم، ولهذا فقد بثّ شكواه إلى ربّه جلّت  
عظمته، وطلب منه ﷻ إصلاح الأمر بعد ما بلغ هذا الحكم، ودعاهم إليه بأبلغ وجه  
فأعذر فيه»<sup>٢</sup>.

و «المقام كان يقتضي رجوع موسى ﷺ إلى ربّه بالشكوى وهو في الحقيقة  
استنصار منه في إجراء الأمر الإلهي»<sup>٣</sup>.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿أَمْلِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ في محلّ رفع خبر  
﴿إِنِّي﴾. كناية عن نفي القدرة على إيجاد ما أمرهم الله تعالى من دخول ﴿الْأَرْضَ  
الْمُقَدَّسَةَ﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. والاستثناء يكون منقطعاً.

﴿نَفْسِي﴾ مستثنى ومضاف إليه. اقرار من موسى ﷺ على عصيان المجتمع  
الإسرائيلي وأنّه يقدر على نفسه فقط وأنّه حاضر على إجابة دعوة ربّه وأوامره بأيّ نحو  
كانت.

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٥٣.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ١٥٣.

٣. الميزان ٥/ ٢٩٤.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿أخي﴾ معطوف على «الياء» في قوله: ﴿إني﴾ لا يكون معطوفاً على ﴿نفسى﴾ فيكون المراد إن أخي أيضاً لا يملك إلا نفسه. «وإن كان المعنى صحيحاً على جميع التقادير فإن موسى وهارون كما كانا يملك كل منهما من نفسه الطاعة والامتثال كان موسى يملك من نفس هارون الطاعة لكونه خليفته في حياته، وكذا كانا يملكان ممن أخلص الله من المؤمنين السمع والطاعة»<sup>١</sup>.

سؤال: كيف لم يتعرض موسى ﷺ لحال أهله وأهل أخيه والرجلين اللذين كانا ممن يخافون ربهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يافنا ابنا عمه مع أنهم لم يتخلفوا عن أوامر الله تعالى ولم يتهاونا بأمر موسى ﷺ؟

جواب: موسى وأخوه هارون هما المبلغان عن الله تعالى والرسولان لبني إسرائيل ولذا لا يتعرض موسى ﷺ «لحال غيرهما من المؤمنين وإن كانوا غير متمردين. إذ لا شأن لهم في التبليغ والدعوة، والمقام إنما يقتضي التعرض لحال مبلغ الحكم لا العامل الآخذ به المستجيب له»<sup>٢</sup>.

وبعبارة أخرى: «أنَّ المقام لا يقتضي إلا ذلك فإنه دعاهم إلى خطب مشروع فأبلغ وأعذر فردَّ عليه المجتمع الإسرائيلي دعوته أشنع ردَّ وأقبحه، فكان مقتضى هذا الحال أن يقول: رب اني أبلغت وأعذرت ولا أملك في إقامة أمرك إلا نفسي وكذلك أخي، وقد قمنا بما علينا من واجب التكليف ولكن القوم واجهونا بأشد الامتناع، ونحن الآن آثان منهم، والسبيل منقطع فاحلل أنت هذه العقدة ومهد بربوبيتك السبيل إلى نيل ما وعدته لهم من تمام النعمة وإيراثهم الأرض واستخلافهم فيها،

١. الميزان ٥/ ٢٩٤.

٢. الميزان ٥/ ٢٩٣.

واحكم وافصل بيننا وبين هؤلاء الفاسقين»<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿أَفَرُّ﴾ فعل أمر في مقام الدعاء والطلب والتضرع وفاعله ضمير مستتر «أنت». الفرق: هو الفصل بين شيئين والتميز بينهما.

﴿بَيْنَنَا﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿أَفَرُّ﴾ ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بَيْرَ﴾ معطوف على ﴿بَيْنَنَا﴾. ﴿الْقَوْمِ﴾ مضاف إليه.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾ نعت. وصفهم نبيهم بـ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ لتمردهم. وهذا التوصيف «لا يدلّ على أنّ ما وقع منهم كان فسقاً لا كفراً، لأنّ الكفر قد يوصف بالفسق، لأنّ الفسق هو الخروج من الطاعة إلى المعصية على وجه التمرد، ويكون ذلك في الكفر قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾<sup>٢</sup> وكان بذلك كافراً بلا خلاف»<sup>٣</sup>.

دعاء من موسى ﷺ لنفسه ولأخيه وللمؤمنين المطيعين من قومه للفصل بينهم وبين المجتمع الإسرائيلي المتمردين لحكم الله تعالى الفاسقين لأوامره من شمول الرحمة الإلهية لهم في الدنيا والآخرة.

و «ليس دعاء منه على بني إسرائيل بالحكم الفصل المستعقب لنزول العذاب عليهم أو بالتفريق بينهما وبينهم بإخراجهما من بينهم أو بتوفيها فإِنَّهُ ﷺ كان يدعوهم إلى ما كتب الله لهم من تمام النعمة، وكان هو الذي كتب الله المنّ على بني إسرائيل بإنجائهم واستخلاصهم في الأرض بيده كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

١. الميزان ٥/ ٢٩٣.

٢. سورة الكهف / ٥٠.

٣. التبيان ٣/ ٤٨٩.

أَسْتَضِعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٢١﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾

إخبار وخطاب لموسى عليه السلام أن قومه قد حرم عليهم دخول ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾ وتملكها أربعين سنة في القضاء الإلهي كفارة عن تمردهم وعصيانهم وسوء أدبهم بل فسقهم وكفرهم.

﴿قَالَ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ تعالى.

﴿فَ﴾ للسببية. أي بسبب عدم دخولهم ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾.

﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿هَا﴾ اسمه، يرجع إلى ﴿الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ﴾.

﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ خبره. والمراد بها التحريم التكويني وهو القضاء الإلهي.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ والضمير يرجع إلى بني إسرائيل.

﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظرف زمان منصوب على الظرفية والعامل فيه ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾. أو

﴿يَتِيهُونَ﴾ الآتي.

﴿سَنَةً﴾ تمييز.

﴿يَتِيهُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والجملة الفعلية حال من الضمير في

﴿عَلَيْهِمْ﴾. «وأصل التيه التحير الذي لا يهتدى لأجله للخروج عن الطريق إلى الغرض

المقصود. وأصله الحَيْرَةُ<sup>١</sup>. يقال: تاه يتيه تيهًا: إذا تحير. وتيهته، وتوهته، والياء أكثر. والتيهَاء - من الأرض - هي التي لا يُتَهَدَّى فيها. يقال: أرض تيه وتيهاء<sup>٢</sup>. ومكان «التيه في صحراء سيناء الجرداء، يسرون فيها لا يهتدون إلى طريق الخروج، ولا يدرون أين المصير... وهكذا يضربون في مجاهلها أربعين عاماً، حتى يفنى كبراؤهم، وينشأ بعدهم جيل جديد»<sup>٣</sup>.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتِيهُونَ﴾ و «ال» للعهد. «أي قضينا أن لا يوفقوا لدخولها أربعين سنة يسرون فيها في الأرض متحيرين لا هم مدنيون يستريحون إلى بلد من البلاد، ولا هم بدويون يعيشون عيشة القبائل والبدويين»<sup>٤</sup>.  
﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تَأْسَ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ ناهية وفاعله ضمير مستتر «أنت» والخطاب لموسى عليه السلام. الأسى: الحزن، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي فلا تحزن.  
﴿عَلَى الْقَوْمِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَأْسَ﴾.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾ نعت. إشعار بأن سبب نزول نقمة التيه عليهم هو فسقهم وإمضاء لمقالة موسى وتوصيفهم بـ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ في الآية السابقة.  
والمراد به: «﴿فَلَا﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ من نزول هذه النقمة عليهم لأنهم فاسقون لا ينبغي أن يحزن عليهم إذا أذيقوا وبال أمرهم»<sup>٥</sup>.

قد يقال: «إن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد بالقوم الفاسقين معاصروه ﷺ من بني إسرائيل لما عاندوه. وهذا صحيح، لكن ظاهر الآية الشريفة يأباه، وإن أمكن

١. بِفَتْحِ الحَاءِ الْمُهْمَلَةِ لَا يَكْسَرُهَا، كَمَا شَاعَ خَطًّا وَمِثْلُهَا: الْغَيْرَةُ.

٢. التبيان ٣/ ٤٩٠.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٤٤.

٤. الميزان ٥/ ٢٩٤.

٥. الميزان ٥/ ٢٩٥.

القول بأنَّ الغرض من نقل قصص بني إسرائيل هو العبرة والموعظة والإرشاد، وتطبيب نفس الرسول ﷺ ممَّا لاقاه منهم»<sup>١</sup>.

### الروايات

خبر عُمارة قال: قلت للمصادق أخبرني بوفاة موسى بن عمران عليه السلام: فقال: إنَّه لما أتاها أجله واستوفى مُدَّتَه وانقطع أكله، أتاها ملك الموت، فقال: له: السلام عليك يا كريم الله. فقال موسى: وعليك السلام، من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت: قال: ما الذي جاء لك؟ قال: جئتُ لأقبض رُوحك: فقال له موسى عليه السلام: من أين تقبض روحي؟ قال: من فمك. قال له موسى عليه السلام: كيف وقد كلَّمت به ربِّي جلَّ جلاله! قال: فمن يدريك. قال: كيف وقد حملتُ بهما التوراة! قال: فمن رجلك. قال: كيف وقد وَطَّئْتُ بهما طُور سِيناء! قال: فمن عينيك؟ قال: كيف ولم تَزَلْ إلى ربِّي بالرجاء ممدودة! قال: فمن أذنيك. قال: كيف وقد سمعتُ بهما كلام ربِّي جلَّ وعزَّ!

قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك الموت: لا تقبض رُوحه حتَّى يكون هو الذي يُريد ذلك. وخرج ملك الموت، فمكث موسى عليه السلام ما شاء الله أن يمكث بعد ذلك، ودعا يُوشع بن نُون، فأوصى إليه وأمره بكِتْمَان أمره، وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى عليه السلام عن قومه، فمرَّ في غَيْبَتِهِ برجلٍ وهو يخفُّ قبراً، فقال له: ألا أعينك على حَفْرِ هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى. فأعانه حتَّى حَفَرَ القبر وسوَّى اللَّحْد، ثم اضطجع فيه موسى بن عمران عليه السلام، لينظر كيف هو، فكشَفَ له عن الغِطاء، فرأى مكانه من الجنَّة، فقال: يا ربِّ، اقْبِضْني إليك. فقَبَضَ ملك الموت رُوحه مكانه، ودفنه في القبر، وسوَّى عليه التُّراب، وكان الذي يخفُّ القبر ملكاً في صورة

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٥٧.

٢. عمرانُ في الأسماء بكسر العين المهملة وفي البناء بضمها: عمرانُ وكثيرٌ من الناس لا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمَا.

أدمي، وكان ذلك في التّيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، فأَيّ نفس لا تموت؟

فحدثني أبي، عن جدّي، عن أبيه عليه السلام: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن قبر موسى بن عمران عليه السلام أين هو؟ فقال: هو عند الطريق الأعظم، عند الكَثيب الأحمر.<sup>١</sup>  
صحيحة أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما انتهى بهم موسى إلى الأرض المقدّسة قال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾<sup>٢</sup> - وقد كتبها الله لهم - قالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ \* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ \* وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا يَنْمُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا \* فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي \* فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>٣</sup> فلما أبوا أن يدخلوها حرّمها الله عليهم فهاهوا في أربع فراسخ \* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ \* أَرْبَعِينَ سَنَةً \* يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ \* فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>٤</sup> قال أبو عبد الله عليه السلام: وكانوا إذا أمسوانادى مناديهم أمسيتم الرّحيل فيرتحلون بالحداء والزّجر حتّى إذا أسحروا أمر الله الأرض فدارت بهم فيصبحوا في منزلهم الذي ارتحلوا منه. فيقولون: قد أخطأتم الطريق فمكثوا بهذا أربعين سنة ونزل عليهم المنّ والسلوى حتّى هلكوا جميعاً إلّا رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وأبناءؤهم وكانوا يتيهون في نحو من أربع فراسخ فإذا أرادوا أن يرتحلوا ثبت ثيابهم

١. أمالي الصدوق، المجلس الحادي والأربعون، ح ٢/٣٠٣، رقم ٣٤٣، كمال الدين وتمام النعمة / ١٥٣، ح ١٧.

٢. سورة المائدة / ٢١.

٣. سورة المائدة / ٢٥-٢٢.

٤. سورة المائدة / ٢٦.

عليهم وخفافهم؛ قال: وكان معهم حجرٌ إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط عينٌ، فإذا ارتحلوا رجع الماء فدخل في الحجر ووضع الحجر على الدابة.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله أمر لبني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ثمَّ بداله فدخلها أبناء الأنبياء.<sup>١</sup>

خبر ابن عباس رضي الله عنه قال: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر: خبرنا يا موسى بأيِّ قوَّة وبأيِّ عدَّة وعلى أيِّ حمولة تبلغ الأرض المقدَّسة ومعك الذرِّيَّة والنساء والمهرمى والزَّمنى؟

فقال موسى عليه السلام: ما أعلم قوماً ورث الله من عرض الدنيا ما ورثكم، ولا أعلم أحداً آتاه منها مثل الذي آتاكم، فمعكم من ذلك ما لا يحصيه إلَّا الله تعالى، وقال موسى: سيجعل الله لكم مخرجاً، فاذكروه وردّوا إليه أموركم، فإنَّه أرحم بكم من أنفسكم.


قالوا: فادعه يطعمنا ويسقينا ويكسوننا ويحملنا من الرِّجْلة، ويظللنا من الحرِّ. فأوحى الله تعالى إلى موسى قد أمرت السماء أن تمطر عليهم المنّ والسلوى، وأمرت الرياح أن تنشف لهم السلوى، وأمرت الحجارة أن تنفجر، وأمرت الغمام أن يظللهم، وسخّرت ثيابهم أن تثبت بمقدار ما يشبتون.

فلما قال لهم موسى ذلك سكتوا، فسار بهم موسى فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدَّسة وهي فلسطين، وإنَّما قدَّسها لأنَّ يعقوب عليه السلام وُلد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق ويوسف عليه السلام ولد بها، ونقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين.<sup>٢</sup>

١. الاختصاص / ٢٦٥.

٢. قصص الأنبياء ١/ ٤١٧، ٤٨، للقطب الراوندي.



﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ 

«وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى أراد أن يبين أن حال اليهود في الظلم ونقض العهد وارتكاب الفواحش من الأمور كحال ابن آدم قابيل في قتله أخاه هابيل، وما عاد عليه من الوبال بتعديه. فأمر نبيه أن يتلو عليهم أخبارهما وفيه تسليّة للنبي ﷺ لما ناله من جهلهم بالتكذيب في جحوده وتبكيته اليهود»<sup>١</sup>.

هذه الآية وما بعدها «تنبيء عن قصة ابني آدم، وتبين أن الحسد ربما يبلغ بابن آدم إلى حيث يقتل أخاه ظالماً فيصبح من الخاسرين ويندم ندامة لا يستتبع نفعاً، وهي بهذا المعنى ترتبط بما قبلها من الكلام على بني إسرائيل واستنكافهم عن الإيمان برسول الله ﷺ فإن إباءهم عن قبول الدعوة الحقّة لم يكن إلا حسداً وبغياً، وهذا شأن الحسد يبعث الإنسان إلى قتل أخيه ثم يوقعه في ندامة وحسرة لا مخلص عنها أبداً، فليعتبروا بالقصة ولا يلحوا في حسدهم ثم في كفرهم ذاك الإلحاح»<sup>٢</sup>.

﴿و﴾ استثنائية.

﴿أَتْلُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» والخطاب للنبي الخاتم ﷺ . من تلو بمعنى تبع ومنها: التلاوة وهي القراءة سميت بها لأن قارئ النبا يأتي بأجزائه في تلو الآخر، أي متابعة الكلمات في تلو الأخرى. قال تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾<sup>٣</sup> أي يقرؤونه ويتبعونه حق اتباعه.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَتْلُ﴾. والضمير يرجع إلى المسلمين.

١. التبيان ٣/ ٤٩٢.

٢. الميزان ٥/ ٢٩٨.

٣. سورة البقرة / ١٢١.

﴿نَبَأٌ﴾ مفعول به. النبأ: هو الخبر المهم إذا كان له نفع أو فائدة.

﴿أَتَيْتُ﴾ مضاف إليه وهما هابيل وقابيل.

﴿ءَادَمَ﴾ مضاف إليه ثان وممنوع من الصرف. وهو أبوالبشر وابناه من صلبه ومن زوجته حواء، لا أنه رجل من بني إسرائيل كما قاله الحسن وأبومسلم محمد بن بحر والزجاج بدعوى علامة قبول القربان لم تكن قبل ذلك.<sup>١</sup>

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومجرور في محل نصب نائب عن صفة لمصدر محذوف تقديره: ﴿أَتَلُ﴾ تلاوة متلبسة بالحق، أو حال من الضمير الفاعلي ﴿أَتَلُ﴾ وتقديره: ومعك الحق.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ ﴿أَتَلُ﴾.

﴿قَرَّبَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿قُرْبَانًا﴾ مفعول به، «القربان مصدر كالشكران والكفران والمراد به هنا اسم المفعول أي الشيء الذي يتقرب به إلى الله من الذبائح وغيرها فهو مثل الخلق حيث أريد به المخلوق»<sup>٢</sup>.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿تُقْبَلُ﴾ فعلٌ ماضٍ مبني للمجهول تعظيماً لفاعله، ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». التقبل: هو القبول مع زيادة وهي الاهتمام بالمقبول والعناية به فيكون أخصاً من القبول.

﴿مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تُقْبَلُ﴾. وهو هابيل لأنه أخلص النية لله تعالى وأختار أحسن ما عنده ورضي بحكم الله تعالى.

١. حكى عنهم الشيخ في التبيان ٣/ ٤٩٢.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٤٤.

﴿وَعَاطِفَةً﴾. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يُتَقَبَّلُ﴾ فعل مضارع مجزوم مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مِنَ الْآخِرِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَمْ يُتَقَبَّلُ﴾. وهو قابيل لأنه لم يخلص النية في قربانه وأختار أردء وأخس ما عنده ولم يرض بحكم الله وليس عنده ملكة التقوى.

﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى قابيل.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

﴿أَقْتُلَنَّكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «انا» و «نون» التأكيد الثقيلة ومفعول به. تهديد بالقتل حسداً لقبول قربان أخيه دون قربانه.

﴿قَالَ﴾ أجابه هابيل<sup>١</sup> وقرّره الربّ الجليل.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر. مسوق لقصر الأفراد وهو «المتقون».

﴿يَتَقَبَّلُ﴾ فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتَقَبَّلُ﴾. أي عملية القبول يدور مدار تقوى الله سبحانه والتقوى فعل اختياري للقارب؛ فالقبول من الله بالمال يرجع إلى فعل اختياري للفاعل ولأنّ النظام الإلهي يؤدي إلى تقدير الأعمال بميزان العدل وترتب الجزاء والثواب على العصيان والإطاعة وثبوت المجازاة الإلهية يكون من لوازم الربوبية من ربّ العالمين.

#### فائدة

في «بيان حقيقة من الحقائق الواقعية في قانون المجازاة وقبول الأعمال والعبادات، وهذه الحقيقة تبني على قاعدتين مهمتين، هما أساس قانون الجزاء في

١. والملاحظ أنّ اسمي آدم لم يردا في القرآن الكريم وإنّما وردا في الأخبار باسم قابيل وهو القاتل وهابيل للمقتول وكثير من الناس يظنّ بل يعتقد جازماً أنّ اسميهما وردا في القرآن الحكيم ويُراهنّ على ذلك ويتلو من نفسه: «وَقَتَلَ قَابِيلُ هَابِيلَ» اعتقاداً منه أنّها آية وليس كذلك.

الإسلام.

الأولى: ثبوت المجازاة، الذي لا يتم بأبصال كل عامل إلى جزاء عمله وتقديره بميزان القسط والعدل، فيثاب المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ليكون سبباً لارتداع الظالم الذي يعدّ جزاء أعماله بنفسه، ويرغب المحسن إلى الزيادة في الإحسان.

وهذه القاعدة لا تتم إلا بنظام خاص متقن يقوم على العلم والقدرة والحكمة المتعالية، ولذا كان من شؤون الربوبية العظمى لرب العالمين.

الثانية: وهي أن قبول الأعمال مطلقاً إنما يدور مدار التقوى، التي هي أساس الكمالات، ولا يمكن تحصيلها إلا بجهد شخصي مرير، وتدلل عليها جملة من الأدلة، منها هذه الآية المباركة التي ترمز إلى معنى دقيق يعدّ بنفسه من أسس قانون المجازاة الإلهية، وهو أن حرمان الإنسان من جزاء عمله إنما يكون من تقصيره، ولا بد من السعي في إزالة ما يكون مانعاً عن القبول، ولا يمكن ذلك إلا بالتقوى، فلا بد من الاجتهاد في تحصيلها مهما أمكن، ليكون محظوظاً عند رب العالمين، لا السعي في إزالة حظه ونعمته، فإن ذلك يضره ولا ينفعه.

ومن ذلك يعلم أن القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ﴾ قصر القلب، ردّاً لما زعمه القاتل من قبول عمله حساباً منه أن الأمر لا يدور مدار التقوى، وأن التقى وغير التقى في ذلك على حدّ سواء، إلا أن الآية الشريفة قصرت القبول على المتقّي فقط، فلا حظ لغيره من عمله.

والظاهر من الآية المباركة وما ورد في تفسيرها عن المعصومين عليهم السلام والتأمل في أحوال قابيل وارتداده عن شريعة آدم عليه السلام، أن المراد من التقوى هنا هو الموت على الإيمان، لا التقوى الخاص، فكيف بالأخص، فلا يصحّ التمسك بهذه الآية الشريفة لعدم قبول أعمال فساق المؤمنين إن ماتوا على الدين الحق، ويمكن استظهار ذلك من

جملة كثيرة من الأخبار، ومن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>١</sup>.

وكيف كان، ففي الآية الكريمة العبرة والموعظة للعاملين بأن لا يغتروا بأعمالهم، إذ المناط كله هو التقوى، فما أنعى هذه الآية الشريفة على العاملين أعمالهم وهي ترشد المؤمنين إلى إزالة ما يكون مانعاً عن قبول أعمالهم<sup>٢</sup>.

### الروايات

معتبرة عمرو بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن آية في القرآن تشككني، قال: وما هي؟ قلت: قول الله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ قال: وأي شيء شككت فيها؟ قلت: من صلي وصام وعبد الله قبل منه؟ قال: إنما يتقبل الله من المتقين العارفين، ثم قال: أنت أزهد في الدنيا أو الضحّاك بن قيس؟ قلت: لا، بل الضحّاك بن قيس، قال: فإن ذلك لا يتقبل منه شيء مما ذكرت<sup>٣</sup>.

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن الله - تبارك وتعالى - عهد إلى آدم عليه السلام أن لا يقرب هذه الشجرة، فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها، نسي فأكل منها، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾<sup>٤</sup>.

فلما أكل آدم عليه السلام من الشجرة أهبط إلى الأرض، فولد له هابيل وأخته توأم، وولد له قابيل وأخته توأم.

ثم إن آدم عليه السلام أمر هابيل وقابيل أن يقربا قرباناً، وكان هابيل صاحب غنم،

١. سورة الزلزلة / ٨-٧.

٢. مواهب الرحمن ١١ / (١٩١-١٨٩).

٣. المحاسن ١ / ٢٧٠، ح ١٣١.

٤. سورة طه / ١١٥.

وكان قابيل صاحب زرع، فقرب هابيل كبشاً من أفاضل غنمه، وقرب قابيل من زرعه ما لم يُنق، فتقبل قربان هابيل، ولم يتقبل قربان قابيل، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ إلى آخر الآية، وكان القربان تأكله النار، فعمد قابيل إلى النار، فبني لها بيتاً وهو أول من بنى بيوت النار، فقال: لأعبدن هذه النار حتى تتقبل مني قرباني.

ثم إن إبليس لعنه الله أتاه - وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق - فقال له: يا قابيل، قد تقبل قربان هابيل، ولم يتقبل قربانك، وإنك إن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله، فلما رجع قابيل إلى آدم ﷺ، قال له: يا قابيل، أين هابيل؟ فقال: اطلبه حيث قربنا القربان، فانطلق آدم، فوجد هابيل قتيلاً، فقال آدم ﷺ: لُعِنْتَ من أرضي كما قبلت دم هابيل، وبكى آدم ﷺ على هابيل أربعين ليلة، ثم إن آدم سأل ربه ولداً، فولد له غلام، فسماه هبة الله؛ لأن الله ﷻ وهبه له وأخته توأم.

فلما انقضت نبوة آدم ﷺ واستكمل أيامه، أوحى الله ﷻ: أن يا آدم، قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في العقب من ذريتك عند هبة الله، فإنني لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وآثار النبوة من العقب من ذريتك إلى يوم القيامة، ولن أضع الأرض إلا وفيها عالم يعرف به ديني، ويعرف به طاعتي، ويكون نجاة لمن يولد فيها بينك وبين نوح، وبشر آدم بنوح ﷺ فقال: إن الله - تبارك وتعالى - باعث نبياً اسمه نوح، وإنه يدعو إلى الله - عز ذكره - ويكذبه قومه، فيهلكهم الله بالطوفان، وكان بين آدم وبين نوح ﷺ عشرة آباء أنبياء وأوصياء كلهم، وأوصى آدم ﷺ إلى هبة الله أن من أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه وليصدق به، فإنه ينجو من الغرق.

ثم إن آدم ﷺ مرض المرضة التي مات فيها، فأرسل هبة الله، وقال له، إن لقيت جبرئيل أو من لقيت من الملائكة، فأقرئه مني السلام، وقل له: يا جبرئيل، إن

أبي يستهديك من ثمار الجنة، فقال له جبرئيل: يا هبة الله، إنَّ أباك قد قبض، وإنَّا نزلنا للصلاة عليه، فارجع، فرجع، فوجد آدم ﷺ قد قبض، فأراه جبرئيل كيف يغسله، فغسله حتى إذا بلغ الصلاة عليه، قال هبة الله: يا جبرئيل، تقدّم فصلّ على آدم، فقال له جبرئيل: إنَّ الله ﷻ أمرنا أن نسجد لأبيك آدم وهو في الجنة، فليس لنا أن يؤمَّ شيئاً من ولده، فتقدّم هبة الله، فصلّى على أبيه وجبرئيل خلفه وجنود الملائكة، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة، فأمر جبرئيل ﷺ، فرفع خمساً وعشرين تكبيرة، والسنة اليوم فينا خمس تكبيرات، وقد كان يكبّر على أهل بدر تسعاً وسبعاً.

ثم إنَّ هبة الله لما دفن أباه، أتاه قابيل، فقال: يا هبة الله، إنّي قد رأيت أبي آدم قد خصّك من العلم بما لم أخصّ به أنا، وهو العلم الذي دعا به أخوك هايل، فتقبّل قربانه، وإنّا قتلته لكيلا يكون له عقب، فيفتخرون على عقبي، فيقولون: نحن أبناء الذي تقبّل قربانه، وأنتم أبناء الذي ترك قربانه، فإنّك إن أظهرت من العلم الذي اختصّك به أبوك شيئاً، قتلتك كما قتل أخاك هايل.

فلبث هبة الله والعقب منه مُستخفين بما عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث النبوة وآثار علم النبوة حتى بعث الله نوحاً ﷺ، وظهرت وصية هبة الله حين نظروا في وصية آدم ﷺ، فوجدوا نوحاً ﷺ نبياً قد بشر به آدم ﷺ، فأمنوا به واتبعوه وصدّقوه.

وقد كان آدم ﷺ وصي هبة الله<sup>١</sup> أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كلّ سنة، فيكون يوم عيدهم، فيتعاهدون نوحاً وزمانه الذي يخرج فيه، وكذلك جاء في وصية كلّ نبي حتى بعث الله محمداً ﷺ، وإنّا عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم وهو قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ<sup>٢</sup> إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، الْحَدِيث<sup>١</sup>.

١. واسمُهُ شَيْث.

٢. سورة هود / ٢٥.

روى نحوها العياشي<sup>٢</sup> والصدوق<sup>٣</sup>.

عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جُعِلَتْ فداك، إنَّ الناس يزعمون أنَّ آدم زوّج ابنته من ابنه؟  
فقال أبو عبد الله عليه السلام: قد قال الناس في ذلك، ولكن يا سليمان، أما عَلِمْتَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: لو عَلِمْتَ أنَّ آدم زوّج ابنته من ابنه، لزوجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم.  
فقلت: جعلتُ فداك، إنَّهم يزعمون أنَّ قابيل إنَّما قَتَلَ هابيل، لأنَّهما تَغَايرا على أختهما؟

فقال له: يا سليمان، تقول هذا! أما تستحيي أن تروي هذا على نبيِّ الله آدم؟  
فقلتُ: جُعِلَتْ فداك، ففيم قَتَلَ قابيل هابيل؟  
فقال: في الوصية، ثمَّ قال لي: سليمان، إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم، أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه، فبلغ ذلك قابيل فغَضِب، فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية، فأمرهما أن يُقربا قرباناً بوحى من الله إليه ففعلا، فقبل الله قربان هابيل، فحَسَدَه قابيل فقتله.  
فقلت له: جُعِلَتْ فداك، فممن تناسل ولد آدم، هل كانت أنثى غير حواء، وهل كان ذَكَرٌ غير آدم؟

فقال: يا سليمان، إنَّ الله تبارك وتعالى رَزَقَ آدمَ من حواء قابيل، وكان ذَكَرٌ ولده من بعده هابيل، فلَمَّا أدرك قابيل ما يُدرك الرجال، أظهر الله له جَنَّةً، وَأَوْحَى إلى آدم أن يزوجه قابيل، ففعل ذلك آدم، ورضي بها قابيل وقنع، فلَمَّا أدرك هابيل ما يُدرك

١. الكافي ١٥/ ٢٧٥، ح ٩٢ (١١٣/ ٨).

٢. تفسير العياشي ٢/ ٣٢، ح ٧٩.

٣. كمال الدين وتمام النعمة / ٢١٣، ح ٢.



الرجال، أظهر الله له حوراء، وأوحى الله إلى آدم أن يزوجه من هابيل، ففعل ذلك، فقتل هابيل والحوراء حامل، فولدت غلاماً، فسماه آدم عليه السلام هبة الله، فأوحى الله إلى آدم عليه السلام أن ادفع إليه الوصية واسم الله الأعظم، وولدت حواء غلاماً فسماه آدم شيث بن آدم، فلما أدرك ما يدرك الرجال، أهبط الله له حوراء، وأوحى إلى آدم أن يزوجه من شيث بن آدم، ففعل فولدت الحوراء جارية، فسماها آدم حورة، فلما أدركت الجارية زوج آدم حورة بنت شيث من هبة الله بن هابيل، فنسل آدم منهما، فمات هبة الله بن هابيل، فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع الوصية واسم الله الأعظم، وما أظهرتك عليه من علم النبوة، وما علمتك من الأسماء إلى شيث بن آدم، فهذا حديثهم يا سليمان.<sup>١</sup>


صحيحة هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أوصى آدم صلوات الله عليه إلى هابيل، حسده قابيل فقتله، فوهب الله تعالى لآدم هبة الله، وأمره أن يوصي إليه وأمره أن يكتم ذلك، فجرت السنة بالكتمان في الوصية، فقال قابيل لهبة الله: قد علمت أن أباك قد أوصى إليك، فإن أظهرت ذلك أو نطقت بشيء منه لأقتلنك كما قتلت أخاك.<sup>٢</sup>

حسنة حبيب السجستاني، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال: لما قرب ابن آدم عليه السلام القربان، فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، دخل قابيل من ذلك حسد شديد، وبغى قابيل على هابيل، فلم يزل يرصده ويتبع خلواته حتى خلا به متنحياً فقام قابيل فقتله، وكان من قصتهما ما قد بينه الله في كتابه من المحاورة قبل أن قتله.<sup>٣</sup>

١. تفسير العياشي ٢/ ٣٥، ح ٨٤.

٢. قصص الأنبياء ١/ ٢١٩، ح ٤٥ للقطب الراوندي.

٣. قصص الأنبياء ١/ ٢١٩، ح ٤٦.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ  
اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ 

تتمة مقالة هابيل و «بيان لخلق كريم من مكارم الأخلاق التي تحث الشرائع الإلهية إليها، تحرض الناس على التحلي بها، وهو يرشد إلى أصل من أصول الأديان السماوية، وهو أصل احترام الدماء والنفوس، الذي يعد من القواعد المهمة في الفقه الإسلامي، وفيه من الحكمة البالغة والموعظة الحسنة ما يكون سبباً في السعادة والفلاح ونيل الكمالات، ويبين أنه لا بد من نبذ روح الانتقام، وعدم إضمار السوء والشر بالنسبة إلى الآخرين، حتى إذا أرادوا الشر له، لأن السبب في ذلك هو الخوف من الله تعالى، الذي هو من أسمى الغايات وأجلها.

ومن ذلك يعرف أن ذلك لا ربط له بمسألة وجوب الدفاع عن النفس وإن أدى إلى القتل إذا توجه الضرر إليها، لأن المسألة تبين حكماً شرعياً في ظروف خاصة، في حين أن الآية المباركة تبين حكماً أخلاقياً يعد من الكمالات الواقعية، فإنها تدل على أن أحد الأخوين أضمر السوء لأخيه وأخبره بأنه يريد قتله ظلماً وعدواناً، إلا أن الأخ الآخر أظهر عدم إضمار السوء له، ولم يرد أن يقابل الجناية بمثله، لا جبناً ولا خوفاً منه، بل خوفاً من الله تعالى فقط»<sup>١</sup>.

﴿لَ﴾ موطئة للقسم تقديره: أقسم. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم.

﴿بَسَطْتَ﴾ فعل ماض وفاعله، في محل جزم لأنه فعل الشرط. البسط: هو المدد، ضد القبض.

﴿إِلَيَّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَسَطْتَ﴾.

﴿يَدَكَ﴾ مفعول به ومضاف إليه. وبسط اليد: هنا كناية عن الأخذ بمقدمات القتل وإعمال أسبابه.

﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿تَقْتُلَنِي﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أَنْ» مضمرة بعد «لام» التعليل وفاعله ضمير مستتر «أنت» ونون الوقاية ومفعول به وهو ضمير المتكلم. «أَنْ» مضمرة وما بعدها بتأويل مصدر تقديره «لقتلى» والجار والمجرور متعلق بـ ﴿بَسَطْتَ﴾.

يعني: إن أنت تريد قتلي وازهاق روحي فاعلم ...

﴿مَا﴾ نافية. ﴿أَنَا﴾ مبتدأ. ﴿بِ﴾ حرف جر، زائد لتأكيد النفي.

﴿بَاسِطٍ﴾ مجروره. جار ومجرور خبر المبتدأ والجملة ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾ في محل جزم، جواب القسم ويظهر منها جواب الشرط و«قد أتى في جواب الشرط بالنفي الوارد على الجملة الاسمية، وبالصفة ﴿بَاسِطٍ﴾ دون الفعل وأكد النفي بالباء ثم الكلام بالقسم، كل ذلك للدلالة على أنه بمراحل من البعد من إرادة قتل أخيه، لا يهم به ولا يخطر بباله»<sup>١</sup>.

﴿يَدِي﴾ مفعول به لاسم الفاعل ﴿بَاسِطٍ﴾، ومضاف إليه.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَاسِطٍ﴾. ﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿أَقْتُلُكَ﴾ فعل مضارع منصوب - «أَنْ» مضمرة بعد «لام» التعليل وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به.

وأنت ترى أنّ هابيل لم يقل لأخيه: «إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقْتُلَنِي أَلْقَيْتَ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَمْ أَدَافِعْ عَنْ نَفْسِي وَلَا أَتَّقِي الْقَتْلَ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مَا﴾ كُنْتَ ﴿لَأَقْتُلُكَ﴾.

ولم يقل: إني أريد أن أقتل بيدك على أيّ تقدير لتكون ظالماً فتكون من أصحاب النار فإن التسبب إلى ضلال أحدٍ وشقائه في حياته ظلم وضلال في شريعة الفطرة من

غير اختصاص بشرع دون شرع، وإنما قال: إني أريد ذلك وأختاره على تقدير بسطك يدك لقتلي.

ومن هنا يظهر اندفاع ما أُورد على القصة: أنه كما أن القاتل منها أفرط بالظلم والتعدي كذلك المقتول قصر بالتفريط والانظلام حيث لم يخاطبه ولم يقابله بالدفاع عن نفسه بل سلم له أمر نفسه وطاوعه في إرادة قتله حيث قال له: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ (الخ).

وجه الاندفاع أنه، لم يقل: إني لا أدافع عن نفسي وأدعك وما تريد مني وإنما قال: لست أريد قتلك، ولم يذكر في الآية أنه قُتل ولم يدافع عن نفسه على علم منه بالأمر فلعله قتله غيلة أو قتله وهو يدافع أو يحترز<sup>١</sup>.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿أَخَافُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿رَبِّ﴾ نعت أو بدل من لفظ الجلالة.

﴿الْعَلَمِينَ﴾ مضاف إليه. وجملة ﴿أَخَافُ اللَّهُ رَبَّ الْعَلَمِينَ﴾ في محل رفع خبر

﴿إِنِّي﴾.

ومن هذه الجملة والجملة السابقة ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ يظهر أن هابيل ابن آدم المقتول من المتقين والعلماء بالله «أما كونه من المتقين فلقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المتضمن لدعوى التقوى، وقد أمضاها الله تعالى بنقله من غير رد، وأما كونه من العلماء بالله فلقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهُ رَبَّ الْعَلَمِينَ﴾ فقد ادعى مخافة الله وأمضاها الله سبحانه منه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>٢</sup>

١. الميزان ٥/ ٣٠٣.

٢. سورة فاطر / ٢٨.

فحكايته تعالى قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وأمضاؤه له توصيف له بالعلم<sup>١</sup>.

### رواية

خبر أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة... وسأله كم كان عمر آدم، فقال: تسعمائة سنة وثلاثين سنة، وسأله عن أول من قال الشعر، فقال: آدم، قال: وما كان شعره؟ قال: لما أنزل إلى الأرض من السماء، فرأي تربتها وسعتها وهواها، وقتل قابيل هابيل قال آدم عليه السلام:

تَنَحَّ عَنِ الْبِلَادِ وَسَاكِنِيهَا      فِي الْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ  
وَكُنْتُ بِهَا وَزَوْجُكَ فِي قَرَارٍ      وَقَلْبُكَ مِنْ أَذَى الدُّنْيَا مَرِيحُ  
فَلَمْ تَنْفَكْ مِنْ كَيْدِي وَمَكْرِي      إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثَّمَنُ الرَّيْحُ  
فَلَوْ لَا رَحْمَةُ الْجَبَّارِ أَضْحَى      بِكَفِّكَ مِنْ جَنَانِ الْخُلْدِ رِيحُ<sup>٢</sup>

... ثم قام إليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن يوم الأربعاء وتطينا منه وثقله، وأي أربعاء هو؟ قال: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق وفيه قتل قابيل هابيل أخاه، الحديث<sup>٣</sup>.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاُ

الظَّالِمِينَ﴾

تعلييل آخر لامتناعه عن بسط يده ليقتل أخاه والتعلييل الأول قوله: ﴿إِنِّي

١. الميزان ٥/ ٣٠٢.

٢. علل الشرائع / ٥٩٤.

٣. علل الشرائع / ٥٩٧.

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل تأكيد واسمه.

﴿أُرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا»، خبر ﴿إِنِّي﴾. «والمراد بالإرادة هنا هي اختيار أحد الأمرين عند دوران الأمر بين الخير والشر، فإنه قد اختار طريق الخير، وهو الموت مع السعادة وعدم تحمل تبعات الإثم وآثاره السيئة»<sup>١</sup>.  
يعني أن الأمر «يدور بين أن يقتل هو أخاه فيكون هو الظالم الحامل للإثم الداخل في النار، أو يقتله أخوه فيكون هو كذلك، وليس يختار قتل أخيه الظالم على سعادة نفسه وليس بظالم، بل يختار أن يشقي أخوه الظالم بقتله ويسعد هو وليس بظالم»<sup>٢</sup>.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَبَوَّأُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «أنت». ﴿تَبَوَّأُ﴾: «ترجع وأصله الرجوع إلى المنزل يقال: باء إذا رجع إلى المباءة وهي المنزل ﴿وَبَاءُ وَبَغَضَ مِّنَ اللَّهِ﴾<sup>٣</sup> أي رجعوا»<sup>٤</sup>.

﴿يَأْتِمِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والجملة ﴿أَنْ تَبَوَّأَ يَأْتِمِي﴾ بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به ﴿أُرِيدُ﴾.  
﴿و﴾ عاطفة.

﴿إِثْمُكَ﴾ معطوف على ﴿إِثْمِي﴾. أي «إثم قتلي إن قتلتنني ﴿وَأِثْمُكَ﴾ الذي كان منك قبل قتلي»<sup>٥</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٩٣.

٢. الميزان ٥/ ٣٠٢.

٣. سورة البقرة / ٦١؛ وسورة آل عمران / ١١٢.

٤. التبيان ٣/ ٤٩٦.

٥. التبيان ٣/ ٤٩٦.

«إِنَّ هَابِيلَ لَمْ يَضْمِرِ الشَّرَّ لِأَخِيهِ أَبَدًا، وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ فِي التَّعَدِّيِّ عَلَى أَخِيهِ، وَإِنْ أَضْمَرَ أَخُوهُ الشَّرَّ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ سَبَبًا فِي الْهَلَاكِ وَالْخَسْرَانِ، فَإِذَا اخْتَارَ الْأَخُ قَتْلَهُ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ الشَّرِيرَةِ، فَهُوَ يَتَحَمَّلُ تَبِعَاتِ فِعْلِهِ، لِأَنَّهُ الْمُبَاشِرُ لِلْقَتْلِ، وَتَبِعَاتِ إِثْمِي لَوْ فَعَلْتَهُ، فَيَحْمَلُهُ إِثْمُ الْمَقْتُولِ عَلَى تَقْدِيرِ قَتْلِهِ إِيَّاهُ.

أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّهُ لَوْ اخْتَارَ الْقَتْلَ فَقَتَلَ أَخَاهُ، تَحْمَلُ جَمِيعَ آثَامِهِ، لِأَنَّهُ اعْتَدَى عَلَى مَظْلُومٍ لَا يَسْتَحَقُّهُ، فَيُورِثُ الْقَاتِلُ جَمِيعَ آثَامِ الْمَقْتُولِ، الَّذِي لَوْ لَمْ يَقْتُلْهُ لَجَازَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، إِلَّا أَنَّهُ بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ أَوْرَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ»<sup>١</sup>.

وهذا الوجه الأخير يعني: «أَنْ يَنْتَقِلَ إِثْمُ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا إِلَى قَاتِلِهِ عَلَى إِثْمِهِ الَّذِي كَانَ لَهُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْإِثْمَانِ، وَالْمَقْتُولُ يَلْقَى اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، فَهَذَا ظَاهِرُ قَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ وَقَدْ وَرَدَ بِذَلِكَ الرُّوَايَاتُ وَالْإِعْتِبَارُ الْعَقْلِيُّ يُسَاعِدُ عَلَيْهِ. وَالْإِشْكَالُ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا زِمَهُ جَوَازُ مَوَازِنَةِ الْإِنْسَانِ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ، وَالْعَقْلُ يَحْكُمُ بِخِلَافِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>٢</sup>. مَدْفُوعٌ بِأَنْ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَحْكَامِ الْعَقْلِ النَّظَرِيِّ حَتَّى يَخْتَمَ عَلَيْهِ بِاسْتِحَالَةِ الْوُقُوعِ، بَلْ مِنْ أَحْكَامِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ الَّتِي تَتَّبِعُ مَصَالِحَ الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ فِي ثُبُوتِهَا وَتَغْيِيرِهَا»<sup>٣</sup> وَالْمَصْلَحَةُ هُنَا تَرْكُ الْقَتْلِ.

﴿فَ﴾ تَفْرِيعِيَّةٌ.

﴿تَكُونُ﴾ فَعْلٌ مُضَارِعٌ نَاقِصٌ مَنْصُوبٌ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿أَنْ تَبُوءَ﴾ وَاسْمُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٌ «أَنْتَ».

﴿مِنْ أَصْحَابِ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ، خَبَرٌ ﴿تَكُونُ﴾.

﴿النَّارِ﴾ مُضَافٌ إِلَيْهِ. فِي الْآخِرَةِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِيْعَادُ النَّارِ لِلْقَاتِلِ.

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٩٣.

٢. سورة النجم / ٣٨.

٣. الميزان ٥/ ٣٠٤.

﴿و﴾ استثنائية.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ. اشارة إلى صيرورة القاتل ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ في يوم المعاد.

﴿جَزَاءُ﴾ خبر.

﴿الظَّالِمِينَ﴾ مضاف إليه. والمراد بهم هنا «القاتلين».

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على أن الوعيد بالنار قد كان في زمن آدم بخلاف ما يدعيه جماعة من اليهود والنصارى»<sup>١</sup>.

### الروايات

خبر أسلم الجبلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: من قتل مؤمناً متعمداً أثبت الله تعالى عليه جميع الذنوب، وبريء المقتول منها، وذلك قول الله تعالى: ﴿أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾<sup>٢</sup>.

صحيحة سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران: أن يا موسى قل للملأ من بني إسرائيل: إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فإن من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلته في النار مائة ألف قتلة مثل قتله صاحبه.<sup>٣</sup>

صحيحة ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب: آيس من رحمة الله ﷻ.<sup>٤</sup>  
صحيح أبان عمن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عمن قتل نفساً متعمداً

١. التبيان ٣/ ٤٩٧.

٢. عقاب الأعمال / ٣٢٨، ح ٩.

٣. عقاب الأعمال / ٣٢٧، ح ٨.

٤. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح ١.




قال: جزاؤه النار.<sup>١</sup>

خبر جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوّل ما يحكم الله تعالى فيه يوم القيامة الدّماء فيوقف ابني آدم فيفصل بينهما، ثمّ الذين يلونهما من أصحاب الدّماء حتّى لا يبقى منهم أحدٌ، ثمّ النّاس بعد ذلك، فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول: أنت قتلتني؟ فلا يستطيع أن يكتّم الله حديثاً.<sup>٢</sup>

خبر سعيد الأزرق، عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل قتل رجلاً مؤمناً قال: يقال له: مت أيّ ميتة شئت إن شئت يهودياً وإن شئت نصرانياً وإن شئت مجوسياً.<sup>٣</sup>

خبر أبي الجارود، عن محمد بن عليّ عليه السلام قال: ما من نفس تقتل برّة ولا فاجرة إلّا وهي تحشر يوم القيامة متعلّقاً بقاتله بيده اليمنى ورأسه بيده اليسرى وأوداجه تشخب دماً يقول: ياربّ سل هذا فيم قتلني؟ فإن كان قتله في طاعة الله ﷻ أثيب القاتل الجنّة وذهب بالمقتول إلى النّار، وإن كان في طاعة فلان، قيل له: اقتله كما قتلك، ثمّ يفعل الله فيهما بعد مشيئته.<sup>٤</sup>

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ 

«الآية الشريفة في غاية الفصاحة والبلاغة تبين الصّراع المرير داخل النفس الإنسانية بين قوى الخير وقوى الشرّ، وتغلّب النفس الأمّارة وانقيادها لتنفيذ الشرّ، ولا ريب أنّ ذلك لابدّ أن يمرّ بمراحل وخطوات وهمسات في النفس ووساوس، فإنّ

١. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح ١.

٢. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح ٣.

٣. عقاب الأعمال / ٣٢٧، ح ٤.

٤. عقاب الأعمال / ٣٢٧، ح ٥.

تغلب إحدى القوتين على الأخرى لا تكون بسهولة، إلا إذا اعتادت النفس على إحداها، فتكون طوع إرادة الإنسان، وهذا ما تدل عليه كلمة «طوعت»، التي هي أبلغ من «أطاعت» ونظيراتها، فإن الأولى تدل على الانقياد التدريجي، كما أن الإطاعة تدل على الدفعي، فيستفاد منها أن النفس لم تصل إلى الطوع والانقياد إلا بعد اقترابها إلى الفعل السيئ تدريجاً، وفي خطوات حثيثة، ويدل على ذلك سياق الآية المباركة، فإنها تبين المراحل التي تقدّمت على الفعل، فابتدأت بإثارة النفس بقبول قربان هابل دون قربان قابيل، وقد بين أول السبب في عدم قبول قربان الأخير وكان عليه إزالة المانع، إلا أن الإثارة تلك تبدلت إلى حسد رهيب في النفس استولى على مشاعره، فنشأت الإرادة إلى القتل، ثم الحزم إليه بعد انقياد النفس الأمارة واستيلائها على العقل والفطرة، فوقع القتل.

فالآية الشريفة من الآيات المحدودة التي تبين واقع النفس الإنسانية، والصراع الواقع بين قوى الشر وقوى الخير، ولتجاذب الواقع بين دواعي الحكمة والموعظة، وصوارف الفطرة ودواعي النفس الأمارة.

وبالجملة: أن هذا التنازع يحسّ به كل إنسان عند إرادة ارتكاب جريمة، أو فعل شنيع، كما تدل عليه آيات أخر في مواضع متعددة من القرآن الكريم<sup>١</sup>. ﴿فَاسْتَنْفِئْ﴾ استثنائية.

﴿طَوَّعَتْ﴾ فعلٌ ماضٍ، قال الراغب: «الطوع: الانقياد ويُضادُّ الكُرْهُ... والطاعة مثله... وقوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ نحو أَسَمَحَتْ لَهُ قَرِينَتُهُ وانقادت له وسوّلت، و ﴿طَوَّعَتْ﴾ أبلغ من أطاعت، و ﴿طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ بإزاء قولهم تَابَّتْ عَنْ كَذَا نَفْسُهُ...»<sup>٢</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١ / ١٩٥.

٢. المفردات / ٣١٨ و ٣١٩.

«وليس مراده أن طوعت مضمّن معنى انقادت أو سولت بل يريد أن التطويع يدلّ على التدريب كالإطاعة على الدفعة، كما هو الغالب في بابي الإفعال والتفعيل فالتطويع في الآية اقتراب تدريجي للنفس من الفعل بوسوسة بعد وسوسة وهامة بعد هامة تنقاد لها حتّى تتم لها الطاعة الكاملة فالمعنى: انقادت له نفسه وأطاعت أمره إيّاها بقتل أخيه طاعة تدريجية»<sup>١</sup>.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿طَوَّعَتْ﴾، والضمير يرجع إلى قابيل القتال.  
﴿نَفْسُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه. والمراد بالنفس هي الأمانة وهواها وشهواتها ومطالباتها ومقاصدها ومراداتها. وهي التي تكون أعداء عدو الإنسان العاقل الملتزم بالشرعية.

﴿قَتَلَ﴾ مفعول به، أو منصوب بنزع الخافض إذا كان معنى ﴿طَوَّعَتْ﴾ طوعت ﴿لَهُ نَفْسُهُ﴾ في قتل أخيه، أو بمعنى ساعدته ﴿نَفْسُهُ﴾ على قتل أخيه، أو شجعته ﴿نَفْسُهُ﴾ على قتل أخيه.

وأما إذا كان بمعنى زينت أو ما مرّ منّا ﴿قَتَلَ﴾ يصير مفعول به.  
﴿أَخِيهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان، والضمير يرجع إلى قابيل القتال والأخ هو هابيل المقتول وكان أخوه من أبيه وأمه. أي شقيقه.  
﴿فَ﴾ عاطفة للتسبيب والتفريع.

﴿قَتَلَهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. يعني مطاوعة النفس صارت سبباً لقتل قابيل أخاه. فالقتل مسببٌ عن مطاوعة النفس الشريرة.  
﴿فَ﴾ عاطفة للتسبيب والتفريع.

﴿أَصْبَحَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٍ واسمه ضمير مستتر «هو». أي صار ولا يدلّ على أن القتل وقع في الليل وإن كان ﴿أَصْبَحَ﴾ بحسب أصل معناه واشتقاقه يفيد ذلك لأنّه

في مقابل أمسى' و «لَكِنَّ عُرْفَ الْعَرَبِ يَسْتَعْمَلُهُ بِمَعْنَى صَارَ مِنْ غَيْرِ رَعَايَةِ أَصْلِ اشتقاقه، وفي القرآن شيء كثير من هذا القبيل كقوله: ﴿فَأَصْبَحْتُ بِبِعْتِهِ إِحْوَنًا﴾<sup>١</sup> وقوله: ﴿فَيُضْضِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾<sup>٢</sup> فلا سبيل إلى إثبات إرادة المعنى الأصلي في المقام»<sup>٣</sup>.

﴿مَنْ الْخَسِرِينَ﴾ جار ومجرور في محل نصب خبر ﴿أَصْبَحَ﴾. والخسران هو ذهاب رأس المال ورأس مال كل إنسان نفسه وليس ثمن النفس إلا الجنة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا حرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها؟ إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها»<sup>٤</sup>، ولكن قابيل بعد مطاوعة نفسه في قتل أخيه باع آخرته بدينياه، فخسرو خاب الصفقة وصار ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾<sup>٥</sup>.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾<sup>٦</sup>

«إعلامٌ لسقوط نفس قابيل عن قابلية الإلهام والإفاضة عليها بلا واسطة من الله (عليه السلام)، أو من التعلم من والده النبي المعصوم (عليه السلام) بطريق السؤال مثلاً على نحو الكلية لا لخصوص الواقعة. ثم لا يخفى كمال رأفته تبارك وتعالى بالصالحين من عباده، حيث لم يرض (عليه السلام) بأن يكون جسد عبده الصالح مورد افتراس السباع، فدبر تعالى له

١. سورة آل عمران / ١٠٣.

٢. سورة المائدة / ٥٢.

٣. الميزان ٥ / ٣٠٦.

٤. نهج البلاغة، حكمة ٤٤٤.

٥. سورة المائدة / ٢٩.

كيفية دفنه بهذا التدبير الحسن»<sup>١</sup>.

وهابيل «كان أول ميت من الناس فلذلك لم يدر كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرايين أحدهما حي والآخر ميت، وقيل كانا حين فقتل أحدهما صاحبه ثم بحث الحي الأرض فدفن فيه الغراب الميت، ففعل به مثل ذلك قابيل، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وابن مالك ومجاهد والضحاك وقتادة»<sup>٢</sup>.

﴿فَ﴾ تفرعية على القتل. «والآية بسياقها تدلّ على أنّ القاتل قد كان بقي زماناً على تحيّر من أمره، وكان يحذر أن يعلم به غيره، ولا يدري كيف الحيلة إلى أن لا يظفروا بجسده حتى بعث الله الغراب»<sup>٣</sup>.

﴿بَعَثَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ، ﴿بَعَثَ﴾ هنا بمعنى 'أهم'.  
﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿غُرَابًا﴾ مفعول به، والغراب من ديدنه الدفن في الأرض والادخار فيها.  
﴿يَبْحَثُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». البحث: طلب الشيء في التراب. البحث: الحفر.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَبْحَثُ﴾. والجملة ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ في محل نصب صفة ﴿غُرَابًا﴾.  
﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.

﴿يُرِيهِ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿لِ﴾ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به والضمير المفعولي يرجع إلى قابيل وأمّا الضمير الفاعلي فيرجع إلى الغراب كما هو الظاهر والأقرب، ويمكن ارجاعه إلى الله سبحانه وتعالى على خلاف

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٩٦.

٢. التبيان ٣/ ٤٩٩.

٣. الميزان ٥/ ٣٠٦.

الظاهر لأنه الأبعد، والمعنى صحيح على التقديرين لأن الغراب مبعوث من الله ﷻ.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام، مبني على الفتح، مفعول به ثانٍ ﴿لِيُرِيَهُ﴾.

﴿يُورَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». التواري: التستر والموارة هنا: الدفن.

﴿سَوَاءٌ﴾ مفعول به، «السوأة: ما يكرهه الإنسان وتطلق على العورة لما تسوء ناظرها، والمراد بها في المقام جميع الجسد»<sup>١</sup>.

﴿أَخِيهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثانٍ. «ومعنى ﴿سَوَاءٌ أَخِيهِ﴾ قيل فيه قولان: أحدهما: قال أبو علي: إنه جيفة أخيه، لأنه كان تركه حتى أنتن ف قيل لجيفته سوءة. وقال غيره: معناه عورة أخيه والظاهر يحتمل الأمرين»<sup>٢</sup>.

﴿قَالَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى قابيل القاتل. ﴿قَالَ﴾ مخاطباً لنفسه على طريق الاستفهام الإنكاري.

﴿يَا﴾ أداة نداء.

﴿وَلَيْتَى﴾ منادى منصوب ومضاف إليه. وهي كلمة جزع وتأسف وتلهف وتحسر يقال عند الهلكة وعلى مافاتة من الفائدة أو اكتسبه من الضرر والخسران.

﴿أَ﴾ حرف استفهام يفيد الإنكار والتعجب هنا.

﴿عَجَزْتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ومعنى العجز مقابل الاستطاعة. «يقال: عجزت عن الأمر، أعجز عجزاً ومعجزة»<sup>٣</sup>.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿أَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمه ضمير مستتر «أنا».

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٩٧.

٢. التبيان ٣/ ٥٠٠.

٣. التبيان ٣/ ٥٠٠.

﴿مِثْلَ﴾ خبر ﴿أَكُونُ﴾. ﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مضاف إليه.  
 ﴿الْغَرَابِ﴾ بدل ﴿هَذَا﴾. مطاوعة النفس يسلب من الإنسان قدرة تفكره  
 بحيث لا بد أن يتعلم من الغراب وأن يتحسّر أن يكون مثله، وهذا عجب العجاب.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الاستفهام.  
 ﴿أَوْرَى﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» المضمرة بعد ﴿ذَ﴾. وفاعله ضمير  
 مستتر «أنا».

﴿سَوَاءَ﴾ مفعول به. ﴿أَخَى﴾ مضاف إليه، ومضاف إليه ثان.  
 ﴿فَ﴾ تفرعية سببية.  
 ﴿أَصْبَحَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ واسمه ضمير مستتر «هو».  
 ﴿مِنَ التَّنْذِيرِ﴾ جار ومجرور في محل نصب خبر ﴿أَصْبَحَ﴾. «الندامة تأثر روحي  
 خاص من الإنسان وتألم باطني يعرضه من مشاهدته إهماله شيئاً من الأسباب المؤدية  
 إلى فوت منفعة أو حدوث مضرة، وإن شئت فقل هي تأثر الإنسان العارض له من  
 تذكره إهماله في الاستفادة من إمكان من الإمكانات.  
 وهذا حال الإنسان إذا أتى من المظالم بما يكره أن يطلع عليه الناس فإنّ هذه  
 أمور لا يقبلها المجتمع بنظامه الجاري فيه، المرتبط ببعض أجزائه ببعض فلا بد أن يظهر  
 أثر هذه الأمور المنافية له وإن خفيت على الناس في أوّل حدوثها، والإنسان الظالم  
 المجرم يريد أن يجبر النظام على قبوله وليس بقابل نظير أن يأكل الإنسان أو يشرب  
 شيئاً من السم وهو يريد أن يهضمه جهاز هضمه وليس بهاضم، فهو إن أمكن وروده  
 في باطنه لكنّ له موعداً لن يخلفه ومرصداً لن يتجاوزه، و﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾<sup>١</sup>.  
 وعند ذلك يظهر للإنسان نقص تدبيره في بعض ما كان يجب عليه مراقبته  
 ورعايته فيندم لذلك، ولو عاد فأصلح هذا الواحد فسد آخر ولا يزال الأمر على ذلك

حتى يفضحه الله على رؤس الاشهاد.

وقد اتضح بما تقدم من البيان: أن قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ إشارة إلى ندامته على عدم مواراته سوءة أخيه، وربما أمكن أن يقال: إن المراد به ندمه على أصل القتل، وليس ببعيد<sup>١</sup>.

والأظهر أن تكون الندامة على مطاوعة النفس التي وصلت إلى حد قتل أخيه. ولكن هذا الندم منه لا يُعدُّ توبة لأنه حالة نفسانية تكوينية بلا واسطة الاختيار الإنساني «تعرض لكل إنسان عقب ما يصدر عنه من الخطأ والفعل الشنيع، وارتكابه ما يكره أن يطلع عليه الناس أو يرفضه المجتمع، وربما يكون الندم توبة إذا كان سببه الخوف من الله تعالى، والتألم من التعدي على حدوده، وارتكاب ما لا يرضاه ﷻ، وفي الحديث: «كفى بالندم توبة». وأما إذا كان سببه فوت منفعة أو حدوث مضرة، فلا يكون الندم حينئذٍ توبة، كما هي العادة في ما إذا ظهر للإنسان بعد ارتكابه الفعل أنه قصّر في تدبير أمره واتخاذ الحيلة اللازمة عند ارتكابه الجريمة، ولذا لو عاد فإنه يصلح ما فاتة فيا لمّره الأولى، فلا يكون مثل هذا الندم توبة.

الظاهر من الآية المباركة أن ندامته من جهة عجزه عن مواراة سوءة أخيه، أو ندمه على أصل القتل قبل أن يتخذ جميع الإجراءات، وقبل أن يعرف ما يصنع بجسد أخيه، فالندامة تأثير روحي خاص في الإنسان يعرض عند ارتكاب الخلاف، ولكن يختلف أسبابها، فقد يكون من الله تعالى، فتكون حميدة موجبة للتخفيف عن الظالم، كما يحدث كثيراً عند المجرمين عند حصول النعمة عليهم.

وكيف كان، فإن ندم قابيل لا يفيد له ما ارتكبه من الفعل الشنيع الذي لا يغفر بمجرد الندم، لما عرفت في بحث التوبة من عدم كفاية الندم في رفع آثار الذنب في



بعض الجرائم الموبقة»<sup>١</sup>.

### روايتان

حسنة ثوير بن أبي فاختة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدث رجلاً من قريش، قال:

لما قَرَّب ابنا آدم القربان، قَرَّب أحدهما أسمن كبش كان في ظأنه، وقَرَّب الآخر ضغثاً من سنبل فتقبَّل من صاحب الكبش وهو «هابيل» ولم يتقبَّل من الآخر.

فغضب «قابيل» فقال لهابيل: والله لأقتلنك! فقال هابيل:

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ \* وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ \* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾<sup>٢</sup>.

فلم يدر كيف يقتله، حتَّى جاء إبليس فعلمه، فقال: ضع رأسه بين حجرين، ثمَّ اشدحه! فلما قتله لم يدر ما يصنع به، فجاء غرابان فأقبلا يتضاربان حتَّى قتل أحدهما صاحبه، ثمَّ حفر الذي بقي الأرض بمخالبه، ودفن فيها صاحبه!

قال قابيل: ﴿يَوَيْلَیَّ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرَى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ فحفر له حفيرة ودفنه فيها، فصارت سنة يدفنون الموتى.

فرجع قابيل إلى أبيه فلم ير معه هابيل، فقال له آدم عليه السلام: أين تركت ابني؟ قال له قابيل: أرسلتني عليه راعياً؟ فقال آدم: انطلق معي إلى مكان القربان. وأوجس<sup>٣</sup> قلب آدم بالذي فعل قابيل، فلما بلغ مكان القربان استبان قتله. فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هابيل، وأمر آدم أن يلعن قابيل، ونودي قابيل

١. مواهب الرحمن ١١/ ١٩٩.

٢. سورة المائدة / ٣٠-٢٧.

٣. توجَّس بالشيء: أحسَّ به. النهاية ٥/ ١٥٦.

من السماء: «لُعنت كما قتلت أخاك» ولذلك لا تشرب الأرض الدم! فانصرف آدم، فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة، فلما جزع عليه شكى ذلك إلى الله تعالى؛ فأوحى الله إليه: «أني واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل».

فولدت حواء غلاماً زكياً مباركاً، فلما كان اليوم السابع أوحى الله إليه:

«يا آدم! إن هذا الغلام هبة مني لك، فسمّه هبة الله» فسماه آدم: هبة الله.<sup>١</sup>

موثقة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت جالساً معه في المسجد الحرام، فإذا طاوس<sup>٢</sup> في جانب الحرم يحدث أصحابه حتى قال: أتدري أي يوم قُتل نصفُ الناس؟

فأجابه أبو جعفر عليه السلام فقال: أو ربع الناس يا طاوس؟ فقال: أو ربع الناس. فقال: أتدري ما صنع بالقاتل؟ فقلت: إن هذه لمسألة. فلما كان من الغد غدوت إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام فوجدته قد لبس ثيابه وهو قاعد على الباب ينتظر الغلام أن يسرج له، فاستقبلني بالحديث قبل أن أسأله، فقال:

إن بالهند أو من وراء الهند رجلاً معقولاً<sup>٣</sup> برجله - أي واحدة - لبس المسح<sup>٤</sup> موكل به عشرة نفر، كلما مات رجل منهم أخرج أهل القرية بدله، فالناس يموتون والعشرة لا ينقصون، يستقبلون بوجهه الشمس حين تطلع، ويديرونه معها حتى تغيب، ثم يصبون عليه في البرد الماء البارد، وفي الحرّ الماء الحار! قال: فمرّ به رجل من الناس، فقال له: من أنت يا عبدالله؟

١. تفسير القمي ١/ ٢٤٤، ح ٧.

٢. هو طاوس اليمانيّ التابعي المعروف والمختار أن تكتب طاوس بواو واحدة للرجال وبواوَيْن للطير المعروف. راجع مادة (طُوس) من كتاب «تاج اعلروش من جواهر القاموس» للسيد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

٣. أي مشدوداً.

٤. المسح - بالكسر فالكسكون - واحد المسوح وهو كساء معروف. مجمع البحرين ٣/ ٦٩٥.

فرفع رأسه ونظر إليه، ثم قال له: إما أن تكون أحق الناس، وإما أن تكون أعقل الناس، إني لقائم هاهنا منذ قامت الدنيا، ما سألني أحد غيرك من أنت؟! ثم قال: يزعمون أنه ابن آدم.<sup>١</sup>

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾

«لقد كشفت قصة وَلَدِي آدَمَ أَنَّ في الناس نوعين: معتدياً ومعتدى عليه... ولحماية هذا من ذاك، وصيانة الحياة ونظامها جعل الله لكلّ معتد عقوبة يستحقها، واعتبر قتل الأبرياء جريمة الجرائم كلها»<sup>٢</sup>.  
و «تشديد في أمر القتل، وتأكيد على حرمة إراقة الدم من غير سبب شرعيّ، وبيان إلى أنّ قتل النفس المحترمة يستعقب الغضب الربوبيّ والسخط الإلهي»<sup>٣</sup>.  
﴿مِنْ﴾ حرف جر، ومعناه هنا لا ابتداء الغاية.  
﴿أَجَلٍ﴾ مجروره، يتعلّقان بـ ﴿كَتَبْنَا﴾ الآتي. أي: بسبب.

قال الراغب: «الأجل: المدة المضروبة للشيء... والأجل ضدّ العاجل، والأجل: الجناية التي يُحاف منها أجلاً فكلّ أجل جناية وليس كلّ جناية أجلاً، يقال:

١. تفسير القمي ١/ ٢٤٥، ح ٨.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٤٧.

٣. مواهب الرحمن ١١/ ٢٠٠.

فعلتُ كذا من أجله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي من جرّاء وقُرئ من أجل ذلك بالكسر أي من جنابة ذلك...<sup>١</sup>. «ثم استعمل [أجل] للتعليل...»<sup>٢</sup>.  
 ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، في محلّ جرّ بالاضافة. إشارة إلى نبا ابني آدم المذكور في الآيات السابقة ولكن هو السبب الباعث على التشريع - كما تُشرع السلطة قانوناً عاماً بسبب حادثة خاصة - أي تشريع جريمة القتل من حيث هي.<sup>٣</sup>  
 ﴿كَتَبْنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي جعلنا، وهو جعل الحرمة المغلظة على جريمة القتل العمدة.

﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿كَتَبْنَا﴾ ومضاف إليه. الجعل عام لا يختص بـ ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وغيرهم وأمّا الوجه في ذكر اليهود خاصة «أنّهم أَجْرًا خَلَقَ الله على قتل عباده، وارقة دمائهم، وبذلك تشهد توراتهم التي أباحت لهم قتل النساء والأطفال، ويشهد عليهم قتلهم الأنبياء في تاريخهم القديم، وسيرتهم في فلسطين في تاريخهم الحديث»<sup>٤</sup>.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.

﴿هُوَ﴾ اسمه، ضمير الشأن. والجملة الاسمية ﴿مَنْ﴾ المبتدأ وخبره في محلّ رفع خبر ﴿أَنَّهُ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿قَتَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط. والمراد به القتل العمدة.

١. المفردات / ٦ و ٧.

٢. الميزان ٥ / ٣١٥.

٣. راجع التفسير الكاشف ٣ / ٤٧.

٤. التفسير الكاشف ٣ / ٤٧.

﴿نَفْسًا﴾ مفعول به، من ﴿النَّاسِ﴾ كما يأتي بلا فرق بين ألوانهم ومليتهم وأديانهم وجنسياتهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم ورئيسهم ومرئوسهم و... وإطلاق ﴿نَفْسًا﴾ يشمل جميعهم وتنوينها تصريح باطلاقها.

﴿بِغَيْرٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَتَلَ﴾ أو حال من الضمير الفاعلي والباء للمقابلة.

﴿نَفْسٍ﴾ مضاف إليه. استثناء من قتل النفس المحرّم والمستثنى هو قتل النفس بالنفس وهو القود والقصاص كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾<sup>١</sup> وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾<sup>٢</sup> وقوله تعالى: ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾<sup>٣</sup> وقوله ﴿لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْآلِبِبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>٤</sup>.

﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿فَسَادٍ﴾ معطوف على ﴿نَفْسٍ﴾. أي ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ﴾ استثناء ثانية من قتل النفس المحترمة. والفساد مطلق يشمل ما يقابل الصلاح ولكن بين الكتاب والسنة مصاديقه كما ورد أحدها في الآية التالية.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَسَادٍ﴾ أو بصفة له.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿كَأَنَّمَا﴾ كافة ومكفوفة، مركبة من ﴿كَأَنَّ﴾ المكفوفة عن العمل حرف تشبيه وتوكيد، مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب و ﴿مَا﴾ الزائدة الكافة. و

١. سورة البقرة / ١٧٨.

٢. سورة المائدة / ٤٥.

٣. سورة البقرة / ١٩٤.

٤. سورة البقرة / ١٧٩.

﴿كَأَنَّمَا﴾ تدخل على الجمل الاسمية والفعلية بخلاف ﴿كَأَنَّ﴾ المختص بالجمل الاسمية.

﴿قَتَلَ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿النَّاسَ﴾ مفعول به.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿النَّاسَ﴾. شبه الله سبحانه قتل النفس الواحدة بقتل جميع الناس ووجه الشبه اتحاد الواحد والنوع هنا في الحكم لأن الإنسانية حقيقة واحدة جارية في جميع الأفراد والكل يشتركون فيه ولذا يعدّ قتل الواحد قتل جميع الأفراد ولذا لا يرد عليها الإشكالان التاليان: «وربما أشكل على الآية أولاً: بأن هذا التنزيل يفضي إلى نقض الغرض فإن الغرض بيان أهمية قتل النفس وعظمته من حيث الإثم والأثر، ولازمه أن تزيد الأهمية كلما زاد عدد من قتل عشرًا كان الواحد من هذه المقاتل تعد قتل الجميع، وتبقى الباقي وليس بإزائه شيء.

ولا يندفع الإشكال بأن يقال: إن قتل العشرة يعدل عشرة أضعاف قتل الجميع وأن قتل الجميع يعدل قتل الجميع بعدد الجميع لأنّ مرجعه إلى المضاعفة في عدد العقاب، واللفظ لا يفني ببيان ذلك.

على أنّ الجميع مؤلّف من آحاد كلّ واحد منها يعدل الجميع المؤلّف من الآحاد كذلك، ويذهب إلى ما لا نهاية له، ولا معنى للجميع بهذا المعنى، إذ لا فرد واحد له فلا جميع من غير آحاد.

على أن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾<sup>١</sup>.

وثانياً: بأنّ كون قتل الواحد يعدل قتل الجميع إنّ أريد به قتل الجميع الذي يشتمل على هذا الواحد كان لازمه مساواة الواحد مجموع نفسه وغيره وهو محال بالبداهة، وإن أريد به قتل الجميع باستثناء هذا الواحد كان معناه من قتل نفساً فكأنها قتل غيرها من النفوس، وهو معنى رديء مفسد للغرض من الكلام وهو بيان غاية

أهمية هذا الظلم. على أن إطلاق قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ من غير استثناء يدفع هذا الاحتمال.

كما لا يندفع هذا الإشكال بمثل قولهم: أن المراد هو المعادلة من حيث العقوبة أو مضاعفة العذاب ونحو ذلك، وهو ظاهر.

والجواب عن الإشكالين: أن قوله: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا﴾ - إلى قوله ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ كناية عن كون الناس جميعاً ذوي حقيقة واحدة إنسانية متحدة فيها، الواحد منهم والجميع فيها سواء، فمن قصد الإنسانية التي في الواحد منهم فقد قصد الإنسانية التي في الجميع كالماء إذا وزّع بين أواني كثيرة فمن شرب من أحد الآنية فقد شرب الماء، وقد قصد الماء من حيث إنه ماء - وما في جميع الآنية لا يزيد على الماء من حيث إنه ماء - فكأنه شرب الجميع، فجملة: ﴿مَنْ قَتَلَ﴾ الخ كناية في صورة التشبيه، والإشكالان مندفعان، فإن بناءهما على كون التشبيه بسيطاً يزيد فيه وجه الشبه على حسب زيادة المشبه عدداً إذ لو سوي حينئذ بين الواحد والجميع فسد المعنى وعرض الإشكال كما لو قيل: الواحد من القوم كالواحد من الأسد والواحد منهم كالجميع في البطش والبسالة<sup>١</sup>.

وبعبارة أخرى: «والذي نفهمه من الآية أن الفرد في نظر الإسلام هو غاية بنفسه، لا وسيلة إلى غيره، وأنه ظاهرة إنسانية، له ما لها من الحرمة والكرامة، وأن العدوان عليه عدوان على الإنسانية التي تتمثل به وبالناس جميعاً، وأن الاحسان إليه احسان إلى الناس جميعاً.

وتسأل: إن هذا تضخيم خيالي لذات الفرد: وتضحية بالجماعة من أجله، مع أن العكس هو الحق والعدل؟

الجواب: ليس المراد بمصلحة الفرد المصلحة التي تغطي على مصلحة الجماعة،

١. الميزان ٥/ ٣١٦ و ٣١٧.

وتتنافى معها، ولا المراد بالفرد الذي يحاول العيش على حساب غيره من الناس... أن هذا لا يُعد انساناً بالمعنى الصحيح، بل هو أعدى أعداء الإنسانية في نظر الإسلام، وإلى هذا يومىء قوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾. وإنَّما المراد بالفرد الذي يستمد مصلحته من مصلحة الجماعة، ويرى حياته بحياتها، وكرامته بكرامتها. كما أن المراد بمصلحه الجماعة مصلحة جميع أفرادها، لأن الجماعة ليست مجموعة أصفار، وإنَّما هي مجموعة أفراد... فأية جماعة يوجد فيها ضعيف واحد يخاف على حق من حقوقه فهي ضعيفة في كيانها، فاسدة في أوضاعها، تماماً كالجسم إذا فسد بعض أعضائه، أو البيت إذا انهدم ركن من أركانه.

وعلى هذا تكون مصلحة الفرد والجماعة متكاملتين، يملأ بعضهما بعضاً، ولا تنفك إحداهما عن الأخرى<sup>١</sup>.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحْيَاهُمْنَ فَكَانَتَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ الجملة الاسمية معطوفة على ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ وتعرب مثلها. والإحياء له فردان: المادي والمعنوي كما أن القتل له فردان أيضاً. والشاهد عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾<sup>٢</sup> فمن دلّ نفساً إلى الإيثار فقد أحيّاها ومن ضلّها إلى الكفر فقد قتلها كما مرّ<sup>٣</sup> في ذيل قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾<sup>٤</sup>.  
﴿وَ﴾ استئنافية أو عاطفة على صدر الآية.

١. التفسير الكاشف ٤٨/٣.

٢. سورة الأنعام / ١٢٢.

٣. راجع أجود البيان في تفسير قرآن ٢٤٥/٣.

٤. سورة آل عمران / ٢٧.



﴿لَ﴾ للإبتداء والتأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿جَاءَتْهُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به مقدم، والضمير المفعولي يرجع إلى بني إسرائيل.

﴿رُسُلَنَا﴾ فاعله ومضاف إليه.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿رُسُلَنَا﴾. وهي الأدلة الواضحة غير قابلة للإنكار ويحذرونهم القتل وكل ما يلحق به من وجوه الفساد.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿كَثِيرًا﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرًا﴾. «من» هنا بياني والضمير يرجع إلى بني إسرائيل نموذجاً من الأمم.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف زمان.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشارة، في محل جر بالاضافة، اشارة بعد ارسال الرسل

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَ﴾ المرحلة.

﴿مُسْرِفُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. الاسراف: التجاوز عن حد الاعتدال، أي أن بني إسرائيل «قوم مفسدون مصرّون على استكبارهم وعتوّهم فلقد بينا لهم منزلة القتل وجاءتهم رسلنا فيها وفي غيرها بالبينات، وبيّنوا لهم وحذروهم وهم مع ذلك لم ينتهوا عن إصرارهم على العتوّ والاستكبار فأسرفوا في الأرض قديماً ولا يزالون يسرفون»<sup>١</sup>.

ويمكن أن يقال: «معنى ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾ العاملون بمعاصي الله، ومخالفون أمره ونهيه باتباعهم غير رسل الله. والاسراف الخروج عن التقصير والاقتصاد وضده

التقدير. والاقتصاد هو التعديل بلا إسراف ولا اقتار وقد يمدح بالاقتصاد»<sup>١</sup>.  
والحكم لا يختص بهم كما مرّ في أوّل الآية ويجرى في شأن غيرهم من الأمم  
والممل، كما قال القمي: «لفظ الآية خاص في بني إسرائيل، ومعناها عام جار في  
الناس كلّهم»<sup>٢</sup>.

### الروايات

موثقة سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له قول الله تعالى: ﴿مَنْ  
قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا  
فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾؟ فقال: من أخرجها من ضلالة إلى هدى فقد أحياها،  
ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها.<sup>٣</sup>

رواها الكليني<sup>٤</sup> والعياشي<sup>٥</sup> والطوسي<sup>٦</sup>. وسند الكافي والأماشي موثق.

صحيحة فضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله في كتابه ﴿وَمَنْ  
أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: من حرق، أو غرق، قلت: فمن أخرجها من  
ضلال إلى هدى؟ فقال: ذلك تأويلها الأعظم.<sup>٧</sup>

رواها الكليني بسندين صحيحين في الكافي<sup>٨</sup>.

خبر حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسألك أصلحك الله؟ قال: نعم، قال:

---

١. التبيان ٣/ ٥٠٤.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٤٦.

٣. المحاسن ١/ ٣٦٢، ح ١٨٣.

٤. الكافي ٣/ ٥٣٤، ح ١ (٢/ ٢١٠).

٥. تفسير العياشي ٢/ ٣٧، ح ٨٦.

٦. أمالي الطوسي، المجلس الثامن ح ٤٦/ ٢٢٦، رقم ٣٩٦.

٧. المحاسن ١/ ٣٦٢، ح ١٨٤.

٨. الكافي ٣/ ٥٣٥، ح ٢ (٢/ ٢١٠).

كنت على حال وأنا اليوم على حال أخرى، كنت أدخل الأرض، فأدعو الرجل والإثنين والمرأة، فينقذ الله من يشاء، وأنا اليوم لا أدعو أحداً؟ فقال: وما عليك أن تخلي بين الناس وبين ربهم؟ فمن أراد الله أن يخرج من ظلمة إلى نور أخرجه، ثم قال: ولا عليك إن أنست من أحد خيراً أن تنبذ إليه الشيء نبذاً، قلت: أخبرني عن قول الله ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: من حرق، أو غرق، أو غدر، ثم سكت، فقال: تأويلها الأعظم أن دعاها فاستجابت له.<sup>١</sup>

#### رواها الكليني في الكافي.<sup>٢</sup>

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيا نفساً ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً.<sup>٣</sup>

خبر حمزان قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما معنى قوله الله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>٤</sup> قال: قلت: وكيف فكأنما قتل الناس جميعاً فإنما قتل واحداً؟ فقال: يوضع في موضع من جهنم إليه ينتهي شدة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً إنهم كان يدخل ذلك المكان، قلت: فإنه قتل آخر؟ قال: يضاعف عليه.<sup>٥</sup>

رواها الصدوق في الفقيه<sup>٦</sup> ومعاني الأخبار<sup>٧</sup> وعقاب الأعمال.<sup>٨</sup>

١. المحاسن ١/ ٣٦٣، ح ١٨٥.

٢. الكافي ٣/ ٥٣٥، ح ٣ (٢/ ٢١١).

٣. الكافي ٧/ ٣٥٢، ح ٣ (٤/ ٥٧).

٤. سورة المائدة / ٣٢.

٥. الكافي ١٤/ ٢٧٧، ح ١ (٧/ ٢٧١).

٦. الفقيه ٤/ ٩٤، ح ٥١٦٠.

٧. معاني الأخبار ٣٧٩، ح ٢.

٨. عقاب الأعمال / ٣٢٦، ح ٢.

صحيحة محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: له في النار مقعد لو قتل الناس جميعاً لم يرد إلا إلى ذلك المقعد.<sup>١</sup>

مرفوعة إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام برجل وجد في خربة وبيده سكين ملطخ بالدم وإذا رجل مذبوح يتشخّط في دمه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما تقول؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا قتلت، قال: اذهبوا به فاقتلوه به.

فلما ذهبوا به ليقتلوه به أقبل رجل مسرعاً فقال: لا تعجلوا وردّوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فردّوه، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه أنا قتلتُهُ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام للأول: ما حملك على إقرارك على نفسك ولم تفعل؟ فقال: يا أمير المؤمنين وما كنت أستطيع أن أقول وقد شهد عليّ أمثال هؤلاء الرجال وأخذوني ويدي سكين ملطخ بالدم والرجل يتشخّط في دمه وأنا قائم عليه وخفت الضرب فأقررت وأنا رجل كنت ذبحت بجانب هذه الخربة شاة وأخذني البول فدخلت الخربة فرأيت الرجل يتشخّط في دمه فقممت متعجباً فدخل عليّ هؤلاء فأخذوني.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: خذوا هذين فاذهبوا بهما إلى الحسن وقصّوا عليه قصّتهما وقولوا له: ما الحكم فيهما؟

فذهبوا إلى الحسن عليه السلام وقصّوا عليه قصّتهما، فقال الحسن عليه السلام: قولوا لأمر المؤمنين عليه السلام إنّ هذا إن كان ذبح ذاك فقد أحيا هذا وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ يُخَلَّى عَنْهَا وَتُخْرِجُ دِيَةُ الْمَذْبُوحِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.<sup>٢</sup>

١. الكافي ١٤/ ٢٨٠، ح ٦ (٢٧٢/٧).

٢. الكافي ١٤/ ٣٢٤، ح ٢ (٢٨٩/٧).

رواها الصدوق<sup>١</sup> والشيخ الطوسي مرتين<sup>٢</sup>.

عن حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال: وادٍ في جهنم لو قتل الناس جميعاً كان فيه، ولو قتل نفساً واحدة كان فيه<sup>٣</sup>.

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألتُه عن قول الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

فقال: له في النار مقعدٌ، لو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك العذاب.

قال: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لم يقتلها، أو أنجى من غرق أو حرق، وأعظم من ذلك كله يُخرجها من ضلالةٍ إلى هدى<sup>٤</sup>.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألتُه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال: من استخرجها من الكفر إلى الإيمان<sup>٥</sup>.

الطوسي رفعه عن أبي جعفر عليه السلام: المسرفون هم الذين يَسْتَحِلُّونَ المحارم ويسفكون الدماء<sup>٦</sup>.

الطوسي رفعه عن النبي ﷺ: من سنَّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيمة، ومن سنَّ سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها<sup>٧</sup>.

١. الفقيه ٣/٢٣، ح ٣٢٥٢.

٢. التهذيب ٦/٣١٥، ح ٨٧٤ و ١٠/١٧٣، ح ٦٧٩.

٣. تفسير العياشي ٢/٣٧، ح ٨٧.

٤. تفسير العياشي ٢/٣٨، ح ٨٨.

٥. تفسير العياشي ٢/٣٨، ح ٨٩.

٦. التبيان ٣/٥٠٤؛ مجمع البيان ٣/١٨٧.

٧. التبيان ٣/٥٠٢؛ مجمع البيان ٣/١٨٦.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣٣﴾

الآية الشريفة تبين أهم الأحكام الاجتماعية وهي عقاب الذين يخلون بالأمن المجتمع والأمان الحاكم فيه ويسمهم بالمحارب.  
و «المحارب عندنا هو الذي أشهر السلاح وأخاف السبيل سواء كان في مصر أو خارج مصر»<sup>١</sup> كما قاله الشيخ الطوسي.  
﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة.

﴿جَزَاءُ﴾ مبتدأ. والمراد به حدّه في الدنيا وعقابه في الآخرة.  
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مضاف إليه.  
﴿يُحَارِبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والمراد هنا الإخلال بالأمن العام بشهر سلاحه وتهديد الناس به فمحاربة الله ورسوله هي الاعتداء على الناس.  
﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿و﴾ عاطفة.  
﴿رَسُولُهُ﴾ معطوف على ﴿اللَّهُ﴾ ومضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة تفسيرية.  
﴿يَسْعَوْنَ﴾ الجملة معطوفة على جملة ﴿يُحَارِبُونَ﴾.  
﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَسْعَوْنَ﴾.  
﴿فَسَادًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿يَسْعَوْنَ﴾، أو مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف تقديره: يفسدون فساداً.  
ومن هذا العطف التفسير يظهر أنّ المراد بالمحاربة هي الإفساد في الأرض بشهر

السلاح وقطع الطريق وإخافة السبيل.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُقْتَلُونَ﴾ فعل مضارع مبنى للمجهول منصوب ونائب فاعله والمصدر المنسبك

خبر ﴿جَزَاءُ﴾. وهذا هو الجزاء الأول للمحاربين المفسدين.

﴿أَوْ﴾ عاطفة، تدل على تخيير الحاكم بما يرى من المصلحة من تنفيذ أي جزاء من

هذه الأقسام على المحارب المفسد، أو بما يناسب جرمه كما يأتي من الشيخ الطوسي

والثاني أظهر.

﴿يُصَلِّبُونَ﴾ معطوفة على ﴿يُقْتَلُونَ﴾. وهو الجزاء الثاني. ﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿تُقَطَّعُ﴾ معطوفة على ﴿يُقْتَلُونَ﴾ وهو الجزاء الثالث.

﴿أَيَّدِيهِمْ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَرْجُلُهُمْ﴾ معطوف على ﴿أَيَّدِيهِمْ﴾.

﴿مَنْ خَلَفَ﴾ جار ومجرور في محل نصب حال من ﴿أَيَّدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾. أي إذا

قُطعت اليد اليمنى تقطع الرجل اليسرى والعكس بالعكس.

﴿أَوْ﴾ عاطفة. ﴿يُنْفَوْنَ﴾ معطوفة على ﴿يُقْتَلُونَ﴾.

﴿مِنْ أَلْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنْفَوْنَ﴾. ونفي البلد هو الجزاء الرابع.

قال الشيخ الطوسي في كيفية تنفيذ هذه العقوبات الأربع: «وجزاءهم على قدر

الاستحقاق إن قتل قتل وان أخذ المال وقتل قتل وصلب وان أخذ المال ولم يقتل

قطعت يده ورجله من خلاف. وان أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفي لا غير هذا

مذهبنا. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام»<sup>١</sup>.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم.

﴿خِزْيٌ﴾ مبتدأ مؤخر، وجملة ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ خبر ﴿ذَلِكَ﴾. الخزي: الفضيحة

والذلّ.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿خِزْيٌ﴾.

﴿و﴾ عاطفة أو استئنافية. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿عَذَابٌ﴾.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت.

«وهذا يبطل قول من قال إقامة الحدود تكفير للمعاصي لأنّه يقال مع إقامة الحدود عليهم بين أنّ لهم في الآخرة عذاباً عظيماً ومعنى أنّ لهم في الآخرة عذاباً عظيماً أنّهم يستحقّون ذلك ولا يدلّ على أنّه يفعل بهم ذلك لا محالة لأنّه يجوز أن يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم بإسقاط عقابهم»<sup>١</sup>.

ولذا قال العلامة الطباطبائي رحمته الله: «وقد استدلّ بالآية على أنّ جريان الحدّ على المجرم لا يستلزم ارتفاع عذاب الآخرة، وهو حقّ في الجملة»<sup>٢</sup>.

### الروايات

صحيحة علي بن حسن الواسطي عن أبي جعفر عليه السلام قال: من حارب الله وأخذ المال وقتل، كان عليه أن يُقتل ويُصلب.

ومن حارب فقتل ولم يأخذ المال، كان عليه أن يُقتل ولا يصلب.

ومن حارب فأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن تقطع يده ورجله من خلاف.

ومن حارب ولم يأخذ المال ولم يقتل، كان عليه أن يُنفى.

ثم استثنى عليه السلام، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾<sup>٣</sup>.

يعني يتوب من قبل أن يأخذه الإمام<sup>١</sup>.

١. التبيان ٣/ ٥٠٧.

٢. الميزان ٥/ ٣٢٧.

٣. سورة المائدة / ٣٤.



صحیحة عجلان أبي صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قدم على رسول الله قوم من بني ضَبَّة<sup>٢</sup> مرضى فقال لهم رسول الله ﷺ: أقيموا عندي فإذا برئتم بعثكم في سرية، فقالوا: أخرجنا من المدينة فبعث بهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها فلما برئوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كانوا في الإبل فبلغ رسول الله ﷺ فبعث إليهم علياً عليه السلام فهم في واد قد تحيروا ليس يقدر أن يخرجوا منه قريباً من أرض اليمن فأسرهم وجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية عليه ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ فاختار رسول الله ﷺ القطع ففقط أيديهم وأرجلهم من خلاف.<sup>٣</sup>

صحیحة جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ﴾ - إلى آخر الآية - فقلت: أي شيء عليهم من هذه الحدود التي سمى الله ﻋَﻠَﻴْكَ؟ قال: ذلك إلى الإمام إن شاء قطع وإن شاء صلب وإن شاء نفى وإن شاء قتل، قلت: النفي إلى أين؟ قال: ينفي من مصر إلى مصر آخر؛ وقال إن علياً عليه السلام نفى رجلين من الكوفة إلى البصرة.<sup>٤</sup>

صحیحة حنان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ - إلى آخر الآية - قال: لا يبايع ولا يؤوى ولا يتصدق عليه.<sup>٥</sup>

١. تفسير القمي ١/٢٤٦، ح ٩.  
 ٢. بنو ضَبَّة بن طابخة بطن من العرب العدنانية المضرية وهم أخوة بني تميم لما جاءت في كُتُب الأنساب.  
 ٣. الكافي ١٤/٢٠٣، ح ١ (٢٤٥/٧).  
 ٤. الكافي ١٤/٢٠٥، ح ٣ (٢٤٥/٧).  
 ٥. الكافي ١٤/٢٠٦، ح ٤ (٢٤٦/٧).

صحیحة بريد بن معاوية قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال: ذلك إلى الإمام يفعل به ما يشاء، قلت: فمفوض ذلك إليه قال: لا، ولكن نحو الجناية.<sup>١</sup>

صحیحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: من شهر السلاح في مصر من الأمصار فعقر اقتص منه ونفي من تلك البلدة، ومن شهر السلاح في غير الأمصار وضرب وعقر وأخذ المال ولم يقتل فهو محارب فجزأه جزاء المحارب وأمره إلى الإمام إن شاء قتله و [إن شاء] صلبه وإن شاء قطع يده ورجله، قال: وإن ضرب وقتل وأخذ المال فعلى الإمام أن يقطع يده اليمنى بالسرقه ثم يدفعه إلى أولياء المقتول فيتبعونه بالمال ثم يقتلونه قال: فقال أبو عبيدة: أصلحك الله أرأيت إن عفى عنه أولياء المقتول قال: فقال: أبو جعفر عليه السلام: إن عفوا عنه فإن على الإمام أن يقتله لأنه قد حارب وقتل وسرق قال: فقال أبو عبيدة: أرأيت إن أراد أولياء المقتول أن يأخذوا منه الدية ويدعونه، ألهم ذلك؟ قال: فقال: لا، عليه القتل.<sup>٢</sup>

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام صلب رجلاً بالخير ثلاثه أيام، ثم أنزله يوم الرابع فصلّى عليه ودفنه.<sup>٣</sup>

خبر عبيد الله بن إسحاق المدائني عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سئل عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ الآية، فما الذي إذا فعله استوجب واحدة من هذه الأربع؟ فقال: إذا حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً فقتل قتل به وإن قتل وأخذ المال قتل وصلب وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن شهر السيف فحارب الله

١. الكافي ١٤/٢٠٦، ح ٥ (٢٤٦/٧).

٢. الكافي ١٤/٢١٢، ح ١٢ (٢٤٨/٧).

٣. الكافي ١٤/٢٠٧، ح ٧ (٢٤٦/٧).

ورسوله وسعى في الأرض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال ينفي من الأرض، قلت: كيف ينفي وما حدٌ نفيه؟ قال: ينفي من المصر الذي فعل فيه ما فعل إلى مصر غيره ويكتب إلى أهل ذلك المصر أنه منفيٌ فلا تجالسوه ولا تباعوه ولا تناكحوه ولا تؤاكلوه ولا تشاربوه فيفعل ذلك به سنة، فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتى تتم السنة، قلت: فإن توجه إلى أرض الشرك ليدخلها؟ قال: إن توجه إلى أرض الشرك ليدخلها قوتل أهلها.<sup>١</sup>

خبر عبدالله بن طلحة عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ الآية، هذا نفي المحاربة غير هذا النفي قال: يحكم عليه الحاكم بقدر ما عمل وينفي ويحمل في البحر ثم يقذف به لو كان النفي من بلد إلى بلد كأن يكون إخراجهم من بلد إلى بلد آخر عدل القتل والصلب والقطع ولكن يكون حداً يوافق القطع والصلب.<sup>٢</sup>

عن أحمد بن الفضل الخاقاني، من آل رزين، قال: قُطِع الطريق بجَلَوْلَاء<sup>٣</sup> على السابلة<sup>٤</sup> من الحُجَّاج وغيرهم، وأُفِلت القُطَاع، فبلغ الخبر المعتصم، فكتب إلى العامل الذي كان بها: أتا من الطريق بذلك، فُقُطِع على طرفه أذن أمير المؤمنين، ثم انفلت القُطَاع، فإن أنت طلبت هؤلاء وظفرت بهم، وإلا أمرت بأن تُضْرَب ألف سوط، ثم تُصَلَّب بحيث قُطِع الطريق.

قال: وطلبهم العامل حتى ظفر بهم، واستوثق منهم، ثم كتب بذلك إلى

١. الكافي ١٤/٢٠٧، ح ٨ (٢٤٦/٧).

٢. الكافي ١٤/٢٠٩، ح ١٠ (٢٤٧/٧).

٣. جَلَوْلَاء: بلدة في العراق، على شاطئ دجلة الأيمن، كانت محطة هامة على طريق خراسان بين العراق وإيران.

٤. السابلة: المارون على الطريق.

٥. في نسخة: طرق.

المعتصم، فجمع الفقهاء وفيهم ابن أبي دؤاد<sup>١</sup>، ثم سأل الآخرين عن الحكم فيهم، وأبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام حاضر، فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ولأمر المؤمنين أن يحكم بأي ذلك شاء فيهم.

قال: فالتفت إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: ما تقول فيما أجابوا فيه؟ فقال: قد تكلم هؤلاء الفقهاء، والقاضي بما سمع أمير المؤمنين.

قال: وأخبرني بما عندك. قال: إنهم قد أضلوا فيما أفتوا به، والذي يجب في ذلك أن ينظر أمير المؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق، فإن كانوا أخافوا السبيل فقط، ولم يقتلوا أحداً، ولم يأخذوا مالا، أمر بإيداعهم الحبس، فإن ذلك معنى نفيتهم من الأرض بإخافتهم السبيل. وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس، أمر بقتلهم، وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس، وأخذوا المال، أمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بعد ذلك، قال: فكتب إلى العامل بأن يمثّل ذلك فيهم<sup>٢</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

حكم تربوي إنساني عام يجري في جميع الحدود الإلهية وهو «إذا تاب قاطع الطريق من تلقائه، وقبل القبض عليه سقطت عنه العقوبة، لأن الحكمة من العقوبة أن يرتدع المجرم عن الفساد، فإن ارتدع من نفسه لم يبق لها من موجب، وهذا أصدق مثال على إنسانية الشريعة الإسلامية وعظمتها.

١. وهو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير، ولي القضاء للمعتصم ثم للوائق. راجع: تاريخ بغداد ٤ / ١٤١.

٢. تفسير العياشي ٣٩ / ٢، ح ٩٢.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ التوبة قبل الظفر بالجاني تسقط عنه العقوبة الأدبية، أما الحقوق المادية للناس فيُطالب بها، فإن سلب مالاً فعلية ارجاعه أو ارجاع بدله من المثل أو القيمة إذا كان قد تلف، وإن قتل، فلا أولياء المقتول أن يقتلوه به إن شاءوا<sup>١</sup>.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، في محل نصب، مستثنى. ويمكن أن يكون في محل رفع بالابتداء.

﴿تَابُوا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَابُوا﴾. مصدرية ناصبة.

﴿تَقْدَرُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ القبض ﴿عَلَيْهِمْ﴾. وأما بعد القبض وقيام البيئة لا يسقط الحد.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَقْدَرُوا﴾.

﴿فَ﴾ استئنافية أو واقعة في جواب للشرط على ابتدائية ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿أَعْلَمُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، ومع مابعدا بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي ﴿أَعْلَمُوا﴾.

﴿اللَّهُ﴾ اسمه. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبراه.

﴿يَتَّيْنُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

رسم الله ﷻ حقيقة التوسل في هذه الآية الشريفة وعدّ التقوى والجهاد من

الوسائل التي بإمكان الإنسان أن يتخذها سبباً للوصول إليه ﷻ.  
ومن المعلوم أن القرب إلى الله سبحانه وطرق تحقيقه تحتاج إلى بيان شرعي، ولذا  
بيّنها الشارع في الكتاب والسنة، وتصدت لبيانها الشريعة فنصت عليها وحدّدتها  
بشكل خاص أو عام.

وأما سوى ما نصت الشريعة المقدسة عليها تدخل في البدع والضلال.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب من الله تعالى للمؤمنين.

﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله، أي اجتنبوا.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، أي معاصي ﴿اللَّهُ﴾ ونواهيه. واعملوا بفرائض ﴿اللَّهُ﴾

وأوامره وقد مرّ معنى تقوى الله ولها مراتب.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَبْتَغُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على ﴿اتَّقُوا﴾، أي اطلبوا. وذكر الابتغاء

بعد الأمر بالتقوى لعلّ من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَبْتَغُوا﴾، والضمير يرجع إلى الله سبحانه.

﴿الْوَسِيلَةَ﴾ مفعول به. على وزان فَعِيلَةٍ، وهي في اللغة الدرجة والقربة والواسطة

والقربة والطلب، وجمعها الوسائل، الواسل: الراغب إلى الله، ومعناها من

الواضحات وهي: اتخاذ الشيء ذريعة إلى أمر آخر يكون هو المقصود والمبتغى،

وتختلف حسب اختلاف المقاصد.

قال ابن كثير في شأن التوسل: «أن يجعل الإنسان واسطة بينه وبين الله ليقضي

حاجته بسبب الواسطة»<sup>١</sup>.

وقال القمي في ذيل الآية: «تقربوا إليه بالإمام»<sup>٢</sup>.

١. تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٢.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٤٧.

وقوله تعالى ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ دال على جواز التوسل كما عليه المسلمون شيعةً وسنةً إلا شذمة قليلة من اتباع ابن تيمية<sup>١</sup> وهم الفرقة التكفيرية الانتحارية الوهابية الضالة أمثال محمد بن عبد الوهاب<sup>٢</sup> والألباني<sup>٣</sup> وعبد العزيز بن عبد الله بن باز<sup>٤</sup>.

ذهب إلى جواز التوسل من العامة: أحمد بن حنبل وابن أبي الدنيا والبيهقي والطبراني<sup>٥</sup>.

ومنهم: محمد بن إدريس الشافعي قال: «إني لا تبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره كل يوم، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد أن تقضى»<sup>٦</sup>.

ومنهم: أبو علي الخلال شيخ الحنابلة قال: «ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر عليه السلام، فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب»<sup>٧</sup>.

ومنهم: السمهودي الشافعي قال: «قد يكون التوسل به عليه السلام بطلب ذلك الأمر منه، بمعنى أنه عليه السلام قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربه، فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة. ومنه قول القائل له أسألك مرافقتك في الجنة... ولا يقصد به إلا كونه عليه السلام سبباً وشفاعاً»<sup>٨</sup>.

- 
١. التوسل والوسيلة / ١٣، ٢٠ و ٥٠ لابن تيمية.
  ٢. كشف الشبهات / ٦٠ لابن عبد الوهاب.
  ٣. التوسل، أنواعه وأحكامه، للألباني.
  ٤. العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام لابن باز.
  ٥. كما نقل عنهم ابن تيمية في كتابه التوسل والوسيلة / ١٤٤ و ١٤٥، طبعة دار الآفاق سنة ١٣٩٩ هـ.
  ٦. تاريخ بغداد ١ / ١٢٣ باب ما ذكر في مقابر بغداد.
  ٧. تاريخ بغداد ١ / ١٢٠ باب ما ذكر في مقابر بغداد.
  ٨. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٢ / ١٣٧٤.

وقال الشوكاني الزيدي: «ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين»<sup>١</sup>.  
وأما الشيعة الإمامية أعل الله كلمتهم فقد قالوا: بجواز التوسل بالنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في قضاء الحوائج وتفريج الكرب بعد موتهم، كما يجوز حال حياتهم لعدم كون ذلك من خطاب المعدوم أولاً ولا كونه شركاً ثانياً والاتصال بيننا وبينهم موجود ثالثاً.

وقد بحثنا في أبحاثنا الكلامية حول جواز التوسل مفصلاً فراجع إن شئت إلى تقرير هذه البحوث في نقد الوهابية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿جَهْدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ معطوفة على ﴿ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، ويمكن حمل الجهاد على معنى الأعم من القتال في سبيل الله وجهاد النفس ولكن تقييد الجهاد بسبيل الله وقع في الآيات الآمرة بالقتال، والأمر بالجهاد في سبيل الله بعد الأمر بابتغاء الوسيلة يكون من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتماماً بشأنه.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محل رفع خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾.

والإيمان والتقوى وابتغاء الوسيلة والجهاد في سبيل الله كلّها من أسباب الفلاح وعمله. والفلاح هو الغاية القصوى من الفوز والسعادة في الدارين.

### التوسل في سيرة المسلمين

«لقد جرت سيرة المسلمين في أثناء حياة الرسول ﷺ وبعد مماته على التوسل بالرسول ﷺ وبأولياء الله والاستشفاع بمنزلتهم عنده وفيما يلي نماذج من تلك السيرة:



أ. إن أبا بكر بعدما توفي رسول الله، قال: «اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن في بالك»<sup>١</sup>.

ب. قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى النعماني في كتابه مصباح الظلام: إن الحافظ أبا سعيد السمعي ذكر فيما روي عنه عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: «قدم علينا أعرابي بعدما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثا من ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه ووعينا عنك، وكان فيما أنزل ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: إنه قد غفر لك»<sup>٢</sup>.

ج. كان رسول الله قد علم رجلاً أن يدعو فيسأل الله ثم يخاطب النبي فيتوسل به ثم يسأل الله قبول شفاعته، فيقول: «اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي لتقضي لي، اللهم فشفعه في»<sup>٣</sup>.

د. جاء في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب عليه السلام وقال: اللهم كنّا نتوسل إليك بعم نبيّنا فاسقنا. قال: فيُسقون.<sup>٤</sup>

هـ. سأل المنصور العباسي مالك بن أنس - إمام المالكية - عن كيفية زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوسل به... فقال لمالك:

«يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله؟ فقال مالك في

١. الدرر السنية في الرد على الوهابية / ٣٦.

٢. وفاء الوفاء للمسهودي ١٣٦١ / ٢.

٣. مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ١٨ / ١.

٤. صحيح البخاري: باب صلاة الاستسقاء ٣٢ / ٢، ح ٩٤٧.

جوابه: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة؟! بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾<sup>١</sup> ٢.

وقال الشافعي هذين البيتين من شعره متوسلاً بآل الرسول ﷺ :

أَلْ نَبِيِّ ذَرِيعَتِي      وَهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي  
أَرْجُو بِهِمْ أُعْطِيَ غَدًا      بِيَدِ الْيَمِينِ صَحِيفَتِي<sup>٣</sup> ٤

### التوسل في أحاديث العامة

«وردت عدّة أحاديث تدلّ على جواز التوسل بالنبي ﷺ أو بالأولياء الصالحين.

١- عن عثمان بن حنيف أنّه قال: إنّ رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله لي أن يعافيني.

فقال ﷺ: إنّ شئت أخرجت لك وهو خير، وإن شئت دعوت. فقال: ادعُ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة. يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي. اللهم فشفعه فيّ»<sup>٥</sup>.

وهذا الحديث لا اشكال في صحته حتى أنّ ابن تيمية اعتبره صحيحاً وقال: بأن المقصود من أبي جعفر الموجود في سند الحديث هو أبو جعفر الخطمي وهو ثقة.

أما الرفاعي فيقول: لاشك أن هذا الحديث صحيح ومشهور، وقد ثبت فيه - بلا شك ولا

١. سورة النساء / ٦٤.

٢. عن وفاء الوفاء للسمهودي ١٣٧٦ / ٢.

٣. الصواعق المحرقة / ٢٧٤.

٤. التوسل / (٣١-٢٩).

٥. سنن ابن ماجه ٤٤١ / ١، ح ١٣٨٥؛ مسند أحمد ١٣٨ / ٤، ح ١٦٧٨٩؛ مستدرک الصحيحين للحاكم النيشابوري ٣١٣ / ١؛ الجامع الصغير للسيوطي / ٥٩؛ ومنهاج الجامع ١ / ٢٨٦.

ريب - ارتداد بصر الأعمى بدعاء رسول الله.<sup>١</sup>

وقد أورد هذا الحديث النسائي والبيهقي والطبراني والترمذي والحاكم في مستدركه.<sup>٢</sup>  
وبهذا الحديث تتأكد شرعية التوسل، حيث نجد رسول الله ﷺ قد علم الرجل الضرير كيف يتوسل إلى الله بنبى نبي الرحمة، ويشفعه لقضاء حاجته، والمقصود بالنبي هو نفس النبي لا دعاؤه، والتوجه إلى الله بجاه النبي ووسيلته.

٢- روى عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشي هذا، فإنني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سُمعة، خرجتُ اتقاء سَخَطِكَ وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك.<sup>٣</sup>

إنّ هذا الحديث يدلّ على جواز التوسل إلى الله بحرمة أوليائه الصالحين، ومنزلتهم ووجاهتهم عنده سبحانه، فيجعل أولئك وسطاء وشفعاء لقضاء حاجته واستجابة دعائه.

٣- عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أُمّي بعد أُمّي. وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلماً أسود لحفر القبر، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، ثم قال: الله الذي يُحيي ويُميت وهو حيٌّ لا يموت، اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي»<sup>٤</sup>.

١. التوسل للسبحاني / ٦٩، نقلاً عن التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي / ١٥٨.

٢. سنن الترمذي ٥ / ٥٣١، ح ٣٥٧٨؛ السنن الكبرى للنسائي ٦ / ١٦٩، ح ١٠٤٩٥.

٣. سنن ابن ماجه ١ / ٢٥٦، ح ٧٧٨ باب المشي إلى الصلاة.

٤. كشف الارتباب / ٣١٢، نقلاً عن وفاء الوفاء والدرر السنية / ٨.

٤- روي أن سواد بن قارب أنشدَ لرسول الله ﷺ قصيدته التي يتوسل فيها بالنبى وفيها يقول:

وأشهدُ أن الله لا ربَّ غيرهُ      وأنتَ مأمونٌ على كلِّ غائبٍ  
وأنتَ أدنى المرسلين وسيلةً      إلى الله يا ابنَ الأكرمين الأطيبِ  
فمَرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يا خيرَ مُرْسَلٍ      وإن كان فيما فيه شَيْبُ الذَّوَابِ  
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لا ذُو شَفَاعَةٍ      سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَن سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ<sup>(١)</sup> ٢

### الوسيلة في الروايات

خبر سلمان الفارسي رحمه الله عن أمير المؤمنين [علي بن أبي طالب عليه السلام] في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾<sup>٣</sup>.

فقال: أنا هو الذي عنده علم الكتاب، وقد صدقه الله، وأعطاه الوسيلة في الوصية، إذ لا يُحلي أمته من وسيلة إليه وإلى الله، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾<sup>٤</sup>.

الصدوق بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ قال: الأئمة من ولد الحسين عليه السلام، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله ﷻ، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله ﷻ<sup>٥</sup>.

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إنَّ أفضل ما توسَّل به المتوسِّلون إلى الله (سبحانه وتعالى) الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنَّه ذروة الإسلام، وكلمة

١. الدرر السنية / ٢٧؛ التوصل إلى حقيقة التوسل / ٣٠٠؛ فتح الباري ٧ / ١٣٧.

٢. التوسل / (٢٩-٢٦).


٣. سورة الرعد / ٤٣.

٤. بصائر الدرجات ١ / ٣٨٦، ح ٢٠.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ١٢٨، ح ٢١٧ (٢ / ٥٨).

الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتباره فإنها ينفيان الفقر ويرحضان الذنب، وصلة الرحم فإنها مثرة في المال ومنسأة في الأجل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان، الخطبة. ١

ابن شهر آشوب رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في قوله تعالى ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: أنا وسيلته وولدي ذريته. ٢

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ 

هذه الآية الشريفة تعليل «المضمون الآية السابقة، والمحصل أنه يجب عليكم أن تتقوا الله وتبتغوا إليه الوسيلة وتجاهدوا في سبيله فإن ذلك أمر يهكم في صرف عذاب أليم مقيم عن أنفسكم، ولا بدل له يحل محله فإن الذين كفروا فلم يتقوا الله ولم يبتغوا إليه الوسيلة ولم يجاهدوا في سبيله لو أنهم ملكوا ما في الأرض جميعاً - وهو أقصى ما يتمناه ابن آدم من الملك الدنيوي عادة - ثم زيد عليه مثله ليكون لهم ضعفا ما في الأرض ثم ارادوا أن ﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ \* يريدون أن يخرجوا من النار وهي العذاب ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ لانه ﴿عَذَابُ﴾ خالد ﴿مُقيمٌ﴾ ٣ عليهم لا يفارقهم أبداً» ٤.

١. نهج البلاغة، خطبة ١٠٩.

٢. المناقب ٩٢/٣.

٣. سورة المائدة / ٣٦ و ٣٧.

٤. الميزان ٣٢٨/٥.

﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، اسم ﴿إِنْ﴾. ﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، بيان لحال الكفار ولكن أعرض عن مخاطبتهم لكفرهم.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، ﴿لَوْ﴾ مع ما في حيزه من جوابه في محل رفع خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾.

﴿أَنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿أَنْ﴾ مقدم. والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿مَا﴾ موصولة ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ اسم ﴿أَنْ﴾ مؤخر. ﴿جَمِيعًا﴾ حال، ﴿أَنْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ بتأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف تقديره: لو ثبت ملكهم كلٌّ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾. ﴿وَاللَّمْعِ﴾.

﴿مِثْلَهُ﴾ مفعول معه ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. ﴿مَعَهُ﴾ ظرف مكان يدل على المصاحبة والاجتماع متعلق بحال محذوفة من ﴿مِثْلَهُ﴾، والضمير يرجع إلى ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. ﴿إِ﴾ حرف جر، للتعليل.

﴿يَفْتَدُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «لام» التعليل وفاعله. فدى: إذا أعطى مالاً وأخذ رجلاً، كما قاله الوزير ابن المعري<sup>١</sup>. ﴿يَفْتَدُوا﴾: أي ليجعلوه فدية لأنفسهم.

١. تلخيص الذهب من لسان العرب ٣/ ٥٦، للعلامة السيّد محمد حسين الحسيني الجلالى، طبعة عام ٢٠١٤م.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَفْتَدُوا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾.

﴿مِنْ عَذَابٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَفْتَدُوا﴾.

﴿يَوْمَ آتَ يَمَّةٌ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿تُقْبَلُ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُقْبَلُ﴾. والجملة ﴿مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ جواب

شرط غير جازم.

يعني: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ افتدوا جميع ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ بل ﴿مِثْلَهُ مَعَهُ﴾

لينجيهم ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لم ينفعهم ذلك، فالفدية في يوم القيامة لا ﴿تُقْبَلُ﴾

من الكافرين ولا ترفع عنهم العذاب الذي استحقوه بكفرهم وسيئات أعمالهم.

وبالجملة: إنما يقبل الفدية من يفتقر إليها ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، واللام للملك، لأن حقيقة الملكية هي

الإضافة على معنى الاختصاص.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾ نعت. لأن باب التوبة في الآخرة مسدودة.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾



«بيان لحالهم في النار، وهو يدل على كمال إحساسهم بالعذاب، وأن الفطرة

الأصلية التي كانت تتألم من العذاب في الدنيا لم تتغير ولم تنتف عنهم، بل تتأثر بالنار، ويتألمون ويريدون الخلاص من العذاب والخروج من النار، فإنها دار العذاب والشقاء وما هم بخارجين منها البتة، والجملة تدل على الثبوت والدوام، الآية الشريفة تدل على عدم قبول الشفاعة والعدل والفدية منهم»<sup>١</sup>.

﴿يُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يدل على استمرار هذه الإرادة فيهم لأنهم يعذبون بالنار دائماً.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة. ﴿تَخْرُجُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله.  
﴿مِنَ النَّارِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَخْرُجُوا﴾. ﴿أَنْ﴾ المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر مفعول به ﴿يُرِيدُونَ﴾. تقديره: يريدون الخروج من النار.  
﴿و﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿بِ﴾ حرف جر زائد، تأكيد للنفي.  
﴿خَرَجِينَ﴾ مجروره، في محل رفع خبر. جمع خارج. والجملة الاسمية تدل على المبالغة.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَرَجِينَ﴾ على تأويل فعله أي لا يخرجون من النار.

﴿و﴾ استئنافية، وما بعدها تعليل لما سبق. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.  
﴿عَذَابٍ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿مُقِيمٍ﴾ نعته.  
وفي الآية الشريفة إشارات:

«أَوَّلًا: إلى أَنَّ العذاب هو الأصل القريب من الإنسان وإنما يصرف عنه الإيمان والتقوى كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا \*



ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا<sup>١</sup> وكذا قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفَىٰ خُسْرٍ\* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>٢</sup>.

وثانياً: أن الفطرة الأصلية الإنسانية وهي التي تتألم من النار غير باطلة فيهم ولا منتفية عنهم وإلا لم يتألموا ولم يتعذبوا بها ولم يريدوا الخروج منها<sup>٣</sup>.  
وثالثاً: «هذا نص قاطع على أن من جحد الخالق، أو عبد سواه، فهو مخلد في النار. ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾. وفي الآية ٢٠ من سورة السجدة: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾<sup>٤</sup> و [رابعاً] هناك جرائم لا تقل إثماً وعذاباً عن الكفر بالله، كسلب الشعوب أقواتها ومقومات حياتها، وقتل النفس، لأنها أبت إلا أن تعيش حرة كريمة<sup>٥</sup>.

### الروايات

عن أبي بصير، قال: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يقول: عدوّ عليّ عليه السلام هم المُخَلَّدُونَ في النار، قال الله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾<sup>٥</sup>.  
عن منصور بن حازم، قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ من النار؟ قال: أعداء عليّ هم المُخَلَّدُونَ في النار أبد الأبدن ودهر الدهرين<sup>٦</sup>.  
عن حُمران قال: سألت أبا عبد الله [جعفر] عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ قال: كأنك تريد الأدميين؟ قلت: نعم. قال: كانوا حوسبوا وعذبوا!

١. سورة مريم / ٧١ و ٧٢.

٢. سورة العصر / ٢ و ٣.

٣. الميزان ٥ / ٣٢٩.

٤. التفسير الكاشف ٣ / ٥٣.

٥. تفسير العياشي ٢ / ٤٣، ح ١٠١.

٦. تفسير العياشي ٢ / ٤٣، ح ١٠٢.

٢٩٠..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السادس

وأنتم المخلدون في الجنة، قال الله إن أعداء علي هم المخلدون في النار أبد الآبدين  
ودهر الداهرين هكذا تنزيلها.<sup>١</sup>

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

الآية الشريفة تشير إلى مجازاة السرقة، لأنها كانت تضرّ بالمجتمع الإنساني وأمنه  
وتفسد أخلاق أفرادهِ وتهدم كيانه، فلذا تجعل الآية المسئولية على عاتق المجتمع  
حيث قام بعلاج السرقة وقطع جذورها من الأساس، وإلا خرجت من جديد في  
ضمن الفرد الأول أو غيره.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿السَّارِقُ﴾ مبتدأ. اسم فاعل من فعل سَرَقَ، وهو اللَّصُّ والحرامي.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿السَّارِقَةُ﴾ معطوف على ﴿السَّارِقُ﴾، مؤنثه.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، لأنّ الجملة تتضمن معنى الشرط لأنّ «ال» في

﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ بمعنى اسم الموصول فكأنّه قال: من سرق أو الذي سرق والتي  
سرقَت ﴿فَ﴾، ولأنّ اسم الموصول يتضمن معنى الشرط نحو: من يسرق فقد سرق أخ  
له.

﴿اقْطَعُوا﴾ فعل أمر وفاعله. خبر. والمخاطب بهذا الأمر من له أهلية إقامة

الحدود كالأنبياء والأوصياء والفقهاء الذين هم حكام الشرع المبين، فليس لكلّ أحد  
إقامة الحدّ.

---

١. تفسير فرائد الكوفي / ١٢٢، ح ٢٦.

﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. أيدي جمع يد «وإنما ﴿أَيْدِي﴾ لأن كل شيء من شيئين فتثنيته بلفظ الجمع كما قال ﷺ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾<sup>١</sup> وقال الفراء كلما كان في البدن منه واحد فتثنيته بلفظ الجمع لأن أكثر أعضائه فيه منه إثنان، فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك، فقليل قلوبهما وظهورهما. كما قيل عيونهما وأيديهما. وقال الفراء إنما فعلوا ذلك للفصل بين ما في البدن منه واحد وبين ما في البدن منه إثنان، فجعل ما في البدن منه واحد تثنيته وجمعه بلفظ واحد ولم يثن أصلاً، لأن الإضافة تدل عليه، ولأن التثنية جمع، لأنه ضم شيء إلى شيء. وإن ثني جاز قال الشاعر:

ظهرهما مثل ظهور الترسين

فجمع بين الأمرين<sup>٢</sup>.

ثم فليعلم أن الحد في السرقة مشروط بالأُمور التالية:

١- البلوغ

٢- العقل

٣- ارتفاع الشبهة

٤- ارتفاع الشركة

٥- أن يَهْتِكَ السارق الحرَّ

٦- أن لا يكون السارق والدًا قد سرق من ولده.

٧- أن يأخذه السارق سرًّا.

٨- لا يُقَطَّعُ إذا سرق ماله نحو الراهن إذا سرق الرهن أو المؤجر العين

المستأجرة.

٩- لا قطع في ما نقص عن رُبْع دينار.

١. سورة التحريم / ٤.

٢. التبيان ٥١٦/٣.

١٠- أن لا تكون السرقة في عام المجاعة، فإذا سرق الجائع مأكولاً حيث لا وسيلة لسدّ حاجته إلا السرقة فلا حدّ عليه.  
وحدها قطع الأصابع الأربع من اليد اليمنى ويترك له الراحة والإبهام عندنا، وعند العامة: الكف اليمنى تُقطع من المفصل.  
وعندنا في المرّة الثانية: تُقطع رجله اليسرى من مفصل القدم ويترك له العقب يعتمد عليها.

وفي المرّة الثالثة: يُحبس دائماً.

وفي المرّة الرابعة: يُقتل.

ولكن لو تكرّرت السرقة من غير تخلل حدّ، فالحدّ الواحد كافٍ.

والتفصيل يطلب من الكتب الفقهية، كتاب الحدود باب حدّ السرقة.

«ولا ريب في أنّ قطع اليد من أجدر العقوبات لمنع السرقة، فإنّه يفضح صاحبه، وتكون علامةً من علامات الذلّ والعار، ليكون منعاً له عن ارتكاب الجرم، وعبرة يعتبر بها غيره من الناس فيكونوا في مأمن من أموالهم وأرواحهم»<sup>١</sup>.

﴿جَزَاءٌ﴾ مفعول لأجله أو حال من القطع المستفاد من قوله «فَاقْطَعُوا».

﴿بِ﴾ حرف جرّ، للسببية.

﴿مَا﴾ مجروره. يتعلّق الجار والمجرور بـ ﴿جَزَاءٌ﴾.

﴿كَسَبًا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، أي استحقيقاً على فعلها.

وجملة ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبًا﴾ تعليل لثبوت الحدّ عليهما.

﴿نَكَلًا﴾ بدل من ﴿جَزَاءٌ﴾. «والنكال هو العقوبة التي يعاقب بها المجرم لينتهي

عن إجرامه ويعتبر بها غيره من الناس»<sup>٢</sup>. والمراد بها هنا العقوبة الدنيوية.

١. مواهب الرحمن ١١/ ٢٤٧.

٢. الميزان ٥/ ٣٢٩.

﴿مَنْ أَلَّهَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَكْلًا﴾. والمراد هذه العقوبة ثابتة على السارق ﴿مَنْ أَلَّهَ﴾ تعالى وهي حد من حدود الله.  
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَلَّهَ﴾ مبتدأ.  
 ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ خبراه. ﴿عَزِيزٌ﴾: مقتدر لا يُغَالَبُ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في ما يأمر به من الحدود وغيرها من تشريعاته وأفعاله.

### الروايات

صحيحة محمد بن مسلم، قال:  
 قلت لأبي عبد الله عليه السلام: في كم يقطع السارق؟  
 فقال: في ربع دينار.  
 قال: قلت له: في درهمين؟  
 فقال: في ربع دينار بلغ الدينار ما بلغ.  
 قال: فقلت له: أ رأيت من سرق أقل من ربع دينار، هل يقع عليه حين سرق اسم السارق؟ وهل هو عند الله سارق في تلك الحال؟  
 فقال: كل من سرق من مسلم شيئاً قد حواه وأحرزه، فهو يقع عليه اسم السارق، وهو عند الله سارق، ولكن لا يقطع إلا في ربع دينار أو أكثر، ولو قطعت أيدي السراق فيما هو أقل من ربع دينار، لألفيت عامة الناس مقطعين.<sup>١</sup>  
 صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان علي صلوات الله عليه لا يزيد على قطع اليد والرجل، ويقول: إني لأستحيي من ربي أن أدعه ليس له ما يستنجي به أو يتطهر به.

قال: وسألته: إن هو سرق بعد قطع اليد والرجل؟

١. الكافي ١٤/١٣٩، ح ٧ (٢٢٢/٧).

فقال: أستودعه السّجن أبداً، وأُغني عن الناس شرّه.<sup>١</sup>

صحيحة محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في السّارق: إذا سرق قطعت يمينه، وإذا سرق مرّةً أخرى قطعت رجله اليسرى، ثمّ إذا سرق مرّةً أخرى سجنته، وتركت رجله اليمنى يمشي عليها إلى الغائط، ويده اليسرى يأكل بها ويستنجي بها، وقال: إني لأستحيي من الله أن أتركه لا ينتفع بشيءٍ، ولكنّي أسجنه حتّى يموت في السّجن، وقال: ما قطع رسول الله صلى الله عليه وآله من سارقٍ بعد يده ورجله.<sup>٢</sup>

موثقة سماعه بن مهران، قال: قال: إذا أخذ السّارق قطعت يده من وسط الكفّ، فإنّ عاد قطعت رجله من وسط القدم، فإنّ عاد استودع السّجن، فإنّ سرق في السّجن قتل.<sup>٣</sup>

موثقة أخرى له قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أتى أمير المؤمنين عليه السلام برجالٍ قد سرقوا، فقطع أيديهم، ثمّ قال: إنّ الذي بان من أجسادكم قد وصل إلى النّار، فإنّ تتوبوا تجترونها، وإنّ لم تتوبوا تجترّكم.<sup>٤</sup>

عن زُرْقان<sup>٥</sup> صاحب ابن أبي دُواد<sup>٦</sup> وصديقه بشدّة، قال: رجع ابن أبي دُواد ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ، فقلت له في ذلك، فقال: وددتُ اليوم أني قد

١. الكافي ١٤/١٤٠، ح ٣ (٢٢٢/٧).

٢. الكافي ١٤/١٤١، ح ٤ (٢٢٣/٧).

٣. الكافي ١٤/١٤٣، ح ٨ (٢٢٣/٧).

٤. الكافي ١٤/١٤٧، ح ١٤ (٢٢٤/٧).

٥. لعلّه محمد بن عبد الله بن سفيان، المعروف بزرقان الزيات، المحدث، انظر تاريخ بغداد ٥/٤٣١، وفي نسخة: ابن أبي زرقان.

٦. في النسخ: ابن أبي دواد، وكذا في بقية المواضع. وابن أبي دواد (بلا همز) ولا عبرة بالخطأ الشائع راجع كتاب «الاشتقاق» لابن دُرَيْدٍ (ت ٣٢١هـ) واسمُه أحمدُ بن أبي دُوادٍ الإياديّ القاضي المُعْتَزِيّ في أيام المُعْتَصِمِ العَبَّاسِيّ.

مُتُّ منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم.

قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد حضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع، في أيّ موضع يجب أن يُقَطَّع. قال: فقلتُ: من الكرُسُوع<sup>١</sup>. قال: وما الحُجَّة في ذلك؟ قال: قلتُ: لأنّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرُسُوع، لقول الله تعالى في التيمّم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾<sup>٢</sup> واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق<sup>٣</sup>، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأنّ الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾<sup>٤</sup> في الغسل، دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي، فقال: ما تقول في هذا، يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه، يا أمير المؤمنين. قال: دعني ممّا تكلموا به، أيّ شيء عندك؟ قال: أعفني عن هذا، يا أمير المؤمنين.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه. فقال: أمّا إذا أقسمت عليّ بالله، أنّي أقول إنهم أخطؤوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ.

قال: وما الحُجَّة في ذلك؟ قال: قول رسول الله ﷺ: «السُّجُودُ عَلَى سَبْعَةِ

١. الكرُسُوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.

٢. سورة النساء / ٤٣.

٣. في نسخة: مع المرفق.

٤. سورة المائدة / ٦.

أعضاء: الوجه، واليدين، والرُّكبتين، والرجلين» فإذا قطعت يده من الكرُّسوع أو المرفق، لم يبقَ له يدٌ يسجدُ عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ أَلْمَسَ جِدَ اللَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يُسجدُ عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>١</sup>، وما كان لله لم يُقَطَّع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مَفْصِل الأصابع دون الكف. قال ابن أبي دواد: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حياً.

قال زُرْقَان<sup>٢</sup>: إنَّ ابن أبي دُواد قال: صرْتُ إلى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت: إنَّ نصيحة أمير المؤمنين عليٍّ واجبة، وأنا أكلمه<sup>٣</sup> بما أعلم أني أدخل به النار. قال: وما هو؟ قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمرٍ واقعٍ من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده<sup>٤</sup> ووزراؤه وكُتَّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كُلِّهم لقول رجلٍ يقول شَطْر هذه الأُمَّة بإمامته، ويدَّعون أنَّه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغيَّر لونه، وانتبه لما نبهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً. قال: فأمر يوم الرابع فلاناً من كُتَّاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله، فدعاه فأبى أن يجيبه، وقال: قد عَلِمْتُ أني لا أحضر مجالسكم. فقال: إِنِّي إِنَّمَا أدعوك إلى الطعام، وأحبُّ أن تطأ ثيابي<sup>٥</sup>، وتدخل منزلي، فأتبرك بذلك، وقد أحبَّ فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك؛ فصار إليه فلماً أُطعم منها أحسن السَّم، فدعا بدابته، فسأله ربَّ

١. سورة الجن / ١٨.

٢. في نسختين: ابن أبي زرقان.

٣. في نسخة: مُكَلِّمه.

٤. في نسختين: حضر مجلس بيته وقواده، في نسخة: حضر في بيته ومجلسه قواده.

٥. في نسخة: بياي.



المنزل أن يُقيم، قال: خُروجي من دارك خيرٌ لك، فلم يَزَلْ يومه ذلك وليله في خِلفَةٍ<sup>١</sup> حتى قُبِضَ عَلَيْهِ<sup>٢</sup>.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ<sup>٣</sup>  
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الآية الشريفة تفرّعة «على ما ذكره ﴿ك﴾ من كون الحدّ ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ و ﴿نَكَالاً﴾، فإنّ الهدف من تشريعه هو المنع من السرقة ورجوع المنكول به عن معصيته. فَمَنْ تَابَ من السَّرَاقِ من بعد ظلمه على نفسه وعلى الآخرين، ورجع عن ذنبه رجوع ندم على ما فعل، وعزم على الترك، وأصلح نفسه بالتزكية، وأرجع ما سرقه إلى أصحابه، وتفصّل من تبعاته، وقد عرفت في بحث التوبة أنّ ما اجتمع فيه حقّ الله تعالى وحقّ الناس، لا تتمّ التوبة إلّا بأداء الحقّين، ويكفي في حقّ الله تعالى الندم والعزم على الترك. وأما حقّ الناس فيعتبر فيه الإصلاح، وهو يختلف باختلاف الموارد، ففي السرقة يجب ردّ المسروق إلى مالكه والاسترضاء منه<sup>٣</sup>.  
﴿ف﴾ تفرّعية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجعلنا فعل الشرط وجوابه خبره.  
﴿تَابَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر. أي: ندم من الذهب وعزم على الترك ورجع إلى ربّه التّوَابَ.

١. الخِلفَة: الهَيْضَة، وهي القيء والإسهال.

٢. تفسير العياشي ٢/٤٦، ح ١١٠.

٣. مواهب الرحمن ١١/٢٤٧.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جار ومجرور متعلّ بـ ﴿تَابَ﴾ .  
 ﴿ظُلْمِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي من بعد ذنبه لأنّ كلّ ذنبٍ ظلمٌ على النفس لو لم يكن ظلماً على الغير.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿أَصْلَحَ﴾ معطوف على ﴿تَابَ﴾ وحذف مفعوله اختصاراً وتعميماً أي ردّ الأموال إلى أصحابها في السرقة وفي غيرها من الذنوب أيضاً إعادة حقوق الناس إليهم وقضاء ما عليه من حقوق الله.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.  
 ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ .  
 ﴿يَتُوبُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ .  
 ﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَتُوبُ﴾ ، والضمير يرجع إلى التائب.  
 وجملة ﴿يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ في محلّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ .  
 وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ في محلّ جزم جواب شرط.  
 أي: يقبل الله توبة المذنّب بإسقاط العقاب عنه، ترغيباً له في فعل التوبة.  
 ﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنْ﴾ .  
 ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ خبراً ﴿إِنْ﴾ . والجملة الأخيرة تعليل لقبول توبة العبد لأنّه تعالى ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .  
 ومن المعلوم أنّ قبول توبة العبد تفضّل من الله تعالى على عبده لأنّه ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

«قال السنة: توبه السارق لا تُسْقِطُ عنه الحدّ. وقال الشيعة الإمامية: إذا تاب السارق من تلقاء نفسه، وقبل أن تثبت السرقة عليه عند الحاكم فلا حدّ عليه.

ووافقهم على ذلك صاحب تفسير المنار، قال: «وإذا قيسَت السرقة على الحراة<sup>١</sup> فالقول بسقوط الحد ظاهر، إن تاب [السارق] قبل رفع أمره إلى الحاكم»<sup>٢</sup>،<sup>٣</sup>.

### رواية

في تفسير العياشي قال: وكتب إلينا أبو محمد يذكر عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن عامة أصحابه، يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، أنه كان إذا قطع السارق، ترك له الإبهام والراحة.

فقليل له: يا أمير المؤمنين، تركت عامة يده؟ قال: فقال لهم: فان تاب، فبأي شيء يتوضأ؟ لأن الله يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ... فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.<sup>٤</sup>  
القائل هو العياشي والمراد بأبي محمد، هو الفضل بن شاذان، وقد كان الفضل بن شاذان يكتبه كثيراً.<sup>٥</sup>

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾



الآية الشريفة «في موضع التعليل لما ذكر في الآية السابقة من قبول توبة السارق والسارقة إذا تابا وأصلحا من بعد ظلمهما فإن الله سبحانه لما كان ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

١. الحراة: قطع الطريق.

٢. تفسير المنار ٦/ ٣١٦.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٥٥.

٤. تفسير العياشي ٢/ ٤٤، ح ١٠٤.

٥. انظر: رجال الكشي / ١٥٨، رقم ٢٦٢ و / ٣٧٠، رقم ٦٩١ و / ٣٧٩، رقم ٧١١.

وَالْأَرْضِ، ولا ملك أن يحكم في مملكته ورعيته بها أحب وأراد من عذاب أو رحمة كان له تعالى أن ﴿يُعَذِّبَ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ على حسب الحكمة والمصلحة فيعذب [مثلاً] السارق والسارقة إن لم يتوبا، ويغفر لهما إن تابا<sup>١</sup>.

﴿أَ﴾ حرف استفهام. وهنا يدل على التقرير. ﴿لَمْ﴾ حرف نفى وجزم وقلب. ﴿تَعَلَّمَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت». خطاب للإنسانية وإلى كل مكلف من الناس وكل من يسمع ويقرأ كتاب الله تعالى لا للرسول الخاتم ﷺ وحده.

﴿أَنَّ﴾ حرف نصب وتوكيد ومشبه بالفعل، و ﴿أَنَّ﴾ مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر سدّ مسدّ مفعولي ﴿تَعَلَّمَ﴾ المتعدي إلى مفعولين.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿مُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

وجملة ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. وفيها «إيحاء إلى أن السارق الذي يريد من السرقة جمع المال فهو مخطئ في ذلك، ف ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يهب لمن يشاء ويمنع عن من يشاء، فهو القادر على كل شيء»<sup>٢</sup>.

﴿يُعَذِّبُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الله تعالى.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله. «إذا كان مستحقاً للعقاب»<sup>٣</sup> ولأنه كان قادراً على أن يعاقب على وجه الجزاء.

١. الميزان ٥ / ٣٣٠.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٢٤٨.

٣. التبيان ٣ / ٥٢٠.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَغْفِرُ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿لِمَنْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله. «إذا عصاه ولم يتب لأنه إذا تاب فقد وعد بأنه لا يؤاخذ به بعد التوبة وعند المخالفة يقبح مؤاخذته بعدها، فعلى الوجهين معاً لا يعلق ذلك بالمشيئة»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿عَلَى كُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَدِيرٌ﴾. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر.

والجملة الأخيرة تعليل لقوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. لأن من شؤون الملك هو القدرة التامة كما أن الملك من فروع الخلق والإيجاد أعني القيمومة الإلهية.

«بيان ذلك: إن الله تعالى خالق الأشياء وموجدتها فما من شيء إلا وما له من نفسه وآثار نفسه لله سبحانه، هو المعطي لما أعطي والمانع لما منع، فله أن يتصرف في كل شيء، وهذا هو الملك (بكسر الميم) قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>٢</sup>، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>٣</sup> وهو تعالى مع ذلك قادر على أي تصرف شاء وأراد إذ كلما فرض من شيء فهو منه، فله مضي الحكم ونفوذ الإرادة وهو الملك (بضم الميم) والسلطنة على كل شيء فهو تعالى مالك لأنه قيوم على كل شيء، ومليك لأنه قادر غير عاجز ولا ممنوع من نفوذ مشيئته وإرادته»<sup>٤</sup>.

١. التبيان ٣/ ٥٢٠.

٢. سورة الرعد / ١٦.

٣. سورة البقرة / ٢٥٥.

٤. الميزان ٥/ ٣٣٠.

### رواية

صحيحة جميل عن رجل عن أحدهما عليه السلام في رجل سرق، أو شرب الخمر، أو زنى، فلم يعلم بذلك منه ولم يؤخذ حتى تاب وصلاح، فقال: إذا صلح وعرف منه أمرٌ جميل، لم يقيم عليه الحد.

قال محمد بن أبي عمير: قلت: فإن كان أمراً قريباً لم يقيم؟

قال: لو كان خمسة أشهر أو أقل وقد ظهر منه أمرٌ جميل، لم يقيم عليه الحدود.<sup>١</sup>

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤١)

ذكر الله تعالى في الآية المنافقين الذين يؤمنون بأفواههم خوفاً أو طمعاً ولم تؤمن قلوبهم، ثم ذكر اليهود الذين يقبلون الكذب ويحرفون الكتب الإلهية وأوعدهم الخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ﴾ خطاب برسول الله ﷺ فيه غاية التشريف والقرب ويدل على أهميته الأمر وعظمته عند الله تعالى ولم يرد في القرآن الكريم إلا مرتين كليهما في

هذه السورة والآخر قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>١</sup>.  
 ﴿لَا تَحْزَنْكَ﴾ فعل نهي، فَتَحُ الياء هنا دليل على أَنَّ فَعْلَهُ ثَلَاثِي (حَزَنَ) وليس  
 رُبَاعِيًّا (أَحْزَنَ) وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْفِعْلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى لُغَةِ قُرَيْشٍ مِنَ الثَّلَاثِيِّ أَمَّا  
 (أَحْزَنَ) الرَّبَاعِيُّ فَهُوَ عَلَى لُغَةِ هَذِبِلَ فَلَا حِظَّ وَتَأْمَلْ. الحزن ضد السرور، تسليية  
 للرسول ﷺ وتطيب لنفسه الشريفة مما لاقى من المنافقين واليهود.  
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ فعل مضارع وفاعله وجار ومجرور له «المسارعة هي السير  
 الحثيث والمشية السريعة، والمسارعة إلى الشيء، غير المسارعة في الشيء، فَإِنَّ الْأَوَّلَى هِيَ  
 السَّعْدَةُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَارِجِ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ السَّعْدَةُ مِنَ الدَّخْلِ. أَي يَظْهَرُ مِنَ الْأَفْعَالِ  
 وَالْأَقْوَالِ التَّهَادِي فِي الْكُفْرِ. فَتَكُونُ فِي كَلِمَةِ ﴿فِي﴾ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُمْ مُسْتَقَرُّونَ فِي الْكُفْرِ  
 لَا يَبْرَحُونَ عَنْهُ، فَيَنْتَقِلُونَ مِنْ صَنْفٍ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى صَنْفٍ آخَرَ، فَتَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مَوْجِبَاتُ  
 الْكُفْرِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَفِي الْوَصْفِ ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إِشْعَارٌ بَعْلَّةُ النَّهْيِ عَنِ الْحُزَنِ،  
 أَي أَنَّ تِلْكَ الْمَسَارِعَةَ هِيَ السَّبَبُ لِحُزْنِهِ ﷺ. وَالْمَعْنَى: لَا يَحْزَنُكَ هَؤُلَاءِ بِسَبَبِ  
 مَسَارِعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا حَقِيقَةً، فَإِذَا سَنَحَتْ لَهُمُ الْفُرْصَةُ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ.  
 وَالْجُمْلَةُ تَدُلُّ عَلَى التَّسْلِيَةِ بِأَبْلَغِ وَجْهِ، فَإِنَّ النَّهْيَ عَنْ أَسْبَابِ الشَّيْءِ وَمُبَادِيهِ نَهْيٌ عَنْهُ  
 وَقَطَعَ لَهُ عَنْ أَصْلِهِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ نَهْيُ الرَّسُولِ ﷺ، وَإِنَّمَا النَّهْيُ لِلْكَفِّ عَنْ أَنْ  
 يَحْزَنُوهُ بِمَسَارِعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ، وَتَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ بِعَدَمِ تَأْثِيرِهِمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ الرَّسُولُ الْمُؤَيَّدُ  
 وَالْمَنْصُورُ الْمُسَدَّدُ»<sup>٢</sup>.

﴿مِنْ﴾ حرف جر بياني، بين لُحَالِ ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾.  
 ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فِي مَحَلِّ جَرٍّ. ﴿قَالُوا﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ.

١. سورة المائدة / ٦٧.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٢٦٨.

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماضٍ وفاعله والجملة الفعلية مفعول به - مقول القول - .  
 ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلقان بحال محذوفة أي ناطقين  
 ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي بألسنتهم.  
 ﴿و﴾ حالية.  
 ﴿لَمْ تُؤْمِنْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾. الدال على نفي الإيـمان.  
 ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه. أي لم يدخل الإيمان في قلوبهم بل هم ينطقون  
 بالإيمان بألسنتهم فقط.  
 ﴿و﴾ عاطفة.  
 ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ معطوفة على ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا﴾. وهم اليهود.  
 ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ جار ومجرور خبر مقدم.  
 ﴿سَمَّعُونَ﴾ مبتدأ مؤخر. أو خبر لمبتدأ محذوف. تقديره: هم ﴿سَمَّعُونَ﴾  
 أي: إنهم يكثرون السماع.  
 ﴿لِلْكَذِبِ﴾ جار ومجرور متعلق باسم الفاعل ﴿سَمَّعُونَ﴾ ويمكن أن يكون  
 «ل» زائدة والكذب مفعول ﴿سَمَّعُونَ﴾. أي «إنهم يكثرون من سماع الكذب، مع  
 العلم بأنه كذب، ومن دوام على سماعه كان كاذباً. ويحتمل أن يكون المراد من قوله  
 تعالى: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، سماعون للكذب فيك، كما يحتمل أن يكون المراد منه.  
 سماعون كلامك ليكذبوا عليك، قوله تعالى: ﴿تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ قرينة  
 على الثاني، ولعل حذف المتعلق يشمل الجميع، فإنهم مارسوا كلا الكذابين»<sup>١</sup>.  
 ﴿سَمَّعُونَ﴾ تأكيد لـ ﴿سَمَّعُونَ﴾ الأولى. أو خبر لمبتدأ محذوف، الثانية  
 بمعنى القبول والأولى بمعنى الإصغاء واختلاف المعنى موجب للتكرار. مع أن  
 التكرار في حد نفسه مبالغة في الذم والقدح والردع والزجر.



﴿لِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿سَمْعُونَ﴾ الثانية، نحو قولك: استمعتُ له.  
 ﴿ءَاخَرِينَ﴾ صفة ﴿لِقَوْمٍ﴾. وهو اليهود.  
 ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. والجملة الفعلية صفة  
 ثانية ﴿لِقَوْمٍ﴾. أي لم يحضروا مجلسك خوفاً أو بغضاً. أو أولئك الذين أرسلوا الوفد  
 ليسألوا النبي ﷺ ولم يأتوه بأنفسهم كما يأتي في شأن نزولها.  
 ﴿تُحَرِّفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، حال من الضمير الفاعلي في ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾. أو  
 صفة ثالثة ﴿لِقَوْمٍ﴾ ومعنى التحريف واضح وإطلاقه يشمل جميع أقسامه اللفظية أو  
 المعنوية.

﴿أَلَكَلِمَةٍ﴾ مفعول به. جمع الكلام أو الكلمة.  
 ﴿مِنْ بَعْدٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُحَرِّفُونَ﴾.  
 ﴿مَوَاضِعِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي من بعد الاستقرار في مستقرها.  
 ﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. حال آخر من الضمير الفاعلي في ﴿لَمْ  
 يَأْتُوكَ﴾ أو صفة رابعة ﴿لِقَوْمٍ﴾. وما بعده مقول القول، وفاعله علماء اليهود الذين  
 أرسلوا الوفد إلى رسول الله ﷺ.  
 ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.  
 ﴿أُوتِيْتُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمجهول ونائب فاعله، في محلٍّ جزمٍ لآته فعل  
 الشرط.

﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مفعول به. أي: إن حكم رسول الله ﷺ في الزنا بالجلد  
 أو في القتل بالدية.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.  
 ﴿حُدُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. جواب الشرط. ﴿و﴾ عاطفة.  
 ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تُؤْتَوُۥ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، فعل الشرط، أي: ﴿وَإِنْ﴾ لم يحكم رسول الله ﷺ بالجلد في الزنا أو في القتل بالدية.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَحْذَرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. جواب الشرط. أي فارفضوا ولم يقبلوا.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يُؤْدِ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط. وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿فَتَنَّتُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الفتنة: الاختبار وأصله: التخليص.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿تَمْلِكُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله أنت يا رسول الله ﷺ.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَمْلِكُ﴾.

﴿مِنْ رَبِّ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَمْلِكُ﴾.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول مطلق، أي نوع من الملك.

وحاصل المعنى: «إِنَّ اللَّهَ سبحانه نهي اليهود عن الكذب والتحريف، والمكر والخداع، وتوعدهم بالعذاب إن خالفوا وتمردوا. ولكنهم أصروا على العناد، ولم يكثرثوا بالنهي، ولا بالوعيد... فتركهم الله وشأنهم؛ ولم يردعهم بالقهر والفتنة، لأنه تعالى يعامل الناس - فيما يعود إلى أفعالهم - معاملة المرشد الناصح، لا معاملة القاهر الغالب»<sup>١</sup>.

فلا وجه لتحزن رسول الله ﷺ عليهم في كفرهم وغييهم لأن الله تعالى جعل لهم الاختيار وهم اختاروا الكفر والغي ولا محالة أصابهم عذاب الله تعالى وناره.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، وخبره جملة ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿أُولَئِكَ﴾.

﴿لَمْ يُرِدْ﴾ فعل مضارع مجزوم. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿أَنْ يُطَهَّرَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

والمعنى: أن اليهود «بلغوا في الغي والضلال مبلغاً لم تتعلق إرادة الله تعالى أن يطهر قلوبهم من الكفر والنفاق والخبث والضلالة، فهي باقية على قذارتها وختم عليها بالكفر. وإن من سنته تعالى أن لا يطهر قلب من تكرر منه العصيان، وانغمس في الكيد والضلال»<sup>١</sup>.

﴿هُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم، والضمير يرجع إلى المنافقين واليهود.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ جار ومجرور متعلق بحال من ﴿خِزْيٌ﴾.

﴿خِزْيٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ايعاد ﴿هُمْ﴾ «جزاء على أفعالهم الشنيعة، فقد أذلم الله تعالى في الدنيا، وكتب عليهم الجلاء من ديارهم، وأظهر كذبهم وكفر المنافقين، وأثبت الخوف في قلوبهم من المؤمنين»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ﴾ الجملة معطوفة على ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وتكرار

الضمير مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد.

﴿عَظِيمٌ﴾ نعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾. ايعاد ﴿لَهُمْ﴾ «في الآخرة فإن لهم العذاب العظيم

الذي لا يعرف كنهه وأمره إلا الله تعالى»<sup>٣</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٢٧١.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٢٧١.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ٢٧١.

### شأن نزولها

قال القمي: فإنه كان سبب نزولها أنه في المدينة بطنان من اليهود من بني هارون وهم: «النضير» و«قريظة»، وكانت قريظة سبعمائة والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالا وأحسن حالاً من قريظة، وكانوا حلفاء لعبدالله بن أبي؛ فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتل، وكان القتل من بني النضير، قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتل منّا بقتل منكم! فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة، حتى كادوا أن يقتتلوا حتى رضيت قريظة، وكتبوا بينهم كتاباً على أنه:

أي رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يجنيه ويحمّم - والتجنية أن يقعد على جمل ويولّى وجهه إلى ذنب الجمل، ويلطّخ وجهه بالحمأة<sup>١</sup> - ويدفع نصف الدية، وأبّا رجل من بني قريظة قتل رجلاً من بني النضير أن يدفع إليه الدية كاملة ويقتل به!

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود، فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير؛ فبعث إليهم بنو النضير، ابعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتى نقتله! فقالت قريظة: ليس هذا حكم التوراة، وإنّا هو شيء غلبتمونا عليه؛ فإمّا الدية وإمّا القتل، وإلا فهذا محمد بيننا وبينكم، فهلّموا لتحاكم إليه. فمشت بنو النضير إلى عبدالله بن أبي، وقالوا: سل محمداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين بني قريظة في القتل!

فقال عبدالله بن أبي: ابعثوا معي رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون، وإلا فلا ترضوا به. فبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله! إنّ هؤلاء القوم «قريظة والنضير» قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً

١. الطين الأسود المتغير، كما في مجمع البحرين ١/ ٤٥٠.

وثيقاً تراضوا به، والآن في قدومك يريدون نقضه، وقد رضوا بحكمك فيهم، فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم، فإن بني النضير لهم القوة والسلاح والكراع، ونحن نخاف الغوائل والدوائر!

فاغتم لذلك رسول الله ﷺ ولم يجبه بشيء، فنزل عليه جبرئيل بهذه الآيات: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا تَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ - يعني اليهود - ﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ تَحْزِنُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ - يعني عبدالله بن أبي وبني النضير - ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ - يعني عبدالله بن أبي حيث قال لبني النضير: إن لم يحكم لكم بما تريدونه فلا تقبلوا - ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلشُّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ٢.١

وقال الشيخ: قال أبو جعفر عليه السلام وجماعة من المفسرين ذكرنا أسماءهم: إن امرأة من خيبر - في شرف منهم - زنت وهي محصنة فكرهوا رجحها، فأرسلوا إلى يهود المدينة يسألون النبي ﷺ طمعاً أن يكون أتى برخصة، فسأله، فقال: هل ترضون بقضائي؟ قالوا: نعم، فأنزل الله عليه الرجم، فأبوه. فقال جبرائيل: سلهم عن ابن صوريا، ثم اجعله بينك وبينهم، فقال: تعرفون شاباً أيضاً أعوراً أمرداً يسكن فدكاً يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم، هو أعلم يهودي على ظهر الأرض بما أنزل الله على

١. سورة المائدة / (٤٤-٤١).

٢. تفسير القمي / ١ (٢٤٩-٢٤٧).

موسى. قال: فارسلوا إليه فأرسلوا فأتى، فقال له رسول الله ﷺ: أنت عبد الله بن صوريا. قال: نعم. قال: أنت أعلم اليهود قال: كذلك يقولون. قال رسول الله ﷺ: فأني أناشدك الله الذي لا إله إلا هو القوي إله بني إسرائيل الذي أخرجكم من أرض مصر، وفلق لكم البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون، وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى، وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه، هل تجدون في كتابكم الذي جاء به موسى الرجم على من أحسن؟ قال عبد الله بن صوريا: نعم، والذي ذكرتني لولا مخافتي من رب التوراة أن يهلكني إن كتبت ما اعترفت لك به، فأنزل الله فيه ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>١</sup> فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ﷺ ثم قال: هذا مقام العائد بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه، فأعرض النبي ﷺ عن ذلك، ثم سأله ابن صوريا عن نومه وعن شبه الولد بأبيه وأمه وما حظ الأب من أعضاء المولود؟ وما حظ الأم؟ فقال: تنام عيناى ولا ينام قلبي، والشبه يغلبه أي المائتين علا، وللأب العظم والعصب والعروق، وللأم اللحم والدم والشعر. فقال: أشهد أن أمرك أمر نبي، وأسلم، فشتمه اليهود. فقال المنافقون لليهود: إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوه وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا. وهو قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يعني الجلد ﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ وسلاه عن ذلك بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ فلما أرادوا الانصراف تعلقت قريظة بالنضير، فقالوا يا أبا القاسم - وكانوا يكرهون أن يقولوا يا محمد لئلا يوافق ذلك ما في كتابهم من ذكره - هؤلاء إخواننا بنوا النضير إذا قتلوا منا قتيلاً لا يعطونا القود وأعطونا سبعين وسقاً من تمر، وإن قتلنا منهم قتيلاً أخذوا القود ومعه سبعون وسقاً من تمر، وإن أخذوا الدية أخذوا منا مئة وأربعين وسقاً. وكذلك جراحاتنا على

أنصاف جراحاتهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾<sup>١</sup> فحكم بينهم بالسواء، فقالوا: لا نرضى بقضائك، فأنزل الله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَنَهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>٢</sup>.

ثم قال: ﴿وَكَيْفَ تَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾<sup>٣</sup> شاهداً لك بما يخالفونك. ثم فسر ما فيها من حكم الله فقال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾<sup>٤</sup> الآية ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾<sup>٥</sup> يعني بني النضير، لما قالوا لا تقبل حكمك ﴿يُصِيبُهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾<sup>٦</sup> وهو إجلالهم من ديارهم.<sup>٧</sup>

ثم قال في آخره: «والأصلح من هذه الأقوال أنها نزلت في ابن سوريا على ما قدمناه عن أبي جعفر عليه السلام وهو اختيار الطبري لأنه رواه أبوهريرة والبراء بن عازب وهما صحابييان»<sup>٨</sup>.

### رواية

عن سليمان بن خالد، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يقول: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ أَنْكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً بِيضَاءَ، وَفَتَحَ مَسَامِعَ قَلْبِهِ، وَوَكَّلَ بِهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ سَوْءٍ أَنْكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ وَسَدَّ مَسَامِعَ قَلْبِهِ، وَوَكَّلَ بِهِ شَيْطَانًا يُضِلُّهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

١. سورة المائدة / ٤٢.

٢. سورة المائدة / ٥٠.

٣. سورة المائدة / ٤٣.

٤. سورة المائدة / ٤٥.

٥. سورة المائدة / ٤٩.

٦. سورة المائدة / ٤٩.

٧. التبيان ٣ / ٥٢٥ و ٥٢٦.

٨. التبيان ٣ / ٥٢٧.

صَدْرَهُ ضَبِقًا حَرَجًا<sup>١</sup> الآية، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>٢</sup>﴾ وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ<sup>٣</sup>﴾.

﴿سَمْعُونََ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ<sup>٤</sup> فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ<sup>٥</sup> وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا<sup>٦</sup> وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ<sup>٧</sup> إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ<sup>٨</sup>﴾

أول الآية الشريفة أشارت إلى تعليل تعذيب اليهود في الدارين وبقيتها جعل الاختيار للنبي ﷺ في الحكم بينهم والأمر له بأن حكمه لا بد أن يكون ﴿بِالْقِسْطِ<sup>٧</sup>﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ<sup>٨</sup>.

﴿سَمْعُونََ لِلْكَذِبِ﴾ تكرارها مبالغة في الذم والقبح والردع والزجر، وتأکید أو تقرير أو تمهيد لما سيأتي أو اهتمام بشأن هذا الوصف، واليهود ﴿سَمْعُونََ لِلْكَذِبِ﴾ بجميع معانيه من حيث الكذب على الله ورسوله ﷺ والمؤمنين والحقائق والوقائع والتاريخ، وهذه صفة راسخة في قلوبهم وهم من أكابر الكذابين ومن أساتذة هذا الفن الكثيف.

﴿أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وصف آخر لليهود. السحت: المحظور الذي يلزم صاحبه العار كأنه يسحت أي يستأصل دينه ومروءته.

والسحت في اللغة: القشر الذي يستأصل، والمراد به هنا المال الحرام كالرشوة والقمار والسرقة والربا. وأجور الفواجر وثمر الخمر.

١. سورة الأنعام / ١٢٥.

٢. سورة يونس / ٩٦.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٤٨، ح ١١١.



﴿فَ﴾ تفرعية لما سبق من قضية اليهود. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿جَاءُوكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. في محلٍّ جزمٍ لأنه فعل الشرط.

والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود والمفعولي يرجع إلى الرسول الخاتم ﷺ .

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿أَحْكُمَ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول ﷺ في محلٍّ جزمٍ جواب الشرط.

﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. أي بين اليهود. ﴿أَوْ﴾ حرف عطف.

﴿أَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ معطوفة على ﴿أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾. فالنبي ﷺ خيرٌ بين الحكم بينهم وتركه، وهذا الاختيار باقٍ لأئمة المسلمين بناءً على المصالح كما هو المروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿تُعْرَضُ﴾ فعل مضارع مجزوم، فاعله الشرط، وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً لرسول الله ﷺ .

﴿عَنْهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿تُعْرَضُ﴾. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَنْ﴾ حرف نصب ونفي واستقبال.

﴿يَضْرُوكَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿لَنْ﴾ وفاعله ومفعول به في محلٍّ جزمٍ لأنه جواب الشرط.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول مطلق. أي ضرراً أي نوع من الضرر. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ معطوفة على ﴿وَإِنْ تُعْرِضَ عَنْهُمْ﴾. أي:

وإن اخترت الحكم فإنه ينبغي أن يكون الحكم بينهم بالعدل الذي أمر الله تعالى به لا بالظلم والبغى.

وبالجملة: إذا كان المتخاصمان غير مسلمين ورجعا إلى الفقيه الذي هو الحاكم الشرعي هو مخير بين الحكم بينهما أو عدم الحكم ورفضهما. ولكن إذا حاكم يجب عليه أن يفصل بينهما بحكم الإسلام لا بأحكام دينهم لقوله تعالى: ﴿إِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾.

«وإذا كان أحد المتخاصمين مسلماً، والآخر غير مسلم وجب على الحاكم قبول الدعوى والحكم بما أنزل الله بالتفاهق المسلمين»<sup>١</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ تعليل للحكم ﴿بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾.

والحاصل: إن الله «لا يرضى أن يجري بينهم إلّا حكمه فإمّا أن يجري فيهم ذلك أو يهمل أمرهم فلا يجري من قبله ﷺ حكم آخر»<sup>٢</sup>.

### الروايات

صحيحة عمار بن مروان قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الغلول؟ فقال: كل شيء غلّ من الإمام فهو سحتٌ، وأكل مال اليتيم وشبهه سحتٌ، والسحت أنواع كثيرة: منها أجور الفواجر، وثمر الخمر والنبيذ المسكر، والرّبا بعد البيّنة، فأما الرّشا في الحكم، فإنّ ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله ﷺ<sup>٣</sup>.  
معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: السحت: ثمن الميتة، وثمر الكلب، وثمر الخمر، ومهر البغي، والرّشوة في الحكم، وأجر الكاهن.<sup>٤</sup>

معتبرة أخرى للسكوني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نهى رسول الله ﷺ عن كسب الإماء؛ فإنّها إن لم تجد زنت، إلّا أمة قد عرفت بصنعة يد، ونهى عن كسب

١. التفسير الكاشف ٥٩/٣.

٢. الميزان ٣٤١/٥.

٣. الكافي ٦٨٥/٩، ح ١ (١٢٦/٥).

٤. الكافي ٦٨٧/٩، ح ٢ (١٢٧/٥).

الغلام الصَّغِيرَ الَّذِي لَا يَحْسُنُ صِنَاعَةً بِيَدِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَجِدْ سَرَقَ.<sup>١</sup>  
 خبر سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السَّحْتُ أنواعٌ كثيرةٌ، منها كسب الحِجَّامِ  
 إذا شارط، وأجر الزَّانية، وثمرن الخمر، فأما الرِّشَا في الحكم، فهو الكفر بالله العظيم.<sup>٢</sup>  
 خبر يزيد بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألتَه عن السُّحْتِ؟ فقال: الرِّشَا  
 في الحكم.<sup>٣</sup>

خبر القاسم بن الوليد العماري قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ثمن الكلب  
 الَّذِي لَا يَصِيدُ؟

فقال: سَحْتُ، وأما الصَّيْدُ فلا بأس.<sup>٤</sup>  
 خبر مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: الصُّنَّاعُ إذا سَهَرُوا اللَّيْلَ  
 كُلَّهُ، فهو سَحْتُ.<sup>٥</sup>

عن جَرَّاحِ الْمَدَائِنِيِّ<sup>٦</sup>، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مِنْ أَكْلِ السُّحْتِ: الرِّشْوَةُ فِي  
 الْحُكْمِ، وَعَنْهُ عليه السلام: وَمَهْرُ الْبَغِيِّ.<sup>٧</sup>

عن السَّكُونِيِّ، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنِ الْجَوْرِ الَّذِي يَجِيءُ بِهِ  
 الصَّبِيَّانِ مِنَ الْقَهَّارِ أَنْ يُؤْكَلَ، وَقَالَ: هُوَ السُّحْتُ.<sup>٨</sup>

الصدوق بإسناده عن علي عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَكْكَلُوا لِلْسُّحْتِ﴾ قَالَ: هُوَ

١. الكافي ٩/٦٩١، ح ٨ (١٢٨/٥).

٢. الكافي ٩/٦٨٨، ح ٣ (١٢٧/٥).

٣. الكافي ٩/٦٨٨، ح ٤ (١٢٧/٥).

٤. الكافي ٩/٦٨٨، ح ٥ (١٢٧/٥).

٥. الكافي ٩/٦٩١، ح ٧ (١٢٧/٥).

٦. وفي المصدر المدايني على رسم خط القدماء.

٧. تفسير العياشي ٢/٤٩، ح ١١٤.

٨. تفسير العياشي ٢/٥٠، ح ١١٧.

الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته.<sup>١</sup>  
والروايات الواردة حول «السحت» كثيرة جداً وقد ذكرت عشرين منها في موسوعي<sup>٢</sup>  
فراجعها إن شئت.

﴿وَكَيْفَ تُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

تعجيب من الله تعالى لرسوله ﷺ من أفعال اليهود وأحوالهم لأنهم قوم لهم  
كتاب وفيه شريعة وفقه فكيف يرغبون عن فقههم وشريعتهم ويحضرون على  
رسول الله ﷺ ويتحاكمون إليه وهم ينكرون نبوته وكتابه وشريعته ولا يقرّون بها،  
فإنكار الرسول ﷺ مع التحاكم إليه والبقاء على اليهودية مع ترك شريعتها وفقهها  
تناقضان واضحان يفعلهما اليهود والآية الشريفة أشارت إليهما وكشفت عنهما الغطاء.  
﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من الضمير الفاعلي  
في ﴿تُحْكُمُونَكَ﴾.

﴿تُحْكُمُونَكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود  
والمفعولي إلى رسول الله ﷺ. تقرير لليهود وبيان وجه التعجب النبي ﷺ.  
﴿وَ﴾ حالية. ﴿عِنْدَهُمُ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. خبرم قدم.

﴿التَّوْرَةُ﴾ مبتدأ مؤخر. على ما يدعون وإلا بحسب ما يحكي التاريخ ضاعت  
التوراة في أسر البابليون اليهود والموجودة عندهم «هي التي جمعها لهم عزراء بإذن

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٢٨، ح ١٦.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ٥/ ٥٢.

«كورش» ملك إيران بعد ما فتح بابل، وأطرق بني إسرائيل من أسر البابليين وأذن لهم في الرجوع إلى فلسطين وتعمير الهيكل، وهي التي كانت ييدهم في زمن النبي ﷺ، وهي التي ييدهم اليوم»<sup>١</sup>.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿حُكْمٌ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.

والجملة الاسمية ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ في محل نصب حال من ﴿التَّوْرَةِ﴾. و ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ باعتقادهم وادعائهم، أو أنَّ حكم الواقعة الموجودة في التوراة هو حكم الله الذي لا يتغير ولا يتبدل فيها وهو رجم المحصن أو القصاص في القتل العمد.

و «القرآن يصدق أن فيها حكم الله، وهو أيضاً يذكر أن فيها تحريفاً وتغييراً.

ويستنتج من الجميع: أن التوراة الموجودة الدائرة بينهم اليوم فيها شيء من التوراة الأصلية النازلة على موسى ﷺ وأُمور حُرِفَتْ وغيرت إمَّا بزيادة أو نقصان أو تغيير لفظ أو محلٍّ أو غير ذلك، وهذا هو الذي يراه القرآن في أمر التوراة»<sup>٢</sup>.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ معطوف على ﴿تُحْكِمُونَ﴾. «التولي هو الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق: الترك له وهو خلاف التولي إليه، لأنَّ الإقبال عليه والتولي له... ومنه تولى الله المؤمنين»<sup>٣</sup>.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جرٍّ بالاضافة. أي ﴿مِنْ بَعْدِ﴾

حكم رسول الله ﷺ في واقعته الموافقة لكتابهم التوراة.

١. الميزان ٥/ ٣٤٢.

٢. الميزان ٥/ ٣٤٢.

٣. التبيان ٣/ ٥٣١.

﴿و﴾ استثنائية.

﴿مآ﴾ نافية لا عمل لها على لغة بني تميم، وبمنزلة «ليس» بلغة أهل الحجاز وتسمى ﴿مآ﴾ الحجازية.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبني على الكسر ﴿أُولَئِكَ﴾ في محل رفع مبتدأ على لغة بني تميم، واسم ﴿مآ﴾ على لغة أهل الحجاز. إشارة إلى هؤلاء اليهود المذكورين.  
«والإتيان باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ قصداً إلى إحضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح، ولبيان العلة بأنهم تميزوا عن غيرهم أكمل تمييز حتى انتظموا في سلك المشاهدة»<sup>١</sup>.

﴿ب﴾ حرف جر زائد. يدل على التأكيد.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مجروره في محل رفع خبر المبتدأ على اللغة الأولى؛ وفي محل نصب على اللغة الثانية.

«حذف المتعلق يدل على العموم، أي فما هم بالمؤمنين لكتابهم لإعراضهم عنه، ولا بك لأنهم لم يرتضوا بحكمك الذي وافق ما في التوراة أيضاً»<sup>٢</sup>.

وبالجملة: «لا غرابة في أن يتولوا عن حكم النبي بعد أن رضوا به حكماً، وإنما يؤمنون بأهوائهم ورغباتهم... وكل من لا يرضى بالحق وحكمه فما هو من الإيمان الحق في شيء يهودياً كان أو مسلماً. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾»<sup>٣</sup>؛ ويأتي في الآية الآتية ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>٤</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٢٧٥.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٢٧٥.

٣. سورة النساء / ٦٥.

٤. التفسير الكاشف ٣ / ٦٠.

٥. سورة المائدة / ٤٤.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشَوْهُمْ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

الآية الشريفة: «بمنزلة التعليل لما ذكر في الآية السابقة، وهي وما بعدها من الآيات تبين أن الله سبحانه شرع لهذه الأمم على اختلاف عهودهم شرائع، وأودعها في كتب أنزلها إليهم ليهتدوا بها ويتبصروا بسببها، ويرجعوا إليها فيما اختلفوا فيه، وأمر الأنبياء والعلماء منهم أن يحكموا بها، ويتحفظوا عليها ويقوها من التغير والتحريف، ولا يطلبوا في الحكم ثمنًا ليس إلا قليلًا، ولا يخافوا فيها إلا الله سبحانه ولا يخشوا غيره.

وأكد ذلك عليهم وحذّرهم اتباع الهوى، وتفتين أبناء الدنيا، وإنما شرع من الأحكام مختلفًا باختلاف الأمم والأزمان ليتم الامتحان الإلهي فإن استعداد الأزمان مختلف بمرور الدهور، ولا يستكمل المختلفان في الاستعداد شدة وضعفًا بمكمل واحد من التربية العلمية والعملية على وتيرة واحدة»<sup>١</sup>.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.  
 ﴿التَّوْرَةَ﴾ مفعول به. والجملة الفعلية ﴿أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ خبر ﴿إِنَّا﴾. تدل على أن التوراة الواقعية هي منزلة على النبي موسى عليه السلام وتعدّ من الكتب السماوية.  
 ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.  
 ﴿هُدًى﴾ مبتدأ مؤخر، مرفوع بالضمة المقدرة على آخره - الألف المقصورة -

للتعذر. أي ﴿فِيهَا﴾ شيءٌ من الهداية يهتدي بها.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿نُورٌ﴾ معطوف على ﴿هُدًى﴾. أي و ﴿فِيهَا﴾ شيءٌ من النور يستضي به بني إسرائيل في المعارف والأحكام على حسب أحوالهم واستعدادهم.

«وقد بين الله سبحانه في كتابه عامة أخلاقهم، وخصوصيات أحوال شعبهم ومبلغ فهمهم، فلم ينزل إليهم من الهداية إلا بعضها ومن النور إلا بعضه لسبق عهدهم وقدمه أمتهم، وقلة استعدادهم، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ١١٢. ٢.

نعم، «كل كتاب أنزله الله على نبي من أنبيائه فهو نور يهدي إلى الحق والخير، والتوراة كتاب الله أنزله على موسى ﷺ فهو هدى ونور... أما توراة اليوم فليست من الله في شيء، لأنها أبعد ما تكون عن الهدى والنور، والحق والخير... إن تعاليمها تقوم على التفرقة العنصرية، فتجعل اليهود شعب الله المختار، يباح لهم غزو الشعوب الأخرى، وقتل رجالها، وذبح نسائها وأطفالها، ونهب أموالها، واحتلال ديارها» ٣٤.

﴿تَحْكُمُ﴾ فعل مضارع، حال من ﴿الْتَوَرَنَةُ﴾

﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَحْكُمُ﴾.

﴿النَّبِيُّونَ﴾ فاعل ﴿تَحْكُمُ﴾. وهم النبي موسى ﷺ والأنبياء الذين جاؤوا

بعده كداود وسليمان وزكريا ويحيى ﷺ.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت للموصوف ﴿النَّبِيُّونَ﴾.

١. سورة الأعراف / ١٤٥.

٢. الميزان ٥ / ٣٤٣.

٣. انظر فقرة ١٣ و ١٤ من اصحاح ٢٠ سفر التثنية.

٤. التفسير الكاشف ٣ / ٦١.



﴿أَسْلَمُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي ﴿أَسْلَمُوا﴾ أنفسهم لله، «إِنَّمَا وصف النبيين بالإسلام وهو التسليم لله، الذي هو الدين عند الله سبحانه للإشارة إلى أن الدين واحد، وهو الإسلام لله وعدم الاستنكاف عن عبادته، وليس لمؤمن بالله - وهو مسلم له - أن يستكبر عن قبول شيء من أحكامه وشرائعه»<sup>١</sup>.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَحْكُمُ﴾.

﴿هَادُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. يعني أنبياء الله ﴿أَسْلَمُوا﴾ أنفسهم لله وحكموا لليهود بحكم الله الوارد في التوراة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الرَّيْنِيُّونَ﴾ معطوف على ﴿الْيَهُودَ﴾. جمع رباني نسبة إلى الرب، أي الذي يرضي الرب بأقواله وأفعاله.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَحْبَارُ﴾ معطوف على ﴿الْيَهُودَ﴾. جمع حَبْر وهو العالم الخبير المتطلع في علمه.

﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿مَا﴾ اسم موصول في محل جر، متعلق بـ ﴿تَحْكُمُ﴾.

﴿أَسْتَحْفِظُوا﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله. أي إنهم كانوا يحكمون ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا﴾ لهم من أحكام الله الواردة في التوراة.

﴿مِنْ﴾ حرف جر، بياني.

﴿كُتِبَ لِلَّهِ﴾ مجروره ومضاف إليه. جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾، تقديره: حال كونه ﴿مِنْ كُتِبَ لِلَّهِ﴾.

﴿وَ﴾ حالية، والجملة بعدها حال.

﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقص واسمه يرجع إلى ﴿الرَّيْنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر كان. والضمير يرجع إلى ﴿كِتَبِ اللَّهِ﴾.  
 ﴿شُهِدَاءَ﴾ خبر «كان». أي أنهم ﴿شُهِدَاءَ﴾ على ﴿كِتَبِ اللَّهِ﴾ بأن ﴿مَا اسْتُحْفِظُوا﴾  
 لهم يعدّ من ﴿كِتَبِ اللَّهِ﴾ تعالى.  
 ﴿فَ﴾ تفرعية، تفرع على ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا﴾ أو على  
 ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهِدَاءَ﴾.  
 ﴿لَا تَخْشَوْا﴾ فعل نهي، خطاباً لجماعة خاصة من اليهود وهم ﴿الرَّبِّيُّونَ  
 وَالْأَحْبَارُ﴾.

﴿النَّاسَ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ استئنافية.  
 ﴿أَخْشَوْنَ﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به وهو ضمير «ي» حذف  
 اختصاراً والكسرة «ن» تدلّ عليه.  
 والوجه في النهي عن خشية الناس والأمر بخشية الله تعالى هو أَنَّ مَنْ عَرَفَ  
 حُكْمَ اللَّهِ لَا يَخَالِفُهُ إِلَّا ١- إمّا فخوفاً من الناس وأرباب الحكم من زوال قدرته ومنصبه  
 و....

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَشْتَرُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تَخْشَوْا﴾.  
 ﴿بِقَايَتِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿لَا تَشْتَرُوا﴾.  
 ﴿ثَمَنًا﴾ مفعول به.  
 ﴿فَلِيلًا﴾ نعتة. ٢- وإمّا فطمعاً في المال أو الجاه أو القدرة ونحوها.  
 فمنهى الله تعالى عنها.  
 ﴿وَ﴾ استئنافية.  
 ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.  
 ﴿لَمْ تَحْكَمْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، فعل الشرط في محلّ جزم، أي لم  
 يقض ولم يفت.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَمْ تَحْكُمُ﴾.  
 ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فعل ماض وفاعله. أي ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في كتابه.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية بعدها جواب الشرط في محلّ  
 جزم.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ثان.  
 ﴿الْكَافِرُونَ﴾ خبر ﴿هُمْ﴾. و ﴿هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ خبر ﴿أُولَئِكَ﴾.  
 والجملة الأخيرة عامة تشمل علماء اليهود وغيرهم فمن لم يقض ولم يفت بما  
 ورد في كتاب الله خوفاً من أحد أو طمعاً في شيء فهو كافر بالله العزيز، أعاذنا الله منه.

### الروايات

صحيحة أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من حكم في درهمين بغير  
 ما أنزل الله ﷻ فهو كافر بالله العظيم.<sup>١</sup>  
 رواها العياشي في تفسيره.<sup>٢</sup>  
 خبر عبد الله بن مسكان رفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ حَكَمَ فِي دَرَهْمَيْنِ  
 بِحَكْمِ جَوْرٍ ثُمَّ جَبَرَ عَلَيْهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.  
 فقلت: وكيف يجبر عليه؟  
 فقال: يكون له سوطٌ وسجنٌ، فيحكم عليه، فَإِنْ رَضِيَ بِحُكْمِهِ، وَإِلَّا ضَرَبَهُ  
 بسوطه، وحبسَه في سجنه.<sup>٣</sup>

١. الكافي ١٤ / ٦٤٠، ح ٢ (٤٠٨ / ٧).

٢. تفسير العياشي ٢ / ٥١، ح ١٢٣.

٣. الكافي ١٤ / ٦٤١، ح ٣ (٤٠٨ / ٧).

رواهما العياشي في تفسيره<sup>١</sup> والشيخ في التهذيب<sup>٢</sup>.

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: من حَكَمَ في دِرْهَمين بغير ما أنزل الله فقد كفر، ومن حكم في دِرْهَمين فأخطأ كفر.<sup>٣</sup>

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال علي عليه السلام: من قضى في دِرْهَمين بغير ما أنزل الله، فقد كفر.<sup>٤</sup>

عن مالك الجُهَنِي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، قال فينا نزلت.<sup>٥</sup>

عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام: أَنَّ مِمَّا اسْتُحِقَّتْ بِهِ الْإِمَامَةُ: التطهير، والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي تُوجب النار، ثم العلم المنور. بجميع ما تحتاج إليه الأمة من حلالها وحرامها، والعلم بكتابها خاصة وعامة، والمحكم والمتشابه، ودقائق علمه، وغرائب تأويله، وناسخه ومنسوخه.

قلت: وما الحجة بأن الإمام لا يكون إلا عالماً بهذه الأشياء الذي ذكرت؟

قال: قول الله في من أذن الله لهم في الحُكُومَة وجعلهم أهلها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ سَخَّكُم بِهَا التَّيُوتَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ فهذه الأئمة دون الأنبياء الذين يرثون<sup>٦</sup> الناس بعلمهم، وأمّا الأحبار فهم العلماء دون الربانيين، ثم أخبر فقال: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ ولم يقل

١. تفسير العياشي ٢/ ٥١، ح ١٢١.

٢. التهذيب ٦/ ٢٢١، ح ٥٢٤.

٣. تفسير العياشي ٢/ ٥١، ح ١٢٢.

٤. تفسير العياشي ٢/ ٥٢، ح ١٢٥.

٥. تفسير العياشي ٢/ ٥٠، ح ١١٩.

٦. وفي نسخة وبحار الأنوار ٢٥/ ١٤٩، ح ٢٤: «يربون».

بما حملوا منه.<sup>١</sup>

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ  
كَفَّارَةٌ لَهُ<sup>٢</sup> وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

«بيان لبعض ما فرضه الله تعالى في التوراة قد بقيت هذه الكتابة عليهم وقررتها  
الشرائع الإلهية الأخرى، وكانت خاتمتها الشريعة الإسلامية التي جعلت هذا الفرض  
قانوناً إلهياً بأبهي صورة وأبلغ تعبير في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلَى  
الْأَلْبَبِ﴾<sup>٢</sup>، وقد اعتبر أحسن تشريع في هذا الموضوع، حيث اهتم بجميع الجوانب  
المرتبطة به»<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة، والجملة بعدها معطوفة على قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ في  
صدر الآية السابقة.

﴿كَتَبْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الله تعالى ﴿كَتَبْنَا﴾ أي  
فرضنا.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَتَبْنَا﴾، والضمير يرجع إلى اليهود.

﴿فِيهَا﴾ كسابقه، والضمير يرجع إلى التوراة.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿النَّفْسَ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿بِالنَّفْسِ﴾ جار ومجرور خبر ﴿أَنَّ﴾. و «الباء» للمقابلة وهي هنا إنما وقعت بين

١. تفسير العياشي ٢/ ٥٠، ح ١٢٤.

٢. سورة البقرة / ١٧٩.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ٢٨٠.

المقتص له والمقتص به والمراد به أنَّ النفس تعادل النفس في باب القصاص، بلا فرق بين الملك والرعية والرئيس والمرئوس، وبلا فرق بين الغني والفقير، والعالم والجاهل، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى، والكبير والصغير، والشيخ والشاب.

والقصاص قانون إلهي ثابت في الشرائع الماضية والشرعية المقدسة الإسلامية لو يعمل به في جميع المراتب والطبقات والأزمنة والأمكنة يقف حمام الدم الذي يجري في أنحاء العالم لا سيما في قارتنا القديمة وبلادنا الإسلامية العزيزة.

وهذا القانون متكامل مترق ويحتاج البشرية به لأجل الحفاظ على دم الإنسانية النظيفة المحترمة.

ولكن مع الأسف لا يجري هذا القانون المتكامل إلّا في حقّ الطبقات الضعيفة فلا يثمر.

ومن أعجب العجائب الهجوم على هذا القانون المتراقي حتّى ممّن يزعمون أنّهم يُدافعُونَ عَنِ الْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، ولا يكون هذا الهجوم إلّا لأجل عدم إجرائه الكامل الصحيح، وإلى الله المشتكى وهو المستعان.

﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ الأسماء معطوفة بواوات العطف على ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾. وهذا بيان حكم القصاص في الجنايات التي وقعت على الأعضاء من القطع وغيره، و «أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجَوَارِحِ الْمَذْكُورَةِ تَعَادِلُ بِمَا يِمَاطِلُهَا فِي بَابِ الْقَصَاصِ، فَالْعَيْنُ تَقْفَى بِالْعَيْنِ، وَالْأَنْفُ يَجْدَعُ بِالْأَنْفِ، وَالْأُذُنُ تَصْلَمُ بِالْأُذُنِ، وَالسِّنُّ تَقْطَعُ بِالسِّنِّ إِذَا قُلِعَتْ. وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِي إِعْرَابِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَجُوهًا، وَالْحَقُّ أَنَّهَا جَمْلٌ تَامٌّ تَفِيدُ مَعْنَى تَامًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّقْدِيرِ أَوْ التَّأْوِيلِ»<sup>١</sup>.

﴿وَالْجُرُوحَ﴾ معطوفة بواو العطف على ﴿النَّفْسَ﴾، اسم ﴿أَنَّ﴾ قبلها ﴿قَصَاصٌ﴾

خبر ﴿أَنَّ﴾، أي القصاص ثابت في الجرح أيضاً.

«وبالجملة: إنَّ كلاً من النفس وأعضاء الإنسان مقتضٍ بمثله»<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ تفرعية على حكم القصاص، وما بعدها «بيان لاختيار المجني عليه أو وليه في إعمال حقه أو العفو عنه، وقدم الثاني ترغيباً إلى العفو وحثاً على الصدقة»<sup>٢</sup>.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجزائه خبره.

﴿تَصَدَّقَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط. أي ﴿فَمَنْ﴾ عفى<sup>٣</sup> من أولياء القصاص.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تَصَدَّقَ﴾. أي بما يملكه من القصاص.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها جواب الشرط.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿كَفَّارَةٌ﴾ خبر.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿كَفَّارَةٌ﴾. أي العفو كفارة لذنوب المتصدق والمجني عليه لا الجاني والمتصدق عليه.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ اعربت في الآية السابقة. والجملة معطوفة على ﴿مَنْ تَصَدَّقَ﴾، ومعناه: «وإن لم يتصدق فليحكم بما أنزل الله فإنَّ ﴿مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾»<sup>٤</sup>.

وهذا البيان من قبيل وضع العلة موضع معلولها.

«وإنما ذكر ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وفي السابق: ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، لأن الآية الأولى

١. الميزان ٥/ ٣٤٤.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ٢٨١.

٣. كما في تفسير القمي ١/ ٢٤٩.

٤. الميزان ٥/ ٣٤٥.

وردت لبيان عدم تصديقهم بما أنزله الله تعالى، وهو يستلزم الكفر، وفي المقام إنَّما كان إعراضاً في التطبيق على الوجه الذي أنزله الله اتِّباعاً للهوى بعد التصديق به، فكان ظلماً وذنباً كبيراً<sup>١</sup>.

### الروايات

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألتَه عن قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾؟ فقال: يُكْفِّرُ عنه من ذنوبه بقدر ما عفا، الحديث<sup>٢</sup>. رواها في الفقيه<sup>٣</sup>.

عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: إنَّ الله بعث محمداً عليه السلام بخمسة أسياف، سيف منها مغمود سلَّه إلى غيرنا وحُكِّمه إلينا، فأما السيف المغمود فهو الذي يُقام به القصاص، قال الله جلَّ وجهه: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية، فسَلَّه إلى أولياء المقتول، وحُكِّمه إلينا<sup>٤</sup>.

رواها الشيخ بسنده المعتبر عن حفص بن غياث<sup>٥</sup>.

صحيحة زرارة عن أحدهما عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ الآية قال هي: محكمة<sup>٦</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١/ ٢٨٢.

٢. الكافي ١٤/ ٥٠٣، ح ١ (٣٥٨/ ٧).

٣. الفقيه ٤/ ١٠٨، ح ٥٢٠٧.

٤. تفسير العياشي ٢/ ٥٣، ح ١٢٩.

٥. وهو من العامة.

٦. التهذيب ٦/ ١٣٧، ح ١.

٧. التهذيب ١٠/ ١٨٣، ح ١٥.



﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ  
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى  
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

تبين بعثة النبي عيسى عليه السلام بعد الأنبياء الذين كانوا يحكمون بالتوراة وتصديقه  
للتوراة بأفعاله وأقواله، مع مخالفته في بعض أحكام التوراة ولكن شريعته هو شريعة  
التوراة إلا ما خالف فيها ونقضها وهو قليل.  
﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها عطف على ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ سَحَّكُمُ بِهَا  
النَّبِيُّونَ﴾<sup>١</sup>.

﴿قَفَّيْنَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. أي أتبعنا. مادة «قفي» تدل على الاتباع.  
﴿عَلَىٰ آثَرِهِم﴾ جار ومجرور و مضاف إليه. والضمير يعود إلى ﴿النَّبِيُّونَ﴾،  
والآثار جمع الأثر وهو ما يحصل من الشيء ممَّا يدلُّ عليه، وغلب استعمالها في الشكل  
الحاصل من القدم ممَّن يمشي على الأرض.  
﴿بِعِيسَى﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَفَّيْنَا﴾. ﴿ابْنِ﴾ بدل من ﴿عِيسَى﴾.  
﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه. ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث مع العُجْمَةِ.  
إلى هنا «استعارة بالكناية أريد بها الدلالة على أنه سلك به عليه السلام المسلك الذي  
سلكه من قبله من الأنبياء، وهو طريق الدعوة إلى التوحيد والإسلام لله»<sup>٢</sup>.  
﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من ﴿عِيسَى﴾، أي إنه عليه السلام يصدق ويوافق.  
﴿لِّ﴾ حرف جر. ﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر، يتعلقان بـ ﴿مُصَدِّقًا﴾.

١. سورة المائدة / ٤٤.

٢. الميزان ٥ / ٣٤٥.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان، متعلق بفعل محذوف نحو: وجد.

﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي ﴿لَمَّا﴾ وجد ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. و ﴿لَمَّا﴾

حضر عنده.

﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ وتقديره: حال كونه

﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾. وإشارة إلى أن دعوة عيسى عليه السلام هي دعوة موسى عليه السلام من دون فرق.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ءَاتَيْنَاهُ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. معطوفة على ﴿قَفِينَا﴾. أي

أعطينا عيسى بن مريم عليه السلام.

﴿الْإِنْجِيلِ﴾ مفعول به ثان. وهو كتابه السماوي.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم. وفي الكتاب السماوي الأصلي لا

المحرّف.

﴿هُدًى﴾ مبتدأ مؤخر، مرفوع بالضمة المقدرة للتعذر على الألف المقصورة. أي

قسم من الهدى. والجملة ﴿فِيهِ هُدًى﴾ حال من ﴿الْإِنْجِيلِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿نُورٌ﴾ معطوف على ﴿هُدًى﴾، أي قسم من النور.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ عطف على ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأولى في الآية أو

عطف على الجملة الحالية ﴿فِيهِ هُدًى﴾ لأنّ ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مثلها، أي الإنجيل يكون

مصدقاً للتوراة كما كان عيسى عليه السلام مصدقاً له.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿هُدًى﴾ حال آخر لـ ﴿الْإِنْجِيلِ﴾. وحال جميع الكتب السماوية الأصلية هي

الهداية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَوْعِظَةً﴾ حال ثالث لـ ﴿الْإِنْجِيلِ﴾ لأنَّ أكثره مواعظ وإرشادات، أو عطف تفسيري لقوله: ﴿هُدًى﴾.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَوْعِظَةً﴾.

«تسأل: إنَّ الله سبحانه وصف الإنجيل الذي أنزله على عيسى بالهدى والنور، ثمَّ وصفه ثانية بالهدى والموعظة للمتقين فما هو الوجه لتكرار وصفه بالهدى في آية واحدة؟»

الجواب: إنَّ الهدى الأوَّل جاء وصفاً لطبيعة الإنجيل من حيث هو بقطع النظر عن العمل به، والهدى الثاني جاء وصفاً له من حيث العمل به، أي أنَّ هذا الذي في الإنجيل إنَّما يتتبع به ويتعظ بمواعظه المتقون، فهو تماماً كقولك: إنَّما يتتبع بالنور ذوو الأبصار، قال الإمام علي عليه السلام: «رَبِّ عَالَمٍ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَعَلِمَهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ». لأنَّه لم يعمل بعلمه، ونكرر القول: إنَّ المراد بالإنجيل في الآية الإنجيل الذي ينزه الله عن الولد والصاحبة، وينفي الربوبية عن عيسى عليه السلام ويبيِّن نبوة محمد ﷺ»<sup>١</sup>.

وبعبارة أخرى: «أنَّ قوله تعالى في وصف الإنجيل: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ محاذة لقوله في وصف التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ يراد به ما يشتمل عليه الكتاب من المعارف والأحكام غير أنَّ قوله تعالى في هذه الآية ثانياً: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ يدلُّ على أنَّ الهدى المذكور أولاً غير الهدى الذي تفسيره الموعظة فالهدى المذكور أولاً هو نوع المعارف التي يحصل بها الاهتداء في باب الاعتقادات، وأمَّا ما يهدي من المعارف إلى التقوى في الدين فهو الذي يراد بالهدى المذكور ثانياً.

وعلى هذا لا يبقى لقوله: ﴿وَنُورٌ﴾ من المصداق إلاَّ الأحكام والشرائع، والتدبُّر ربَّما ساعد على ذلك فإيَّها أمور يستضاء بها ويسلك في ضوئها وتنورها مسلك الحياة،

١. التفسير الكاشف ٦٤ / ٣.

وقد قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾<sup>١</sup>.  
وقد ظهر بذلك: أنَّ المراد بالهدى في وصف التوراة وفي وصف الإنجيل أولاً هو نوع المعارف الاعتقادية كالتوحيد والمعاد، وبالنور في الموضعين نوع الشرائع والأحكام، وبالهدى ثانياً في وصف الإنجيل هو نوع المواعظ والنصائح، والله أعلم.  
وظهر أيضاً وجه تكرار الهدى في الآية فالهدى المذكور ثانياً غير الهدى المذكور أولاً وأن قوله ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ من قبيل عطف التفسير والله أعلم.  
وأنَّ قوله ثانياً في وصف الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ ليس من قبيل التكرار لتأكيد ونحوه بل المراد به تبعية الإنجيل لشريعة التوراة فلم يكن في الإنجيل إلا الامضاء لشريعة التوراة والدعوة إليها إلا ما استثناه عيسى المسيح على ما حكاه الله تعالى من قوله: ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>٢</sup>.  
والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية الآتية في وصف القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾<sup>٣</sup>.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

أمر الله سبحانه كل من يدين بآدين أو يؤمن بكتاب من الكتب السماوية أن يعمل به ويلتزم نفسه بأحكامه والحكم والقضاة على طبقة.

١. سورة الأنعام / ١٢٢.

٢. سورة آل عمران / ٥٠.

٣. سورة المائدة / ٤٨.

٤. الميزان ٥ / ٣٤٦ و ٣٤٧.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿آ﴾ لام الأمر.  
 ﴿تَحْكُمُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿آ﴾ الأمر. ﴿أَهْلُ﴾ فاعله.  
 ﴿الْإِنْجِيلِ﴾ مضاف إليه. و ﴿أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾ هم النصارى.  
 ﴿بِمَا﴾ حرف جر واسم موصول مجروره. متعلق بـ ﴿لِيَحْكُمَ﴾.  
 ﴿أَنْزَلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.  
 ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الْإِنْجِيلِ﴾.  
 أي لابد للنصارى أن يحكمون ويقضون بكتابهم السماوي الإنجيل ويلتزمون  
 بأحكامه.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تشديد في الأمر وتأکید  
 في الحكم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

#### روايتان

حسنة أبي بصير قال: كنت جالساً عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخلت علينا أم خالد  
 - التي كان قطعها يوسف بن عمر - تستأذن عليه.  
 فقال أبو عبدالله عليه السلام: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم.  
 قال: فأذن لها، قال: وأجلسني معه على الطنفسة.  
 قال: ثم دخلت فتكلمت، فإذا امرأةً بليغةً، فسألتها عنهما، فقال: لها: توكليهما؟  
 قالت: فأقول لربي إذا لقيت: إنك أمرتني بولايتهما، قال: نعم.  
 قالت: فإن هذا الذي معك على الطنفسة يأمرني بالبراءة منهما، وكثير النّواء<sup>١</sup>  
 يأمرني بولايتهما، فأيهما خيرٌ وأحبُّ إليك؟

١. وهو ضعيف.

قال: هذا والله أحبُّ إليَّ من كثيرِ النّوّاء وأصحابه، إنّ هذا يخاصم فيقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>٣</sup>.

عن أبي جميلة، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليه السلام، قال: قد فرض الله في الخمس نصيباً لآل محمد عليه السلام، فأبي أبوبكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوةً، وقد قال الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وكان أبوبكر أول من منع آل محمد عليه السلام حقهم، وظلمهم، وحمل الناس على رقابهم، ولما قبض أبوبكر استخلف عمر على غير شورى من المسلمين، ولا رضا من آل محمد عليه السلام، فعاش عمر بذلك لم يعطِ آل محمد حقهم، وصنع ما صنع أبوبكر.<sup>٤</sup>

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

«بعد ما بين الله ﷻ شأن التوراة والإنجيل وأنها كتاب هدى ونور، وقد حتم على بني إسرائيل الحكم بما أنزل فيها وإقامتها، وشدد عليهم من ترك الحكم بهما،

١. سورة المائدة / ٤٤.

٢. سورة المائدة / ٤٥.

٣. الكافي ١٥ / ٢٤٧، ح ٧١ (١٠١ / ٨).

٤. تفسير العياشي ٢ / ٥٣، ح ١٣١.

واعتبر ذلك كفراً وظلماً وفسقاً، يذكر تعالى في هذه الآيات شأن القرآن العظيم ومكانته العظيمة بين الكتب الإلهية، فهو المهيمن عليهما، وأمر نبيه الكريم ﷺ بإقامته والحكم بما أنزل فيه، والإعراض عمّن صدّ عن الحقّ، ثم يبيّن سبحانه الحكمة في تعدّد الشرائع والمناهج، واعتبرها مقدّمات لهذا الدين الذي هو المقصد والنتيجة لها، فكان آخر الأديان الإلهية، وأمر رسوله العظيم بالاستقامة والإعراض عن الكافرين، وحذّره من الصدّ عن إقامة الحقّ واتّباع حكم الجاهلية، فإنّه سيجازيهم بأعمالهم في الدنيا وسيصيبهم عذاب الآخرة بما كسبت أيديهم<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. عطف على قوله: ﴿أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله.

﴿إِلَيْكَ﴾ جارٌ ومجرور متعلّق بـ ﴿أَنْزَلْنَا﴾. خطاب للنبي الخاتم ﷺ.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به. يعني: القرآن الكريم و «ال» للتعظيم والعهد. وبيان بأنّه الفرد الكامل الحقيقي بأنّ يسمّى كتاباً على الإطلاق فكان هو الجدير بأنّ ينصرف إليه لفظ الكتاب.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جارٌ ومجرور متعلّق بحال من ﴿الْكِتَابَ﴾. أي متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾. تأكيد بأنّ ﴿الْكِتَابَ﴾ حقّ و ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾<sup>٣</sup> تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ<sup>٣</sup>.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من ﴿الْكِتَابَ﴾. ﴿لَا﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر. جارٌ ومجرور متعلّق باسم فاعل ﴿مُصَدِّقًا﴾.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان. متعلّق بفعل محذوف تقديره: وجد أو استقر.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٣٠٤.

٢. سورة المائدة / ٤٤.

٣. سورة فصلت / ٤٢.

﴿يَدِيهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والضمير يرجع إلى ﴿الْكِتَابِ﴾.  
 ﴿مِنْ الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ الموصولة. و  
 ﴿مِنْ﴾ بياني و «ال» للجنس، أي: القرآن الكريم مصدق للكتب الإلهية السماوية  
 السابقة الأصلية. وتصديق الكتب يلزم تصديق أنبياء الذين يأتون بها بالمآل.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مُهِمِّنًا﴾ معطوف على ﴿مُصَدِّقًا﴾. أي رقيباً، ومادة «هيمن» تدلّ السلطة على  
 شيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرف فيه؛ والمراد به هنا تسلط القرآن على الكتب  
 الإلهية السابقة من التقرير والتبديل والتكميل والتقييد والتخصيص والنسخ.  
 ﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق باسم الفاعل والضمير يرجع إلى ﴿الْكِتَابِ﴾  
 الثاني.

﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿أَحْكُمُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول  
 الأعظم ﷺ. أي إذا كان كتابك الحقّ ﴿وَمُهِمِّنًا﴾ على الكتب السابقة ومسلطاً عليها  
 فلا بدّ أن تحكم أنت - صاحب القرآن - بين الناس بما فيهم أهل الكتاب.  
 ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه، والضمير يرجع إلى الناس وفيهم أهل  
 الكتاب.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَحْكُمُ﴾. ﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماض.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.

﴿تَتَّبِعُ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ ناهية وفاعله ضمير مستتر «أنت». «ونهي  
 المعصوم ﷺ عن اتباع الأهواء إمّا لأجل تعليم الغير، أو لأنّ النهي لمن لا يتصور  
 منه وقوع المنهي عنه جائز لا إشكال فيه»<sup>١</sup>.



﴿عَمَّا﴾ جار ومجرور - «عن» حرف جر و «ما» موصولة - متعلق بـ ﴿لَا تَتَّبِعْ﴾.  
 ﴿جَاءَكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به.  
 ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَاءَكَ﴾.  
 ﴿لِكُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾، ﴿لِكُلِّ﴾ نبي شريعة وطريق<sup>١</sup>.  
 ﴿جَعَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والمراد بالجعل هنا الجعل التشريعي.  
 ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾.  
 ﴿شِرْعَةً﴾ مفعول به. «الشريعة والشريعة واحد وهي الطريقة الظاهرة.  
 والشريعة هي الطريق الذي يوصل منه إلى الماء الذي فيه الحياة فقبل الشريعة في الدين  
 أي الطريق الذي يوصل منه إلى الحياة في النعيم، وهي الأمور التي تعبد الله ﷻ بها»<sup>٢</sup>  
 والأصل فيه الظهور.<sup>٣</sup>  
 ﴿و﴾ عاطفة.

﴿مِنْهَا جَا﴾ معطوف على ﴿شِرْعَةً﴾. المنهاج: الطريق المستمر الواضح. «بيان  
 لحقيقة من الحقائق الاجتماعية. وأساس هذه الحقيقة هو اختلاف استعداد أفراد  
 الإنسان ولياقتهم، فإن الله تعالى لم يخلقهم شرعاً سواء في القابلية والاستعداد  
 والملكات، والآية الشريفة بمنزلة التعليل لما ورد قبلها من الأمر والنهي، وفيها التأكيد  
 على متابعة الرسول ﷺ والانقياد لحكمه بما أنزل الله تعالى، لأن السابق وإن كان  
 منهاجاً وشريعة، إلا أن الذي كلّفوا به هو ما جاء به الرسول الأعظم، فإنه الحق دون  
 غيره مما نسخته هذه الشريعة التي هي أكمل الشرائع وأتمّها وأجمعها، ولا وجه لأخذ

١. تفسير القمي ١/ ٢٤٩.

٢. التبيان ٣/ ٥٤٤.

٣. التبيان ٣/ ٥٤٤.

الناقص، ولا سيما أن الإنسان لم يبق على واحدة، فهو في طريق الاستكمال والترقي<sup>١</sup>.  
 «والمعنى: جعلنا لكل أمة من الناس شريعة ومنهاجاً لا يمكن أن تتخطاها،  
 والاختلاف وإن كان في الفروع والأحكام العملية، ولكن الشرائع كلها اتفقت على  
 أصل الدين وجوهره، وهو المبدأ والمعاد، أي توحيد الله تعالى والدعوة إليه وتسليم  
 الوجه له، والأنبياء مهما اختلفوا في الأحكام الفرعية، إلا أنهم اتفقوا في ذلك، والآية  
 لا تدل على بطلان شرع من قبلنا، كما زعمه بعض المفسرين، فإنها ليست في مقام بيان  
 هذه الجهة، فقد تتحد الشرائع في كثير من الأمور، وإنها تختلف فيما يرجع إلى استعداد  
 البشر وحال الاجتماع والظروف التي تحيط بكل أمة، وقد تبادلت الشرائع فيما بينها  
 واختلفت في الأخذ والعطاء، فأخذت شريعة خاتم الأنبياء ﷺ الملة الحنيفية التي جاء  
 إبراهيم عليه السلام، وأقرت كثيراً من الأحكام التي نزلت في بقية الشرائع الإلهية، فإن طريق  
 الهداية واحدة، وإن اختلفت المسالك إليها»<sup>٢</sup>.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم. ﴿شَاءَ﴾ فعل ماض.

﴿أَلَلَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿جَعَلَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر ومفعول به أول. والمراد من  
 الجعل هنا الجعل التكويني.

﴿أُمَّةٌ﴾ مفعولٌ به ثانٍ. ﴿وَاحِدَةً﴾ نعت.

«بيان للسبب في اختلاف الشرائع، أي ولو شاء تعالى أن يجعلكم أيها الناس أمة  
 واحدة بأن يخلقكم مع استعداد واحد لا اختلاف في القابليات، فتتحد جميع الشرائع  
 والمناهج، فيكون المراد من الجعل هو الجعل التكويني، بمعنى خلقهم على مستوى  
 واحد من الاستعداد والتهيؤ والقابلية، لا أن يكون المراد منه النوعية الواحدة، فإن

١. مواهب الرحمن ١١/ ٣٠٧ و ٣٠٨.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ٣٠٩ و ٣١٠.

الناس أفراد نوع واحد، أي لم يخلقهم كسائر أنواع الخلق يقفون عند استعداد واحد، بل اختلفت العطايا الإلهية والفيوضات الربانية لأفراد هذا النوع، فجعلهم على تفاوت كبير في القابلية والاستعداد، فافتضى ذلك أن تختلف الشرائع والمناهج، لتتم سعادتهم وتكون سلماً لارتقائهم درجات الرقي والكمال، والأمم التي اختلفت الشرائع فيها قد ذكرها ﷻ في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾<sup>١</sup> ٢.

﴿و﴾ شرطية، وما قبلها « من قبيل وضع علة الشرط موضع الشرط ليتضح باستحضارها معنى الجزاء أعني قوله »<sup>٣</sup>.

﴿لَكِنْ﴾ حرف استدراك، لا عمل له. ﴿إِ﴾ حرف تعليل.

﴿يَبْلُوكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿إِ﴾ تعليل وفاعله ضمير مستتر «هو» و مفعول به. أي: ليمتحنكم.

«أن» مضمرة وما بعدها بتأويل مصدر في محل جرّ بـ ﴿إِ﴾ وجار ومجرور متعلق بفعل محذوف نحو: أراد «بلاءكم».

﴿فِي مَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَبْلُوكُمْ﴾.

﴿ءَاتَانَكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ و فاعله ضمير مستتر ومفعول به. أي: أعطاكم وأنعم عليكم.

وبالجملة: الأحكام الشرعية في جميع الأديان الإلهية ليست إلا امتحاناً إلهياً للإنسان في مختلف مواقف حياته.

و «لما كانت العطايا الإلهية لنوع الإنسان من الاستعداد والتهيؤ مختلفة

١. سورة الشورى / ١٣.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٣١٠.

٣. الميزان ٥ / ٣٥٢.

باختلاف الأزمان، وكانت الشريعة والسنة الإلهية الواجب اجراؤها بينهم لتتميم سعادة حياتهم وهي الامتحانات الإلهية تختلف لا محالة باختلاف مراتب الاستعدادات وتنوعها أنتج ذلك لزوم اختلاف الشرائع، ولذلك علل تعالى ما ذكره من اختلاف الشرعة والمنهاج بأن إرادته تعلق ببلاتكم وامتحانكم فيما أنعم عليكم<sup>١</sup>.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿أَسْتَقُوا﴾ فعل أمر وفاعله، الاستباق: أخذ السبق.  
 ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ مفعول به، جمع محلي بـ «ال» يفيد العموم فيكون ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ اسماً جامعاً لكل الفضائل والمكارم في ما يعود إلى الدنيا والآخرة.  
 ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور خبر مقدم.  
 ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. المرجع: مصدر ميمي من الرجوع.  
 ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير ﴿كُمْ﴾. ﴿فَ﴾ تفرعية.  
 ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أي يختبركم ويحكم بينكم.  
 ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.  
 ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَحْتَلِفُونَ﴾.  
 ﴿تَحْتَلِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل رفع خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

### رواية

صحيحة سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا يحلف اليهودي ولا النصراني ولا المجوسي بغير الله؛ إن الله يقول: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾<sup>٢</sup>.

١. الميزان ٥/ ٣٥٣.

٢. الكافي ١٤/ ٧٥٣، ح ٤ (٧/ ٤٥١).

ورواها العياشي في تفسيره<sup>١</sup>.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

أمر الله تعالى بالحكم والقضاء بين الناس ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وهو الحق الذي لا محيص عنه والعلم بأنه حق، ونهى عن اتباع أهواء الناس، لأن الحق قد وضعت معالمه واستقرت دعائمه وأركانه بنزول هذه الشريعة فلا بد من الحكم على طبقها.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى في الآية السابقة ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ كما يجوز أن يكون معطوفاً على جملة ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ من باب عطف الجملة على الجملة.

﴿أَنْ﴾ حرف مصدريّة أو تفسيرية وكسر آخره لالتقاء الساكنين.

﴿أَنْ﴾ المصدريّة وما بعدها بتأويل المصدر معطوف على ﴿الْكِتَابَ﴾ أي ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ والحكم.

و ﴿أَنْ﴾ التفسيرية، تقديره: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أن ﴿أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ف ﴿أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

«ومّا حسن عطف التفسير هنا طول الكلام الفاصل بين الفعل المفسر وبين

تفسيره»<sup>٢</sup>.

١. تفسير العياشي ٢/ ٥٣، ح ١٣٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير ٥/ ١٢٧.

﴿أَحْكَمْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم ﷺ .  
 ﴿بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ مرّ إعرابه ومعناه في الآية السابقة ولكن  
 «يختلفان فيما فُرِّعَ على كل منهما، ويعلم منه أن التكرار لحيازة هذه الفائدة فالآية الأولى  
 تأمر بالحكم بما أنزل الله وتحذر اتباع أهواء الناس لأنّ هذا الذي أنزله الله هي الشريعة  
 المجعولة للنبي ﷺ ولأمة فالواجب عليهم أن يستبقوا هذه الخيرات، والآية الثانية  
 تأمر بالحكم بما أنزل الله، وتحذر اتباع أهواء الناس وتبين أن توليهم ان تولوا عمّا أنزل  
 الله كاشف عن إضلال إلهي لهم لفسقهم وقد قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي  
 بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>١</sup>.

فيتحصل ممّا تقدم أنّ هذه الآية بمنزلة البيان لبعض ما تتضمنه الآية السابقة  
 من المعاني المفتقرة إلى البيان، وهو أنّ إعراض أرباب الأهواء عن اتباع ما أنزل الله  
 بالحقّ إنّما هو لكونهم فاسقين، وقد أراد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم الموجبة  
 لفسقهم»<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَحَذَرَهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. والضمير  
 الخطاب يرجع إلى الرسول الخاتم ﷺ والضمير الغياب يرجع إلى الناس. أمر الله  
 تعالى نبيه ﷺ بالحذر والإعراض.  
 ﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَفْتَنُوكَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. أي عن فتنتهم. أمر  
 نبيه ﷺ بالحذر عن فتنتهم مع كونه معصوماً بعصمة الله تعالى لأنّها لا تنافي الاختيار  
 أو من جهة تعليم الغير أو إظهار مكرهم وإيأسهم عن الافتتان.

١. سورة البقرة / ٢٦.

٢. الميزان ٥ / ٣٥٣.

- ﴿عَنْ بَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَقْتُولُكَ﴾ .
- ﴿مَا﴾ موصولة. ﴿أَنْزَلَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
- ﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾. والخطاب للنبي ﷺ وتكرار ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ تأكيد بأنهم مصرّون على التشكيك في الحكم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ولو على نحو الموجبة الجزئية الدالة عليها كلمة ﴿بَعْضٍ﴾ الواردة في الآية.
- ﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.
- ﴿تَوَلَّوْا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله في محلّ جزم لأنّه فعل الشرط، أي ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ واعرضوا عنه.
- ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.
- ﴿أَعْلَمَ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» في محل جزم جواب الشرط.
- ﴿أَنبَأَ﴾ كافة مكفوفة أو أداة حصر.
- ﴿يُرِيدُ﴾ فعل مضارع، المراد به الإرادة التكوينية.
- ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.
- ﴿يُصِيبُهُمْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾ ومفعول به. والمراد بالإصابة هنا هو الإضلال.
- ﴿بِبَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُصِيبُهُمْ﴾ والباء للسببية.
- ﴿ذُنُوبِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي أن توليهم عمّا ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿أَنبَأَ﴾ صدر عنهم بسبب ﴿بَعْضٍ ذُنُوبِهِمْ﴾ أعني فسقهم يؤدي إلى انكار ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وعدم الحكم بها والاعراض عن الأحكام الإلهية.
- ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿كَثِيرًا﴾ اسم ﴿إِنْ﴾.
- ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرًا﴾.
- ﴿لَ﴾ المزحقة، تأكيد. ﴿فَسِقُونَ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾.

والجملة الأخيرة تعليل لقوله: ﴿أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.  
وبالجملة: من أعرض عن الأحكام الإلهية فهو فاسق وفسقه يوجب اعراضه  
عنها والله العالم.

﴿أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ<sup>١</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

إنكارٌ وتوبيخٌ وتعجيبٌ للذين يتولّون عن أحكام الله تعالى ويريدون غيرها  
وكلّ حكم يخالف حكم الله فهو حكم الجاهلية بلا فرق بين عصر الجاهلية - قبل  
الإسلام - أو الجاهلية المدرنية - أي العصر الحاضر - «فإنّ التولّي عن حكم الله  
عجيب، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب، وفيه إشارة إلى أنّه ليس وراء ما أنزله  
الله تعالى إلّا حكم الجاهلية، فإذا تولّوا عن حكم الله ﷻ، فليس هناك إلّا حكم  
الجاهلية الذي يبتني على اتباع الهوى، ومتابعة النفس الأمّارة»<sup>١</sup>.

﴿أ﴾ حرف استفهام للاستنكار والتوبيخ والتعجيب.

﴿ف﴾ تفریع على تولّیهم عن أحكام الله تعالى النازلة إليهم والحقّ الذي علموا  
أنّه حقّ، ويمكن أن يكون ما بعده النتيجة المستفادة من الآيات السابقة.

﴿حُكَمَ﴾ مفعول به مقدّم لفعل ﴿يَبْغُونَ﴾.

﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ مضاف إليه و «المراد من الجاهلية هي كلّ ملّة باطلة وحكم جائر،  
الذي يكون منشأها العناد واللّجاج والإعراض عن الحكم الحقّ، اتّباعاً للهوى. وقد  
ورد في الحديث: «إنّ الحكم حكمان، حكم الله، وحكم الجاهلية»<sup>٢</sup>»<sup>٣</sup>.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٣١٥.

٢. يأتي آنفاً بعد تفسير الآية.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ٣١٥.



﴿يَبْغُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. وقرأ ابن عامر بالتاء الخطاب على صنعة الالتفات خطاباً لليهود أو كلِّ مَنْ طلب غير حكم الله من الذين يدعون الإسلام أو غيرهم. ومعنى ييغون: يطلبون «يقال بغى يبغي بغياً إذا طلبه، والبُغاة هم الذين يطلبون التآمر على الناس والترأس بغير الحق، والبغي: الفاجرة لأنها تطلب الفاحشة»<sup>١</sup>.

«إذا كانت هذه الأحكام والشرائع حقة نازلة من عند الله ولم يكن وراءها حكم حق لا يكون دونها إلا حكم الجاهلية الناشئة عن اتباع الهوى فهؤلاء الذين يتولّون عن الحكم الحقّ ماذا يريدون بتوليهم وليس هناك إلا ﴿حُكْمُ الْجَهْلِيَّةِ﴾؟»<sup>٢</sup>.  
﴿وَ﴾ حالة.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام. مبتدأ و الاستفهام الإنكاري في معنى النفي أي لا، والخطاب للمسلمين المؤمنين إذ لا فائدة في خطاب غيرهم.  
﴿أَحْسَنُ﴾ خبر. التفضيل والاطلاق يدلان على أنّ ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾<sup>٣</sup> يجمع حسن الدنيا والآخرة بجميع أنحائه ولا يكون حكماً أحسن منه.  
﴿مِنْ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَحْسَنُ﴾.  
﴿حُكْمًا﴾ تمييز، ويكون ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ هو الفاصل بين الحقّ والباطل ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ حقّ وغيره باطل.  
﴿إِ﴾ حرف جر وفيه أقوال:

١- قال أبو علي: «بمعنى عند»<sup>٤</sup> مثل كتبت له خمس خلون من شهر كذا، أي عند

١. التبيان ٣/ ٥٤٩.

٢. الميزان ٥/ ٣٥٦.

٣. سورة المائدة / ٤٣.

٤. التبيان ٣/ ٥٥٠.

خمس.

٢- لام البيان أو التبيين<sup>١</sup>: «وهي التي تدخل على المقصود من الكلام سواء أكان خبراً أم إنشاء، وهي الواقعة في نحو قولهم: سَقِيًّا لَكَ، وَجَدْعاً لَهُ، وفي الحديث «تَبًّا وَسُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»، وقوله تعالى: ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>٢</sup> ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾<sup>٣</sup>. وذلك أن المقصود التنبية على المراد من الكلام. ومنه قوله تعالى عن زليخا ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾<sup>٤</sup> لأن تهيؤها له غريب لا يخطر ببال يوسف فلا يدري ما أرادت فقالت له ﴿هَيْتَ لَكَ﴾<sup>٥</sup>.

٣- لام الاختصاص: نحو «الجنة للمتقين، لأن المؤمنين الموقنين هم وحدهم الذين يحكمون ويعملون بحكم الله»<sup>٦</sup>.

﴿قَوْمٍ﴾ مجرور حرف جر. والجار والمجرور متعلق بأصل الاستفهام.

﴿يُوقِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محل جرّ صفة لـ ﴿قَوْمٍ﴾.

«في أخذ وصف اليقين تعريض لهم بأنهم إن صدقوا في دعواهم الإيمان بالله فهم يوقنون بآياته، والذين يوقنون بآيات الله ينكرون أن يكون أحد أحسن حكماً من

١. جَرَيْنَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ وَإِلَّا فَإِنَّ الْبَيَانَ هُوَ بِمَعْنَى التَّبْيِينِ وَالشَّيْءُ لَا يُعْطَفُ عَلَى نَفْسِهِ. وَأَمَّا كِتَابُ أُدَيْبِ الْعَرَبِيِّ الْكَبِيرِ أَبِي عُثْمَانَ الْجَلَّاحِظِ (ت ٢٥٥هـ) المطبوع طبعات كثيرة باسم «البيان والتبيين» فالصواب أن عنوانه الصحيح: «البيان والتبيين» كما هو مرسوم على النسخ القديمة منه وَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عِلْمَائِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ شَيْخُ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِي وَمِنْ الْجُمْهُورِ الْأَسْتَاذُ الْمُحَقِّقُ عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُونَ الْمِصْرِيُّ (ت ١٩٨٨م).

٢. سورة المؤمنون / ٣٦.

٣. سورة يوسف / ٥١.

٤. سورة يوسف / ٢٣.


٥. تفسير التحرير والتنوير ١٢٨ / ٥.

٦. التفسير الكاشف ٧١ / ٣.

الله سبحانه<sup>١</sup>.

### رواية

موثقة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهلية، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وأشهد على زيد بن ثابت، لقد حكّم في الفرائض بحكم الجاهلية<sup>٢</sup>. رواها العياشي في تفسيره<sup>٣</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ 

الآية الشريفة وما بعدها «تبيّن أهم الأمور الاجتماعية التي فيها حياة الإسلام واستقلال المسلمين وثبات عقيدتهم، فقد حذّر سبحانه وتعالى المؤمنين اتّخاذ اليهود والنصارى أولياء، واعتبر توليتهم ظلماً يسلب الهداية التي يحتاج إليها المسلم في حياته الظاهرية والمعنوية، وهدّدهم بأنّه مَنْ فعل ذلك يكون منهم، لا علاقة له بهذا الدين»<sup>٤</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين على سبيل التحجب والمودّة.  
﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ فعل نهى وفاعله. الاتخاذ هو الاعتماد على الشيء لأمر ما، من باب افتعال من أخذ ومادّة أخذ تدلّ على تناول شيء اعتماداً عليه، ومنه: أخذ العلم

١. الميزان ٥/ ٣٥٦.

٢. الكافي ١٤/ ٦٣٩، ح ٢ (٤٠٧/٧).

٣. تفسير العياشي ٢/ ٥٤، ح ١٣٣.

٤. مواهب الرحمن ١١/ ٣٢٧.

أي تناول منه معتمداً عليه في نقله. ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾: أي لا تعتمدوا.

﴿الْيَهُودَ﴾ مفعول به أول. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النَّصْرَى﴾ معطوف على ﴿الْيَهُودَ﴾. عبّر عنهم بـ ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصْرَى﴾ دون أهل الكتاب، لإظهار الفارق الأساسي بينهما وبين الأمة الإسلامية وتبيين الاختلاف بينهم بالدين والاعتقاد والعمل والشرعة والاخلاق.

﴿أُولِيَاءَ﴾ مفعولٌ به ثانٍ. مادة «ولي» تدلّ على التبعية وتحقق شيئين أحدهما خلف الآخر. والمراد بالولاية هنا ليست المحبة والمودة والنصرة فقط بل هي التبعية وقبول ولايتهم.

لأنّ قبول ولايتهم والتبعية لهم يوجب الخروج عن ولاية الله وتبعية أولياء الله وهذا الخروج يوجب الخروج عن دين الله في اعتقاده وشريعته وأخلاقه فنهى الله تعالى عن هذه التبعية.

فلا يتم ما ذكره السيّدان الطّباطبائيّ والسبزواريّ رحمهما من أن معناها:

«أي لا تعاشرُوا اليهود والنصارى معاشرَةَ الأَحْبَابِ، تلقون إليهم بالمودة وتستنصرونهم في بعض شؤونهم، كما هو الأمر بالنسبة إلى ولاية المشركين. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾<sup>١</sup>»<sup>٢</sup>.

وعلة «النهي عن موادتهم الموجب لتجاذب الأرواح والنفوس الذي يقضي إلى التأثير والتأثر الأخلاقيين فإن ذلك يقلّب حال مجتمعهم من السيرة الدينية المبنية على سعادة اتباع الحق إلى سيرة الكفر المبنية على اتباع الهوى وعبادة الشيطان والخروج عن صراط الحياة الفطرية»<sup>٣</sup>.

١. سورة الممتحنة / ١.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٣٣٠.

٣. الميزان ٥ / ٣٧٢.

والشاهد لما ذكرنا قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ \* إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ<sup>١</sup>.  
 ﴿بَعْضُهُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ﴾.  
 ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ خبر.

﴿بَعْضُ﴾ مضاف إليه. إخبار من الله تعالى أَنَّ الكفار يوالي بعضهم بعضاً أو أَنَّ الكُفْرَ مِلَّةٌ واحدةٌ في مقابل المسلمين مع أنَّها ﴿الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ﴾ ملَّتَيْنِ وليسوا على وحدة المليّة ولكنهم يتحدون على المسلمين ويصيرون يداً واحدةً عليهم. وهذه الجملة في موضع التعليل للنهي السابق.  
 ويمكن أن يكون معناها: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ «هم أولياء لا تكمل إثمًا تتخذونهم أولياء لتتنصروا ببعضهم الذي هم أولياؤكم على البعض الآخر، ولا ينفعكم ذلك فإنَّ بعضهم أولياء بعض فليسوا ينصرونكم على أنفسهم»<sup>٢</sup>.  
 ﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ. وجملتا فعل الشرط وجزائه في محل رفع خبره.  
 ﴿يَتَوَلَّوْهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنَّه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. التولي: اتَّخَذَ الولي وقد مرَّ معنى الولي في هذه الآية الشريفة.  
 ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بحال محذوفة من ﴿مَنْ﴾. «مِنْ» تبيعية والضمير يرجع إلى المسلمين المؤمنين.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

١. سورة الممتحنة / ٩.

٢. الميزان ٥ / ٣٧٣.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد واسمه. والضمير يرجع إلى ﴿مَنْ﴾.  
 ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾ أي يكون ﴿مِنْهُمْ﴾. والضمير يرجع إلى  
 اليهود والنصارى. وهذا الحاق تنزيلي يصير به المؤمن يهودياً أو نصرانياً ويكون  
 بعضهم.

«يعني من استنصرهم واتخذهم أنصاراً ﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ أي محكوم له بحكمهم في  
 وجوب لعنه والبراءة منه ويحكم بأنه من أهل النار»<sup>١</sup>.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿لَا يَهْدِي﴾ فعل نفي وفاعله ضمير مستتر «هو». والجملة الفعلية وما بعدها  
 في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿الْقَوْمَ﴾ مفعول به. ﴿الظَّالِمِينَ﴾ نَعْتُ لـ ﴿الْقَوْمَ﴾<sup>٢</sup>.

يعني: ﴿مَنْ يَتَوَهَّمُ﴾ يصير ﴿مِنْهُمْ﴾ ويكون ظالماً مثلهم ومَنْ كان ظالماً لا يهديه  
 الله تعالى لـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

### تنبيه

«يتسع الإسلام لجميع الأديان والأجناس، لا فرق عنده بين الأسود والأبيض،  
 ولا العربي والعجمي، ولا بين المسلم وغير المسلم من حيث المساواة أمام العدالة  
 والقانون... فلكلِّ إنسانٍ كائناً من كان الحقُّ في أن يعيش بحرية وأمان على نفسه  
 وماله، ولا سلطان لأحد عليه ما كفَّ أذاه عن غيره، فإن تعدَّى وأفسد أقيم عليه  
 الحد... فإذا أساء المسلم إلى غيره وجب علينا نحن المسلمين أن نمقتة ونبرأ منه، وعلى  
 العدالة أن تردعه وتعاقبه، وإذا كفَّ اليهودي أو النصراني أذاه بسطنا له يد البر

١. التبيان ٣/ ٥٥٠.

٢. أبقينا على حَرَكََةِ ﴿الْقَوْمَ﴾ - هُنا وفي كُلِّ الكتاب - وَهِيَ النَّصْبُ عَلَى الْحِكَايَةِ كما لا يَخْفَى.

والإحسان، ولو أنكر نبوة محمد والقرآن، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ \* إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَنُّوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ<sup>١</sup>.

وإذا عطفنا هذه الآية التي رغب الله بها المسلمين في البر والإحسان إلى جميع الطوائف وأهل الأديان الذين لم ينصبوا العدا للمسلمين، إذا عطفنا هذه الآية على الآية التي نفسرها، وجمعناهما في كلام واحد يكون المعنى: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ إذا نصبوا العدا لكم، وكانوا حرباً عليكم، أما إذا كانوا وادعين مسالمين فعليكم أن تحسنوا العشرة معهم، وتعيشوا جميعاً متعارفين متآلفين... بل ولكم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، لأن الله يحب العدل والإحسان إلى جميع خلقه، من آمن أو كفر بشرط واحد: وهو أن لا يسيء إلى أحد، لأن الناس، كل الناس عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله... فالمبرر عنده تعالى لحسن العشرة مع أي إنسان، هو كف الإساءة والأذى، أما من جحد وكفر فعليه كفره....

وبهذه المناسبة نشير إلى أن كرهنا لليهود نحن المسلمين لا سبب له إلا أنهم قاتلونا في عقر ديارنا، وأخرجوا منها نساءنا وأطفالنا، كما أن السبب الأول والأخير لكرهنا وعدائنا للولايات المتحدة وانكلترا، ومن إليهما من دول الاستعمار التي ساندت إسرائيل هو أن هذه الدول ظاهرت إسرائيل على إخراج أهل فلسطين من ديارهم... ومرة ثانية نعيد خطاب الله لنا وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَنُّوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>٢</sup>.

١. سورة الممتحنة / ٨ و ٩.

٢. سورة الممتحنة / ٩.

### البتول واليهود والنصارى

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. أجمع المفسرون على أنّ المراد بعض اليهود أنصار بعض، وبعض النصارى أنصار بعض، وليس المراد أنّ كلّ طائفةٍ توالي الأخرى، لأنّ ما بين الطائفتين من العداء أكثر ممّا بين النصارى والمسلمين، فإنّ اليهود يرمون مريم بالفاحشة، والمسلمون يقدسونها ويبرأونها من كلّ عيبٍ.

وليس من شك أنّ المفسرين قد استوحوا هذا المعنى من العصر الذي عاشوا فيه، حيث لا شركات بتول عالمية، ولا مؤسسات احتكارية نهمة إلى التوسع والسيطرة على ثروات الشعوب ومقدراتها... أمّا اليوم وبعد أن قامت هذه الشركات والمؤسسات فقد رأى أصحابها المسيحيون في اليهود خير وسيلة يعتمدون عليها لتدعيم احتكاراتهم وأطماعهم، ومن أجل هذا أقاموا دولة إسرائيل في فلسطين وحرصوا على تعزيزها وحمايتها، ورسموا لها خطط العدوان والتوسع، وتعهدوا بالوقوف إلى جانبها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن... وتعلقت هي بأذيالهم، ودارت في فلكتهم، ونفذت خطط الاستعمار، وامتلئت أوامر العدوان بعد أن استبان لها أنّ حياتها رهن بالسمع والطاعة لأوامر الاستعمار، وتنفيذ خطته، وإلاّ تخلى عنها، وولت إلى غير رجعة... وإذا عقد المستعمرون وأذناهم الآمال على مخالاب إسرائيل فإنّا نعتد على الله، وعلى حقنا المشروع، واستعادة إيجابيتنا استعداداً للمعركة الحاسمة لاسترداد الحقّ السليب»<sup>١</sup>.

### رواية

عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَنْ تَوَلَّى آلَ مُحَمَّدٍ وَقَدَّمَهُمْ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ بِمَا قَدَّمَهُمْ مِنْ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ لِتَوَلَّيَهُ آلَ مُحَمَّدٍ،

١. التفسير الكاشف ٣/ (٧٤-٧٢).



لَا أَنَّهُ مِنَ الْقَوْمِ بِأَعْيَانِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْهُمْ بِتَوَلِّيهِ إِلَيْهِمْ وَاتِّبَاعِهِ إِيَّاهُمْ، وَكَذَلِكَ حَكَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢.١

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشِيَ أَن تَصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾

﴿ف﴾ تفريع على قوله تعالى في آخر الآية السابقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ومن آثار عدم هداية الله تعالى لـ ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أنهم يسارعون في موالاة اليهود والنصارى والضلال والغواية.

﴿تَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للنبي الخاتم ﷺ أعلمه الله أنه ﷺ يرى.

﴿تَرَى﴾ إن كانت بصرية فتحتاج إلى مفعول واحد وإن كانت قلبية فتحتاج إلى مفعولين.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان خبر مقدم. القلب في القرآن الكريم مَرَكَزُ إدراكات الإنسان ومَحَلُّ استقرار الفطرة السليمة والإيمان بالحقائق الثابتة.

١. سورة إبراهيم / ٣٦.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٤١٥، ح ٣٢.

﴿مَرَضٌ﴾ مبتدأ مؤخر. أي الشك والنفاق. «مرض القلب الذي اختص القرآن الكريم بذكره، من أسوأ الأمراض التي تصيب الإنسان، فإنه يخرج عنه استقامة الفطرة والطريق السوي إلى الشك والريب اللذين يستوليان على عقيدته ودينه وخلقه، فلا يمكن له أن يحصل ثبات واطمئنان واستقرار في إدراكاته الدينية، فيكون ضعيف الإيمان، متذبذباً فيه غير مستقر على خلق كريم، ويظهر أثره على عمله، فيصدر منه ما يناسب الكفر والنفاق، كما في المقام، فإنك ترى أن مرضى القلوب يتدرون في توثيق ولائهم مع الكافرين وتوكيده، فيسارعون في هذا الطريق مسارعة من يرغب في شيء ويجد في طلبه»<sup>١</sup>.

﴿يُسْرِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب حال لـ ﴿الَّذِينَ﴾ إن كانت ﴿تَرَى﴾ بصرية ومفعول ثانٍ لـ ﴿تَرَى﴾ إن كانت قلبية.

المسارعة: المسابقة. وأخذ السرعة والمراد بها هنا التوغل والتشدد.

﴿فِيهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُسْرِعُونَ﴾. والضمير يرجع إلى اليهود والنصارى. و«في» دال على الظرفية وأنهم منهم ولا يكونون خارجين عنهم. «وتختلف المسارعة في الشيء عن المسارعة إليه، فإن الأولى حاصلة من الداخل في الشيء والثابت فيه المستقر، وإنما كانت مسارعة من مرتبة إلى أخرى، فهم إنما يسارعون في مولاتهم للكافرين لزيادة تمكنهم فيها وثباتهم عليها. بخلاف المسارعة إلى الشيء الداخل فيه من خارجه»<sup>٢</sup>.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب حال وهذه المقالة الآتية صدرت منهم عذراً لدفع اللوم التوبيخ الصادرة من ناحية النبي ﷺ والمؤمنين إليهم. وإنما هي [المقالة] معذرة يخلقونها.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٣٣٥.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٣٣٥.

وقد نُسبَ الْقَوْلُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي لَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَا تَنْقُضْ حَكْمَ  
بَنِي النَّضِيرِ فَإِنَّا نَخَافُ الدَّوَائِرَ.<sup>١</sup>

﴿نَحْشَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» في محل نصب مقول القول.  
﴿أَنْ﴾ مصدرية، ناصبة. ﴿تُصِيبَنَا﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به مقدم.  
﴿دَائِرَةٌ﴾ فاعله. أي نازلة أو مصيبة. الدائرة: اسم فاعل من دار إذا عكس سيره  
فالدائرة: تغيير الحال وغلب إطلاقها على تغيير الحال من خير إلى شرّ ولذا قال الشيخ:  
«الدائرة: الدولة التي تحوّل إلى من كانت له عمّن هي في يديه»<sup>٢</sup>.

﴿وَأَ﴾ استثنائية.

﴿عَسَى﴾ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ، موضوع «في اللغة للشك وهي من الله تعالى تفيد  
الوجوب، لأنّ الكريم إذا أطمع في خير يفعله، فهو بمنزلة الوعد به في تعلق النفس به  
وإرجائها له، ولذلك حق لا يضيع ومنزلة لا تخيب»<sup>٣</sup>.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿عَسَى﴾. ﴿أَنْ﴾ مصدرية، ناصبة.

﴿يَأْتِي﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير «هو» مستتر. ﴿أَنْ يَأْتِي﴾ بتأويل  
مصدر «اتيان» في محل نصب خبر ﴿عَسَى﴾.

﴿بِالْفَتْحِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَأْتِي﴾. و«ال» للجنس. و«جنس الفتح  
ينطبق على كلّ فتح يظهر الله ﷻ به الإسلام ويعزّ الدين، وينصر المؤمنين على  
الكافرين، ويفضح به أعداءهم، ويكشف حقيقتهم ونواياهم. فتكون الآية الشريفة  
من الملاحم القرآنية التي ينبى فيها تعالى إعلاء كلمة الإسلام وظهورة على الكفر كلّ،  
بعد ما تستقبل الأمة من الحوادث ممّا تزعزع عقيدة كلّ فرد مؤمن إلّا من عصمه الله

١. تفسير القمي ١/ ٢٤٩.

٢. التبيان ٣/ ٥٥١.

٣. التبيان ٣/ ٥٥١.

تعالى، فلا تختص الآية الشريفة بعصر النزول ولا بطائفة خاصة<sup>١</sup>.  
﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿أَمْرٍ﴾ معطوف على ﴿الْفَتْحِ﴾. أي ﴿أَمْرٍ﴾ من قوة المسلمين ووهن اليهود والنصارى أو ﴿أَمْرٍ﴾ من تجديد عز المؤمنين وذلل المشركين أو اظهار نفاق وكفر الذين يتولون اليهود والنصارى أو كل ﴿أَمْرٍ﴾ يصيب نفعه إلى المؤمنين ويوجب تقويتهم وشوكتهم ودولتهم.

﴿مَنْ عِنْدَهُ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بصفة محذوفة من ﴿أَمْرٍ﴾ والضمير يرجع إلى الله تعالى وما يأتي من عند الله فهو ينفع المؤمنين قطعاً.  
﴿فَ﴾ عاطفة، تفريعية أو تعليلية.

﴿يُصْبِحُوا﴾ فعل مضارع ناقص منصوب بـ «أن» واسمه.  
﴿عَلَى مَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَدِيمِينَ﴾ و ﴿مَا﴾ موصولة.  
﴿أَسْرُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله أي يستترون.  
﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿أَسْرُوا﴾.  
﴿نَدِيمِينَ﴾ خبر ﴿يُصْبِحُوا﴾.

لـ «أنهم اسروا في أنفسهم النفاق وتولّى اليهود والنصارى، وجدّوا في المسارعة فيه إرضاء للشهوات الدنيئة في نفوسهم، لينالوا به ملاذ الدنيا وإطفاء نور الله ﷻ، وهو الذي مراد اليهود والنصارى أيضاً، ولكنهم غفلوا عن عواقب الأمور وأن الله محيط بهم، فقد يفضحهم ويقطع أملهم، فيصبحوا على ما أسروه نادمين»<sup>٢</sup>.

### رواية

عن داود الرقي، قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل وأنا حاضر، عن قول الله

١. مواهب الرحمن ١/ ٣٣٨.

٢. مواهب الرحمن ١١/ ٣٣٩.

سبحانه وتعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾.

فقال: أذن في هلاك بني أُمَيَّة بعد إحراق زيد بسبعة أيام.<sup>١</sup>

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُولَا الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خُسِرِينَ﴾



«لما أظهر الله المسلمين على أعدائهم لم يستطع المنافقون أن يخفوا ما في أنفسهم من الحسرة واللوعة، وظهر أثرها في فلتات ألسنتهم، وصفحات وجوههم... فتعجب المؤمنون من حال المنافقين حين تكشف حقيقتهم، وقال بعضهم لبعض: أهؤلاء الذين كانوا يحلفون بالأمس أغلظ الإيذان مجتهدين في تأكيدها أنهم متنا ومعنا؟ ما أجرأهم على الكذب والرياء»<sup>٢</sup>.

و«الآية الشريفة تعجيب حالهم، وتبجيل للمؤمنين، وتكريم لهم ووعدٌ بالنصرة والغلبة والجزاء الحسن، ولا اختصاص لهذا القول بالدنيا، بل هو صادر من المؤمنين في الآخرة بعد فضيحتهم ويأسهم وانقطاع أملهم، بل يمكن القول بأن ذلك حاصل في هذه الدنيا، فإن المؤمن ينظر بنور الله فيرى أن حال هؤلاء آيلة إلى الخسران، فيتعجب من حالهم وهم في غفلة من عاقبة أمرهم، فالقول يمكن أن يكون لفظياً صادراً من المؤمنين، ويمكن أن يكون حكاية عما يدور في نفوس المؤمنين، لكشف حقيقة أعداء الله تعالى والمنافقين لهم في هذه الدار الفانية، ويرشد إلى ما ذكرناه ذيل

١. تفسير العياشي ٢/ ٥٤، ح ١٣٤.

٢. التفسير الكاشف ٣/ ٧٥.

الآية الشريفة في المقام ومواضع أخرى في القرآن الكريم»<sup>١</sup>.

﴿و﴾ استثنائية أو عاطفة. قرأ ابن كثير وعامر ونافع بلا ﴿و﴾ والباقون بالواو.  
﴿يَقُولُ﴾ كلهم قرأ بضم اللام إلا أباعمر و يعقوب فإنه فتحها. ومن قرأها  
بالضم على أنها مبتدأ أو استئناف بياني جواب سؤال مقدر تقديره: ماذا يقول المؤمنون  
حينئذٍ.

ومن فتحها عطفاً على قوله تعالى: ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾<sup>٢</sup> أو على قوله: ﴿فَيُصْبِحُوا﴾<sup>٣</sup>  
المعطوف على ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعل.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. يعني: «يقول المؤمنون للمنافقين تعجباً من  
حالهم وتقريعاً لهم بعاقبة أمرهم، وتبجحاً بما من الله على المؤمنين من الإخلاص  
والنصرة، فالخطاب للمنافقين ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾»<sup>٤</sup>.  
﴿أ﴾ استفهام تعجبي. من هنا ﴿أ﴾ إلى ﴿لَعَنَكُمْ﴾ مقول القول.  
﴿هَؤُلَاءِ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. إشارة لليهود والنصارى أو إلى ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَّرَضٌ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول. خبر. ﴿أَقْسَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَقْسَمُوا﴾.

﴿جَهْدَ﴾ مفعول مطلق لـ ﴿أَقْسَمُوا﴾ لأنه مضاف إلى ﴿أَيْمَنِهِمْ﴾ بمعنى القسم  
فيكون مثل قعدت جلوساً وجلست قعوداً.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٣٤١.

٢. سورة المائدة / ٥٢.

٣. سورة المائدة / ٥٢.

٤. سورة المائدة / ٥٢.

٥. مواهب الرحمن ١١ / ٣٤٠.

﴿جَهْدَ﴾ الأيَّان - بفتح الجيم - أقواها وأغلظها، وحقيقة الجهد التعب والمشقة ومنتهى الطاقة، وفعله كمنع. ثم أطلق على أشدِّ الفعل ونهاية قوّته لما بين الشدّة والمشقة من الملازمة، وشاع ذلك في كلامهم ثم استعمل في الآية في معنى أوكد الأيَّان وأغلظها، أي أقسموا أقوى قَسَم، وذلك بالتوكيد والتكرير ونحو ذلك مما يغلظ به اليمين عرفاً. ولم أر إطلاق الجهد على هذا المعنى فيما قبل القرآن<sup>١</sup>.

﴿أَيَمَّنِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿إِنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد، واسمه. ﴿لَ﴾ المرحلة، تأكيد.

﴿مَعَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿إِنَّ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أو إلى اليهود والنصارى على عكس ﴿هَتُولَاءِ﴾. ويمكن ارجاع الضمير إلى المؤمنين المخلصين أيضاً كما مرّ في صدر الآية.

﴿حَاطَتْ﴾ فعلٌ ماضٍ مؤنث، أي: فسدت وتلّفت.

﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. يمكن رجوع الضمير «إلى اليهود والنصارى، وإلى ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ لكن الظاهر من السياق أن الخطاب للذين ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾، والإشارة إلى اليهود والنصارى»<sup>٢</sup>.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿أَصْبَحُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿خَسِرِينَ﴾ خبره. «خسروا الدنيا لأنهم خُذِلُوا وخسروا الآخرة لما أعد لهم من العذاب الأليم»<sup>٣</sup>.

«جملة مستأنفة تبين حقيقة حالهم وما عليه مآلهم، بلا فرق بين أن نقول هي حكاية المؤمنين، أو قول الله تعالى، فإن فيها التعجب منهم من أنه كيف آل أمرهم إلى

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٣٣.

٢. الميزان ٥/ ٣٧٧.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٧٥.

الخسران، وحبطت أعمالهم مع مسارعتهم في تولي أعداء الله تعالى، الشك في أمر الرسول ﷺ، وقد أعطوه الأيـان المغلطة على أنهم مع المؤمنين، فحبطت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها نفاقاً، وخسروا ما كان يترتب عليها من الأجر والثواب لو كانوا في إيمانهم صادقين.

إنَّ حبط الأعمال يختص ببعض الذنوب الكبيرة، والمقام منها، فإنَّ النفاق والتلاعب بأحكام الله تعالى مما يوجب حبط الأعمال والخسران<sup>١</sup>.

أو «كالجواب لسؤال مقدر، والمعنى: وعسى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده فيقول الذين آمنوا لهؤلاء الضعفاء الإيـان عند حلول السخط الإلهي بهم: أهؤلاء اليهود والنصارى هم ﴿الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي أيمانهم التي بالغوا وجهدوا فيها جهداً ﴿إِنَّهُمْ لَعَكُمْ﴾ فلماذا لا ينفعونكم؟! ثم كأنه سئل فقل: إلى م انتهى أمر هؤلاء المواليين؟ فقل في جوابه: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾<sup>٢</sup>.

### رواية

صحيحة أبي بصير، قال: أبو جعفر عليه السلام يقول: إنَّ الحكم بن عتيبة وسلمة، وكثيراً النّوء، وأبا المقدام، والتّمار - يعني سالماً<sup>٣</sup> - أضلُّوا كثيراً ممّن صلّ من هؤلاء الناس، وإنهم ممّن قال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ

١. مواهب الرحمن ١١ / ٣٤١.

٢. الميزان ٥ / ٣٧٧.

٣. هؤلاء من البترية، وهم فرقة من الزيدية، قيل: سموا بذلك لأنهم ينتسبون إلى كثير النّوء، وكان أوتر اليد، وقيل: لأنَّ زيد بن علي عليه السلام قال لهم: بترتم أمرنا، بتركم الله. وهم الذين دعوا إلى ولاية علي عليه السلام فخلطوها بولاية أبي بكر وعمر، وجوّزوا إمامة المفضول على الفاضل إذا كان الأخير راضياً، وكانوا يبغضون عثمان وطلحة والزبير وعائشة، وقالوا: من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام وكان زاهداً شجاعاً فهو الإمام. معجم الفرق الإسلامية / ٥١.



بِْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾

رواها العياشي في تفسيره وزاد عليها.

وَأَتَاهُم مِّنَ اللَّهِ: ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ ٣.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ سَخِيمٍ  
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا  
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

«الآية الشريفة تبين حقيقة من الحقائق الواقعيّة، وهي أنّ قوام هذا الدين إنّما يكون بالعمل بأحكامه وتشريعاته وتعاليمه، وأنّ النكوص عن ذلك يوجب الارتداد عنه، وأنّ الله سوف يؤيّد الدين بأقوام يحبّهم ﷺ ويحبّونه، لهم صفات خاصّة لها المدخليّة في إقامة الحقّ وإزهاق الباطل، ولا يخلو ارتباطها بما سبق من الآيات الشريفة التي بين ﷺ فيها بعض التعاليم التي بها يقوم عمود هذا الدين، كما لا يخفى أنّها توطئة لأمر مهمّ هو أساس الدين وركنه الوثيق، وفيها الوعيد على من ينكص على عقبيه ويرتدّ عن دينه ويرفض التعاليم الإلهيّة، ووعد لمن يطيع الله ورسوله وأولياءه» ٤.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب متضمن لكمال العناية واللفظ بعباده المؤمنين.

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ. وجعلنا فعل الشرط وجوابه خبره.

١. سورة البقرة / ٨.

٢. رجال الكشي / ٢٤٠، ح ٤٣٩.

٣. تفسير العياشي / ٢ / ٥٤، ح ١٣٥.

٤. مواهب الرحمن / ١١ / ٣٥٥.

﴿يَرْتَدَّ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر «هو»، ارتدَّ عن دينه رجع عنه، الارتداد: الرجوع من الإيمان إلى الكفر اعتقادياً كان أو عملياً.  
 ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بحال محذوفة من اسم الشرط ﴿مَنْ﴾.  
 و ﴿مِنْ﴾ بيانيّ والضمير يرجع إلى المؤمنين وتقديره: حال كونه ﴿مِنْكُمْ﴾.  
 ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلّق بـ ﴿يَرْتَدَّ﴾.  
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿سَوْفَ﴾ حرف استقبال.  
 ﴿يَأْتِي﴾ فعل مضارع، الاتيان هنا بمعنى اليجاد. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.  
 ﴿بِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَأْتِي﴾، أي ﴿بِقَوْمٍ﴾ مكانكم.  
 ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، والجملة الفعلية في محلّ جر صفة ﴿قَوْمٍ﴾ يعني: يحبّ الله القوم.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُحِبُّونَهُ﴾ معطوف على ﴿يُحِبُّهُمْ﴾. فعل مضارع وفاعله ومفعول به. قصة الحبّ لا يكون إلّا من الطرفين. أي: إنهم يحبون الله.  
 ﴿أَذَلَّةٍ﴾ صفة أخرى لـ ﴿قَوْمٍ﴾. ﴿أَذَلَّةٍ﴾: جمع ذليل وهو الذي وصف بالذلّ - بضم الدال وبكسرهما - أي الهوان والطاعة فهو ضدّ العزّ والمراد بها هنا التواضع والتعاطف واللين والحنان.

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَذَلَّةٍ﴾.  
 ﴿أَعَزَّةٍ﴾ صفة ثالثة لـ ﴿قَوْمٍ﴾. ﴿أَعَزَّةٍ﴾: جمع عزيز وهو الذي وصف بالعزّ وهو القوة والاستقلال.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَعَزَّةٍ﴾.  
 ﴿يُجَاهِدُونَ﴾ صفة رابعة لـ ﴿قَوْمٍ﴾. فعل مضارع وفاعله. إنّما جاءت الجملة ﴿يُجَاهِدُونَ﴾ هنا صفة، لأنّ الجمل بعد النكرات صفات.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿تُجَاهِدُونَ﴾. وكل عمل يسد حاجة أو يدفع ظلامة فهو جهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية.

﴿لَا تَخَافُونَ﴾ فعل نفي وفاعله. صفة خامسة لـ ﴿قَوْمٍ﴾ وتكون في محل جر أو حال من الضمير الفاعلي في ﴿تُجَاهِدُونَ﴾ بتقدير: حالهم أنهم ﴿لَا تَخَافُونَ﴾. لأنهم كانوا على ثقة بأنفسهم وأصالة في آرائهم.

﴿لَوْمَةً﴾ مفعول به، واحدة من لوم وأريد بها هنا مطلق المصدر أي ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ جميع أنواع اللوم.

﴿لَا يَمِرُّ﴾ مضاف إليه.

وفي الجملة ﴿لَا تَخَافُونَ لَوْمَةً لَا يَمِرُّ﴾ ثلاثة عمومات: عموم الفعل في سياق النفي وعموم المفعول وعموم المضاف إليه وهذا الوصف علامة صدق إيمانهم. ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى مجموع صفات الكمال المذكورة. ﴿فَضْلٌ﴾ خبر. ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.

﴿يُؤْتِيهِ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، في محل نصب حال ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به ثان.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ممن له الاستعداد والقابلية لتحمل تلك الصفات الحميدة.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ خبران أو أن الثاني نعت للأول.

أي كثير الفضل لا يخاف نفاد ما عنده وعليم بموضع جوده وعطائه.

### شأن نزولها

قال القمي: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين غصبوا آل محمد ﷺ حقهم وارتدوا عن دين الله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ نزلت في القائم ﷺ وأصحابه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾<sup>١</sup>.

### الروايات

عن سليمان بن هارون، قال: قلت له: إن بعض هذه العجالة يقولون: إن سيف رسول الله ﷺ عند عبدالله بن الحسن؟

فقال: والله ما رآه هو ولا أبوه بواحدة من عينيه، إلا أن يكون رآه أبوه عند الحسين ﷺ، وإن صاحب هذا الأمر محفوظ له، فلا تذهبن يميناً ولا شمالاً، فإن الأمر والله واضح، والله لو أن أهل السماء والأرض اجتمعوا على أن يحولوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا، ولو أن الناس كفروا جميعاً حتى لا يبقى أحد لجاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون من أهله.

ثم قال: أما تسمع الله يقول: ﴿يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ - حتى فرغ من الآية - وقال في آية أخرى ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾<sup>٣</sup> ثم قال: إن أهل هذه الآية هم أهل تلك الآية<sup>٤</sup>.

ونحوها في الغيبة<sup>٥</sup> للنعماني.

١. تفسير القمي ١/ ٢٥٠.

٢. العجالة: جمع عجل، وفي بحار الأنوار ٢٧/ ٤٩، ح ١: العجلية، وهم طائفة من الغلاة، أتباع عمير ابن بيان العجلي. راجع: معجم الفرق الإسلامية / ١٧٠.

٣. سورة الأنعام / ٨٩.

٤. تفسير العياشي ٢/ ٥٥، ح ١٣٦.

٥. الغيبة / ٣١٦، ح ١٢.

عن بعض أصحابه، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألتُه عن هذه الآية ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال: الموالى.<sup>١</sup>

فراة قال: حدثني الحسين بن سعيد معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال: علي وشيعته.<sup>٢</sup>

قال أبو جعفر عليه السلام وأبو عبدالله عليه السلام وروي ذلك عن عمار وحذيفة، وابن عباس: أنها نزلت في أهل البصرة ومن قاتل علياً عليه السلام فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: يوم البصرة «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» وتلا هذه الآية.<sup>٣</sup>

عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: ربّ أصحابي أصحابي!! فيقال: لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم إرتدّوا على أدبارهم القهقري.<sup>٤</sup>

يروى عن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فضرّب يده على عاتق سلمان الفارسي فقال: هذا وذووه، ثم قال: لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله من أبناء فارس.<sup>٥</sup>

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾



هذه الآية الشريفة سيقّت لبيان الولاية الكلية الإلهية في تثبيت دين الله تعالى

١. تفسير العياشي ٥٦/٢، ح ١٣٧.

٢. تفسير الفرات ١٢٣/٢، ح ٢٢.

٣. التبيان ٥٥٥/٣.

٤. تفسير الثعلبي ٧٩/٤؛ صحيح البخاري ٢٠٨/٧.

٥. تفسير الثعلبي ٧٩/٤؛ مجمع الزوائد ٦٤/١٠؛ تاريخ دمشق ٤٧/٥١.

وارساء قواعد الإيمان وتطبيق شريعته، فمن أَمَعِنَ النظر فيها وألقى العناد والمجادلة في الحق يظهر له هذه الولاية بوضوح.

﴿إِنَّمَا أَدَاةٌ حَصِرَ كَافَّةً مَكْفُوفَةٌ دَالَّةٌ عَلَى قَصْرِ الْأَفْرَادِ بِمَعْنَى أَنَّ الْوَلِيَّ فَقَطْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ لَا غَيْرَ أَوْ قَصْرَ قَلْبٍ بِمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ هُمُ الْأَوْلِيَاءُ فَقَطْ لَا غَيْرَ، فَيَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ أَيْضًا.

﴿وَلِيُّكُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه والضمير يرجع إلى المؤمنين، والولي هو الذي يلي الأمر، يعني الذي يلي أمر المؤمنين ويتصدى شؤونهم والمراد بها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>١</sup>.

﴿اللَّهُ﴾ خبر، الولاية أولاً وبالذات لله تعالى فقط. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿رَسُولُهُ﴾ معطوف على اسم الجلالة ومضاف إليه. ثم ثانياً وبالعرض جعل الله الولاية لرسوله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، معطوف على اسم الجلالة.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عام يشمل كل المؤمنين ولكن يراد به هنا شخص واحد - وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - لأن:

- استعمال الجمع في موضع الأفراد وبالعكس من أساليب البلاغة.

- وقد استعمل «القرآن ذلك في غير موضع: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾<sup>١</sup>، والمراد به نعيم بن مسعود الأشجعي، وقصته معروفة ومذكورة في كتب التفسير والتاريخ. قال: تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾<sup>٢</sup>. وقال

١. سورة الأحزاب / ٦.

١. سورة آل عمران / ١٧٣.

٢. سورة آل عمران / ٦١.

تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ﴾<sup>١</sup>، والمعروف أنَّ القائل هو عبدالله بن أبي بن سلول. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾<sup>٢</sup>. والمنفق إمَّا هو عليٌّ عليه السلام أو غيره، وغير ذلك من الموارد الكثير<sup>٣</sup>، بل يمكن القول أنَّ أكثر ما ورد في القرآن الكريم من السؤال إنَّما هو من واحد، مثل قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾<sup>٤</sup>، والسائل هو واحد<sup>٥</sup>.

ومن الممكن أنَّه استعمل في معنى الجمع مع الحاق أولاد أمير المؤمنين المعصومين الأحد عشر عليهم السلام به عليه السلام فحينئذ اللفظ استعمل في معنى الموضوع له. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، بدل ﴿الَّذِينَ﴾ السابق، أو صفة لـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾. ﴿يُقِيمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. واستعمال فعل المضارع يدلُّ على الاستمرار والدوام.

﴿الصَّلَاةُ﴾ مفعول به. يعني هم الذين يصلون على الدوام وصفتهم أنَّهم المصلون.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿يُؤْتُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿الزَّكَاةُ﴾ مفعول به. صفة ثابتة لهم أنَّهم على الدوام والاستمرار يكونون في مقام إعطاء الزكاة. و﴿الزَّكَاةُ﴾ انصرفت إلى الصدقة الواجبة المعروفة وقد يطلق على الصدقة المندوبة.

﴿و﴾ حالية وما بعدها حال من الضمير الفاعلي في ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

١. سورة المنافقون / ٨.

٢. سورة البقرة / ٢٧٤.

٣. وكثيراً جع كتاب «المراجعات» للأمام السيّد عبدالحسين شرف الدين الموسوي رحمته الله فقد ذكر نُكاتٍ أُخرى في علة التعبير عن المفرد بالجمع في هذه الآية الكريمة.

٤. سورة البقرة / ٢١٥.

٥. مواهب الرحمن ١١ / ٤٠٥.

﴿هُم﴾ مبتدأ. ﴿رَكْعُونَ﴾ خبر.

### كلمات مفسري العامة أنّها نزلت في عليّ عليه السلام

قال الطبري: «فإنّ أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال: بعضهم: عُني به علي بن أبي طالب. وقال بعضهم: عُني به جميع المؤمنين»<sup>١</sup>.

وقال الزمخشري: «وأنّها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راعٍ في صلاته فطرح له خاتمه، كأنّه كان مرجاً في خنصره، فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته. فإن قلت: كيف صح أن يكون لعليّ عليه السلام واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتّى إنّ لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها»<sup>٢</sup>.

وقال البيضاوي: «وأنّها نزلت في علي عليه السلام حين سأله سائل وهو راعٍ في صلاته، فطرح له خاتمه. واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأموال والمستحق للتصرف فيها، والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضاً خلاف الظاهر وإن صح أنّه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه، وعلى هذا يكون دليل على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة»<sup>١</sup>.

وقال الثعالبي: «ولكن اتفق مع ذلك أن علي بن أبي طالب عليه السلام أعطى خاتمه

١. تفسير الطبري ٦/٣٤٣.

٢. الكشف ١/٦٤٩.

١. تفسير البيضاوي ٢/١٦٩.



وهو راکع»<sup>١</sup>.

وقال أبو السعود: «وروي أنّها نزلت في علي عليه السلام حين سأله سائل وهو راکع فطرح إليه خاتمه كأنه كان مرجاً في خنصره غير محتاج في إخراجِه إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة، ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله عليه السلام، وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى زكاة»<sup>٢</sup>.

وقال الفخر الرازي: «روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. روى أن عبد الله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدّق بخاتمه على محتاج وهو راکع، فنحن نتولاه. وروى عن أبي ذر عليه السلام أنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم أشهد أني سألت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راکعاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمراءى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾<sup>٣</sup> إلى قوله ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾<sup>٤</sup>، فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وََجَعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا﴾<sup>١</sup> اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري. قال أبوذر: فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾<sup>٢</sup> إلى آخرها، فهذا مجموع ما يتعلق بالروايات في

١. تفسير الثعالبي ٢/ ٣٩٦.

٢. تفسير أبي السعود ٣/ ٦٤.

٣. سورة طه / ٢٥.

٤. سورة طه / ٣٢.

١. سورة القصص / ٣٥.

٢. سورة المائدة / ٥٥.

هذه المسألة<sup>١</sup>.

وقال السيّد الآلوسي الشافعيّ ثمّ الحنفيّ: «وغالب الأخباريين على أنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه، فقد أخرج الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد متصل قال: «أقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّ منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس وإنّ قومنا لما رأونا آمنا بالله تعالى ورسوله ﷺ وصدّقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشقّ ذلك علينا، فقال لهم النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾<sup>٢</sup>، ثمّ إنه ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: نعم خاتم من فضة، فقال: من أعطاك؟ فقال: ذلك القائم، وأوماً إلى علي كرم الله تعالى وجهه، فقال النبي ﷺ: على أيّ حال أعطاك؟ فقال: وهو راکع، فكبر النبي ﷺ ثمّ تلا هذه الآية» فأنشأ حسان رضي الله تعالى عنه يقول:

أبا حسنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهَجَّتِي	وَكُلُّ بَطِيءٍ فِي الْهُدَى وَمُسَارِعِ
أَيَذْهَبُ مَدْحِيكَ الْمُحَبَّرُ ضَائِعاً	وَمَا الْمَدْحُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ بِضَائِعِ
فَأَنْتَ الَّذِي أُعْطِيتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعاً	زَكَاةً فَدَتَكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ رَاكِعِ
فَأَنْزَلَ فِيكَ اللَّهُ خَيْرَ وِلَايَةٍ	وَأَثْبَتَهَا أَثْنَا كِتَابِ الشَّرَائِعِ <sup>١</sup>

وقال ابن عاشور: «روى الحاكم وابن مردويه: جاء ابن سلام (أي عبداً لله) ونَفَرٌ من قومه الَّذِينَ آمَنُوا (أي من اليهود) فشكوا للرّسول ﷺ بعد منازلهم ومنازلة اليهود لهم فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾<sup>٢</sup> ثمّ إنّ الرّسول خرج إلى المسجد فبصر

١. التفسير الكبير ١٢/٢٦.

٢. سورة المائدة / ٥٥.

١. روح المعاني ٦/٤٥٨.

٢. سورة المائدة / ٥٥.

بسائل، فقال له: هل أعطاك أحد شيئاً، فقال: نعم خاتم فضة أعطانيه ذلك القائم يصلي، وأشار إلى عليّ، فكبر النبي ﷺ، ونزلت هذه الآية، فتلاها رسول الله<sup>١</sup>.

### استدلال الشيعة بها على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل

قال شيخ الطائفة: «واعلم إن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل.

ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق. وثبت أيضاً أن المعني بقوله ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أمير المؤمنين عليه السلام فإذا ثبت هذان الأصلان دلّ على إمامته؛ لأنّ كلّ مَنْ قال: إنّ معنى الولي في الآية ما ذكرناه قال إنّها خاصة فيه. ومن قال: باختصاصها به عليه السلام قال المراد بها الإمامة<sup>٢</sup>... «فالذي يدلّ على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو المخصوص بها أشياء:

منها: أن كلّ مَنْ قال: إنّ معنى الولي في الآية معنى الأحقّ قال إنّّه هو المخصوص به. ومن خالف في اختصاص الآية يجعل الآية عامة في المؤمنين وذلك قد أبطلناه.

ومنها: ان الطائفتين المختلفتين الشيعة وأصحاب الحديث رويوا أن الآية نزلت فيه عليه السلام خاصة.

ومنها: أن الله تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيه، لأنّه قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فبيّن أن المعني بالآية هو الذي أتى الزكاة في حال الركوع. وأجمعت الأمة على أنّه لم يؤت الزكاة في حال الركوع غير أمير المؤمنين عليه السلام<sup>١</sup>.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٣٨.

٢. التبيان ٣/ ٥٥٩.

١. التبيان ٣/ ٥٦١.

### وقد اعترض العامة على هذا الاستدلال بوجوه وجوابها

**الأول:** أن الولي في اللغة جاء بمعنى الناصر والمحب، كما جاء بمعنى المتصرف، والاستدلال مبني على المعنى الثاني وهو غير متعين.

**ويرد عليه:** الولي يستعمل في اللغة بمعنى الأولى والأحق كما يقال للسلطان المالك للأمر: فلان ولي الأمر وفلان ولي العهد، و «قال النبي ﷺ: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» يريد من هو أولى بالعقد عليها. وقال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ عَالِي عَقُوبٍ﴾<sup>١</sup> يعني من يكون أولى بحيازة ميراثي من بني العم. وقال المبرد: الولي والأولى والأحق والمولى بمعنى واحد والأمر فيما ذكرناه ظاهر، فأما الذي يدل على أن المراد به في الآية ما ذكرناه هو أن الله تعالى نفى أن يكون لنا ولي غير الله وغير رسوله، والذين آمنوا بلفظة ﴿إِنَّا﴾ ولو كان المراد به الموالاة في الدين لما خص بها المذكورين، لأن الموالاة في الدين عامة في المؤمنين كلهم. قال الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>٢</sup> وإنا قلنا: أن لفظة ﴿إِنَّا﴾ تفيد التخصيص»<sup>٣</sup>.

**الثاني:** «هب أئها دالة على إمامة علي، لكننا توافقنا على أئها عند نزولها مادلت على حصول الإمامة في الحال: لأن علياً ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أئها تدل على أن علياً سيصير إماماً بعد ذلك، ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على إمامته بعد أبي بكر وعمر وعثمان، إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت»<sup>١</sup>.

١. سورة مريم / ٥ و ٦.

٢. سورة التوبة / ٧١.

٣. التبيان ٣ / ٥٥٩.

١. التفسير الكبير ١٢ / ٢٩.

ويرد عليه: قال بعض أصحابنا إن علياً «كان إماماً في الحال ولكن لم يأمر لوجود النبي ﷺ وكان وجوده مانعاً من تصرفه، فلما مضى النبي ﷺ قام بها كان له. ومنهم من قال - وهو الذي نعتمده - أن الآية دلت على فرض طاعته واستحقاقه للإمامة. وهذا كان حاصلاً له. وأما التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة كما يثبت استحقاق الأمر لولي العهد في حياة الإمام الذي قبله وإن لم يجز له التصرف في حياته. وكذلك يثبت استحقاق الوصية للوصي وإن منع من التصرف وجود الموصي. وكذلك القول في الأئمة»<sup>١</sup>.

الثالث: استعمال لفظ الجمع الدال على العموم لا اختصاص له بمورد النزول لأنَّ حمل العام على الخاص خلاف الأصل فيكون مفاد الآية حصر الولاية العامة لرجال متعددين، يدخل فيهم علي عليه السلام.

ويرد عليه: ما مرَّ منَّا في ذيل كلمتي «الَّذِينَ آمَنُوا» من الآية الشريفة فلا نعيد. الرابع: عَدَمُ تَسَالُمِ الإِجْمَاعِ على نزولها في علي عليه السلام وقد اختلف علماء التفسير في ذلك.

ويرد عليه: الكلُّ متفقون على نزولها في شأن علي عليه السلام كما مرَّ، نعم البعض قد ذكروا مواردٍ أُخَرَ مضافاً عليه، ومقالة البعض ليست اتفاقية ولكن الأول متفق عليه والمنكر نزولها في شأن علي عليه السلام ليس إلا نواصب العامة نحو الجاحظ في رسالته العثمانية<sup>١</sup> وابن تيمية في منهاج السنة<sup>٢</sup> ونصبهما من الواضحات. وقد ذكر العلامة الأميني في موسوعته الغدير<sup>٣</sup> سِتَّةً وَسِتِّينَ (٦٦) من علماء

١. التبيان ٣/ ٥٦٣.

١. العثمانية / ١١٨.

٢. منهاج السنة ١/ ١٥٦.

٣. الغدير ٣/ ١٦٢-١٥٦.

العامة وكتبهم الذين قبلوا وذكروا شأن نزول الآية في حق أمير المؤمنين عليه السلام.  
**الخامس:** قال الألوسي: «النقض بأن هذا الدليل كما يدلّ بزعمهم على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كذلك يدلّ على سلب الإمامة عن الأئمة المتأخرين كالسبطين رضي الله تعالى عنهما وباقي الإثني عشر رضي الله تعالى عنهم أجمعين بعين ذلك التقرير، فالدليل يضر الشيعة أكثر مما يضر أهل السنة كما لا يخفى.

ولا يمكن أن يقال: الحصر إضافي بالنسبة إلى مع تقدمه.  
 لأننا نقول: إنّ حصر ولاية من استجمع تلك الصفات لا يفيد إلّا إذا كان حقيقياً، بل لا يصح لعدم استجماعها فيمن تأخر عنه كرم الله تعالى وجهه.  
 وإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولاية في الأمير كرم الله تعالى وجهه في بعض الأوقات أعني وقت إمامته لا وقت إمامة السبطين ومن بعدهم رضي الله تعالى عنهم. قلنا: فمرحباً بالوفاق إذ مذهبنا أيضاً أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إماماً لا قبله وهو زمان خلافة الثلاثة، ولا بعده وهو زمان خلافة من ذكر<sup>١</sup>.  
 ويرد عليه: الآية الشريفة تثبت استحقاق خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل وأما بعد الأمير عليه السلام الخليفة من هو؟ الآية ساكتة بالنسبة إليه.

والأمير عليه السلام عيّن نجله وصياً وخليفة بعده وهكذا يستمر إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام.

أو أنّ الأئمة الأحد عشر عليهم السلام بعد الأمير عليه السلام هم أولاده عليهم السلام ووجوده التنزيلي فتشملهم الآية الشريفة.

أو أنّ رسول الله ﷺ جعلهم عليهم السلام الأئمة بعد أمير المؤمنين عليه السلام.  
 أو أنّ الأئمة عليهم السلام كلّهم عملوا بهذه الآية الشريفة كما وردت في بعض الروايات

ولعلّ هذا سرّ الأتيان بضمائر الجمع وموصوله.<sup>١</sup>

### الروايات العامة في شأن نزولها

لأجل الوصول إلى رواياتهم راجع الكتب التالية:


- شواهد التنزيل ١/ (١٨٤-١٦١)٢، للحكم الحسكاني.

- الدر المنثور ٢/ ٢٩٣

- موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة ١/ (٢١٦-١٨٧) عن ٢١ راوياً وفي

٧٥ حديثاً.

وهذا المقدار كافٍ لمن له التعقل وترك العصبية في إثبات ولاية أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام والحمد لله على أوّل النعم.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ 

«هذه الآية نص صريح لا يقبل التأويل بحال على أن المعنى المراد من ولاية الله والرسول والمؤمنين واحد لا اختلاف فيه، وأنّ من حافظ على هذه الولاية، ولم يفرق بين الله ورسوله ومن جمع بين الزكاة والركوع فهو من حزب الله الغالب بمنطق الحق وحجته»<sup>٣</sup>.

وتأكيد بليغ لما تضمنته الآية السابقة وإعلام بأنّ الولاية الإلهية لا يتحقّق إلاّ بأخذ مَنْ ذُكر في الآية السابقة وليّاً ويتعهّد بمراعاة الطاعة لهم وأخذ الإسلام منهم وإلاّ فلا يكون مؤمناً موالياً.<sup>٤</sup>

١. نحو خبر أحمد بن عيسى المروي في الكافي ٢/ ١١، ح ٣ (٢٨٨/١).

٢. الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٣ هـ. ق مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ٨٢.

٤. مقتبس من مواهب الرحمن ١١/ ٤٠٩.

وبالجملة: الآية الشريفة تفيد وجوب طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة الذين آمنوا وهم الذين ذكرهم الله في الآية السابقة.  
﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ، وجعلنا فعل الشرط وجزائه خبره.  
﴿يَتَوَلَّ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة «ي» من آخره، وفاعله ضمير مستتر «هو». التولي: هو الأخذ ولياً أي حاكماً ورئيساً مطاعاً وأميراً وخليفة.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>١</sup> وقال: ﴿وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رَسُولُهُ﴾ معطوف على ﴿اللَّهُ﴾ ومضاف إليه.  
﴿وَالَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل نصب معطوف على ﴿رَسُولُهُ﴾.  
﴿ءَامَنُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مفيد للعهد والمراد به المذكور في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ النازلة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما مر.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.  
﴿حِزْبٍ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. «مادة ﴿حِزْبٍ﴾ تدلّ على القوم الذين اجتمعوا لأمرٍ آخر مهم ولا يستعمل الحزب إلا في الجماعة التي فيها شدة وغلظة وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم في ما يقرب عشرين مورداً قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>٣</sup>

١. سورة البقرة / ٢٥٧.

٢. سورة آل عمران / ٦٨.

٣. سورة المؤمنون / ٥٣ وسورة الروم / ٣٢.



أي كلّ فرقة مجتمعة على أمرٍ ما... وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ﴾<sup>٢١</sup>.  
 ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه. ﴿هُمُ﴾ ضمير منفصل يرجع إلى ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾.  
 ﴿الْغَلِبُونَ﴾ خبر، وجملة ﴿هُمُ الْغَلِبُونَ﴾ في محلّ رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. «والمراد من الغلبة كلّ ما يتصوّر من الغلبة في الحجة والبرهان في الحال أو المآل»<sup>٣</sup> وفي جميع مراتب الحياة الدنيوية والأخروية.  
 والجملة الجزائية ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ﴾ تدلّ على جواب الشرط بذكر علة الجواب ووضع الكبرى موضع النتيجة للدلالة على علة الحكم والتقدير: ف ﴿هُمُ الْغَلِبُونَ﴾ لأنهم ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾. أو ﴿مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو غالب لأنّه من حزب الله و ﴿حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلِبُونَ﴾.

### الروايات

العيّاشيّ رفعه عن صفوان الجمّال، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لما نزلت هذه الآية بالولاية، أمر رسول الله ﷺ بالدّوحات، دوحات غدير خُـم، فقمّت، ثمّ نودي الصلاة جامعة.

ثمّ قال: أيّها الناس، ألسنّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: فمن كننّ مولاه فعليّ مولاه، ربّ والٍ من والاه، وعادٍ من عاداه.  
 ثمّ أمر الناس ببيعته، وبايعه النّاس، لا يجيء أحدٌ إلّا بايعه، ولا يتكلّم، حتّى جاء أبوبكر، فقال: يا أبا بكر، بايع عليّاً بالولاية. فقال: من الله، أو من رسوله؟ فقال: من الله ومن رسوله. ثمّ جاء عمر فقال: بايع عليّاً بالولاية. فقال: من الله، أو من

١. سورة المجادلة / ٢٢.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٤٠٩.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ٤١٠.

٤. أي كنست.

رسوله؟ من الله ومن رسوله. ثم ثنى عطفه<sup>١</sup> فالتقيا، فقال لأبي بكر: لشد ما يرفع بضبعي<sup>٢</sup> ابن عمه!

ثم خرج هارباً من العسكر، فما لبث أن رجع إلى النبي عليه وآله السلام فقال: يا رسول الله، إني خرجت من العسكر لحاجة، فرأيت رجلاً عليه ثياب بيض لم أر أحسن منه، والرجل من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، فقال: لقد عقد رسول الله ﷺ لعليّ عقداً لا يحلّه إلا كافر.

فقال ﷺ: يا عمر، أتدري من ذاك؟ قال: لا. قال: ذاك جبرئيل عليه السلام، فاحذر أن تكون أول من تحلّه فتكفر.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لقد حضر الغدير اثنا عشر ألف رجل يشهدون لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فما قدر على أخذ حقه، وإن أحدكم يكون له المال، وله شاهدان، فيأخذ حقه ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ في عليّ عليه السلام. ٣.

خبر عمار بن أبي يقظان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يجيء رسول الله ﷺ يوم القيامة أخذاً بحجزة ربّه، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن وشيعتنا حزب الله، و ﴿حزب الله هم الغالبون﴾ والله ما نزع منها حجة الإزار ولكنها أعظم من ذلك، يجيء رسول الله ﷺ أخذاً بدين الله، ونجى نحن آخذين بدين نبيّنا وتحجى شيعتنا آخذين بديننا. ٤.

ابن شهر آشوب عن الباقر عليه السلام أنها نزلت في علي عليه السلام. ٥.

ابن شهر آشوب قال: وفي أسباب النزول عن الواحدي ﴿ومن يتولّ﴾ يعني يجب

١. عطف الرجل: جانبه من لدن رأسه إلى وركيه. يقال: ثنى عني عطفه: أي أعرض وجفا.

٢. الضبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد.

٣. تفسير العياشي ٥٨/٢، ح ١٤٤.

٤. التوحيد ١٦٦، ح ٣.

٥. المناقب ٨/٣.

الله ورسوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني علياً ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ يعني شيعة الله ورسوله ووليه ﴿هُمْ أَغْلِبُونَ﴾ يعني هم الغالبون على جميع العباد، فبدأ في هذه الآية بنفسه ثم بنبه ثم بوليّه وكذلك في الآية الثانية ٢.١

روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس قال: أتى عبدالله بن سلام ورهط معه من أهل الكتاب نبي الله ﷺ عند صلاة الظهر فقالوا: يا رسول الله [إن] بيوتنا قاصية ولا نجد مسجداً دون هذا المسجد، وإن قومنا لما رأونا صدقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهرنا لنا العداوة وأقسموا أن لا يخاطبونا ولا يجالسونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا فبينما هم يشكون إلى رسول الله ﷺ إذ نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أَغْلِبُونَ﴾. وخرج رسول الله إلى المسجد والناس يصلون بين راع وساجد وقائم وقاعد، وإذا مسكين يسأل، فدعاه رسول الله فقام [له] هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم. قال: ماذا؟ قال: خاتم من فضة. قال: من أعطاك؟ قال: ذاك الرجل القائم. فإذا هو علي بن أبي طالب، قال: على أي حال أعطاك؟ وقال: أعطانيه وهو راع. فزعموا أن رسول الله [ﷺ] كبر عند ذلك، وقال: يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ أَغْلِبُونَ﴾. ٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

الآية الشريفة «تخبر عن عداوة أهل الكتاب والكفار وتكشف عن سوء

١. والمراد بها الآية الشريفة، سورة المائدة / ٥٥.

٢. المناقب ٣ / ٨.

٣. شواهد التنزيل ١ / ١٨٥، ح ٢٤١.

سرائرهم وخبث ضمائرهم وتبين سوء صفاتهم وهي الاستهزاء واللعب بأحكام الله وشريعته»<sup>١</sup> ومرة ثانية نهى الله سبحانه عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء كما مرّت الأولى في الآية ٥١ من هذه السورة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب للمؤمنين.

﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ فعل نهي وفاعله، الاتخاذ هو الافتعال من الأخذ ومعناه الاعتماد على الشيء لإعداد له لأمر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به أول. ﴿اتَّخَذُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿دِينَكُمْ﴾ مفعول أول لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾ ومضاف إليه.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾. الهزاء: هو المزح في خفية ومنه السخرية، كما هو «شأن السفهية العاجز عن مجابهة الحجة بمثلها، ولا يليق بالعاقل أن يوالي السفهاء، بخاصة الذين يهزأون من دينه وأشرف مقدساته»<sup>٢</sup>.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿لَعِبًا﴾ معطوف على ﴿هَؤُلَاءِ﴾. واللعب: كل فعل لم يقصد منه مقصداً صحيحاً

سواء لم يكن فيه النفع أم كان.

﴿مِّنْ﴾ حرف جر بياني.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محلّ جرّ، الجار والمجرور متعلّق بحال محذوفة من

الاسم الموصول الأول ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ﴾، تقديره: حال كونهم ﴿مِّنَ الَّذِينَ...﴾. أو متعلّق بحال محذوفة من الضمير الفاعلي في ﴿اتَّخَذُوا﴾.

﴿أُوتُوا﴾ فعلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله. ﴿الْكُتِبَ﴾ مفعول به.

﴿مِّن قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلّق بحال محذوفة ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا﴾

١. مواهب الرحمن ١١ / ٤٣٢.

٢. التفسير الكاشف ٣ / ٨٤.

الْكِتَابِ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْكَفَّارَ﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ في ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ﴾. وقرئ بالجر عطفاً على ﴿الَّذِينَ﴾ في ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

وعطف ﴿الْكَفَّارَ﴾ على ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يكون من عطف العام على الخاص.

﴿أُولِيَاءَ﴾ مفعول به ثانٍ لـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ في صدر الآية. ﴿أُولِيَاءَ﴾ جمع ولي والمراد منه ما مرَّ منَّا في الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾<sup>١</sup> بلا فرق.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في موالاة الكفار فلا تتولوا إلا من عينه الله للولاية.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص في محلٍّ جزم لأنَّه فعل الشرط واسم «كان».

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبر «كان».

وجزاء الشرط محذوف لما مرَّ من الأمر بالتقوى، والشرط وجوابه هكذا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في عدم موالاة الكفار وأهل الكتاب. وتظهر من الآية الشريفة أمور ثلاثة:

الأول: «أنَّ ذكر اتخاذهم الدين هزواً ولعباً في وصف من نهى عن ولايتهم إنّما هو للإشارة إلى علّة النهي فإنّ الولاية التي من لوازمها الامتزاج الروحي والتصرف في الشؤون النفسية والاجتماعية لا يلائم استهزاء الولي ولعبه بما يقدسه وليّه ويحترمه ويراه أعزّ من كلّ شيء حتّى من نفسه فمن الواجب أن لا يتخذ من هذا شأنه وليّاً،

ولا يلقي أزمة التصرف في الروح والجسم إليه.

والثاني: ما في اتخاذ وصف الإيمان في الخطاب في قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من المناسبة لمقابلته بقوله: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ وكذلك ما في إضافة الدين إليهم في قوله: ﴿دِينَكُمْ﴾.

والثالث: أن قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بمنزلة التأكيد لقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ (الخ)، بتكراره بلفظ أعم وأشمل فإن المؤمن وهو الآخذ بعروة الإيمان لا معنى لأن يرضى بالهزاء واللعب بما آمن به فهؤلاء إن كانوا متلبسين بالإيمان - أي كان الدين لهم ديناً - لم يكن لهم بدّ من تقوى الله في أمرهم أي عدم اتخاذهم أولياء.

ومن المحتمل أن يكون قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى ما ذكره تعالى من نحو قوله قبيل آيات: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾<sup>١</sup> والمعنى: واتقوا الله في اتخاذهم أولياء إن لم تكونوا منهم، والمعنى الأول لعله أظهر<sup>٢</sup>.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

«بيان وتأکید لما سبق، وتحقيق له بذكر أحد المصادیق المهمة الذي یبین کمال شقاوتهم، فإن الصلاة عبادة خاصة تشتمل على معانٍ سامية، وإنها أمّ العبادات التي أمر الله ﷻ عباده بها، وفيها يقف العبد بين يدي خالقه، ويطلب منه العون والتوفيق، فالاستهزاء بها واتخاذها لعباً إنما يكون عن شقاء وحرمان كلّ ما في النفس من

١. سورة المائدة / ٥١.

٢. الميزان ٦ / ٢٧.

إصلاح»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط مبني على السكون خافض لشرطه متعلق بجوابه.

﴿نَادَيْتُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، في محلٍّ جرٍّ بالاضافة، والمراد بالنداء وهو الدعاء هنا: الأذان المشروع في الإسلام قبل الصلوات اليومية ولم يذكر الأذان في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع كما في الميزان<sup>٢</sup>.

ورده السبزواري<sup>٣</sup> بأنه ورد في قوله تعالى ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾<sup>٤</sup>.

﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿نَادَيْتُمْ﴾. فالمراد بها هي الصلوات المفروضة اليومية.

﴿اتَّخَذُوهَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعولٌ به أوَّل. جواب شرط غير جازم. والضمير الفاعلي يرجع إلى الكُفَّار وأهل الكتاب والمفعولي يرجع إلى ﴿الصَّلَاةِ﴾ أو المتناداة المستفادة من قوله ﴿نَادَيْتُمْ﴾.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ مفعولٌ به ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذُوهَا﴾. وقد مرَّ معناه في الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَعَبًا﴾ معطوف على ﴿هَؤُلَاءِ﴾ وقد مرَّ معناه.

الكفار يستهزون بهذه الشعيرة الإلهية - الصلاة - في جميع ما يتعلَّق بها من الأذان وغيره.

١. مواهب الرحمن ١١ / ٤٣٥.

٢. الميزان ٦ / ٢٨.

٣. مواهب الرحمن ١١ / ٤٣٥.

٤. سورة الجمعة / ٩.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى هذا الالتخاذ من جانب الكفار.

﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿هُمْ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿أَنَّ﴾ مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر في محل جرّ بالباء.

والجار والمجرور في محل رفع متعلّق بخبر المبتدأ. والضمير يرجع إلى ﴿الْكُفَّارَ﴾<sup>١</sup>.

﴿قَوْمٌ﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

والجملة الأخيرة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ «تعليل لما سبق، أي الالتخاذ المذكور إنّما هو بسبب عدم التعقلّ منهم لدرك المحاسن والحقائق، بل ليس بوسعهم أن يتعقلّوا ما في هذه الشعائر العباديّة والأعمال الدينيّة من فوائد، فإنّ فيها القرب من الله تعالى، وفيها تتجلّى حقيقة العبوديّة، وفيها السعادة في الدارين، لكنّهم جهلوا بها فسخروا وهزؤا بالحقّ، ولو كان لهم عقل لما صدر منهم ذلك»<sup>٢</sup>.

«قال المفسرون بما فيهم الرازي<sup>٣</sup> وصاحب المنار<sup>٤</sup>: ان المراد من قوله تعالى ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنّهم لا يدركون حقيقة الإسلام، ولو أدركوا حقيقته لم يتخذوه هزواً.

أما نحن فنرى أنّهم قد عقلوا الإسلام، وأدركوا أهدافه، وأن الذين حاربوه إنّما حاربوه لأنّهم أدركوا خطره على منافعهم وامتيازاتهم... فلقد أدركوا أنّ الإسلام ثورة على الظلم والاستغلال، وعلى الفقر والتخلف، وعلى تقسيم الناس إلى سيد ومسود، وأنّه لا فضل لمخلوق على غيره إلّا بخدمة الناس، والعمل لصالحهم ونافعهم... هذا هو ذنب الإسلام عندهم، ومن أجله حاربوه بجميع ما يملكون من وسائل، حتّى الهزء والسخرية.

١. سورة المائدة / ٥٧.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٤٣٦.

٣. التفسير الكبير ١٢ / ٣٣.

٤. المنار في تفسير القرآن ٦ / ٣٦٨.



وتتجلى دعوة الإسلام هذه بأكمل معانيها في نداء المؤذن: الله أكبر... لا إله إلا الله... فإن معنى الله أكبر أنه لا كبير ولا عظيم إلا هو وحده لا شريك له، ومعنى لا إله إلا الله: أن المال والجاه والأنساب ليست آلهة تعبد، ولا قوة يخضع لها، وإنما الخضوع للحق وحده، والناس فيه سواء، وأن ما من أحد على وجه الأرض له أن يمس حرية إنسان كائناً من كان... وكفى بهذا ذنباً للإسلام عند ألد أعداء الإنسان، ومن أجل عداوتهم هذه، لا من أجل جهلهم بحقيقة الإسلام وصفهم العليم الحكيم ﴿يَا نَهْمَ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>١</sup>.

﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلِكْتَبِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

خطاب للنبي الخاتم ﷺ بالمجادلة مع أهل الكتاب عامة واليهود منهم خاصة والخطاب مع الكفار يأتي في الآية ٦١ وما بعدها فانتظر.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول الأعظم ﷺ.

لأنه كان المدافع الأول عن الشريعة المقدسة والولي الأول المجمعول من الله تعالى.

﴿يَتَاهَلْ أَلِكْتَبِ﴾ أمر الله نبيه ﷺ بمخاطبة ومجادلة أهل الكتاب.

﴿هَلْ﴾ حرف استفهام إنكاري وتعجبي.

﴿تَنْقُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. النعمة: الكراهية والنكران والعقوبة. ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ﴾: أي هل تنكرون أو تكرهون أو تعاقبون على ما ليس إلا محامد لنا.

﴿مِنَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَنْقُمُونَ﴾. وجملة ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا﴾ في محل

نصب مفعول به ﴿قُلْ﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿أَنْ﴾ مصدرية.

﴿ءَامَنَّا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾ بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به  
﴿تَنْقِمُونَ﴾ أي ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا﴾ إيماننا.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَامَنَّا﴾. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل جر معطوف على ﴿اللَّهِ﴾.

﴿أُنْزِلَ﴾ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر هو.

﴿إِلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ تعرب إعراب ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، إِلَّا أَنْ ﴿قَبْلُ﴾ اسم مبني على الضم  
لانتقائه عن الإضافة ولكن في محل جر.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿أَنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿أَكْثَرُكُمْ﴾ اسم ﴿أَنْ﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب.

﴿فَسِيقُونَ﴾ خبر ﴿أَنْ﴾.

وحاصل المعنى: هل تنكرون أو تكرهون منّا إلا الذي تشاهدونه وهو أنا آمنا  
بالله وإنّا مؤمنون به وبما أنزل الله إلينا وإلى من قبلنا وأنكم فاسقون غالباً.

والجملة الأخيرة ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ﴾ في موضع التعليل أي لأن ﴿أَكْثَرُكُمْ

فَسِيقُونَ﴾ خارجون عن رتبة الإيمان للحسد وحب الرئاسة.

«والمقابلة بين الإيمان والفسق لبيان بطلان النعمة»<sup>١</sup>. وأن ذلك النعمة عجيب

لأنكم ﴿تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ الإيمان بالله وبالأنبيا والكتب السماوية كلّها وأنتم ﴿أَكْثَرُكُمْ  
فَسِيقُونَ﴾. كافرون، فهذا النعمة تهكم عجيب.

ولذا قال الطبرسي: «إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون إنّا على الحق لأنكم فسقتم

بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة وكسبكم بها الأموال... ومعنى ﴿فَسِقُونَ﴾ خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة وحسداً على منزلة النبوة...<sup>١</sup>.

### شأن نزولها

قال ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع ابن أبي رافع وغيره، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال أؤمن ﴿بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>٢</sup> فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن به وبمن آمن به، فأنزل الله هذه الآية.<sup>٣</sup>

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ

سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

خطاب آخر للرسول الخاتم أن يخاطب أهل الكتاب ويجادلهم بالتي هي أحسن بهذه المقالة: قل يا رسول الله لهم: إن كان الإيمان بالله ورسله وكتبه شراً يوجب الكراهة والنقمة فأنا أخبركم بشراً من هذا - إن كان هذا شراً بنظركم - وهو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهذه الاوصاف كلها يهودية «حيث سجل الله عليهم لعنته وغضبه

١. مجمع البيان ٣/ ٢١٤.

٢. سورة البقرة / ١٣٦.

٣. التبيان ٣/ ٥٧٠.

في أكثر من آية، ووصفهم بعبادة الجبت والطاغوت، وقال لهم: كونوا قردة خاسئين، ومن هذه الآيات:

١- ﴿كَمَا لَعَنَّاهُ أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾<sup>١</sup>.

٢- ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾<sup>٢</sup>.

٣- ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>٣</sup>. وما قال الله لشيء كن إلا كان.

٤- ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾<sup>٤</sup>. وقيل المراد بالطاغوت الشيطان. وقيل:

العجل. والصحيح أن كل من أطاع عبداً في معصية الله فهو عبداً له<sup>٥</sup>.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاب للرسول الأعظم ﷺ.

﴿هَلْ﴾ حرف استفهام.

﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به، أي أخبركم،

والضمير المفعولي يرجع إلى أهل الكتاب عامة واليهود خاصة.

﴿بَشِّرْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾. «(شر) اسم تفضيل، أصله أشر، وهو

لزيادة في الصفة، حذفت همزته تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والزيادة تقتضي المشاركة في

أصل الوصف فتقتضي أن المسلمين لهم حظ من الشر، وإنما جرى هذا تهكماً باليهود

لأنهم قالوا للمسلمين: لا دين شر من دينكم، وهو مما عبر عنه بفعل ﴿تَنَقُّمُونَ﴾<sup>٦</sup>٧.

﴿مِّنْ ذَلِكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿شَرِّ﴾. إشارة إلى الإيهان في قوله تعالى ﴿هَلْ

١. سورة النساء / ٤٧.

٢. سورة البقرة / ٩٠.

٣. سورة البقرة / ٦٥.

٤. سورة النساء / ٥١.

٥. التفسير الكاشف ٣/ ٨٧ و ٨٨.

٦. سورة المائدة / ٥٩.

٧. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٤٢.

تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿مُتَوِّةٌ﴾ تمييز من ﴿شَرٍّ﴾. ﴿مُتَوِّةٌ﴾ على وزن مفعولة «مصدر ميمي من ثاب الشيء يثوب واثاب إليه إذا رجع، ويطلق على الثواب والجزاء باعتبار أنه الراجع إلى الإنسان جزاء أعماله، كأن عمله رجع إليه، ويستعمل في مطلق الجزاء، ولكن استعماله في الجزاء الحسن أكثر، وقيل استعماله في الإساءة إنما هو للتهكم، فهو يتخصّص بالإحسان كما أن العقوبة تختصّ بالشرّ، أي إذا كان الإيمان بالله والكتب المنزل هما الشرّ عندكم وسبب النعمة منكم، فأنا أخبركم بشرّ من ذلك يلزمكم أن تنقموه، وهو الجزاء السيّء الذي حلّ فيكم نتيجة أفعالكم وأعمالكم، وهو عند الله تعالى ثابت»<sup>١</sup>.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، بدل من ﴿شَرٍّ﴾ فيكون في محلّ جرّ أو مفعول به ثانٍ لـ ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ فيكون في محلّ نصب أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو ﴿مَنْ﴾. ﴿لَعَنَهُ﴾ فعلٌ ماضٍ ومفعولٌ به مقدم، أي طرده الله من رحمته. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. وقد مرّ قوله تعالى: ﴿لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾<sup>٢</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿غَضِبَ﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الله. معطوف على ﴿لَعَنَهُ﴾.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿غَضِبَ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿مَنْ﴾ وقد مرّ قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

١. مواهب الرحمن ١١/ ٤٣٨.

٢. سورة النساء / ٤٧.

٣. سورة البقرة / ٩٠.

﴿جَعَلَ﴾ معطوف على ﴿لَعَنَهُ﴾. والجعل هنا تكويني أي مسخهم.  
 ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾ والضمير يرجع إلى اليهود كما مرّ في  
 قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>١</sup>.  
 ﴿الْقِرَدَةَ﴾ مفعول به. جمع القرد وهو تجسم عيني للهزاء واللعب.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿الْخَنَازِيرَ﴾ معطوف على ﴿الْقِرَدَةَ﴾، جمع الخنزير وهم تجسم عيني للميل إلى  
 الكثافات والشهوات.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿عَبَدَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ضمير مستتر هو يرجع إلى ﴿مَنْ﴾. معطوف على  
 ﴿لَعَنَهُ﴾.  
 ﴿الطَّغُوتَ﴾ مفعول به. وهو مَنْ كثر طغيانه، «والمراد منهم: عبدة العجل،  
 والرهبان والأخبار الذين غَيَّرُوا دِينَ اللَّهِ وَبَدَّلُوا أَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَهُ، وَحَرَّفُوا كُتُبَهُ»<sup>٢</sup>.  
 ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة مبتدأ. أي الموصوفون المذكورون.  
 ﴿شَرٌّ﴾ خبر. ﴿مَكَانًا﴾ تمييز. ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿أَضَلُّ﴾ معطوف على ﴿شَرٌّ﴾، ممنوع من الصرف. أي أبعد.  
 ﴿عَنْ سَوَاءٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَضَلُّ﴾.  
 ﴿السَّبِيلِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَنْ سَوَاءٍ السَّبِيلِ﴾ أي عن الطريق القويم والصراط  
 المستقيم.

١. سورة البقرة / ٦٥.

٢. مواهب الرحمن ١١ / ٤٣٩.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ<sup>ج</sup> وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ ﴿٦١﴾

تبَيَّنَت الآية الشريفة النفاق - بلا فرق بين منافقي المدينة ومنافقي اليهود - حيث  
أنهم دخلوا على الرسول الأعظم ﷺ وقالوا له: نحن بك يا رسول الله من المؤمنين  
وهم كاذبون في أقوالهم وقد عبّر الله تعالى عن نفاقهم في هذه الآية.  
﴿وَ﴾ استثنائية، أو عاطفة على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا  
وَلَعِبًا﴾ ١.

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان للاستقبال متضمن معنى الشرط خافض له ومتعلق  
بجوابه.

﴿جَاءُوكُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به، في محل جر بالاضافة لوقوعه بعد  
الظرف، فعل الشرط، والضمير الفاعلي يرجع إلى المنافقين والمفعولي يرجع إلى  
رسول الله ﷺ والمؤمنين به.

﴿قَالُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. جواب الشرط.  
﴿ءَامَنَّا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. مقول القول، أي أَنَّ المنافقين إذا دخلوا على  
المؤمنين ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ أي أظهروا الإيمان وادعوا أنهم يصدقون الرسول  
الأعظم ﷺ.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق وهنا حرف توقع متعلق بقوله تعالى: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ وهذه  
حالهم.

﴿دَخَلُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله في محل نصب حال من الضمير الفاعلي في

﴿ءَامَنَّا﴾.

﴿بِ﴾ حرف جر، للمصاحبة بمعنى «مع» أو باء الحال.

﴿الْكُفْرِ﴾ مجروره. والجار والمجرور متعلق بحال محذوفة تقديره: ﴿دَخَلُوا﴾ كافرين أو متلبسين ﴿بِالْكُفْرِ﴾.

﴿و﴾ عاطفة، وما بعدها معطوف على ﴿قَدْ دَخَلُوا﴾.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿خَرَجُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة. والضمير يرجع إلى ﴿الْكُفْرِ﴾، تأكيداً وتثبيتاً لكفرهم.

والمعنى: أنهم حين الدخول والخروج كانوا على حالة واحدة وهي الكفر ولم يتغير حالهم من ملاقة رسول الله ﷺ، مع أنهم لو كانوا طالبي الحق لخرجوا مؤمنين من عند رسول الله ﷺ بعد أن سمعوا دلائله ورأوا بيناته. والوجه في ذلك: رسوخ الكفر في قلوبهم وشدته فيها، فهم يظهرون الإيمان وهم كافرون.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾ خبر. ﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة، جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعْلَمُ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿يَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾. و﴿مَا كَانَ﴾

﴿يَكْتُمُونَ﴾ له ليس إلا الكفر والنفاق والمكر والغدر وأن الله تعالى يجازيهم عليها بما يستحقونه.

والجملة الأخيرة: «وعيدٌ لهم وإعلام لهم بأنهم محاطون بالعليم القدير فيعلم منوياتهم وما أضمره للرسول ﷺ ودينه الحق وأهله»<sup>١</sup>.



### شأن النزول

في تفسير القمي: نزلت في عبدالله بن أبي لما أظهر الإسلام...<sup>١</sup>

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾



وصف الله تعالى في هذه الآية المنافقين الذين تقدّم وصفهم في الآيات السابقة  
وبيّن سبحانه مظاهر خروجهم في القول والفعل من الدين وذكر سمة لاتفارقهم في  
الحياة الدنيوية.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿تَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول  
الأعظم ﷺ أو لكلّ مَنْ يسمع، والمراد بالرؤية هنا بصرية.  
﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به، أي أكثرهم وغالبيتهم.  
﴿مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من «كَثِيرًا»، و «مِّنْ» بيانيّ و «هُمْ»  
يرجع إلى المنافقين.

﴿يُسْرِعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محلّ نصب حال من ضمير «مِّنْهُمْ».  
المسارعة مفاعلة ومبالغة في السرعة وهي ضد البطء. والفرق بين السرعة والعجلة أنّ  
السرعة تظهر في الجوارح والعجلة في الجوانح نظير الفرق بين الخضوع والخشوع  
والخوف والخشية.

﴿فِي الْإِثْمِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ «يُسْرِعُونَ»، المراد بـ «الْإِثْمِ» هنا: الكفر كما

١. تفسير القمي ١/ ٢٥١.

عليه السُّدِّي<sup>١</sup> أي «الخوض في آيات الدين النازلة على المؤمنين والقول في معارف الدين بما يوجب الكفر والفسوق على ما يشهد به ما في الآية التالية من قوله: ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾»<sup>٢</sup>.

أقول: يمكن حمل ﴿الْإِثْمَ﴾ على كلِّ معصية كما يراه الشيخ الأولى<sup>٣</sup>، والتخصيص في الآية التالية لا يوجب التخصيص في هذه الآية، والذي يسهل الخطب أنهم غرقوا في جميع المعاصي وأحاطت بهم الخطايا، كما يظهر من السيّد السبزواري<sup>٤</sup>. «وإنما ذكر ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ دون «إلى الإثم» [ل] أنهم غارقون في الإثم وإنما يُسْرِعُونَ في خصوصياته، لا أنهم خارجون فيسارعون إليه»<sup>٥</sup>.

وقد ذَكَرَ بعض أهل اللِّغَةِ أَنَّ الحَمَرَ قد يُطْلَقُ عليها: «الإثم»، واحتجوا بِقَوْلِ امرئِ القَيْسِ الشَّاعِرِ الجَاهِلِيِّ المعروف - من الوافر -:

شَرَبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى زَالَ عَقْلِي      كَذَلِكَ الْعِلْمُ تَذَهَبُ بِالْعُقُولِ

وهذا لا يُعَارِضُ ما قاله المحققون من أَنَّ الإِثْمَ يَشْمُلُ كُلَّ معصية.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْعُدُونَ﴾ معطوف على ﴿الْإِثْمِ﴾. و﴿الْعُدُونَ﴾: الظلم وتجاوز الحقوق وتعدي حدود الله والمراد به الاعتداء على المسلمين وغيرهم، فهم ﴿يُسْرِعُونَ﴾ في ظلم الناس ويعود عليهم وبال ظلمهم ويوجب خسارتهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَكْلِهِمْ﴾ معطوف على ﴿الْإِثْمِ﴾ ومضاف إليه.

﴿الْسُّحَتِ﴾ مفعول به. منصوب بمصدر ﴿أَكْلِهِمْ﴾.

١. نقل عنه في التبيان ٣/ ٥٧٧.

٢. الميزان ٦/ ٣٠ و ٣١.

٣. التبيان ٣/ ٥٧٧.

٤. مواهب الرحمن ١١/ ٤٤١.

٥. مواهب الرحمن ١١/ ٤٤١.

«السحت هو المحظور الذي يلزم صاحبه العار، فيختص بالدين من المحرم، وقد يطلق على كل محرم، والمراد في المقام الأمور المحرمة التي حلت فيهم، واكتسبوا منها الأموال، كالربا والرشوة ونحو ذلك، والتنصيب عليه مع أنه داخل في ما تقدم من الإثم والعدوان؛ للمبالغة في التقييح، وللإعلام بأن أكل الحرام سلب قلوبهم وأهم مقصد عندهم، وإراءة السيئة الفعلية بعد إراءة السيئة القولية والاعتقادية»<sup>١</sup>.  
﴿لَ﴾ زائدة، للتأكيد.

﴿بِئْسَ﴾ فعلٌ ماضٍ لإنشاء الذم وتقييح أفعالهم أي ﴿بِئْسَ﴾ العمل بهذه الأفعال.

﴿مَا﴾ اسم موصول، فاعل ﴿بِئْسَ﴾. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾. والماضي الاستمراري ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يدل على استمرارهم في الأمور الثلاثة.

### رواية

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من السحت ثمن الميتة، وثن الكلب، ومهر البغي والرشوة في الحكم، وأجر الكاهن<sup>٢</sup>.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

توبيخ عنيف لرؤساء الأديان من أهل الكتاب في الظاهر، وفي الواقع موجه لكل من عرف الحق وسكت عنه، وأن العالم بالله ودينه وأحكامه لابد له أن يحتج على

١. مواهب الرحمن ١١/ ٤٤٢.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٥١، ح ١١.

المظالم والمعاصي بشتى الوسائل ....

﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى «هَلَّا» ولم لا يفعل، ﴿لَوْلَا﴾ إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض، وأمّا هنا تحضيض أُريد منه التوبيخ.

بل «يدلّ على توبيخ السلف، وتحضيض الخلف على ترك متابعتهم علمائهم في سكوتهم عنهم، وتركهم النهي عن ارتكاب الموبقات من الآثام والمعاصي، مع علمهم بأنّها كذلك، فإنّ ما فعلوه من الموبقات وما ارتكبوه من السوء والشرور، مفسدة لهم وللأمة التي يعيشون فيها، لولا يقوم لهم من يؤثّر قوله في المجتمع ويصدّوهم عن ذلك، ولكنهم تركوا هذه المهمة الخطيرة وركنوا إلى الظلم، فعمّ الفساد الجميع، وأضاعوا الدين وأفسدوه، فنالوا الخزي والعار»<sup>١</sup>.

﴿يَنْهَهُمْ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم، والضمير يرجع إلى أهل الكتاب في الظاهر وفي الواقع إلى من عمل بمعاصي الله وارتكب مظالم العباد.

﴿الرَّبَّنِيُّونَ﴾ فاعل. جمع الرباني وهو «العالم بالدين الذي من قبل الربّ وهو منسوب إلى الربّ على وجه تغيير الاسم»<sup>٢</sup> أو العالم وربّ العلم، والذي يعبد الربّ زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، والموصوف بعلم الربّ، والعالم المعلم، والعالم الراسخ في العلم والدين، والمتألّه العارف بالله ﷻ<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَحْبَابُ﴾ معطوف على ﴿الرَّبَّنِيُّونَ﴾، ﴿الْأَحْبَابُ﴾ جمع حَبَر - بكسر الحاء

١. مواهب الرحمن ١١ / ٤٤٢.

٢. التبيان ٣ / ٥٧٩.

٣. راجع لسان العرب ١ / ٤٠٣ و ٤٠٧، مادة ربب.

وفتحها ١- وهو العالم في الديانة اليهودية، ثم يطلق على مطلق العالم. ٢- واقتصر المتأخرون على فتح الحاء للفرقة بينه وبين اسم المداد الذي يكتب به. ٣- ﴿عَنْ قَوْلِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿يَنْهَى﴾.

﴿الْإِثْمَ﴾ مفعول به منصوب لمصدر ﴿قَوْلِهِمْ﴾ وقد مرّ معناه في الآية السابقة وهو المعاصي القولية.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿أَكَلِهِمْ﴾ معطوف على ﴿قَوْلِهِمْ﴾.

﴿الْشُّحْتَ﴾ مفعول به منصوب لمصدر ﴿أَكَلِهِمْ﴾ وهو مصاديق المعاصي الفعلية. ولم يذكر في هذه الآية العدوان لأنه لا يخرج عن المعاصي القولية والمعاصي الفعلية فإذا ذكّرهما فكأنّهما ذكر العدوان.

ويمكن أن يقال: «اقتصر في توبيخ الربانيين على ترك نهيهم عن قول الإثم وأكل السحت، ولم يذكر العدوان إيماء إلى أنّ العدوان يزجرهم عنه المسلمون ولا يلتجئون في زجرهم إلى غيرهم، لأنّ الاعتماد في النصرة على غير المجني عليه، ضعف»<sup>٤</sup>.

﴿لَ﴾ زائدة، للتأكيد.

﴿يَسْ﴾ فعلٌ ماضٍ لإنشاء الذم وتقييح أفعالهم، أي ﴿يَسْ﴾ العمل عدم نهيهم.

﴿مَا﴾ اسم موصول، فاعل ﴿يَسْ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعلٌ ماضٍ ناقص واسمه. ﴿يَصْنَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

١. كما في الصحاح ٦١٩/٢.

٢. كما في المصدر السابقة حيث جعل معنى الأحبار: العلماء.

٣. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١١٤/٥.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٤٥/٥.

وجملة مستأنفة ذم لصنيع الربانيين والأخبار في سكوتهم عن تغيير المنكر و«تأكيد بليغ على التوييح، ونعي على العلماء لتوانيتهم في النهي عن المنكرات، والصنع هو الفعل الصادر عن مزاوله وإجادة ورسوم، أما العمل فهو الفعل عن قصد، وأما الفعل فقد يصدر عن الحيوانات، فصار الصنع أخص من الفعل وأخص من العمل كما عرفت، لأجل ذلك كان هذا أبلغ في الذم من مرتكبي الكبائر، ولذا قال ابن عباس: ما في القرآن أشد توييحاً من هذه الآية. فإن ترك النهي ينم عن سوء السيرة وعن حب الذات، وإيثار رضى الناس، فإنه ما ترك العلماء النهي عن المنكر، وهم يعلمون بالميثاق الذي أخذ منهم، إلا تكلفاً لرضاء الناس، وتحامياً لتنفيرهم منهم»<sup>١</sup>.

### روايتان

خبر حسن قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإنه هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي، ولم ينههم الربانيون والآخبار عن ذلك، وإنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والآخبار عن ذلك، نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقرباً أجلاً، ولم يقطعاً رزقاً، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان، الحديث<sup>٢</sup>.

خبر عمرو بن رباح عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: بلغني أنك تقول: من طلق لغير السنة أنك لا ترى طلاقه شيئاً؟

فقال: أبو جعفر عليه السلام: ما أقوله، بل الله تعالى يقول، أما والله لو كنا نفتيكم بالجور لكنا شراً منكم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ

١. مواهب الرحمن ١١/٤٤٣.

٢. الكافي ٩/٤٨٦، ح ٦ (٥/٥٧).

وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ ﴿١﴾ إلى آخر الآية.

ورواها العياشي باختلاف. ٢

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

«مظهر آخر من مظاهر سخرية أهل الكتاب، ولا سيما اليهود منهم خاصة، الذين اتخذوا دين الله سخرية ولعباً، فقد استهزؤا بالشرعية التي أنزلها على رسوله الكريم ﷺ، واتخذوا أحكامها لعباً، كما استهزؤا بالصلاة التي هي أهم عبادة وشعيرة في الإسلام، وفي هذه الآية بين ﷻ استهزاء آخر منهم، أمره خطير وخطره كبير، فقالوا فظيلاً وهبتوا بهتاناً كبيراً، ينبئ عن عظيم الجراءة على الله تعالى وكبير طغيانهم على الحق وكفرهم العظيم، إلا أن الله تعالى أخزاهم وحكم عليهم بالذل والعار، فأطفأ عدوانهم، وأذلهم بعد ما كانت سجيتهم الفساد والاعتداء على خلق الله، والحسد على أهل الحق» ٣.

﴿وَ﴾ استثنائية أو عاطفة على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا﴾ ٤.

﴿قَالَتْ﴾ فعلٌ ماضٍ مؤنث.

١. الكافي ١١/٤٧٢، ح ١ (٥٧/٦).

٢. تفسير العياشي ٢/٥٩، ح ١٤٥.

٣. مواهب الرحمن ١١/٤٥٩.

٤. سورة المائدة / ٦١.

٤٠٠ ..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السادس

﴿آيَهُودُ﴾ فاعله، والجملة الاسمية بعده مقالة اليهود الصرحاء غير المنافقين المذكورين في السابق فلذلك أسند إليهم ومقاتلتهم تتضمن السخرية والاستهزاء وسوء الظن والأدب بالله تعالى شأنه.

﴿يَدُ اللَّهِ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. يعبر العرب عن العطاء والبذل والكرم باليد كما هو كذلك في الفارسية أيضاً.

فالمراد بـ ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ يعني عطاءً وبذله وكرمه ورزقه بل إرادته وفعاله في التشريع والتكوين وحينئذ اليد لا تختص بالعطاء بل تشمل الإرادات والأفعال والسلطة والملك.

﴿مَغْلُودٌ﴾ خبر. ﴿غُلَّتْ﴾ فعل ماض مؤنث مبني للمجهول.

﴿أَيْدِيهِمْ﴾ نائب فاعل ومضاف إليه. ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ جملة معترضة دعاء عليهم بعذاب مشابه لما نسبوا إليه سبحانه وتعالى شأنه من النقص غير المناسب له ﷻ.

﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها عطف تفسير

﴿لُعِنُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لُعِنُوا﴾. و﴿مَا﴾ موصولة أو مصدرية

﴿قَالُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. أي ﴿بِمَا قَالُوا﴾ أو بقولهم هذا.

﴿بَلْ﴾ حرف إضراب.

﴿يَدَاهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. قد مر معنى «اليد»، وصيغة التثنية هنا تدل على

كمال القدرة.

﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ خبر والبسط هنا كناية عن ثبوت القدرة له تعالى في نسخ

الشرائع والأحكام الدينية وكذلك في البداء بالنسبة إلى الأمور التكوينية.

﴿يُنْفِقُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى الله تعالى، بيان لبسط يده

تعالى.



﴿كَيْفَ﴾ اسم مبهم، حال. ﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر.  
 ﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها بيان للسبب الذي دعا اليهود إلى هذه المقالة الشنيعة.  
 ﴿لَ﴾ لام القسم.  
 ﴿يَزِيدَنَّ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة، هم يرون نزول القرآن ومعارفه  
 وانجاز دعوة الرسول الخاتم ﷺ يلزمهم زيادةً للحقد والحسادة.  
 ﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به أول مقدم.  
 ﴿مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرًا﴾ والضمير يرجع إلى  
 اليهود.

﴿مَّا﴾ موصولة، فاعل.  
 ﴿أُنْزِلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».  
 ﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾. والضمير الخطاب يرجع إلى الرسول  
 الأعظم ﷺ.  
 ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه.  
 ﴿طُغِينًا﴾ مفعول به ثان. ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿كُفْرًا﴾ معطوف على ﴿طُغِينًا﴾. وتقديم الطغيان على الكفر من قبيل تقديم  
 العلة على المعلول.  
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿أَلْقَيْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.  
 ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿أَلْقَيْنَا﴾ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى  
 اليهود.

﴿الْعَدَاوَةَ﴾ مفعول به. ﴿الْعَدَاوَةَ﴾: البغض المتعدي إلى الغير في العمل.  
 ﴿وَ﴾ عاطفة.  
 ﴿الْبَغْضَاءِ﴾ معطوف على ﴿الْعَدَاوَةَ﴾. ﴿الْبَغْضَاءِ﴾ ما يكون في القلب من نفار.

فتكون أعم من العداوة.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. وفيه دلالة على بقاء أمّتهم إلى آخر الدنيا.

﴿كُلَّمَا﴾ اسم منصوب على نيابة الظرفية الزمانية و«ما» مصدرية.  
 ﴿أَوْقَدُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. إيقاد: إشعال. ﴿نَارًا﴾ مفعول به.  
 ﴿لِلْحَرْبِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَوْقَدُوا﴾.  
 ﴿أَطْفَأَهَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومفعول به مقدم. الاطفاء: الإخماد.  
 ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. أي ﴿كُلَّمَا﴾ أثاروا حرباً على الإسلام بجهة الإسلام ﴿أَطْفَأَهَا﴾  
 ﴿اللَّهُ﴾ بالقاء الاختلاف بينهم، لاجهات سياسية أو العنصرية أو غيرها.  
 ﴿و﴾ استئنافية. ﴿يَسْعَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله، أي يجتهدون.  
 ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَسْعَوْنَ﴾.  
 ﴿فَسَادًا﴾ مفعول له. أي لإفساد الأرض. ﴿و﴾ استئنافية.  
 ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿لَا تُحِبُّ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر.  
 ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ مفعول به. وجملة ﴿لَا تُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ خبر. ولا يخليهم أن  
 ينالوا ما أرادوه من الإفساد في الارض فيخيب سعيهم.  
 وهذا كُله بيان لكونهم ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. لأنهم غير نائلين بما  
 قصدوه واجتهدوا لأجله.

#### تنبيه

قد بحثنا حول البداء في أبحاثنا الأصولية والعقائدية فراجعهما لتكميل البحث  
 وقد دُوّنَت في رسالة على نحو التقرير، والحمد لله رب العالمين.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ

جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

«هذه دعوة من الله سبحانه لليهود والنصارى أن يتوبوا ويدخلوا في الإسلام، وإن استجابوا لدعوته صفح عن جميع ذنوبهم، وإن عظمتم، لأن الإسلام يحب ما قبله، كما جاء في الحديث، وأن اتقوا بعد إسلامهم أدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار»<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم لامتناع الشيء لامتناع غيره، «لو» للماضي و«إن» للمستقبل كقولك: إن أتيتني أكرمتك. ولو أتيتني لأكرمتك فيقدر الأكرام بالأتان في الماضي، وفي «إن» وعد وليس في «لو» ذلك.<sup>٢</sup>

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل. ﴿أَهْلَ﴾ اسمه.

﴿الْكِتَابِ﴾ مضاف إليه، وقد مرَّ أنَّ مصطلح ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في القرآن الكريم يطلق على اليهود والنصارى خاصة ولكن الدعوة هنا لا تختص بهم بل يجري في حق جميع الكفار لبيان العلة وهي الإيمان بمحمد ﷺ ومراعاة التقوى في شريعته.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله، خبر ﴿أَنَّ﴾. أي ﴿ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ خاتم النبيين ومعبوده الله ﷻ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿اتَّقَوْا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. أي ﴿اتَّقَوْا﴾ الله في شريعته ﷺ وفي العمل

١. التفسير الكاشف ٩٤ / ٣.

٢. راجع التبيان ٥٨٤ / ٣.

بواجباتها والاجتناب عن معاصيها.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾ إذا كان فعلاً ماضياً مثبتاً لتأكيد تحقق التلازم بين شرط ﴿لَوْ﴾ وجوابها، أو لام القسم دالة على التأكيد.

﴿كَفَرْنَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى الله تعالى مهابة وتعظيماً للأمر. التكفير: التغطية، ﴿لَكَفَرْنَا﴾ أي لمحوها.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَفَرْنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ بشرطي الإيمان والتقوى.

﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي الذنوب التي عملوها في زمن كفرهم.

لأن الإيمان والتقوى توجب تركية نفوسهم فيمحوا الله عَنكَ أثر ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كفارة لإيمانهم وتقواهم لأن الإسلام يَجِبُ ما قبله.

﴿وَ﴾ عاطفة، والجملة بعدها معطوفة على ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾

﴿أَدْخَلْنَاهُمْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله ومفعول به أول.

﴿جَنَّتْ﴾ مفعول به ثانٍ. ﴿الْنَّعِيمِ﴾ مضاف إليه.

### رواية

العياشي رفعه عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة، سبعون منها في النار، وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى على اثنين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فرقة في النار، وواحدة في الجنة، وتعلو أمتي على الفرقتين جميعاً بملة واحدة في الجنة، وثنان وسبعون في النار.

قالوا: مَنْ هم، يا رسول الله؟ قال: الجماعات الجماعات.

قال يعقوب بن زيد: كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا حدث بهذا الحديث عن

رسول الله ﷺ ، تلا فيه قرآنًا ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup> وتلا أيضاً و ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾<sup>٢</sup> يعني أمة محمد ﷺ<sup>٣</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ<sup>٤</sup> مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ<sup>٥</sup> وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

تتمة الآية السابقة في شأن أهل الكتاب.

﴿وَ﴾ عاطفة على الآية السابقة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط، كما مر في الآية السابقة.

﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى أهل الكتاب.

﴿أَقَامُوا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعلُه. خبر ﴿أَنَّ﴾. إقامة الشيء جعله قائماً واستعيرت

لعدم الإضاعة.

﴿التَّوْرَةَ﴾ مفعول به، المراد بها الواقعي منها النازلة على موسى النبي ﷺ لا

التوراة المحرّفة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْإِنْجِيلَ﴾ معطوف على ﴿التَّوْرَةَ﴾. والمراد به الواقعي منه النازل على عيسى

النبي ﷺ لا الإنجيل المحرّف. وإقامتها هي حفظها والعمل بما جاء فيها من الأحكام.

١. سورة المائدة / ٦٦.

٢. سورة الأعراف / ١٨١.

٣. تفسير العياشي ٢ / ٦١، ح ١٥٢.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على ﴿التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿أُنْزِلَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾. من غير التوراة والإنجيل من الكتب السماوية السابقة على أنبيائهم الذين يدعون أنهم بأيديهم كزبور داود النبي ﷺ.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بحال محذوفة من ﴿مَا﴾ و ﴿مِنْ﴾ بياني. أي حال كون تلك الكتب السماوية ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾ كما مرّ توضيحها في الآية السابقة.

﴿أَكَلُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله والمراد من «الأكل» هنا مطلق التصرف والتنعم بالنعم الإلهية المعدة لعباده المؤمنين.

﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿أَكَلُوا﴾ و ﴿مِنْ﴾ بياني في تعيين جهات الرزق. ﴿فَوْقِهِمْ﴾ يعني النعم السمائية.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿مِنْ﴾ حرف جر مرّ الكلام فيه.

﴿تَحْتَ﴾ معطوف على ﴿فَوْقِهِمْ﴾.

﴿أَرْجُلِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. يعني النعم الأرضية. والجملة ﴿أَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كناية بإحاطة بركات السماء والأرض عليهم نظير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>١</sup> كما تدلّ على أن إيمان الإنسان وأعماله الصالحة تأثر في النظام التكويني من حيث كثرة الرزق واندفاع النقم ووفور النعم وما شابهها.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. الضمير يرجع إلى أهل الكتاب وانصاف

لفريق منهم بعد أن جرت تلك المذايم على أكثرهم.<sup>١</sup>  
﴿أُمَّةٌ﴾ مبتدأ مؤخر. أي جماعة.

﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ نعت، أي معتدلة في أمر الدين والتسليم لأمر الله. أي فيهم جماعة ليست على النعوت السابقة، بل هم الذين هداهم الله إلى الإيمان والإسلام واعتناق الإسلام لأن نفوسهم اعتادت الخير وصلحت بها فسارعوا إليه. فهم الذين أسلموا منهم وتابَعُوا الرسول الأعظم ﷺ وهو المروي في تفسير أهل البيت عليه السلام.<sup>٢</sup>

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿كَثِيرٌ﴾ مبتدأ، والنعوت السابقة لهذا الكثير.  
﴿مَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرٌ﴾.  
﴿سَاءٌ﴾ فِعْلٌ ماضٍ ومعناه قبح. ﴿مَا﴾ موصولة، فاعل.  
﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعل، وجملة ﴿سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ خبر المبتدأ. أي بسئ شيئاً عملهم.

### روايتان

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾. قال: الولاية.<sup>٣</sup>  
رواها الكليني بسند صحيح في الكافي<sup>٤</sup> والعياشي في تفسيره<sup>٥</sup>.  
العياشي رفعه عن أبي الصهباء البكري، قال: سَمِعْتُ علي بن أبي طالب عليه السلام

١. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٥٠.

٢. كما في التبيان ٣/ ٥٨٦ وتفسير القمي ١/ ٢٥٢.

٣. بصائر الدرجات ١/ ١٥٦، ح ٢.

٤. الكافي ٢/ ٣٦٦، ح ٦ (١/ ٤١٣).

٥. تفسير العياشي ٢/ ٦١، ح ١٥٠.

دعا رأس الجالوت وأسقف النصارى فقال: إني سائلكما عن أمرٍ، وأنا أعلم به منكما، فلا تكتُماني. ثم دعا أسقف النصارى، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، وجعل على رجله البركة، وكان يُبرئ الأكمه والأبرص، وأزال ألم العين، وأحى الميت، وصنع لكم من الطين طيوراً، وأنباكُم بما تأكلون وما تدّخرون. فقال: دون هذا صدق.

فقال عليّ عليه السلام: بكم افترت بنو إسرائيل بعد عيسى؟ فقال: لا والله إلا فرقة واحدة.

قال عليّ عليه السلام: كذبت والله الذي لا إله إلا هو، لقد افترت أمة عيسى على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة، إن الله يقول: ﴿مَنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فهذه التي تنجو.<sup>١</sup>

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ<sup>٢</sup> وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ<sup>٣</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ<sup>٤</sup>﴾

نزلت في يوم ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٠ هجرية قبل خطبة خطبها النبي ﷺ في محلّ غدیر خم ومضي خمس ساعات من اليوم نزل جبرئيل ومعه هذه الآية الشريفة، وقد اعترف أعلام أهل السنة والجماعة في نزولها في إبلاغ ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

منهم: الطبري (ت ٣١٠) في كتابه الولاية وابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧)، وأبو عبد الله المحاملي (ت ٣٣٠) وأبو بكر الفارسي الشيرازي (ت ٤٠٧ أو ٤١١) و



ابن مردويه (ت ٤١٦) والثعلبي (ت ٤٢٧ أو ٤٢٨) في تفسيره وأبونعيم الإصفهاني (ت ٤٣٠) والواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨) في أسباب النزول وأبوسعيد السجستاني (ت ٤٧٧) في كتابه الولاية والحاكم الحسكاني (ت بعد ٤٩٠) في شواهد التنزيل.

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾<sup>١</sup> وقد أوصل العلامة الأميني (ت ١٣٩٠هـ) عددهم إلى الثلاثين في كتابه الخالد «الغدير»<sup>٢</sup>.  
﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولُ﴾ خطابٌ للرسول الأعظم ﷺ في أواخر أيام حياته الدنيوية وبعد مجاهدات كثيرة وسنين طويلة مضت في إبلاغ رسالته وترويج شريعته، وخاطبه بالرسالة لكونها أنسب الصفات بالنسبة إلى تبليغ الحكم المأمور به.  
﴿بَلَّغْ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ، أمر بالتبليغ في صورة التهديد.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.  
﴿أُنْزِلَ﴾ فَعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».  
﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾.  
﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بحال محذوفة مِنْ ﴿مَا﴾ الموصولة. و ﴿مِنْ﴾ بياني، أي حال كونه ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾.  
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.  
﴿لَمْ تَفْعَلْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾ وفاعله ضمير مستتر «أنت». والجملة فعل الشرط. أي لم تبلغ هذه الرسالة الأخيرة.  
﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿مَا﴾ نافية.

١. سورة البقرة / ١٩٦.

٢. الغدير ١ / (٤٣٨-٤٢٣) من طبعة مركز الغدير، [١ / (٢٢٣-٢١٤) من الطبعة الثانية].

﴿بَلَّغْتَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى رسول الله ﷺ .  
 ﴿رِسَالَتُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. تهديد صريح في أمر تبليغ هذه الرسالة  
 الأخيرة وبيان لأهميتها وأن مكانتها بمصابة جميع الرسالة النبوية بحيث لو لم يبلغها  
 كأن لم يبلغ شيئاً من رسالته العظيمة التي حملها وبلغها في طيلة ٢٣ عاماً.  
 وإعلام واضح بشأن هذه الرسالة الأخيرة وأن الرسول ﷺ ليس له بدّ إلا  
 تبليغه.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يَعْصُمُكَ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. خبر. أي  
 يحفظك ويقيك ويمنعك أن ينالوك بسوءٍ من فعلٍ أو شرٍّ أو قهرٍ.  
 ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَعْصُمُكَ﴾. أي من تعاديات الناس  
 «بالإيذاء في الجسم من قتل أو سم أو أيّ اغتيال، أو بالقول كالسبّ والإفراء، أو بغير  
 ذلك كتقليب الأمور بنوع من المكر والخديعة والمكيدة، وبالجملة السكوت عن  
 تشخيص ما يعصم منه لإفادة نوع من التعميم، ولكن الذي لا يعدو عنه السياق هو  
 شرهم الذي يوجب انقلاب الأمر على النبي ﷺ بحيث يسقط بذلك ما رفعه من  
 أعلام الدين»<sup>١</sup>.

﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿لَا يَهْدِي﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو». والمراد بالهداية هنا،  
 عدم هدايتهم في كيدهم ومكرهم وشرهم وفسادهم.  
 ﴿الْقَوْمَ﴾ مفعول به.

﴿الْكَافِرِينَ﴾ نعت، وصف الله المتمردين عن الولاية بـ ﴿الْكَافِرِينَ﴾. وجملة ﴿لَا  
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾.

نعم، هم الكافرون حقيقة لأنهم إنكارهم الولاية انكروا الرسالة والنبوة والقرآن والتوحيد وإن كانوا على ظاهر الإسلام وأحكامه.

### الروايات

قد ذكر السيد هاشم البحراني عدّة من الروايات العامية في أنّها نزلت في شأن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه غاية المرام.<sup>١</sup>  
وذكر الشيخ عبدالله البحراني<sup>٢</sup> ستين رواية من العامة والخاصة في هذا الشأن.  
ونقل شيخنا في الرواية آية الله السيّد شهاب الدين المرعشي<sup>٣</sup> عن تسعة من الصحابة والأعلام في ضمن ٢١ رواية، فراجعها.

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾

«الآية الشريفة ترشد إلى أمر مهمّ في الحياة مطلقاً - ولا سيّما المعنويّة - منها أنّ الإنسان يحتاج في سيره وسلوكه في المكارم والصفات الحسنة والأعمال الصالحة، إلى أساس قويّ يمكن أن يعتمد عليه لإقامة الحقّ والدين وتهذيب نفسه»<sup>٤</sup>.  
﴿قُلْ﴾ خطاب لأشرف خلقه وهو خاتم رسله محمد صلى الله عليه وآله.

١. غاية المرام ١/٤١٩.

٢. راجع كتابه عوالم العلوم والمعارف، القسم الثاني من المجلد ١٥ / (٥١٨-٤٨٢).

٣. موسوعة الإمامة في نصوص أهل السنة ١ / (٢٢٦-٢١٦).

٤. مواهب الرحمن ١٢/٤٩.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ نادى ﷺ ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ بأمر إلهي.

﴿لَسْتُمْ﴾ فعلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمه.

﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ جارٌ ومجرور متعلقٌ بخبر ﴿لَسْتُمْ﴾. من الدين والهداية والتقوى، نفى أن يكون لهم أقلُّ حظٍّ من الدين والهداية والتقوى ماداموا لم يبلغوا الغاية التي ذُكرت.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية.

﴿تُقِيمُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾ وفاعله. إقامة كلِّ

شيءٍ بحسبه وإقامة الدين الاعتقاد الراسخ والعمل به.

﴿التَّوْرَةَ﴾ مفعول به. اليهود ملزمون بإقامة ﴿التَّوْرَةَ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿الْإِنْجِيلَ﴾ معطوف على ﴿التَّوْرَةَ﴾ والنصارى ملزمون بإقامة ﴿الْإِنْجِيلَ﴾.

وإقامتها إقرار واعتراف بما ورد فيهما من البشارة بمحمد ﷺ والإيمان به ﷺ والإلحاق بدينه وإظهار الشهادتين والشاهد لما ذكرنا بعدها من قوله تعالى:

﴿و﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على ﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. والمراد به القرآن العظيم.

﴿أُنزِلَ﴾ فعلٌ ماضٍ مجهول ونائب فاعله ضمير «هو» مستتر.

﴿إِلَيْكُمْ﴾ جارٌ ومجرور متعلقٌ بـ ﴿أُنزِلَ﴾.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حرف جر بياني ومجروره ومضاف إليه. متعلقٌ بحال محذوفة من

﴿مَا﴾.

يعني اليهود والنصارى لابدَّ لهم من إقامة ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فحينئذ

أنتم أيها المسلمون أولى وأقرب من إقامة دينكم وكتابكم من غيركم.

والمطلب واحد بين الأديان الثلاثة وهو أنَّ المتدين هو الذي أقام كتابه في

الاعتقاد والعمل وإلاَّ ليس بمتدين بل يدعي الدين بلا فرق بين اليهودي والنصراني

والمسلم.

وإقامة الكتاب الالتزام والاعتقاد بها ورد فيه والعمل على طبعة طيلة حياته.  
﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قد مرّ في الآية ٦٤  
من هذه السورة فلا نعيد.

﴿فَ﴾ استثنائية، أو الفصيحة لتتم التسلية. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة.  
﴿تَأْسَ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله «أنت» يا رسول الله ﷺ. الأسى: الحزن.  
لأنّ رحمة الرسول بالخلق تحزنه ممّا بلغ منهم على كفرهم.  
﴿عَلَى الْقَوْمِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تَأْسَ﴾.  
﴿الْكَافِرِينَ﴾ نعت ﴿الْقَوْمِ﴾. دلّ على صيرورة الكفر لهم سجية وصفة تتقوّم بها  
قوميتهم.

تسلية منه تعالى لنبيّه الخاتم ﷺ بعدم التحزن لهم لأنّ ما يصلهم ليس إلّا  
جزاء كفرهم وطغيانهم وأعمالهم السيئة وأفعالهم الشنيعة.

#### روايتان

معتبرة حُرّان عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ آلِكُتَبِ لَسْتُمْ عَلَى  
شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا  
أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا. قال: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. ١  
ورواها العياشي في تفسيره. ٢

صحيحة الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ آلِكُتَبِ  
لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال: هي

١. بصائر الدرجات ١/ ١٥١، ح ٨.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٦٦، ح ١٥٨.

الولاية، وهو في قول الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾<sup>١</sup> قال: هي ولايتنا وفي قوله الله [ تعالى: ﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾<sup>٢</sup> قال: هي الولاية.<sup>٣</sup>

وأيضاً رواها سعد بن عبدالله الأشعري القمي بسند صحيح في كتابه بصائر الدرجات<sup>٤</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>٥</sup>

قد مرّت نظيرتها في سورة البقرة / ٦٢. ولكن موقعها دقيق ومعناها أدق وإعرابها تابع لدقة الأمرين.

والآية الشريفة يمكن «أن تكون استئنافاً بيانياً ناشئاً على تقدير سؤال يخطر في نفس السامع لقومه: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>٥</sup> فيسأل سائل عن حال من انقضوا من أهل الكتاب قبل مجيء الإسلام: هل هم على شيء أو ليسوا على شيء، وهل نفعهم اتباع دينهم أيامئذٍ؛ فوقع قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية جواباً لهذا السؤال المقدّر. والمراد بالذين آمنوا المؤمنون بالله وبمحمد ﷺ أي المسلمون. وإنّما المقصود من الإخبار الذين هادوا والصابون والنصارى، وأمّا التعرّض لذكر الذين آمنوا فلاهتمام بهم سنيته قريباً.

١. سورة البقرة / ٢٠٨.

٢. سورة المائدة / ٦٧.

٣. بصائر الدرجات / ٢ / ٩١٨، ح ٤١.

٤. راجع مختصر البصائر / ٢٠٢، ح ٢٨.

٥. سورة المائدة / ٦٨.

ويجوز أن تكون هذه الجملة مؤكدة لجملة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾<sup>١</sup> الخ، فبعد أن أتت تلك الجملة بما أتت به من الجمل عاد الكلام بما يفيد معنى تلك الجملة تأكيداً للوعد، ووصلاً لربط الكلام، وليلحق بأهل الكتاب الصابئون، وليظهر الاهتمام بذكر حال المسلمين في جنات النعيم.

فالتصدير بذكر الذين آمنوا في طاعة المعدودين إدماج للتنويه بالمسلمين في هذه المناسبة، لأن المسلمين هم المثال الصالح في كمال الإيمان والتحرز عن الغرور وعن تسرب مسارب الشرك إلى عقائدهم كما بشر بذلك النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع بقوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسُّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ» فكان المسلمون، لأنهم الأوحدون في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، أولين في هذا الفضل<sup>٢</sup>.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد واهتمام بالخبر المحذوف ودل عليه قوله في آخر الآية ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المراد بهم الذين صدقوا الله وأقروا بنبوة نبيه الخاتم محمد ﷺ وهم المسلمون.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ويكون من عطف جملة على جملة فيصح عدّ ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ مبتدأ في محل رفع. والمراد بهم اليهود الذين يقرون بموسى النبي ﷺ.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الصَّبِغُونَ﴾ معطوف على محل ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهي الرفع للابتداء كما مرّ

١. سورة المائدة / ٦٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥ / ١٦٠.

آنفًا. ﴿الصَّيُّونُ﴾ جمع صابئ وهم عبَادُ الكواكب «وعندنا لا يؤخذ منهم الجزية»<sup>١</sup>.  
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿النَّصَرَى﴾ معطوف على ﴿الصَّيُّونَ﴾. وهم المسيحيون الذين يقرون بعيسى النبي ﷺ.

﴿مَنْ﴾ موصولة، والرباط محذوف.

﴿ءَامِنَ بِاللَّهِ﴾، ﴿مَنْ ءَامِنَ بِاللَّهِ﴾ مبتدأً ثانياً أي: ﴿مَنْ ءَامِنَ بِاللَّهِ﴾ أي من المذاهب الأربعة المذكورة يعني بالمبدأ الأعلى.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿آلْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ معطوف على ﴿اللَّهِ﴾ ونعت. يعني بالمعاد. لأن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالمبدأ والمعاد.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَمَلٍ صَالِحًا﴾ معطوف على ﴿ءَامِنَ بِاللَّهِ﴾. لأن العمل الصالح يعدّ من لوازم الإيمان بالمبدأ والمعاد.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَا﴾ نافية تعمل عمل «ليس».

﴿خَوْفٍ﴾ اسم لا. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور، متعلّق بخبر ﴿لَا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية، لا عمل لها.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿تَحْزَنُونَ﴾ خبر.

والجوابُ هُوَ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ. «والآية في مقام بيان أن لا عبرة في باب السعادة بالأسماء والألقاب كتسمي جمع بالمؤمنين وفرقة بالذين هادوا، وطائفة بالصابئين وآخرين بالنصارى، وإنّما العبرة بالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح»<sup>٢</sup>.

١. التبيان ٣/ ٥٩٢.

٢. الميزان ٦/ ٦٧.



﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ  
بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

«استئناف عاد به الكلام على أحوال اليهود وجراءتهم على الله وعلى رسله. وذلك تعريض باليأس من هديهم بما جاء به محمد ﷺ وبأن ما قابلوا به دعوته ليس بدعاً منهم بل ذلك دأبهم جيلاً بعد جيل»<sup>١</sup>.

أو «كلام مبتدأ سيق لبيان بعض آخر من جرائمهم فيكون حجة عليهم، وبرهاناً لقوله ﷻ: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُفِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>٢</sup>، فإن هذه الجرائم والجنايات تقطع صلة الإنسان بربه، حتى يرجع إليه بالإيمان الخالص، والرجوع إلى كتب الله وإقامتها، كما أنه من جهة أخرى يمكن أن يكون بياناً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾<sup>٣</sup> بأن هذه التسميات لو نفعت لصدّت هؤلاء من الجرائم والآثام المسجلة عليهم في هذه الآيات، فيكون كالتصديق للآية السابقة»<sup>٤</sup>.

﴿لَ﴾ للقسم، واقعة في جواب القسم المحذوف أي والله ﴿لَقَدْ﴾.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَخَذْنَا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الله تعالى.

﴿مِيثَاقٌ﴾ مفعول به، الميثاق: العهد المؤكد، إن الله سبحانه كرّر أخذ الميثاق من اليهود تأكيداً لعتوّهم وشدة تمردهم.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٦٣.

٢. سورة المائدة / ٦٨.

٣. سورة المائدة / ٦٩.

٤. مواهب الرحمن ١٢/ ٥٥.

﴿بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَرْسَلْنَا﴾ معطوف على ﴿أَخَذْنَا﴾، فعل ماضٍ وفاعله.

﴿إِلَيْهِمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾. والضمير يرجع إلى ﴿بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿رُسُلًا﴾ مفعول به، جمع رسول وهو النبي، «والرسل الذين أرسلوا إليهم هم موسى وهارون ومن جاء بعدهما مثل يوشع بن نون وأشعيا وأرميا وحزقيال وداود وعيسى. فالمراد بالرسل هنا الأنبياء: من جاء منهم بشرع وكتاب، مثل موسى وداود وعيسى، ومن جاء معززاً للشرع مبيناً له، مثل يوشع وأشعيا وأرميا»<sup>١</sup>.

﴿كُلَّ﴾ اسم منصوب على نيابة الظرفية الزمانية لإضافته إلى اسم الزمان المبهم، جواب الشرط. وتقديره: في كل أوقات مجيء الرسل إليهم... وانتصابه بالفعلين: ﴿كَذَّبُوا﴾ و ﴿يَقْتُلُونَ﴾ على التنازع.

﴿مَا﴾ الظرفية المصدرية. ﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به مقدم.

﴿رُسُولٌ﴾ فاعله. ﴿بِ﴾ حرف جر.

﴿مَا﴾ موصولة. ﴿بِمَا﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿جَاءَهُمْ﴾. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَهَوَّى﴾ فعل مضارع، أي ﴿بِمَا لَا﴾ تحبه. هَوَىٰ يَهْوِي بِمَعْنَى أَحَبَّ وَمَالَتْ  
نفسه إلى ملابسة شيء.

﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ فاعله ومضاف إليه.

﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به مقدم. أي ﴿فَرِيقًا﴾ من الرسل.

﴿كَذَّبُوا﴾ فَعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به مقدم.

﴿يَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. بدل فعل الماضي بالمضارع لإفادة أنَّ اليهود يستمرون في قتل كلِّ مَنْ جاءهم ﴿بِمَا لَا تَهَوَّى أَنْفُسُهُمْ﴾ حتَّى يومنا هذا. وعملية

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/ ١٦٤.

الاغتيال والفتك وإراقة دماء مخالفينهم هي سيرتهم المستمرة الباقية.  
وجملنا ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ مشبهة لجواب الشرط المحذوف المستفاد من ﴿كُفَّارًا﴾. والضامائر كلها راجعة إلى ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

متمم للكلام في الآية السابقة ومظهر آخر من مظاهر طغيان اليهود.  
﴿و﴾ عاطفة.

﴿حَسِبُوا﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ، عطف على ﴿كَذَّبُوا﴾ في الآية السابقة.  
الحسبان: هو الظن ويستعمل في الظن المتمكن في النفس كالعلم في القوة.  
﴿حَسِبُوا﴾ أي ظنوا.

﴿أَلَّا﴾ وهي كلمتين: «أَنْ» مصدرية ناصبة و «لا» نافية.  
﴿تَكُونُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أَنْ» وهنا تامة.  
﴿فِتْنَةٌ﴾ فاعله. الفتنة: هي المحنة التي تغرّ الإنسان أو تعرض على الإنسان أو هي تشمل كل شرّ وبلية.

يعني «ظنّ اليهود أن لا يصيبهم بلاء من الله تعالى بما فعلوه من القبائح والآثام، والظاهر أنّ هذا الظنّ حصل من زعمهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنّ لهم من الكرامة ما لم تكن لغيرهم من الأمم»<sup>١</sup>.

بعبارة أخرى: ظنهم أنّ الفتنة لا تُصِيبُهُمْ نَشَأَ مِنْ أَتَمِّ يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ

٤٢٠ ..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السادس

الله وأحبائه وأتتهم من أولاد الأنبياء فلا يمسههم سوء وإن فعلوا ما فعلوا وارتكبوا ما ارتكبوا.

﴿فَ﴾ تفرعية، وما بعدها معلول لما قبلها.

﴿عَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، العمى هنا عدم إِبصار الحقّ مطلقاً وعدم تمييز بين الخير والشر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿صَمُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله، معطوف على ﴿عَمُوا﴾. الصمم هنا عدم سماع الموعظة وعدم الإِعباء بالنصيحة.

والمعنى: ذلك الظن الكاذب بأنهم لا يفتنون عموا أبصارهم عن إِبصار الحقّ وأصمّ آذانهم عن سماع ما ينفعهم من دعوة أنبيائهم ومواعظهم ونصائحهم.

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف، للترتيب أي بعد هذا العمى والصمم.

﴿تَابَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿تَابَ﴾. التوبة من الله على عباده رجوعه إليهم بالرحمة، يعني بعد هذا الظن الفاسد والعمى والصمم الحاصلين من الظن الفاسد، رجع الله بالرحمة عليهم فرفع هذا الظن عن نفوسهم وهذان العمى والصمم عن أبصارهم وآذانهم فعرفوا أنفسهم بأنهم عباد لله ولا كرامة لهم على الله إلا بالإيمان والعمل الصالح.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة للترتيب.

﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾ معطوفان على ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾ السابقين.

﴿كَثِيرٌ﴾ بدل من الضمير الفاعلي.

﴿مِنْهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من كثير. أي العمى والصمم الحاصلان بعد توبة الله عليهم يشمل ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ لا جميعهم، فتوبة الله يفيد قليلهم.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿بَصِيرٌ﴾ خبر.  
 ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَصِيرٌ﴾. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.  
 إنذارٌ بأن الله لا يخفى عليه شيء ولا يحجبه شيء عن شيء فيجازيهم على أعمالهم  
 وعلى العمى والصمم.

### رواية

في خبر خالد بن يزيد القمي عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول  
 الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ قال: حيث كان النبي صلى الله عليه وآله بين أظهرهم ﴿فَعَمُوا  
 وَصَمُوا﴾ حيث قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ حيث قام  
 أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ إلى الساعة.<sup>١</sup>  
 ذكرها القمي<sup>٢</sup> ورواها العياشي<sup>٣</sup>.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ  
 يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ  
 عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾

«بعد ما ذكر عليه السلام في الآيات السابقة مقالة اليهود الشنيعة، وسجل عليهم نتائج  
 أفعالهم، وما تضمه نفوسهم بالنسبة للرسول الكريم ودينه الحق، ذكر عليه السلام في هذه  
 [الآية وما بعدها] مقالة النصارى، التي تدل على الكفر بالله والشرك به، حيث بهتوا

١. الكافي ١٥/٤٦٦، ح ٢٤٠ (٨/١٩٩).

٢. تفسير القمي ١/٢٥٧.

٣. تفسير العياشي ٢/٦٦، ح ١٥٩.

واعتبروا نبيهم إلهاً أو ثالث ثلاثة، وهو يدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد ربّ كلّ شيء، ويأمرهم بالتوبة والرجوع إليه بالإنابة واستغفاره ممّا بدر منهم من عظيم الكفر، ثمّ بين ﷺ أنّ الذي يتخذونه إلهاً هو عبدٌ من عباد الله، ولدته امرأة كسائر النساء، بريئة ممّا يتهمونها من التثليث، ليست فيها من صفات الألوهية شيء، بل هما مخلوقان مربوبان كسائر أفراد البشر، لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، وقد أثبت ﷺ بطلان دعاوى النصراني في المسيح وأمه براهين قويّة، وأبطل غلوهم في دينهم، وأمرهم باتّباع الحقّ، فكانوا كاليهود لا تنفعهم التسمية، ولا يفيدهم الانتساب إلى النصرانية ما لم يقيموا الإنجيل ويرجعوا إلى الحقّ، وإلاّ هم على الضلال»<sup>١</sup>.

﴿لَا﴾ لام القسم. أقسم الله تعالى بأنّهم... . ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿كَفَرُ﴾ فَعْلٌ ماضٍ، حكم الله سبحانه بالكفر الجحودي لِمَنْ... .

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، فاعله.

﴿قَالُوا﴾ فَعْلٌ ماضٍ وفاعله. والجملة بعده مقول القول.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيدٌ. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿الْمَسِيحُ﴾ خبره وجملة ﴿هُوَ الْمَسِيحُ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿ابْنُ﴾ نعت أو بدل ﴿الْمَسِيحُ﴾. ﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه.

ردّ الله سبحانه القول بألوهية النبي عيسى عليه السلام في الآية الشريفة بالوجوه

الخمسة هذه أولها وهي:

كيف يمكن أن يكون الإله ابن امرأة ولد منها وكلاهما مخلوقان والله سبحانه

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿قَالَ الْمَسِيحُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. وما بعده مقالته.

﴿يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ﴾ أداة ندى ومنادى ومضاف إليه. لأنّ النبي عيسى عليه السلام مبعوث

إليهم فقط ولذا خاطبهم.

﴿اعْبُدُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿رَبِّي﴾ بدل من ﴿اللَّهُ﴾ ومضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿رَبِّكُمْ﴾ معطوف على ﴿رَبِّي﴾.

الوجه الثاني: أمر المسيح بعبادة الله واعترف بأنه تعالى ربّه وربهم، وإذا كان هو الله فكيف أمر بعبادة الله واعترف بربوبيّته وهذا الأمر والاعتراف لا يجتمع مع الألوهية.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره، ﴿مَنْ﴾ وما بعدها خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿يُشْرِكْ﴾ فعل مضارع مجزوم، فعل الشرط.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُشْرِكْ﴾. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿حَرَّمَ﴾ فعل ماض. جواب الشرط.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿حَرَّمَ﴾.

﴿الْجَنَّةَ﴾ مفعول به.

هذا هو الوجه الثالث: وهو إخبار عيسى عليه السلام بأنّ الشرك (وهو الكفر) بالله يوجب المنع من دخول الجنة. فلو كان عيسى إلهاً لما حرم الجنة على من اعتقد فيه بأنّه إله.

﴿وَ﴾ حالية والجملة بعده في محلّ نصب حال.

﴿مَأْوَهُ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ﴿النَّارُ﴾ خبره.

وهذا هو الوجه الرابع: وهو أنّ المسيح لو كان إلهاً لأمكن أن ينجي أنصاره ومريديه من النار، مع عدم تمكنه من ذلك.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.  
 ﴿مِنْ﴾ حرف جر. ﴿أَنْصَارٍ﴾ مبتدا في محل رفع. مجرور لفظاً.  
 وهذا هو الوجه الخامس: وهو أنَّ الشَّرك بالله هو الظلم العظيم كما نقل الله عن لقمان في مواعظه لابنه ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>١</sup> وأنَّ الظالمين لا ناصر لهم يدفع عنهم العذاب ويخلصهم ممَّا هم فيه من أنواع العذاب، ولو كان المسيح إلهاً يدافع عن مَنْ يعتقد بألوهيته وينصرهم حالكونهم ظالمين ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

### رواية

عن زرارة قال: كتبتُ إلى أبي عبد الله عليه السلام مع بعض أصحابنا فيما يروي الناس عن النبي ﷺ، أنه «من أشرك بالله فقد وجبت له النار، ومن لم يُشرك بالله فقد وجبت له الجنة».

قال: أمّا من أشرك بالله فهذا الشَّرك البين، وهو قول الله: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾، وأمّا قوله: «من لم يُشرك بالله فقد وجبت له الجنة» قال أبو عبد الله عليه السلام: هاهنا النظر، هو من لم يعص الله.<sup>٢</sup>

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣)

تأكيد آخر على كفر النصارى مع هذه المقالات الفاسدة.

١. سورة لقمان / ١٣.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٦٦، ح ١٦٠.



﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ﴾ قد مضى في الآية السابقة.

﴿ثَالِثٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. أي أحد.

﴿ثَلَاثَةٌ﴾ مضاف إليه. وهم: الأب والابن وروح القدس.

ابتدأت مذهب النصارى بتناقض لا يمكن الجواب عنه وهو أنهم يعدون أنفسهم من الأديان التوحيدية القائلون بأن الله واحد ثم في آنذاك يذهبون إلى الأقانيم الثلاثة: الأب والابن وروح القدس ويقولون ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وأن الثلاثة إله والإله ثلاث.

يعني في آن واحد يذهبون إلى توحيد الإله وَتَثْلِيثِهِ وحيث لا يمكن الجمع بين الواحد والثلاثية يقولون بأنك لا بد أن تؤمن بهذا التناقض والإيمان خارج عن الدليل والتعقل والموازن العلمية ومع هذا التناقض الواضح الباطل أنت ترى أن أول دين في العالم البشري هو النَصْرَانِيَّة بجميع فرقها وشعوبها وهذا يوجب العجب الإعجاب.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿مِنْ﴾ حرف جر، تأكيد الاستغراق.

﴿إِلَيْهِ﴾ مجروره، مبتدأ في محل رفع.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. لا عمل لها. النفي والاستثناء يدل على الحصر.

﴿إِلَهُ﴾ خبر. ﴿وَاحِدٌ﴾ نعت أو تأكيد. والتذكير يفيد التنويع.

والجملة «رد من الله تعالى لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ بأن الله سبحانه لا يقبل بذاته المتعالية الكثرة بوجه من الوجوه فهو تعالى في ذاته واحد، وإذا اتصف بصفاته الكريمة وأسمائه الحسنی لم يزد ذلك على ذاته الواحدة شيئاً، ولا الصفة إذا أُضيفت إلى الصفة أورت ذلك كثرة وتعدداً فهو تعالى أحدي الذات لا ينقسم لا في خارج ولا في وهم ولا في عقل.

فليس الله سبحانه بحيث يَتَجَزَّأُ في ذاته إلى شيء وشيء أبداً، ولا أن ذاته بحيث

يجوز أن يضاف إليه شيء فيصير اثنين أو أكثر، كيف؟ وهو تعالى مع هذا الشيء الذي تراد إضافته إليه تعالى في وهم أو فرض أو خارج.

فهو تعالى واحد في ذاته لكن لا بالوحدة العددية التي لسائر الأشياء المتكون منها الكثرات، ولا منعوث بكثرة في ذات أو اسم، أو صفة، كيف؟ وهذه الوحدة العددية والكثرة المتألفة منها كلتاهما من آثار صنعه وإيجاده فكيف يتصف بها هو من صنعه؟

... فالمعنى: ليس في الوجود شيء من جنس الإله أصلاً إلا إله واحد نوعاً من الوحدة لا يقبل التعدد أصلاً لا تعدد الذات ولا تعدد الصفات، لا خارجاً ولا فرضاً<sup>١</sup>.

﴿وَ﴾ استئنافية، وما بعدها توعيد وتهديد لهم بالعذاب إن لم يرجعوا من هذا القول الباطل.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿يَنْتَهُوْا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. فعل الشرط.

﴿عَمَّا﴾ حرف جر «عن» و «ما» موصولة في محل جر. الجار والمجرور متعلق بـ ﴿لَمْ يَنْتَهُوْا﴾.

﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿لَ﴾ لام تأكيد.

﴿يَمَسِّنَ﴾ فعل مضارع في محل جزم لأنه جواب الشرط ونون التأكيد الثقيلة.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به مقدم.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والتصريح بالظاهر لإظهار علّة الكفر للعذاب.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿الَّذِينَ﴾. أي حال كونهم ﴿مِنْهُمْ﴾. «من»

تبعيضية، يعني الذين يقول بالتثليث.

﴿عَذَابٌ﴾ فاعل ﴿لِيَمَسَنَّ﴾. ﴿أَلِيمٌ﴾ نعت.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ<sup>ج</sup> وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

تقرير وتوبيخ وتعجيب من حال النصارى وإصرارهم على التثليث الباطل.

﴿أُ﴾ استفهام إنكاري أو تعجبي.

﴿فَ﴾ تفرعية، بعد ثبوت كفرهم. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَتُوبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. التوبة: الندم على القبيح مع العزم على أن لا

يعود.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتُوبُونَ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿يَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ معطوف على ﴿يَتُوبُونَ﴾ ومفعول به. والضمير المفعولي يرجع

إلى ﴿اللَّهِ﴾ تعالى

﴿و﴾ استئنافية وما بعدها تحريك وتحضيض للتوبة والاستغفار.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ خبراه.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ<sup>ط</sup>

كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ<sup>ظ</sup> أَنْظَرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنِّي

يُؤَفِّكُونَ﴾

رَدُّ من الله تعالى لألوهية المسيح وبيان بآنه لا يفارق أنبياء الله تعالى في كونهم

بشراً.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿الْمَسِيحُ﴾ مبتدأ. ﴿أَبْنُ﴾ صفة أو بدل من ﴿الْمَسِيحُ﴾.  
 ﴿مَرِيَمَ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.  
 ﴿رَسُولٌ﴾ خبر، قصر موصوف على صفة أي قصر المسيح ﷺ على صفة الرسالة فقط ولا يتجاوز إلى غيرها من الألوهية والربوبية.  
 ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.  
 ﴿خَلَّتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث، أي مضت، إشارة إلى جريان الموت حتّى على أنبياء الله تعالى.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿خَلَّتْ﴾.  
 ﴿الرُّسُلُ﴾ فاعل، يعني أنّ المسيح ﷺ لا يفارق رسل الله ومساوٍ معهم في البشرية والعبودية والمخلوقية.  
 ﴿وَأُمُّهُ﴾ معطوفة على جملة ﴿مَا الْمَسِيحُ﴾.  
 ﴿صِدِّيقَةً﴾ صيغة مبالغة من الصدق والمراد نفي وصف لها أعلى من ذلك من الألوهية وغيرها وإثبات طهارتها من الذنوب.  
 ﴿كَانَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمه والجملة حال من ﴿الْمَسِيحُ﴾ ﴿وَأُمُّهُ﴾.  
 ﴿يَاكُلَانِ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانَا﴾.  
 ﴿الطَّعَامَ﴾ مفعول به. وأكل الطعام دليل على الاحتياج والبشرية ونفي الألوهية.

﴿أَنْظُرْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». مخاطباً للنبي الخاتم ﷺ في مقام التعجب.

﴿كَيْفَ﴾ كيف اسم استفهام في موضع مفعول به ﴿أَنْظُرْ﴾. وأراد من الاستفهام التعجب والمعنى ﴿أَنْظُرْ﴾ جواب هذا الاستفهام.  
 ﴿نُبَيِّنُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نُبَيِّنُ﴾. والضمير يرجع إلى النصارى القائلين بألوهية المسيح.

﴿الْأَيْتِ﴾ مفعول به. أي الأدلة الواضحة. ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للترتيب.

﴿أَنْظُرْ﴾ معطوف على ﴿أَنْظُرْ﴾ سابق.

﴿أَنْفِ﴾ اسم استفهام بمعنى «كيف» في محل نصب حال ﴿يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله. أي يصرون عن نتيجة هذا الاستدلال الواضح وهي بطلان دعوى ألوهية المسيح وكيف لا يلتفتون إلى هذه النتيجة بعقولهم؟!

ولعل الوجه في عدم وصولهم إلى هذه النتيجة لأنّ العقل في ديانة النصارى عطلت بالكلية، مع أنّها في ديانة المسلمين أساسها.

#### رواية

أحمد بن خالد، عن أبيه، رفعه، في قوله الله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، قال: كانا يتَغَوَّطان. ١

رواها الصدوق مسنداً إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

خطاب للرسول الأعظم ﷺ واحتجاج جديد في ردّ ألوهية المسيح وغيره.

١. تفسير العياشي ٢/ ٦٧، ح ١٦١.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٣٧١ من طبعة مؤسسة آل البيت.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت» مستتر. خاطب النبي الخاتم ﷺ والجملة بعده مقول القول.

﴿أُ﴾ استفهام توبيخي وتغليطي. ﴿تَعْبُدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿مِنْ دُونِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من ﴿مَا﴾ الموصولة الآتية.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به ﴿تَعْبُدُونَ﴾. استعمل لفظة ﴿مَا﴾ مع أن المسيح من ذوي العقول لأن الاستدلال في نفي ألوهية المسيح مشترك مع الاستدلال في نفي ألوهية الأصنام وغيرها. وفي القرآن استعمل ﴿مَا﴾ في من يعقل كقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>١</sup>.

﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَمْلِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿مَا﴾.

والملك: القدرة على تصرف ما للقادر عليه أن يصرفه أو يتمكن من التصرف بدون معارض.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَمْلِكُ﴾.

﴿ضَرًّا﴾<sup>٢</sup> مفعول به. والضر: «هو فعل الألم أو الغم أو ما أدى إليهما أو إلى واحد منهما»<sup>٣</sup>. وتقديم الضر لأن النفوس أشد تطلعا إلى دفعه من جلب المنفعة ﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد.

﴿نَفْعًا﴾ معطوف على ﴿ضَرًّا﴾. النفع: «هو فعل اللذة أو السرور أو ما أدى

١. سورة النساء / ٣.

٢. فائدة: الضر إذا جاء مفردا في القرآن الكريم كان يَضُم الضاد المهملة، وإذا ذكر مع النفع جاء بفتح الضاد المعجمة للمُشاكلة.

٣. التبيان ٦٠٦/٣.

إليهما أو إلى واحد منهما»<sup>١</sup>.

يستفاد من الآية الشريفة أموراً:

الأول: «أنّ الحجة التي تشتمل عليها هذه الآية غير الحجة التي تشتمل عليها الآية السابقة وإن توقفتا معاً على مقدمة مشتركة، وهي كون المسيح وأُمّه ممكنين محتاجين، فالآية السابقة حجّتها أنّ المسيح وأُمّه كانا بشرين محتاجين عبيدين مطيعين لله سبحانه، ومن كان حاله هذا الحال لم يصح أن يكون إلهاً معبوداً، وحجّة هذه الآية: أنّ المسيح ممكن محتاج مملوك بنفسه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، ومن كان حاله هذا الحال لم يستقم ألوهيته وعبادته من دون الله.

والثاني: أنّ الحجة مأخوذة ممّا يدركه الفهم البسيط والعقل الساذج من جهة غرض الإنسان البسيط في عبادته فإنّه إنّما يتخذ ربّاً ويعبده ليدفع عنه الشرّ ويجلب إليه النفع، وهذا إنّما يملكه الله تعالى دون غيره، فلا غرض يتعلّق بعبادة غير الله فمن الواجب أن يرفض عبادته.

والثالث: أن قوله: «مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا» إنّما أخذت فيه لفظ «مَا» دون لفظة «مِنْ» مع أنّ المسيح من أولي العقل لأنّ الحجة بعينها هي التي تقام على الوثنيين وعبدة الأصنام التي لا شعور لها، ولا دخل في كون المسيح ﷺ من أولي العقل في تمام الحجة فهي تامة في كلّ معبود مفروض دون الله سبحانه.

والرابع: أنّ مجموع الآية: «اتَّعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ» إلى آخرها حجة على وجوب قصر العبادة في الله سبحانه من دون إشراك غيره معه وهي منحلة إلى حجتين ملخصهما: أنّ اتخاذ الإله وعبادة الربّ إنّما هو لغرض دفع الضرّ وجلب النفع فيجب أن يكون الإله المعبود مالكاً لذلك ولا يجوز عبادة من لا يملك شيئاً، والله سبحانه هو السميع المجيب للدعوة، العليم بكنه الحاجة من غير جهل دون غيره؛ فوجب عبادته

من غير إشراك غيره»<sup>١</sup>.

﴿و﴾ حالة. ﴿الله﴾ مبتدأ. ﴿هو﴾ مبتدأ ثان.


﴿السميع﴾ خبر ﴿هو﴾، لأقوالكم والمجيب لدعواتكم.

﴿العليم﴾ خبر ثان، بأحوالكم وحاجاتكم.

وجملة ﴿هو السميع العليم﴾ خبر ﴿الله﴾. أي لا يسمع كل دعاء ولا يعلم كل

احتياج إلا الله تعالى، قصر بواسطة تعريف الخبرين وضمير الفصل على الله تعالى.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ

قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ 

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يخاطب أهل الكتاب عموماً من اليهود والنصارى ونهاهم من الغلو في دينهم والنهي عن الغلو في الدين لا يختص بهم بل يشمل المسلمين والمؤمنين أعادنا الله منه.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الخاتم ﷺ.

﴿يَتَاهَلِ الْكِتَابِ﴾ توجه الخطاب إلى أهل الكتاب خاصة ولكن داء الغلو عام

يشمل غيرهم فالدواء كذلك وهو النهي عن الغلو.

﴿لَا تَغْلُوا﴾ فعل نهي وفاعله. مقول القول. الغلو: مصدر غلا في الأمر: إذا

جاوز حده المعروف والتعارف يؤخذ من العقل أو الشرع أو العرف.

فالغلو: التجاوز عن الحد إلى الإزدياد وضده التقصير: وهو الخروج عن الحد

إلى النقصان.



والغالي: المتجاوز عن الحدّ بالإفراط ويقابله القالي: وهو المتجاوز عن الحدّ بالتفريط.

والزيادة والنقصان في الحدّ من الطرفين فاسدٌ «ودين الله الذي أمر [الله] به هو [بين الحدّين] بين الغلو والتقصير، وهو الاقتصاد»<sup>١</sup>.

ويصدق الغلو والتقصير في فروع الدين كما يصدقان في أصول الدين:  
والغلو في أصول الدين واضح كما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>٢</sup>. أو ما مرّت في هذه السورة من آيات ١٨ و ٧٢ و ٧٣.

وأما الغلو في فروع الدين: هو الاتيان بالجدية والشدة والكثرة على بعضها وترك بعض الآخر.

والتقصير في أصول الدين: عدم الاقرار بنبوة الأنبياء وإمامة الأوصياء ومقامات الأولياء.

والتقصير في فروع الدين: هو عدم الاتيان ببعضها أو تركها بالكلية أو التهاون بها نحو ما نشاهده في هذه الأيام بالنسبة إلى الستر الواجب على النساء أو الاتيان بالصلوات بالنسبة إلى البعض.

﴿فِي دِينِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلّق بـ ﴿لَا تَغْلُوا﴾.

﴿غَيْرَ﴾ نائب عن مفعول مطلق محذوف أو صفة له.

﴿الْحَقَّ﴾ مضاف إليه.

١. التبيان ٣/ ٦٠٧.

٢. سورة التوبة / ٣٠ و ٣١.

و ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ لا يكون إلا باطلاً. وتقييد الغلو بـ ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ وهو الباطل «إنما هو للتأكيد وتذكير لازم المعنى مع ملزومه لئلا يذهل عنه السامع وقد ذهل حين غلا أو كان كالذاهل»<sup>١</sup>. فحينئذ الغلو لا يكون إلا غير الحق أي باطلاً. ﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾ معطوف على ﴿لَا تَغْلُوا﴾.

﴿أَهْوَاءٌ﴾ مفعول به، «الأهواء» جمع هوى وهو الباطل الموافق للنفس وسمي به لأنه يهوي بصاحبه إلى النار، وورد بلفظ الجمع لكثرة الأباطيل أو باعتبار أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر.

﴿قَوْمٍ﴾ مضاف إليه. والمراد بهم المتبوعون المطاعون في أوامرهم وآراءهم وبدعهم نحو: أحبارهم ورهبانهم وعلماءهم كما مرّ قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup>.

أو أنهم اتبعوا في بعض مقالاتهم الغالية الأديان السابقة المختلفة نحو الوثنية البرهمنية والبوذية الموجودة في مصر القديم أو الهند أو الصين أو الشرق البعيد وقد تسرب الآراء الباطلة منها إلى الأديان التوحيدية على يد بعض أحبارهم وظهر في أديانهم فكان اسم الدين التوحيد ولكن المسمى يعدّ من الوثنية والشرك.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿ضَلُّوا﴾ فعلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ في محلّ جر صفةٍ لـ ﴿قَوْمٍ﴾. لأنهم يلتزمون بالآراء الفاسدة من الشرك والوثنية....

﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿قَبْلُ﴾ في محلّ جر. اسم مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة. والجار والمجرور متعلّق بـ ﴿ضَلُّوا﴾. أي أن القوم يكون من الأقوام السالفة في التاريخ

١. الميزان ٦/ ٧٧.

٢. سورة التوبة / ٣١.

البشري.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَضَلُّوا﴾ معطوف على ﴿ضَلُّوا﴾. لأنَّ الناس بتبعهم في ضلالتهم فهم عامِلٌ رَّئِيسٌ في إضلال الناس.

﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به، أي ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿ضَلُّوا﴾ عطف على ﴿ضَلُّوا﴾ السابق ومقابل معه. فهذا ضلال آخر، لا أنَّه نفس الضلال السابق أو أنَّه الجمع بين الضلال والإضلال كما على هذا الأخير صاحب الميزان وقال: «هو ضلال على ضلال»<sup>١</sup> وتبعه السيّد السبزواري<sup>٢</sup> رحمه الله.

﴿عَنْ سَوَاءٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ضَلُّوا﴾. السواء: المستقيم وقد استعير للحقّ الواضح.

﴿السَّبِيلِ﴾ مضاف إليه. وهذا السبيل المستقيم الواضح هو الإسلام، فهم قد ضلُّوا في دينهم قبل مجيء الإسلام وأضلُّوا النَّاس في أديانهم في طوال التاريخ البشري وضلُّوا بعد طلوع الإسلام عنه والله العالم.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

بيّن الله سبحانه ما يوجب لعن بني إسرائيل على لسان داود والمسيح عليه السلام لفعل المنكرات وتولي أعداء الله.

﴿لُعِنَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مبني للمجهول. اللعن: الإبعاد من رحمة الله، فلعنه الله:

١. الميزان ٦/ ٧٨.

٢. مواهب الرحمن ١٢/ ٨١.

أبعده الله من رحمته إلى عقوبته.

جملة مستأنفة لتخصيص اليهود دون النصارى وتكون كالدليل لقوله تعالى ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ في الآية السابقة والمقصود إثبات أن الضلال مستمر فيهم لأن ما بين داود وعيسى أكثر من ألف سنة.

وتعريض لهم بأنهم ملعونين بدعوة أنبيائهم بسبب عصيانهم لأنبيائهم واستمرارهم على الاعتداء وتمردهم على الحق.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول. نائب فاعل.

﴿كَفَرُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. واللعن يختص بكفارهم ولكن المراد بهم هو المعنى العام الذي يشمل الفساق منهم والفسق هو الكفر العملي كما أن الشرك ونفي نبوة أنبياء الله هو الكفر الاعتقادي فالمراد بالكفر هنا الأعم من الاعتقادي والعملي.

﴿مِنْ﴾ حرف جرياني.

﴿بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ مجروره ومضاف إليه. والجار والمجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الَّذِينَ﴾ وتقديره: حال كونهم ﴿مِنْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿عَلَىٰ﴾ حرف جر، للاستعلاء المجازي المستعمل في تمكن الملابس والمبالغة فيها.

﴿لِسَانٍ﴾ مجروره. الجار والمجرور متعلق بـ ﴿لُعِنَ﴾.

﴿دَاوُدَ﴾ مضاف إليه. أي على لسان داود في كتابه الزبور وعندهم المزامير في قصة المعتدين يوم السبت.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عِيسَى﴾ معطوف على ﴿دَاوُدَ﴾. ﴿آبْنَ﴾ بدل من ﴿عِيسَى﴾.

﴿مَرِيَمَ﴾ مضاف إليه. في كتابه الإنجيل في قصة نزول المائدة وكفر أصحابه بعدها. ولعنهما في هذين الكتابين موجودان.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة. مبتدأ. إشارة إلى سبب هذا اللعن.

﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿عَصَا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. ﴿مَا عَصَا﴾ بتأويل مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلق بخبر المبتدأ. تقديره: ذلك اللعن كان بسبب عصيانهم بل لا يكون ذلك اللعن إلا لأجل العصيان ويستفاد الحصر من السؤال المقدّر عن سبب هذا اللعن واسم الإشارة وباء السببية. فالجملة يفيد القصر مع عدم صيغة القصر فيها.

﴿وَوَ﴾ عاطفة. ﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمه.

﴿يَعْتَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر كان. الاعتداء: التجاوز والإضرار. ولعلّ أتى في جانب العصيان بفعل الماضي لأنّه لم يقبل الزيادة وأتى في جانب الاعتداء بفعل المضارع لأنّه مستمر في شأن المؤمنين<sup>١</sup>. والتعليل عام يشمل بني إسرائيل وغيرهم ولو كان هاشمياً.

### الروايات

معتبرة مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْمٍ مِنَ الشَّيْعَةِ يَدْخُلُونَ فِي أَعْمَالِ السُّلْطَانِ، وَيَعْمَلُونَ لَهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ وَيُؤَلِّفُونَهُمْ؟ قَالَ: لَيْسَ هُمْ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ أَوْلَتِكَ. ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَى قَوْلِهِ﴾ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢﴾ قَالَ: الْخَنَازِيرُ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ، وَالْقُرَدُ عَلَى لِسَانِ عِيسَى. <sup>٣</sup>

خبر أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

١. كما يظهر من ابن عاشور في تفسيره ٥/ ١٨٠.

٢. سورة المائدة / (٨١-٧٨).

٣. تفسير القمي ١/ ٢٥٨، ح ١٣.

٤٣٨..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السادس

مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿١﴾ قال: الخنازير على لسان داود،  
والقردة على لسان عيسى بن مريم عليه السلام ١.

الرواية معتبرة الاسناد بناءً على اعتبار سهل بن زياد ورواها العياشي في تفسيره ٢.  
قال أبو جعفر عليه السلام: أمّا داود فلعن أهل ايلة ٣ لما اعتدوا في سبتهم وكان  
اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على  
الحقوين ٤، فمسخهم الله قردة. وأما عيسى فلعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا  
بعد ذلك. ٥

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾

جملة مستأنفة بيانية جوابية لسؤال مقدّر مأخوذ من قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا  
عَصَوْا﴾ وهو أن يقال: «كيف تكون أمة كلّها متألّفة على العصيان والاعتداء؟!» ٦. أو  
بيان لقوله: ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعلٌ ماضٍ ناقصٌ واسمه. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي لا ينهى بعضهم بعضاً باعتبار مجموع  
الأمة وصيغة المفاعلة.

﴿عَنْ مُنْكَرٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾. والجملة ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾

١. الكافي ١٥/٤٦٧، ح ٢٤١ (٨/٢٠٠).

٢. تفسير العياشي ٦٧/٢، ح ١٦٢.

٣. أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشام. مرصد الاطلاع ١/١٣٨.

٤. الحقو: الحَصْر، ومَشَدَّ الإزار من الجَنْب. لسان العرب - حقا - ١٤/١٨٩.

٥. التبيان ٣/٦٠٩؛ مجمع البيان ٣/٢٣١.

٦. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥/١٨٠.

عَنْ مُنْكَرٍ فِي مَحَلِّ نَصْبِ خَبَرٍ ﴿كَانُوا﴾. المنكر: كل فعل منهي عنه والقيح. لأنَّ العقل ينكر القبيح.

﴿فَعَلُوهُ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولٌ بِهِ فِي مَحَلِّ جَرِّ صِفَةٍ لـ ﴿مُنْكَرٍ﴾.

﴿لَ﴾ لَامُ الْقِسْمِ لِلتَّأْكِيدِ.

﴿بِئْسَ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَرٌ «هُوَ».

﴿مَا﴾ اسْمٌ نَكْرَةٌ بِمَعْنَى «شَيْءٍ» فِي مَحَلِّ نَصْبٍ تَمَيِّزٍ لِفَاعِلِ ﴿بِئْسَ﴾. أَيِ

﴿بِئْسَ﴾ شَيْئًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا لـ ﴿بِئْسَ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ وَاسْمُهُ.

﴿يَفْعَلُونَ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ وَفَاعِلُهُ. خَبَرٌ ﴿كَانُوا﴾. وَالْجُمْلَةُ ﴿كَانُوا

يَفْعَلُونَ﴾ فِي مَحَلِّ نَصْبِ صِفَةٍ ﴿مَا﴾ التَّمْيِيزِيَّةِ.

وَعَلَى فَرَضِ فَاعِلِيَّةِ ﴿مَا﴾ تَكُونُ الْجُمْلَةُ صِلَةً لَهَا وَتَقْدِيرُهُ: ﴿مَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ﴾ هـ. حُذِفَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَى الْمَوْصُولِ اخْتِصَارًا وَوَضُوحًا.

وَالْجُمْلَةُ ﴿لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ تَعْجِيبٌ مِنْ سُوءِ فَعْلِهِمْ وَتَأْكِيدٌ

حَاصِلٌ مِنَ الْقِسْمِ وَزَجْرٌ شَدِيدٌ لترك النهي عن المنكر لأنَّ تركه لا يخلو من إظهار

الرضا به والمشاركة فيه.

وَفِيهَا «دَلَالَةٌ عَلَى وَجوب إنكار المنكر لأنَّ كلَّ شَيْءٍ ذَمَّ اللهُ عَلَيْهِ فَوَاجِبٌ

تركه»<sup>١</sup>.

### الروايات

العياشي رفعه عن محمد بن الهيثم التميمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى:


﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قال: أما إثمهم لم يَكُونُوا يَدْخُلُونَ مَدَاخِلَهُمْ وَلَا يَجْلِسُونَ مَجَالِسَهُمْ، ولكن كانوا إذا لَقَوْهُمْ ضَحِكُوا فِي وُجُوهِهِمْ وَأَنْسُوا بِهِمْ.<sup>١</sup>

معتبرة مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: قال علي عليه السلام:  
أيها الناس إن الله تعالى لا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ إِذَا عَمِلَتِ الْخَاصَّةُ بِالْمَنْكَرِ سِرًّا  
من غير أن تعلم العامة، فإذا عَمِلَتِ الْخَاصَّةُ بِالْمَنْكَرِ جَهَارًا فَلَمْ يُعَيَّرْ ذَلِكَ الْعَامَّةُ  
استوجب الفريقان العقوبة من الله تعالى. وقال: لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه  
سلطان جائر ظالماً وعداوياً، ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره لأن نصرة المؤمن على  
المؤمن فريضة واجبة إذا هو حضره والعافية أوسع ما لم تلزمك الحجة الحاضرة. قال:  
ولما وقع التقصير في بني إسرائيل جعل الرجل منهم يرى أخاه على الذنب فينهاه فلا  
ينتهي فلا يمنعه ذلك إن يكون أكيله وجليسه وشريبه حتى ضرب الله تعالى قلوب  
بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول عَلَيْكَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي  
إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \*  
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ إلى آخر الآيتين.<sup>٢</sup>

قال رسول الله ﷺ: لا قدست أمة لا تأخذ لضعفها حقه غير مضيع.<sup>٣</sup>

﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ

أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ 

بيان في حال طائفة من اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ يتولون

١. تفسير العياشي ٢/ ٦٧، ح ١٦٣.

٢. عقاب الأعمال / ٣١١، ح ٣.

٣. التبيان ٣/ ٦١٠.



مشركي العرب ضده ﷺ ويحرضونهم عليه وكانوا أشد الناس عدواة له ﷺ .  
و«نهى الله ﷻ أن يوالي المؤمن الكافر إلا عند التقية»<sup>١</sup>.

﴿تَرَى﴾ فعل مضارع وفاعله «أنت»، خطاباً من الله تعالى للنبي الخاتم ﷺ ،  
و﴿تَرَى﴾ بصرية من قبيل الاستشهاد بالحس على كونهم معتدين.  
﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به.

﴿مَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرًا﴾ . أي من يهود المدينة.  
﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله، والجملة ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ في محل نصب حال  
من ﴿كَثِيرًا﴾ . ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ أي يتخذونهم أولياء.  
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿كَفَرُوا﴾ فِعْلٌ ماضٍ وفاعله. من مشركي العرب وعبداء الأوثان.  
اليهود وهم أهل التوحيد ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ المشركين وهم كفارٌ وعبداء الأوثان  
عدواة للنبي الأعظم ﷺ ومحاربه ومخالفته كما مر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْبَسُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّوْلَهُ أَهْدَى  
مِّنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾<sup>٢</sup>.

والعجب منهم أنهم لم يقدرُوا دينهم حق قدره ولم يلزموه ويتعدوه ولكن لازم  
دينهم «أن يتولوا أهل التوحيد ويتبرئوا من الذين كفروا لأن أعداء ما يقدرسه قوم  
أعداء لذلك القوم، فإذا تحابوا وتوالوا دل ذلك على إعراض ذلك القوم وتركهم ما  
كانوا يقدرسونه ويحترمونه»<sup>٣</sup>.

﴿لَ﴾ لام القسم للتأكيد.

١. تفسير القمي ١/ ٢٥٨.

٢. سورة النساء / ٥١.

٣. الميزان ٦/ ٧٨.

﴿يَسْ﴾ فعل ماضٍ مبني على الفتح لإنشاء الذم وفاعله ضمير مستتر «هو» .  
 ﴿مَا﴾ نكرة بمعنى «شيء» في محل نصب تمييز لفاعل ﴿يَسْ﴾ المستتر .  
 ﴿قَدَّمَتْ﴾ فِعْلٌ ماضٍ مؤنث . و﴿مَا قَدَّمَتْ﴾ هو ولاية الكفار عن هوى النفس .  
 ﴿هَمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿قَدَّمَتْ﴾ .  
 ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه . وهواها أي هوى ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ . وجملة ﴿قَدَّمَتْ هَمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ في محل رفع خبر مقدم .  
 ﴿أَنْ﴾ مصدرية، وما بعدها بتأويل مصدر، مبتدأ مؤخر لأنه هو المخصوص بالذم فـ ﴿سَخِطَ اللَّهُ﴾ مضموم .  
 ﴿سَخِطَ﴾ فِعْلٌ ماضٍ . أي غضب . ﴿اللَّهُ﴾ فاعله .  
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿سَخِطَ﴾ . ﴿و﴾ عاطفة .  
 ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿خَلِدُونَ﴾ . ﴿هُمْ﴾ مبتدأ .  
 ﴿خَلِدُونَ﴾ خبر، وهذه الجملة الأخيرة جزاء ولاية الكفار ووبال ﴿سَخِطَ اللَّهُ﴾ تعالى ونتيجة ﴿مَا قَدَّمَتْ هَمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ .  
 و«في الآية وضع جزاء العمل وعاقبته موضع العمل كَأَنَّ أَنْفُسَهُمْ قَدَّمَتْ لَهُمْ جزاء العمل بتقديم نفس العمل»<sup>١</sup> .

### تنبيه

«اليهود كانوا وما زالوا يعملون على أساس الربح والتجارة، لا على أساس الدين، كان اليهود المدينة يسيطرون على التجارة الداخلية، ومشركو العرب يسيطرون على التجارة الخارجية، فعمل النبي على تحرير الناس من السيطرتين، فالتقت مصلحة اليهود مع مصلحة المشركين فتكاتفوا معهم وتضامنوا ضد المؤمنين، تماماً كما التقت

اليوم مصلحة اليهود مع مصالح أرباب الشركات الاستثمارية من المسيحين ضد الشعوب والمستضعفين»<sup>١</sup> والبحث ذوشجون.

### رواية

قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿يَتَوَلَّوْنَ [الَّذِينَ كَفَرُوا]﴾ الملوك الجبارين ويزينون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم.<sup>٢</sup>

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾

«ذكر سبحانه في الآية السابقة أنَّ اليهود، أو الكثير منهم كانوا يتولَّون المشركين، ويؤلبونهم على المسلمين، مع أنَّ المسلمين أقرب إليهم ديناً من المشركين. ثمَّ بيَّن سبحانه في هذه الآية إنَّ أولئك اليهود لم يؤمنوا بالله، ولا بموسى، ولا بما أنزل في التوراة كما يدعون، ولو صدقوا في دعواهم ما اتخذوا المشركين أولياء من دون المؤمنين، لأنَّ ذلك محرَّم في شريعة التوراة، ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾. أي أنَّ المسألة عندهم ليست مسألة دين وعقيدة، وإنَّما هي مسألة مصلحة ومنفعة»<sup>٣</sup>.

﴿وَ﴾ حالية لقوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾<sup>٤</sup>. أو استئنافية.

﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم، ومعناه هنا النفي لإيذان هؤلاء.

١. التفسير الكاشف ٣/ ١٠٩.

٢. التبيان ٣/ ٦١١؛ مجمع البيان ٣/ ٢٣٢.

٣. التفسير الكاشف ٣/ ١٩٠.

٤. سورة المائدة / ٨٠.

﴿كَانُوا﴾ فِعْلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ واسمه، والضمير يرجع إلى ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ في الآية السابقة.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿النَّبِيِّ﴾ معطوف على ﴿اللَّهِ﴾. وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾، والمراد بالنبي موسى ﷺ أو نبينا محمد ﷺ. أي ﴿لَوْ كَانَ﴾ هذا الكثير من بني إسرائيل ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ موسى ﷺ أو محمد ﷺ.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة في محل جر بالعطف.

﴿أُنْزِلَ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿النَّبِيِّ﴾. و ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ إن كان المراد بـ ﴿النَّبِيِّ﴾ موسى ﷺ يكون توراة وإن كان محمداً ﷺ يكون قرآناً.

﴿مَا﴾ حرف نفي واقع في جواب شرط ﴿لَوْ﴾.

﴿اتَّخَذُوهُمْ﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وفاعله ومفعول به أول. والضمير الفاعلي يرجع إلى مرجع ضمير اسم ﴿كَانُوا﴾ في أول الآية والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية السابقة.

﴿أُولِيَاءَ﴾ مفعولٌ به ثانٍ. لأنَّ الإيَّان بالله ورسوله والكتاب السماوي يمنع من اتخاذ الكافرين أولياء «وقد جعل موالاتهم للمشركين علامة على عدم إيمانهم بطريقة القياس الاستثنائي، لأنَّ المشركين أعداء الرّسول فموالاتهم لهم علامة على عدم الإيَّان به»<sup>١</sup>. لأنَّ ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥ / ١٨٢.

٢. سورة آل عمران / ٢٨.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿لَكِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، للإضراب.  
 ﴿كَثِيرًا﴾ اسم ﴿لَكِنَّ﴾ والمراد به نفس الكثير الوارد في قوله تعالى: ﴿تَرَى  
 كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ في الآية السابقة.  
 ﴿مِّنْهُمْ﴾ حرف جر بياني ومجروره متعلق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرًا﴾ والضمير  
 يرجع إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾<sup>١</sup> ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>٢</sup>.  
 ﴿فَاسْقُونَ﴾ خبر ﴿لَكِنَّ﴾. «إنما وصفهم بالفسق وإن كان الكفر أعظم في  
 باب الذم لأمرين:

أحدهما: إنَّ معناه خارجون عن أمر الله فهذا المعنى لا يظهر بصفة كافر.  
 والآخر: أنَّ الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والكلام يدلُّ على أنَّهم فاسقون في  
 كفرهم أي خارجون إلى التمرد فيه»<sup>٣</sup>.

والحاصل في معنى الآية الشريفة ثلاثة احتمالات:  
 الأوَّل: المراد بالنبي موسى ﷺ وبما أنزل إليه التوراة وهذا هو الظاهر.  
 الثاني: المراد بالنبي محمد ﷺ وبما أنزل إليه القرآن وهذا مختار الطبري؛  
 وابن عاشور<sup>٥</sup>.

الثالث: «أن يرجع ضمائر قوله: ﴿كَانُوا﴾ و ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ و ﴿هُمْ﴾ في قوله:  
 ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ راجعة إلى الذين كفروا، والمعنى: ولو كان الذين كفروا أولئك الكفار  
 الذين يتولاهم أهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي والقرآن ما اتخذتهم أهل الكتاب  
 أولياء، وإنَّما تولَّوهم لمكان كفرهم، وهذا وجه لا بأس به غير أنَّ الإضراب في قوله:

١. سورة المائدة / ٧٨.

٢. سورة المائدة / ٨٠.

٣. التبيان ٣ / ٦١٣.

٤. تفسير الطبري ٦ / ٣٧٩.

٥. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥ / ١٨٢.

﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ لا يلائمه<sup>١</sup>.

إلى هنا إنتهى الجزء السادس من أجود البيان في تفسير القرآن على يد مؤلفه  
الفاني العبد هادي النجفي في مساء يوم الثلاثاء النصف من شهر صفر الخير سنة  
١٤٣٨ بمدينة إصفهان صانها الله تعالى عن الحدثان.  
والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وآله الطيبين  
الطاهرين المعصومين<sup>٢</sup>.

---

١. الميزان ٦/ ٧٩.

٢. قد تمّ تصحيح هذه الأوراق بيد مؤلفها العبد هادي النجفي في عدّة أيام أوّلها في موسم الحج سنة  
١٤٣٨ بجوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وآخرها العشر الآخر من صفر المظفر وبالتحديد وقع  
تمامها في سلخ صفر ١٤٣٩ يوم ذكرى استشهاد الإمام الرؤوف علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية  
والثناء بمدينة إصفهان وفي مكتبتنا العامة بجوار مرقد والدي العلامة عليه السلام وأهدي ثواب هذا العمل  
المتواضع إلى روحه وأرجو من الله تعالى القبول وحسن العاقبة لي، والرحمة والغفران والرضوان له  
بحقّ محمد صلى الله عليه وآله وآله الأئمة الأطهار عليهم السلام والحمد لله والشكر له والتوفيق منه تعالى.

فہرست

تقریظ العلامة المحقق الأديب الأستاذ الحجّة السيّد عبدالستار الحسنی ﷺ ..... ۳

٢٣ .....	الآية (١٥٥)	تَبَيَّنَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ
٢٥ .....	رواية	الآية (١٤٨) .....
٢٦ .....	الآية (١٥٦)	الروايات .....
٢٧ .....	تنبيه	الآية (١٤٩) .....
٢٧ .....	الآية (١٥٧)	رواية .....
٣١ .....	تنبيه	الآية (١٥٠) .....
٣١ .....	رواية	الآية (١٥١) .....
٣٢ .....	الآية (١٥٨)	رواية أو دراية .....
٣٢ .....	رواية	الآية (١٥٢) .....
٣٣ .....	الآية (١٥٩)	تنبيه .....
٣٤ .....	الروايات	الآية (١٥٣) .....
٣٧ .....	الآية (١٦٠)	الآية (١٥٤) .....

رواية	٣٩	تنبيه مهم	٧٥
الآية (١٦١)	٤٠	الآية (١٧٣)	٧٦
تنبيه	٤١	الآية (١٧٤)	٧٨
الآية (١٦٢)	٤٢	روايتان	٨١
الآية (١٦٣)	٤٦	الآية (١٧٥)	٨١
رواية	٤٨	رواية	٨٤
الآية (١٦٤)	٤٩	الآية (١٧٦)	٨٤
الروايات	٥٠	شأن نزولها	٨٨
الآية (١٦٥)	٥٢	الروايات	٨٩
الآية (١٦٦)	٥٤	سُورَةُ الْمَائِدَةِ	
شأن نزولها	٥٧	فضلها	٩٩
رواية	٥٧	الآية (١)	١٠١
الآية (١٦٧)	٥٨	الروايات	١٠٤
الآية (١٦٨)	٥٩	الآية (٢)	١٠٦
الآية (١٦٩)	٦٠	شأن نزولها	١١٠
رواية	٦٢	روايتان	١١٢
الآية (١٧٠)	٦٢	الآية (٣)	١١٤
رواية	٦٥	الروايات	١٢٤
الآية (١٧١)	٦٥	الآية (٤)	١٣٩
روايتان	٧٢	تنبيه	١٤٣
الآية (١٧٢)	٧٢	الروايات	١٤٣
شأنه نزولها	٧٥	الآية (٥)	١٤٦



الروايات ..... ١٥٠	الآية (١٨) ..... ٢٠١
الآية (٦) ..... ١٥٣	الآية (١٩) ..... ٢٠٥
الروايات ..... ١٥٨	رواية ..... ٢٠٦
الآية (٧) ..... ١٦٢	الآية (٢٠) ..... ٢٠٦
رواية ..... ١٦٥	روايتان ..... ٢١٠
دراية ..... ١٦٥	الآية (٢١) ..... ٢١٠
الآية (٨) ..... ١٦٥	الروايات ..... ٢١٢
الروايات ..... ١٦٨	الآية (٢٢) ..... ٢١٦
الآية (٩) ..... ١٦٩	الآية (٢٣) ..... ٢١٩
الآية (١٠) ..... ١٧٠	الآية (٢٤) ..... ٢٢٢
الآية (١١) ..... ١٧٢	الآية (٢٥) ..... ٢٢٤
شأن نزولها ..... ١٧٥	الآية (٢٦) ..... ٢٢٨
الآية (١٢) ..... ١٧٧	الروايات ..... ٢٣٠
الروايات ..... ١٨١	الآية (٢٧) ..... ٢٣٣
الآية (١٣) ..... ١٨٢	فائدة ..... ٢٣٥
دراية ..... ١٨٦	الروايات ..... ٢٣٧
الآية (١٤) ..... ١٨٦	الآية (٢٨) ..... ٢٤٢
روايتان ..... ١٩٠	رواية ..... ٢٤٥
الآية (١٥) ..... ١٩٠	الآية (٢٩) ..... ٢٤٥
شأن نزولها ..... ١٩٣	الروايات ..... ٢٤٨
الآية (١٦) ..... ١٩٥	الآية (٣٠) ..... ٢٤٩
الآية (١٧) ..... ١٩٦	الآية (٣١) ..... ٢٥٢

روايتان ..... ٢٥٧	الآية (٤٢) ..... ٣١٢
الآية (٣٢) ..... ٢٥٩	الروايات ..... ٣١٤
الروايات ..... ٢٦٦	الآية (٤٣) ..... ٣١٦
الآية (٣٣) ..... ٢٧٠	الآية (٤٤) ..... ٣١٩
الروايات ..... ٢٧٢	الروايات ..... ٣٢٣
الآية (٣٤) ..... ٢٧٦	الآية (٤٥) ..... ٣٢٥
الآية (٣٥) ..... ٢٧٧	الروايات ..... ٣٢٨
التوسل في سيرة المسلمين ..... ٢٨٠	الآية (٤٦) ..... ٣٢٩
التوسل في الأحاديث العامة .. ٢٨٢	الآية (٤٧) ..... ٣٣٢
الوسيلة في الروايات ..... ٢٨٤	روايتان ..... ٣٣٣
الآية (٣٦) ..... ٢٨٥	الآية (٤٨) ..... ٣٣٤
الآية (٣٧) ..... ٢٨٧	رواية ..... ٣٤٠
الروايات ..... ٢٨٩	الآية (٤٩) ..... ٣٤١
الآية (٣٨) ..... ٢٩٠	الآية (٥٠) ..... ٣٤٤
الروايات ..... ٢٩٣	رواية ..... ٣٤٧
الآية (٣٩) ..... ٢٩٧	الآية (٥١) ..... ٣٤٧
رواية ..... ٢٩٩	تنبيه ..... ٣٥٠
الآية (٤٠) ..... ٢٩٩	البتروك واليهود والنصارى ..... ٣٥٢
رواية ..... ٣٠٢	رواية ..... ٣٥٢
الآية (٤١) ..... ٣٠٢	الآية (٥٢) ..... ٣٥٣
شأن نزولها ..... ٣٠٨	رواية ..... ٣٥٦
رواية ..... ٣١١	الآية (٥٣) ..... ٣٥٧

روايةً ..... ٣٦٠	روايةً ..... ٣٩٥
الآية (٥٤) ..... ٣٦١	الآية (٦٣) ..... ٣٩٥
شأن نزولها ..... ٣٦٤	روايتان ..... ٣٩٨
الروايات ..... ٣٦٤	الآية (٦٤) ..... ٣٩٩
الآية (٥٥) ..... ٣٦٥	تنبيه ..... ٤٠٢
كلمات مفسري العامة أنها نزلت في	الآية (٦٥) ..... ٤٠٣
عليّ عليه السلام ..... ٣٦٤	رواية ..... ٤٠٤
استدلال الشيعة بها على خلافة	الآية (٦٦) ..... ٤٠٥
أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل ..... ٣٧١	روايتان ..... ٤٠٧
وقد اعترض العامة على هذا	الآية (٦٧) ..... ٤٠٨
الاستدلال بوجوه وجوابها ... ٣٧٢	الروايات ..... ٤١١
الروايات العامة في شأن نزولها ..... ٣٧٥	الآية (٦٨) ..... ٤١١
الآية (٥٦) ..... ٣٧٥	روايتان ..... ٤١٣
الروايات ..... ٣٧٧	الآية (٦٩) ..... ٤١٤
الآية (٥٧) ..... ٣٧٩	الآية (٧٠) ..... ٤١٧
الآية (٥٨) ..... ٣٨٢	الآية (٧١) ..... ٤١٩
الآية (٥٩) ..... ٣٨٥	رواية ..... ٤٢١
شأن نزولها ..... ٣٨٧	الآية (٧٢) ..... ٤٢١
الآية (٦٠) ..... ٣٨٧	روايةً ..... ٤٢٤
الآية (٦١) ..... ٣٩١	الآية (٧٣) ..... ٤٢٤
شأن النزول ..... ٣٩٣	الآية (٧٤) ..... ٤٢٧
الآية (٦٢) ..... ٣٩٣	الآية (٧٥) ..... ٤٢٧

٤٥٢ ..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء السادس

٤٣٩ ..... الروايات	٤٢٩ ..... رواية
٤٤٠ ..... الآية (٨٠)	٤٢٩ ..... الآية (٧٦)
٤٤٢ ..... تنبيه	٤٣٢ ..... الآية (٧٧)
٤٤٣ ..... رواية	٤٣٥ ..... الآية (٧٨)
٣٩٢ ..... الآية (٨١)	٤٣٧ ..... الروايات
	٤٣٨ ..... الآية (٧٩)